تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام

لمؤرخ الإسلام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

المتوفى ٧٤٨هـ - ١٣٧٤م

المجلد الأول

مقدمة المحقق

المغازي والترجمة النبوية

حققه، وضبط نصه، وعلق عليه

الدكتور بشار عواد معروف



دار الغرب الإسلامي

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام

لمؤرخ الإسلام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

المتوفى ٧٤٨هـ - ١٣٧٤م

المجلد الأول

مقدمة المحقق

المغازي والترجمة النبوية

الطبعة الأولى

دار الغرب الإسلامي

ص . ب . 5787-113 بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الطبعة

● - أول نشرة علمية كاملة لهذا الكتاب العظيم حققها العلامة المتخصص بالإمام الذهبي الأستاذ الدكتور بشار عواد معروف على عشر مجلدات بخط المصنف محفوظة بمكتبة أياصوفيا بإستانبول، ونسخ أخرى من إستانبول، وبغداد، ودمشق، وحلب، والرياض، والقاهرة، والرباط، وباريس، ولندن، وأكسفورد، وكيمبرج، وليدن، وكوتا، وتونس.

● - توثيق النص بالإشارة إلى موارد الكتاب وتتبعها والعزو إلى تلك الموارد، ومقابلة نص الذهبي بالموارد التي اقتبس منها سواء أشار إليها أم لم يشر.

● - تفصيل النص بما يظهرمعانيه ودلالاته، ومواطن انتهاء الاقتباس، وضبطه بالحركات استنادًا إلى المصادر المتخصصة في كل فن من فنونه.

● - تخريج أحاديث الكتاب والحكم عليها تصحيحًا أو تضعيفًا وبيان عللها الظاهرة والخفية.

● - نقد النص وبيان ما وقع فيه المؤلف من أوهام.

● - عمل أنواع الفهارس التي تيسر الإفادة من الكتاب على أحسن وجه.

● - كتابة مقدمة ضافية في صدر المجلد الأول تناول فيها المحقق سيرة الذهبي ومنهجه في هذا الكتاب، ووصفَ نسخَه الخطية بما فيها نسخة المؤلف التي كتبها بخطه. أما «درس التحقيق»، وهي دراسة مفصلة لأصول التحقيق العلمي، والمنهج الذي انتهجه المحقق في تحقيق هذا الكتاب، وبيان ما وقع في الطبعات السابقة من نقص كبير، وسقط كثير، وتحريف وتصحيف، ومخالفة لأصول هذا العلم فسيصدر في مجلد مستقل عن هذه الدار نظراً لظروف المحقق الطارئة.

الناشر

مُقدّمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، نَحْمَدُهُ ونَستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شُرورِ أنفُسِنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ الله فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن أسوتنا وإمامنا وقدوتنا وشفيعنا محمداً عبدُهُ ورسولُه، بعثه الله بالهُدى ودين الحق ليظهره على الدين كُلِّه ولو كره المشركون، فبلَّغَ الرسالةَ، وأتم به اللهُ النِّعمةَ فرضي لنا الإسلام ديناً.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب].

أما بعد،

فهذه مُقَدِّمةٌ وجيزةٌ نافعةٌ ـ وأعوذ باللهِ مما لاينفع ـ في سيرةِ إمام المُؤرخينَ شمس الدين أبي عبدالله الذَّهبيِّ، وكتابه العظيم الماتِع الغزيرِ العَلم «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام»، جعلتها في ثلاثة أبواب؛ أولها: في سيرته، وثانيها: في منهجه في كتابة «تاريخ الإسلام»، والثالث: في وصف النُّسخ الخطية التي اعتمدناها، والمنهج الذي انتهجناه في تحقيقه، لِتُجْنَى فوائدُه على أحسن الوجوه، وتُرْتَجَى عوائِدُهُ على أفضل ما يمكنُ لِمِثْلِ هذا الكتابِ الضخم الفخم المُتنوِّعِ في مادته الوسيع في مدته.

ثم أتبعته بدراسة موسعة أطلقت عليها «درس التحقيق» تناولت فيها أصول هذا العلم الجليل وما يتعين اتباعه لإخراج النصوص المحققة على أحسن وجه، مبينًا بالأمثلة الكثيرة الموضحة والأدلة الغزيرة ما وقع فيما طبع منه قبل طبعتنا المحققة هذه من مخالفة لأصول هذا المنهج في كل مفصل من مفاصله بحيث صار الاعتماد على مثل تلك الطبعات مخاطرة لا ينبغي لطالب العلم إلا أن يتجنبها حفاظًا على المنهج العلمي الرصين.

فالحمد لله على ما أنعم وتفضل بإتمام تحقيق هذا السفر النفيس الذي ابتدأت في العناية به منذ نَيِّف وثلاثين عامًا، فصورت جل نسخه المحفوظة في خزائن الكتب العالمية. ثم توجت تلك العناية وذلك الاهتمام بأن اخترته موضوعًا لدراسة موسعة نلت بها رتبة الدكتوراه وطبعت بالقاهرة سنة ١٩٧٦ وصفها العلامة الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله بأنها خير دراسة وقف عليها للمعاصرين.

وقد بذلت في تحقيقه الوسع واستنفدت الجهد من إتمام جمع نسخه الخطية والمقابلة بينها، والإشارة إلى مناجم الكتاب والتعليق عليه بفرائد الفوائد كلما وجدت لذلك ضرورة وأهمية متجنبًا الحشو الذي نفعه قليل وضرره وبيل، حتى ظهر بهذه الهيئة العلمية الفائقة والصفة البارعة النافعة التي تسر كل محب لتراث هذه الأمة حريص عليه.

وتعد هذه النشرة المحققة أول نشرة علمية كاملة لهذا الكتاب العظيم، ذلك أن جميع ما طبع من الكتاب قبل هذه الطبعة يعتريه نقص كثير وسقط لمئات عديدة من التراجم حيث اعتمد الناشرون السابقون أجزاء مختصرة له في كثير من المواضع ولطبقات كاملة، فاختلطت الأصول بالمختصرات، ولم يقف أي منهم على نسخة المؤلف التي كتبها بخطه، بل ولا على نسخ صحيحة معتمدة من نسخه الكثيرة في العالم فسقطت آلاف النصوص، وتحرفت وتصحفت عشرات الألوف من الألفاظ بسبب مخالفة أصول هذا العلم.

ومن نعم الله عليّ وعميم إحسانه إليَّ أن وفقني الله إلى أن أقف على نصف الكتاب تقريبًا بخط مؤلفه الذهبي، وعلى جل النسخ الخطية التي حوتها خزائن الكتب العالمية ما بين مشرق للشمس ومغيب.

وكان من المفروض أن يخرج هذا الكتاب النفيس قبل هذا اليوم بسنين، ولكن مَرَّت عليَّ وأنا أعمل فيه سنون جدبات، الله وحده بها عليم، قاسينا فيها ما نحتسبه عند ذي الآلاء والنعم. ثم شاء الله، ولا راد لمشيئته، أن يمتحنني حين قبض إليه عبده الصالح أخي «رعد عواد، أبا حيدر» قبل تسع من السنين وهو في زهرة شبابه وقوته. وقد كان -رحمة الله عليه- لسنوات طوال قد حمل عني أعباء الحياة ومتابعة شؤوني الدنيوية، فاجتمعت عليَّ بفقده هموم الدنيا وأعباؤها، ووجدت مس الحق في فقده، فأي حزن بقي لي بفنائه، وعجبت من غفلتي وغفلته واستذكرت قول المحدث الثقة الفاضل حِبَّان بن علي العَنَزي في أخيه مِنْدَل، وكان اسمه عمرو:

عجبًا يا عَمْرو من غفلتنا ... والمنايا مقبلات عَنَقا

قاصداتٌ نحونا مسرعةٌ ... يتخللن إلينا الطُّرقا

فإذا أذكر فقدان أخي ... أتقلب في فراشي أرقا

وأخي وأيُّ أخ مثل أخي ... قد جرى في كُلِّ خيرٍ سَبَقا[1]

اللهم أَظِلَّنا وأظِلَّهُ في ظلك يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّكَ، وأعني بحولك وقوتك، وقوِّ قلبي على تحمل هذه الأعباء، بيدك النعماء وإليك الرَّغباء، وارحمني وارحمه برحمتك التي وسعت كل شيء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتب

أفقر العباد بشار بن عواد

---

(١) تاريخ مدينة السلام للخطيب ١٥/ ٣٣٦ - ٣٣٧، وتاريخ الإسلام ط ١٧/ الترجمة ٣٩٩.

الباب الأول

سيرة الذهبي ومنزلته العلمية

الفصل الأول

سيرة الذهبي

أولاً: دراسة تحليلية لموارد سيرة الذهبي:

تناولَ الذهبيَّ جملةٌ كبيرةٌ من المؤرخين فترجموا له تراجم تختلفُ طُولاً وقِصَراً، وتتباينُ في نوعية المعلومات التي تقدِّمُها استناداً إلى اختلاف مشاربهم وتنوع ثقافاتهم واهتماماتِهم وأمزجتِهم. ونجد بينَهُم رِفاقاً له في طَلَبِ العلم وتلامَذةً، وتلامذةً لتلامذتِه وهلم جراً إلى أزمنةٍ متأخرةٍ.

وقد ترجم له من معاصريه رفيقه علمُ الدين البِرْزاليُّ[(١)] «ت٧٣٩هـ»، وابنُ الوَرْدِي[(٢)] «ت٧٤٩هـ»، والصَّفَدِيُّ[(٣)] «ت٧٦٤هـ»، وابنُ شاكر الكُتبِيُّ[(٤)] «ت٧٦٤هـ»، وشمس الدين الحُسينيُّ[(٥)] «ت٧٦٥هـ»، والإسنويُّ[(٦)] «ت٧٧٤هـ»، والسبكيُّ[(٧)] «ت٧٧١هـ»، وبدر الدين النابلسيُّ[(٨)] «ت٧٧٢هـ»،

---

(١) في معجم شيوخه. وهذا المعجم في عداد المفقودات في عالم المخطوطات العربية، لكن ترجمة الذهبي فيه منقوله في كتاب «رونق الألفاظ» لسبط ابن حجر، و«المنهل الصافي» لابن تغري بردي وغيرهما.

(٢) تتمة المختصر، ج٢ص٣٤٩.

(٣) الوافي، ج٢ص١٦٣-١٦٨، ونَكْت الهميان، ص٢٤١-٢٤٤.

(٤) فوات الوفيات: ج٢ص١٨٣، وعيون التواريخ، الورقة ٨٦-٨٨(كيمبرج ٢٩٢٣).

(٥) ذيل تذكرة الحفاظ، ص٣٤-٣٨، والذيل على العبر، ص٢٦٧-٢٦٩.

(٦) طبقات الشافعية، ج١ص٥٥٨-٥٥٩(ط. الجبوري).

(٧) طبقات الشافعية الكبرى، ج٩ص١٠٠-١١٦(من الطبعة الجديدة بعناية صديقينا العالمين الطناحي والحلو رحمهما الله)، وطبقات الشافعية الوسطى (دار الكتب ٥٥٤ تاريخ) وفيها زيادات عما في الطبقات الكبرى، ومعيد النعم، ص ٨٤،٨٧، ومعجم الشيوخ (التيمورية ١٤٤٦تاريخ).

(٨) معجم الشيوخ، ولم أقف عليه، وقد وقف عليه ابن حجر بخطه (الدرر، ج٢ص١٢٢) ونقل ترجمة الذهبي منه (الدرر، ج٣ص٤٢٧)، وكان الذهبي قد ذكره في معجمه المختص في حرف النون ٢٨٧.

وابنُ كثير[1] «ت٧٧٤هـ»، وابن رافعٍ السلامي[2] «ت٧٧٤هـ»، وبدر الدين الزركشي[3] «ت٧٩٤هـ».

وليس في هذه التراجم من اختلافٍ كبير، إلا أن ترجمتي الصفدي والسبكي كانتا من أكثرِ التراجمِ فائدةً لنا؛ فقد قدم لنا الصفدي رأيهُ الشخصي في تقويم الذهبي وتخلُّصِه من الجمود، ونقلَ تقويماً لكمال الدين ابن الزملكاني «ت٧٢٧هـ» لكتابه «تاريخ الإسلام» بعد أنْ أنهاه مطالعة. كما أشار في مقدمة كتابه «الوافي» إلى أنَّ عمدته في تأليف كتابه كان على كتاب «تاريخ الإسلام» للذهبي[4]. أما السبكي فإنه الوحيدُ الذي انتقد الذهبيَّ في كتابه «تاريخ الإسلام» انتقاداً مراً، كما نقل نقداً لتلميذه صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي «ت٧٦١هـ». وأشار إلى العلاقة التي تربط بين كُلٍّ من المزيّ والبرزالي وابن تيمية والذهبي وميلهم إلى آراء الحنابلة. وقدم السبكيُّ في كل الذي كتبه تقويماً أشعرياً للذهبي.

أما الذين ترجموا له بعد عصره فهم: ابنُ دقماق[5] «ت٨٠٩هـ»، وابنُ الجزريِّ[6] «ت٨٣٣هـ»، وابن ناصر الدين الدمشقي[7] «ت٨٤٢هـ»، وابن قاضي شهبة[8] «ت٨٥١هـ»، وابن حجر العسقلاني[9] «ت٨٥٢هـ»، وبدر الدين العيني[10] «ت٨٥٥هـ»، وابن تغري بردي[11] «ت٨٧٤هـ»، وسبط ابن

---

(١) البداية والنهاية، ج١٤ص٢٢٥، وطبقات الشافعية (نسخة الرباط ٢١٩ك).

(٢) كتاب الوفيات ٢/ ٥٥ - ٥٦، ومعجم شيوخه الذي لم يصل إلينا، إلا أن سبط ابن حجر نقل ترجمة الذهبي منه في كتابه «رونق الألفاظ».

(٣) عقود الجمان، الورقة ٧٩(نسخة مكتبة فاتح بإستانبول رقم ٢٤٣٥).

(٤) الوافي، ج١ص٥٠-٥١.

(٥) ترجمان الزمان، الورقة ٩٨-٩٩(أحمد الثالث ٢٩٢٧).

(٦) غاية النهاية، ج٢ص٧١.

(٧) التبيان، الورقة ١٦٦، ومقدمة توضيح المشتبه ١/ ١١٥، والرد الوافر، ص٣١-٣٦.

(٨) طبقات الشافعية، ٣/ ٢٠٨، والإعلام بتاريخ أهل الإسلام، م١ الورقة ٩٠(باريس ١٣٩٨عربي).

(٩) الدرر، ج٣ص٤٢٦-٤٢٧.

(١٠) عقد الجمان، الورقة ٣٧(أحمد الثالث ٢٩١١).

(١١) المنهل الصافي، الورقة ٦٩-٧٢ (أحمد الثالث ٣٠١٨)، والنجوم الزاهرة ج١٠ ص١٨٢-١٨٣، والدليل الشافي، الورقة ٩٦(نسخة مكتبة قره چلبي باستانبول رقم ٢٦٦).

حجر[1] «٨٩٩هـ»، والسخاوي[2] «ت٩٠٢هـ»، ويوسف ابن عبدالهادي[3] «ت٩٠٩هـ»، والسيوطي[4] «ت٩١١هـ»، والنعيمي[5] «ت٩٢٧هـ»، وابن الحريري[6] «ت بعد ٩٢٦هـ»، وابن طولون[7] «ت٩٥٣ هـ»، وطاش كبري زادة[8] «ت٩٦٧هـ»، وابن هداية الله المصنف[9] «ت١٠١٤هـ»، وابن العماد الحنبلي[10] «ت١٠٨٩هـ»، والبغدادي[11] «ت١٠٩٣هـ»، والشوكاني[12] «ت١٢٥٠هـ»، والقنوجي[13] «ت١٣٠٧هـ»، والكتاني[14].

وتُقَدِّمُ تراجمُ المتأخِّرينَ نُقولاً جيدة عن بعض معاصريه مما لم يصل إلينا. ونحن نعلم أنَّ الذهبيَّ خلف عدداً كبيراً من التلاميذِ النُّجب من متعيني رواة القرن الثامن الهجري، وكان لكثيرٍ من هؤلاء مشيخات أو معجمات لشيوخهم[15].

فكانت هذه المادة هي المعين لما كتبه المتأخرون عن الذهبي. إضافة إلى أنَّ هذه التراجمَ تمثلُ رأيَ أجيالِ العلماء في الذهبي وتقدير علمه وكتبه.

---

(١) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠-١٨٣(مصورة معهد المخطوطات رقم ١٠٨٧تاريخ).
(٢) وجيز الكلام، ١/ ٣١ بتحقيقنا والإعلان (في غير موضع منه فراجع فهرسته).
(٣) معجم الشافعية، الورقة ٢٥-٢٦(ظاهرية ٤٥٥١عام).
(٤) طبقات الحفاظ، الورقة ٨٤-٨٥(نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية رقم ٨٢٢ب).
(٥) تنبيه الدارس، ج١ص٧٨وراجع فهرس الجزء الثاني أيضاً.
(٦) منتخب الزمان، الورقة ٢٠٧-٢٠٨(مصورة التيمورية ٢٤٠٥).
(٧) القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ص٣٢٨(دمشق ١٩٤٩).
(٨) مفتاح السعادة، ج١ص ٢٦١، ج٢ص ٣٥٨-٣٥٩.
(٩) طبقات الشافعية، ص٢٣٢(بيروت ١٩٧١).
(١٠) شذرات الذهب، ج٦ص١٥٣.
(١١) تراجم العلماء، الورقة ٦٩-٧٠(رئيس الكتاب بإستانبول، رقم ٦٢٧).
(١٢) البدر الطالع، ج٢ص١١٠-١١٢.
(١٣) التاج المكلل، ص٤١١-٤١٢.
(١٤) فهرس الفهارس، ج١ص٣١٢-٣١٤(فاس ١٣٤٦هـ).
(١٥) كان القرن الثامن مشحوناً بكثرة المشيخات، يعرف ذلك من يقرأ كتاب الدرر لابن حجر وغيره من الكتب المؤلفة في رجال هذه الفترة. وانظر أيضاً: السخاوي: الإعلان ص٦٠٥فما بعد، والذهبي: معجم الشيوخ، م١الورقة ١١، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٢، ٣٥، ٣٧، ٤١، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦٤، ٧٥، ٧٦، ٧٩، ٨٠، ٨٤، ٨٨، م٢ورقة ١، ٣، ١٠، ١١، ١٥، ١٧، ٢٠، ٢٥، ٤٥، ٤٨، ٥٢، ٥٤، ٥٦، ٦٠، ٦٢، ٦٣، ٧٠، ٧١، ٧٧، ٨٣، ٨٦، ٨٩، ١٠٠.

على أنَّ هذه التراجم كانت متفاوتةً في قيمتها، فقد نقلها قسمٌ منهم عن المتقدمين المعروفين لنا فلم نفد منها كثيراً. أما القسم الآخر فكان مفيداً؛ فقد كان ابنُ الجزريِّ هو الوحيد الذي ترجم للذهبي باعتباره أستاذاً في القراءات وأشار إلى أنه سلخ كتابه «طبقات القراء» وأدخله في كتابه «غاية النهاية». أما ابنُ ناصر الدين وابن قاضي شهبة وابن حجر فهم من الذين اتَّصَلُوا بكتبِ الذهبي؛ فقد شرح ابنُ ناصر الدين كتابَ «المشتبه» للذهبي، ونَظَمَ كتابه «تذكرة الحفاظ». ولخص ابن قاضي شهبة «تاريخ الإسلام». وكان لابن حجر اتصالٌ قويٌّ بكثيرٍ من مؤلفات الذهبي، وهو من أعظم النقاد في القرن التاسع الهجري، ولذلك فإنَّ رأيه في الذهبي له قيمته العلمية، أما ابن تغري بردي وسبط ابن حجر فهما أكثر من عني بذكر مؤلفات الذهبي وآثاره؛ ففي الوقت الذي ذكر فيه السبكي (٢٤) مؤلفاً، والصفدي (٣٨)مؤلفاً، وهما من أكثرِ الناس اتصالاً به ذكر لنا ابن تغري بردي وسبط ابن حجر قرابة المئة أثر بين مختصرٍ وتأليفٍ وتخريج. أما كتاب «الإعلان» للسخاوي فقد كان من أحسنِ المصادر المتأخرة، وقد انفرد بعدة أمورٍ لم نجدها في غيره من الكتب، فهو الوحيدُ الذي نقل إلينا خطة الذهبي لتاريخه «المحيط» الذي لم يؤلفه وقد أفادتنا هذه الخطة كثيراً في تَفَهُّم مفهومِ التاريخ عند الذهبي ومدى التصاقه بالتراجم، بل إنَّ السخاويَّ بنى أصلَ كتابهِ على خطة الذهبي هذه بعد أنْ أضافَ إليها. وقد أشار السخاويُّ إلى نقدِ السبكي وابن المرابط للذهبي ونقل أقوالهما ورَدَّ عليها وفَنَّدها ونقلَ آراء العلماء فيها، كما شاهد خط ابن بصخان المقرىء على الصفحة التي ترجم له الذهبي فيها وكيف أَقْذَعَ في الكلام على الذهبيِّ بسببِ كلام الذهبيِّ فيه. وقد انفرد السخاويُّ بذكر بعض آثار الذهبي، بل نقل كتيباً صغيراً له في كتابه هو «الأمصار ذوات الآثار»، وهو الوحيدُ الذي أشار إلى رسالة الذهبيِّ إلى ابنِ تيميةَ مما وثق نسبتها إليه لاسيما وقد شَكَّ فيها غيرُ واحدٍ، ثم قدم لنا السخاويُّ تقويماً لكتب الذهبي في نهاية القرن الثامن الهجري. والسخاوي بعد ذلك من كبار علماء التاريخ امتاز بمنهجٍ على درجةٍ كبيرة من الرُّقيِّ، فأقواله لها قيمتها.

وكتبَ عن الذهبيِّ من المحدثين العرب حسام الدين القدسي[1]، والأستاذ سعيد الأفغاني[2]، وشيخنا الدكتور مصطفى جواد[3]، والدكتور صلاح الدين المنجد[4]، وغيرهم[5]. وكتب عنه من المستشرقين: شبيز[6]، وبروكلمان[7]، وسوموجي[8].

وليس في هذه الكتابات الحديثة أكثر من تلخيص لما هو شائعٌ في المصادر، إلا أنَّ ما كتبه الدكتور المنجد يعد جيداً بسببِ اعتمادِه على معجم شيوخِ الذهبي وإنْ كان فيما كتبه بعض الأوهام، وقد أفدنا منها. وكتبتُ أنا سيرةً موجزةً لحياتِه في مقدمة كتابه «أهل المئة فصاعداً»[9]، وفيها بعض الأوهام أيضاً، ثم كتبت في سنة ١٩٧٥م كتابي «الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام» الذي طبع في القاهرة في مطلع سنة ١٩٧٦م والذي نال بحمدِ الله تعالى ومَنِّهِ ثناءَ أهلِ العلم عليه.

وقد عنينا عند تأليفنا لكتابنا المذكور العناية التامة بمؤلفات الذهبي، لإيماننا بأنَّ من أكثر الينابيع صفاءً وأعلاها ثقةً في تدوين سيرِ العلماء هو دراسة ما خَلَّفَهُ صاحبُ السيرة من تراث كتابي، لاسيما إذا كان العالمُ ظاهرَ الشخصيةِ في كتبه من جهة، وإذا كان قد تناول عصره الذي عاشَ فيه وشاهده من جهة أخرى. ومن هنا كان استيعابُنَا لمؤلفاتِ الذهبيِّ على غايةٍ من الأهمية في استنباط أحداثِ سيرته العلمية؛ وآية ذلك أنَّ الذهبيَّ ترك لنا ثروةً ضخمة من

---

(١) مقدمة الجزء الأول من تاريخ الإسلام، ج١ص٣-١٢.
(٢) مقدمة سيرة ابن حزم (مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، م١٦ ج٩ ص ٣٨٧-٣٩٨).
(٣) مقدمة المختصر المحتاج إليه، ج١ص١٤-١٦.
(٤) دائرة المعارف الإسلامية، مادة «الذهبي» من الترجمة العربية.
(٥) كتب معظم محققي وناشري كتب الذهبي ترجمة لحياته في مقدمات هذه الكتب وليس فيها جديد.
(٦) Spies, O. : Beitrage Zur arabaischen, Leteraturgeschichte 112(Leipziq 1932).
(٧) Brockelmann, D. : Geschichte der Arabischen, Leteratur, Bannd 2p. 57-60.
(٨) Somogyi: Dhahabi, in, Ency. Of Islam (New ed.).
(٩) مجلة المورد، العدد الرابع من المجلد الثاني، ص١٠٧-١١٣. منه نسخة بدار الكتب المصرية، برقم (٦٥ حديث) وصورت لنفسي نسخة منه.

الكتابات. وقد ظهرتْ شخصيتُه على أشدها في الأقسام الأخيرة من كتبه، وبخاصة تاريخ الإسلام، وتذكرة الحُفَّاظ، وسيرِ أعلام النبلاء، ومعرفة القُرَّاء الكبار وغيرها. يضاف إلى أنَّ ما وصلَ إلينا من كتاباتِ للذهبي في الحديث والتاريخ والعقائد، يُوضِّحُ جوانبَ غير معروفة من سيرته، فكان أنْ جمعنا ما تَناثَر منها في ثنايا كتبه من نصوصٍ أفادتنا في دراسة سيرته مدققين تلكم النصوص ومقارنينَ إياها بما حَفِظَتْهُ لنا كُتبُ التراجم على مَرِّ العصور.

فضلاً عن أنَّ الإمامَ الذهبيَّ ترك لنا ثلاثة معجمات لشيوخه: المعجم الكبير، والمعجم الأوسط، والمعجم الصغير، وقد وصل إلينا معجمه الكبير[1]، ومعجمه الصغير[2].

ومعلومٌ أنَّ أيَّ معجم للشيوخ يمثلُ في حقيقته سجلاً أميناً لتطور سيرةِ صاحبِه العلمية، وقائمة بشيوخه الذين كان على اتصالٍ وثيقٍ بهم بِحُكْم رؤيتِه لهم واتِّصالِه بهم وتَتَلْمُذِه عليهم، ومن ثَمَّ فإنَّ دراسته تؤدي بالباحث إلى تَلَمُّس الطريق الذي اتخذته دراساته ولقاؤه المشايخ وما أَخَذَ عنهم، وأسماء الكتب والأجزاء التي سمعها منهم مما يشيرُ إلى نوعيةِ اهتمامِه واتجاهاته العلمية، ولذلك فإنها تُعَدُّ من أنفس المصادرِ والمنابع التي يستقي منها الباحثون الكاتبون في سير العلماء، فضَلاً عن أنها تكون المادة الرئيسة لمؤلفي كتب التراجم والرجال خاصة أولئك الذين لم يدركوا عصرَ المؤلف، وإنْ لم يشيروا إلى ذلك دائماً[3].

وقد عنيتُ عنايةً كبيرةً بمعجمه الكبير ودرستُه بإمعانٍ ورويَّةٍ، وتَحصَّلَتْ

---

(١) سيأتي الكلام عليه مفصلاً بعد قليل.

(٢) منه نسخة بدار الكتب الظاهرية برقم (١٢ مجموع) ويسمى «المعجم اللطيف» أيضًا وهو من تخريج الذهبي نفسه.

(٣) انظر بحثنا: «معاجم الشيوخ والمشيخات وأهميتها في دراسة التاريخ الإسلامي» مجلة الأقلام البغدادية ج٧ السنة الخامسة (١٩٦٩) ص٦١ فما بعد، ودراستنا عن ابن الدبيثي في المجلة التاريخية (العدد الثالث ص١١-١٢)، ومقدمتنا لـ«مشيخة النعال البغدادي» ص٥ فما بعد (مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٧٥م بالاشتراك مع عمي العلامة الدكتور ناجي معروف). وقد ذكر السخاوي في الجواهر والدرر أن الذهبي ألف سيرة لنفسه (ص٧٤٦) ولكنها لم تصل إلينا.

لدي منه نسختان: نقلت الأولى من نسخةٍ بخط المؤلف[١] . أما النسخة الثانية فقد قرئت على المؤلف سنة ٧٤٥هـ، وهي تمثل آخرَ نشرةٍ له، فقد جاء في آخر المجلد الثاني من هذه النسخة سماع صاحبها عبدالله بن أحمد بن يوسف الزرندي[٢] على مُؤلِّفِه ومُخَرِّجِه «الحجة شيخ الإسلام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ابن الذهبي ـ أبقاه الله ـ في مجالس آخرها يوم السبت رابع عشري شهر رمضان المعظم من سنة خمس وأربعين وسبع مئة، وقُوبِلَ بأصلِ المخرج وأشارَ بإسقاطِ جماعةٍ من المكتوبينَ على حواشي الأصلِ من أصحاب ابن البخاري[٣] فلم يكتبوا هنا وما عليه مكتوب في الحواشي بخطي وأصله بيد عمي». وقد أشار عبدُالله الزرندي، سامع النسخة، في حواشيها، وبخطه، إلى مقابلته بالأصلِ وقراءته على المؤلف في غيرِ موضع منها[٤] . ومع أنَّ الذهبيَّ كان قد كتب معجمه وخَرَّجَهُ منذ فترةٍ مبكرة، لكنه بقي يَزيدُ ويحذفُ ويُصَحِّحُ ويُعَلِّقُ ويدقق حتى سنة ٧٤٥هـ[٥] . وقد ظلت بعض الإضافات والإشارات التي تدل على نشرِ الكتاب أكثرَ من مرة واضحة في أصلِ النسخة التي قُوبلت على المؤلف، مثال ذلك قوله: «والله يمد في عمره.

---

(١) نسخة أحمد الثالث (رقم ٤٦٢) وهي في (٢٢٧) ورقة، وجاء في آخرها أن عدد التراجم في سنة ٧٣٨هـ (١٢٧٨) ترجمة، وذكر أن المؤلف أنهى كتابة المعجم في أول صفر سنة ٧٢٧هـ، وهي في مجلدين، يبدأ الأول بحرف الألف وينتهي في أثناء حرف العين، ويبدأ المجلد الثاني بمن اسمه «علي» من حرف العين، وينتهي بنهاية الكتاب.

(٢) هو جلال الدين عبدالله بن أحمد بن يوسف الزرندي المدني، ولد سنة ٧٢٠هـ ومات شابًّا في شعبان سنة ٧٤٩هـ (ابن حجر: الدرر، ج ٢ ص ٣٥٢). وهذه النسخة في دار الكتب المصرية برقم ٦٥ مصطلح، وهي التي نشرها صديقنا الفاضل العالم الدكتور محمد الحبيب الهيلة سنة ١٩٨٨.

(٣) هو الإمام فخر الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدالواحد المقدسي الحنبلي المعروف بابن البخاري «٥٩٥-٦٩٠هـ» صاحب المشيخة المشهورة التي سمعها الخلق العظيم، وفي خزانة كتبي نسخة مصورة منها عن نسخة المكتبة الأحمدية بحلب ذات الرقم ٢٦١.

(٤) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ورقة ٤٤، ٦٩، ٧٦، ٨٤، ٨٦، م٢ورقة ١٠، ٢٤، ٤١، ٨٠.

(٥) جاء في آخر النسخة من معجم الشيوخ: «تم الكتاب بحمد الله وعونه في ضاحي نهار الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين وسبع مئة على يد أفقر العباد وأحوجهم إلى مغفرته حسين بن محمد سبط الشيخ محمد بن سعد الكاتب ـ رحمه الله». (م٢الورقة ١٠٠).

توفي ليلة الجمعة سابع جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وسبع مئة»[1] . وقوله في ترجمة شيخه ورفيقه علم الدين البرزالي: «فالله يُلهمه رشده ويمد في عمره» ثم يقول في آخر الترجمة: «توفي بِخُلَيْص في ثالث ذي الحجة سنة تسع وثلاثين»[2] ، وقال في ترجمة أبي عبدالله محمد بن أحمد بن تمام التلي الصالحي الخياط: «فالله يبارك في عمره. . . توفي في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وسبع مئة»[3] . ومع أنَّ الكتبَ التي ترجمت له ذكرت أنَّ هذا المعجمَ حوى نحواً من ألف وثلاث مئة ترجمة[4] . إلا أن هذه النسخة تتضمن ألفًا وأربعين ترجمة[5] ، وقد انخفض العددُ بسببِ إشارةِ المؤلفِ إلى إسقاطِ جماعةٍ من المكتوبين على حواشي الأصل من أصحاب ابن البخاري[6] .

اشتمل معجمُ الذهبيِّ الكبير على شيوخه بالسماع والإجازة مخلوطين إلا أنه لم يستوعبهم، وخاصة شيوخه بالإجازة، إذْ ربما أجاز له الرجلُ ولم يشعر به بخلاف مَنْ سمع منه فإنه يعرفه معرفةً جيدة بسبب اللُّقْيَا. واعتذر الذهبيُّ عن الجمعِ بين الشيوخِ بالسماع والإجازةِ بأنه وجدَ الحافظَ الكبير أبا القاسم ابن عساكر المَتوفى سنة ٥٧١هـ قَد خلطهم أيضًا[7] . وكتب الذهبي معجمه هذا على حروفِ المعجم في الأسماء والآباء والأجداد، وابتدأ بالأحمدين في حرف الألف تكريماً لاسم النبي ﷺ[8] وعمل إحالات للأسماء والنسب المشهورة[9] وتناول فيه اسم المُتَرْجَمِ وشيئاً من سيرتهِ الحياتيةِ والعلمية،

---

(١) الذهبي: معجم الشيوخ، م ١ورقة ٢٨.
(٢) الذهبي: معجم الشيوخ، م ٢ ورقة ٢٥.
(٣) الذهبي: معجم الشيوخ، م ٢ ورقة ٣١.
(٤) انظر مثلاً: الصفدي: الوافي، ج٢ص١٦٤، ابن ناصر الدين: بديعة الزمان، ورقة ١٦٦، العيني: عقد الجمان، ورقة ٣٧.
(٥) بموجب طبعة الدكتور الهيلة علماً أن نسخة إستانبول (المنقولة عن نسخة المؤلف الموجودة سنة ٧٢٧هـ) قد حوت ١٢٧٨ترجمة كما أشرنا سابقاً، ويبدو أن مؤلفي سيرته قصدوا هذا الرقمَ فهو قريبٌ إلى ما ذكروا.
(٦) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ورقة ١٠١.
(٧) انظر مقدمة المعجم (م ١ ورقة ١) وراجع عن تنظيم معجمات الشيوخ وترتيبها مقدمة كتاب «مشيخة النعال البغدادي» ص ١٦ فما بعد.
(٨) م ١ ورقة ٢ لكنه لم يبدأ بالمحمدين في حرف الميم (م٢ورقة٢٨).
(٩) انظر مثلاً م ١ورقة ٣٩.

وأورد بعد ذلك حديثاً أو روايةً عنه بسنده، وتكلم على الأحاديث وخَرَّجها، كما أورد بعض الكتب والأجزاء التي سمعها منه.

ثانياً: بيئة الذهبي ونشأته:

قامت دولةُ المماليكِ البَحْريةِ على أنقاضِ الدَّولةِ الأيوبية بمصرَ والشامَ وتمكَّن المماليكُ أن يكوِّنوا دولةً قويةً كان لها الأثر المحمود في إيقافِ التقدم المغولي وتَصْفية الإمارات الصَّليبية في بلادِ الشام[١].

وكانت دمشقُ في نهاية القرن السابع الهجري ومطلع القرن الثامن قد أصبحت مركزاً كبيراً من مراكز الحياة الفِكرية، فيها من المدارس العامرة ودُور الحديث والقُرآن العددُ الكثير، عَمِلَ على تَعْميرها حكامُها وبعضُ المياسِير من أهلِها لاسيما منذ عهد نور الدين ابن زنكي[٢]. وكانت العنايةُ بالدراسات الدِّينية، من تَفْسيرٍ وحديث وفقه وعقائد، هي السِّمةُ البارزةُ لهذا العصرِ، ولم يَعُد هناك اهتمامٌ بدراسة العُلوم الصِّرفة التي كانت قد أصبحت من «الصنائع المُظلمة»[٣] و«الهذيان»[٤]. ثم لاحظنا تبايناً شديداً في قيمةِ الإنتاج الفكري لهذه المدة وأصالته، فوجدنا الكثيرَ من المؤلَّفات الهزيلةِ التي لم تكن غير تَكرارٍ لما هو موجودٌ في بطون الكُتب السابقة، ووجدنا القليلَ من المؤلفات التي امتازت بالأصالة والإبداع والمناهج العلمية المتميزة. وقد زاد من صعوبة الإبداع أنَّ الواحدَ من العُلماء كان يجد أمامَهُ تُراثاً ضَخْماً في الموضوع الذي يَرُوم التأليفَ فيه، وهو في وَضْعه هذا يختلفُ عن المؤلِّفين الأوَّلين الذين لم يُجابهوا مثل هذا التُّراث.

وشَهدت دمشقُ في هذا العصر نِزاعاً مذهبياً وعقائدياً حاداً، كان الحُكّامُ المماليكُ يتدخلونَ فيه في كثيرٍ من الأحيان، فيناصرون فئةً على أُخرى[٥].

---

(١) راجع عن عصر المماليك: الدكتور علي إبراهيم حسن: دراسات في تاريخ المماليك البحرية، ط٢(القاهرة ١٩٤٨)، والدكتور سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، وغيرهما. والكتاب الأخير أحسن ما كتب في الموضوع.

(٢) يتضح ذلك من العدد الذي ذكره النعيمي في كتابه «تنبيه الدارس».

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ٢٦٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).

(٤) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢، ورقة ٤.

(٥) ابن كثير: البداية، ج١٤ ص ٢٨، ٣٨، ٤٩، وابن حجر: الدرر، ج ١ ص٦١ وغيرهما.

وكان الأيوبيون قبل ذلك قد عُنُوا عنايةً كبيرة بنشر مذهب الإمام الشافعي، فأسسوا المدارسَ الخاصة به وأوقفوا عليها الوُقوفَ[1] . وعُنوا في الوقت نفسه بنشر عَقيدة الأشعري واعتبروها السُّنَّة التي يجب اتِّباعُها[2] . لذلك أصبحت للأشاعرة صَوْلةٌ وقوة عظيمة في مصر والشام. وقد أثَّرَ ذلك على المذاهبِ الأخرى فأصابها الوَهنُ والضَّعف عدا الحنابلة الذين ظلوا على جانب كبير من القوة، وكانت لهم في دمشق مجموعةٌ من دور الحديث والمَدَارس[3] وكان النزاعُ العقائديُّ بين الحنابلة والأشاعرة مُضْطَرماً، زاده اعتماد الحنابلة على النصوص في دراسة العقائد والتمسك بآثار السلفِ واعتماد الأشاعرة على الاستدلال العقلي والبرهان المنطقي في دراستها[4] . وبقدر ما وَلَّدَ هذا التعصبُ من تَمَزُّقٍ في المجتمع فإنه وَلَّدَ في الوقت نفسِهِ نشاطاً علمياً واضحاً في هذا المضمار تمثَّلَ في الكُتُب الكثيرةِ التي وُضِعتَ فيه. كما ظهر تحيزٌ واضح في كثيرٍ من كتابات العصر.

وكان الجهلُ والاعتقادُ بالخُرافات والمُغَيَّبات منتشراً بين العوام في المجتمع الدِّمشقي. وكان التصوف منتشراً في أرجاء البلاد انتشاراً واسعاً وظهر بينهم كثيرٌ من المشعوذين الذين أثَّروا على العوام أيّما تأثير، بل عَمِلَ الحُكَّامُ المماليك على الاهتمام بهم، وكانَ لهم اعتقاد فيهم، فكانَ للملكِ الظاهر بيبرس البندقداري «ت٦٧٦هـ» شيخٌ اسمه الخَضِر بن أبي بكر بن موسى العَدَوي، كان «صاحبَ حالٍ ونَفْس مؤثرةٍ وهِمّةٍ إبليسية وحالٍ كاهني»، وكان الظاهر يُعظمه ويزوره أكثر من مرةً في الأسبوع ويُطلعه على أسرارِه ويستصحبه في أسفاره لاعتقاده التام به[5] . وانتشرَ تقديسُ الأشياخ والاعتقاد فيهم، وطَلَب النُّذور عند قُبورهم، بل كانوا يسجدون لبعضِ تلك القُبور ويطلبون المغفرةَ من أَصحابها[6] .

---

(١) انظر التفاصيل في كتابنا: المنذري وكتابه التكملة، ص٣٨فما بعد.
(٢) وكان صلاح الدين أشعرياً متعصباً كما هو معروف من سيرته.
(٣) انظر النعيمي: تنبيه الدارس ج٢ص٢٩-١٢٦.
(٤) أبو زهرة: ابن تيمية، ص٢٥.
(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ٣٦(أيا صوفيا ٣٠١٤).
(٦) المصدر نفسه، الورقة ٧٥(أيا صوفيا ٣٠٠٧).

في هذه البيئة الفِكْرية والعقائدية المُضْطَربة وُلِدَ مؤرخُ الإسلام شمسُ الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عُثمان بن قايماز بن عبدالله الذَّهبيُّ في شهر ربيع الآخرِ سنة ٦٧٣هـ[١] . وكان من أُسرة تُركمانية الأصل، تنتهي بالولاء إلى بني تميم[٢] ، سكنت مدينة مَيّافارقين من أشهر مُدن ديار بكر[٣] . ويبدو أن جد أبيه قايماز قضى حياتَهُ فيها[٤] ، وتُوفي سنة ٦٦١هـ وقد جاوزَ المِئة، قال الذَّهبيُّ: «قايماز ابن الشيخ عبدالله التُّركمانيُّ الفارقيُّ جد أبي. قال لي ابنُ عَمِّ والدي علي بن فارس النجار: تُوفي جدُّنا عن مئة وتسع سنين. قلت: عُمِّرَ وأُضِرَّ بأَخَرةٍ، وتوفِّي سنة إحدى وستين وست مئة»[٥] ، وكان قد حج[٦] .

وكان جده فخرُ الدين أبو أحمد عُثمان أُمياً لم يكن له حظٌّ من عِلْم، قد اتخذَ من النِّجارة صنعةً له، لكنه كان «حَسَن اليَقِين بالله»[٧] . ويبدو أنه هو الذي قَدِمَ إلى دمشق واتخذها سكناً له، وتوفي بعد ذلك بها سنة ٦٨٣هـ وهو في عَشْر السبعين[٨] .

أما والده شهاب الدين أحمد فقد وُلِدَ سنة ٦٤١هـ تقريباً، وعَدَلَ عن صَنْعة أَبيه إلى صنعةِ الذَّهب المَدْقوق، فبرعَ بها وتَمَيَّزَ، وعُرِفَ بالذَّهبي، وطلبَ العلمَ، فَسَمِعَ «صحيحَ البخاري» سنة ٦٦٦هـ من المِقْداد القَيْسي، وحَجَّ في

---

(١) انظر مثلاً: الذهبي: تاريخ الإسلام ١٥/ ٢٧١ من طبعتنا، الصفدي: الوافي، ج ٢ ص ١٦٤، ونكت الهميان، ص٢٤٢،وذكر ابن حجر أن مولده في الثالث من الشهر المذكور (الدرر، ج٣ص٤٢٦).

(٢) كتب الذهبي بخطه على طرة المجلد التاسع عشر من تاريخ الإسلام (نسخة أيا صوفيا ٣٠١٢) «تأليف محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز مولى بني تميم».

(٣) ياقوت: معجم البلدان، ج٤ص٧٠٣فما بعد.

(٤) لم يذكر الذهبي في نسبته أنه دمشقي، بل قال: «الفارقي»، مما يدل على أنه لم ينتقل إلى دمشق. وذكر الدكتور صلاح الدين المنجد في مقدمة «سير أعلام النبلاء» أن قايماز هو الذي قَدِم دمشق وأشار إلى معجم الشيوخ، ولم نجد لذلك دليلاً في مصدره (ج١ص١٥) وانظر معجم الشيوخ (م١الورقة ٨٩).

(٥) الذهبي: أهل المئة فصاعداً، ص ١٣٧، ومعجم الشيوخ، م ١ ورقة ٨٩.

(٦) الذهبي: معجم الشيوخ، م ١ورقة ٨٩.

(٧) الذهبي: معجم الشيوخ، م ١ورقة ٨٩.

(٨) المصدر نفسه.

أواخر عُمُره، وكان ديِّناً يقومُ من الليل[1] . وقد يَسرت له صنعتُهُ رخاءً وغِنَىً، فأعتقَ من ماله خمسَ رِقابٍ[2] ، وتزوَّجَ من ابنةِ رجلٍ مَوْصِلي الأصلِ هو علم الدين أبو بكر سنجر بن عبدالله عُرِفَ بغناه وكان «خيراً عاقلاً مديراً للمَنَاشير بديوان الجَيْش. . . وخَلَّفَ خمسةَ عشر ألفاً»[3] من الدَّنانير. وأَجَلَّهُ عِلْمه وغناه ومروءته مكاناً جعلت خَلْقاً من أهلِ دمشق يشيعونه يوم وفاته في آخر جُمادى الأولى سنة ٦٩٧هـ يؤمهم قاضي القضاة يومئذ عز الدين ابن جماعة الكِناني[4] .

وعُرِفَ محمد بابن الذَّهبِيِّ، نسبةً إلى صنعةِ أبيه، وكان هو يُقَيِّدُ اسمَهُ «ابن الذَّهبي»[5] . ويبدو أنه اتخذَ صنعةَ أبيه مهنةً له في أول أمره لذلك عُرِفَ عند بعض معاصريه بـ«الذَّهبي» مثل الصلاح الصَّفدي[6] وتاج الدين السُّبكي[7] والحُسينيّ[8] وعماد الدين ابن كثير[9] وغيرهم.

وعاش طفولتَهُ بين أكنافِ عائلةٍ علميةٍ متدينةٍ، فكانت مرضعتُهُ وعمتُه ستُّ الأهلِ بنتُ عثمان، الحاجة أم محمد، قد حصلت على الإجازة من ابن أبي اليَسَر[10]، وجمالِ الدين ابن مالك، وزهير بن عُمر الزُّرَعِيِّ وجماعةٍ آخرين،

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام (وفيات ٦٩٧) نسخة أيا صوفيا ٣٠١٤، ومعجم الشيوخ، م ١ ورقة ١٣، والصفدي: الوافي ٧/ ١٧٩.

(٢) كان من بينهم فك أسر امرأتين من أسر الفرنجة من عكا (انظر المصادر في الهامش السابق).

(٣) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٥٥. وتوفي سنة ٦٨٦.

(٤) الذهبي: معجم الشيوخ، م ١ الورقة ١٣.

(٥) ونسبته بـ«ابن الذهبي» مقيدة بخطه في معظم الكتب والطبقات التي بخطه مثل طبقة سماع كتاب أهل المئة فصاعداً (ص١١١بتحقيقنا)، وطرر المجلدات التي وصلت بخطه من تاريخ الإسلام (نسخة أيا صوفيا) وطبقة سماع لكتاب «الكاشف» له (نسخة التيمورية رقم ١٩٣٦) وجاء في أول معجم شيوخه: «أما بعد، فهذا معجم العبد المسكين محمد بن أحمد. . . ابن الذهبي».

(٦) الوافي، ج٢ص١٦٣ ونكت الهميان، ص٢٤١.

(٧) طبقات الشافعية الكبرى ج٩ ص١٠٠.

(٨) ذيل تذكرة الحفاظ، ص٣٤.

(٩) البداية والنهاية، ج١٤ ص٢٢٥.

(١٠) انظر في ضبط «اليَسَر» بفتحتين: توضيح المشتبه ١/ ٥٢٧.

وسَمِعَت من عُمر ابن القَوّاس وغيرِه، وروى الذهبيُّ عنها[1] . وكان خاله عليٌّ قد طلبَ العلمَ وروى عنه الذَّهبيُّ في معجم شيوخه، وقال: «علي بن سَنْجَر بن عبدالله المَوْصليُّ ثم الدِّمشقيُّ الذهبيُّ الحاجُ المباركُ أبو إسماعيل خالي. مولده في سنة ثمان وخمسين وست مئة. وسمع بإفادة مؤدِّبه ابن الخَبَّاز من أبي بكر ابن الأنماطي وبهاء الدين أيوب الحَنَفيِّ وست العرب الكِنْدية. وسمع معي ببعلبك من التاج عبدالخالق وجماعةٍ. وكان ذا مروءةٍ وَكَدٍّ على عِيالِه وخَوْفٍ من الله. توفي في الثالث والعشرين من رمضان سنة ست وثلاثين وسبع مئة»[2] . وكان زوج خالته فاطمة، أحمدُ بْن عبدالغني بن عبدالكافي الأنصاري الذهبي المعروف بابن الحَرَستاني قد سَمِعَ الحديثَ ورواه، وكان حافظاً للقرآن الكريم كثيرَ التِّلاوةِ له، وتُوفي بمصر سنة ٧٠٠هـ[3] .

وطبيعي أن تعتني مثل هذه العائلة المُتدينة التي كان لها حظ من العِلم بأبنائِها، لذلك وجدنا أخاه من الرضاعة علاء الدين أبا الحسن علي بن إبراهيم ابن داود ابن العَطّار الشافعي «٦٥٤-٧٢٤هـ»[4] يُسرع ويَسْتَجيزُ للذهبي جملةً من مشايخ عصره في سنة مولده[5] منهم من دمشق: أحمد بن عبدالقادر، أبو العباس العامري «٦٠٩-٦٧٣هـ»[6] ، وابن الصَّابوني «٦٠٤-٦٨٠هـ»[7] ، وأمينُ الدين ابنُ عَساكر «٦١٤-٦٨٦هـ»[8] ، وجمال الدين ابن الصَّيرفي «٥٨٣-٦٧٨هـ»[9] . ومن حلب: أحمد بن محمد

---

(١) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ ورقة ٥٧، ولدت ست الأهل سنة ٦٥٣هـ وتوفيت سنة ٧٢٩هـ.
(٢) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ ورقة ٦.
(٣) المصدر السابق، م١ ورقة ١٢.
(٤) الذهبي: ذيل العبر، ص١٣٦، ومعجم الشيوخ، م٢ ورقة ١، ابن كثير: البداية، ج١٤ ص١١٧، ابن حجر: الدرر، ج٣ ص٧٣-٧٤، النعيمي: تنبيه الدارس، ج١ ص٦٨-٧٠، ٩٩، ١١٢. ورأينا لأبي الحسن ابن العطار هذا رسالة في السماع في خزانة كتب جستربتي بدبلن ضمن مجموع برقم ٣٢٩٦.
(٥) ابن حجر: الدرر، ج٣ ص٤٢٦.
(٦) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ١٢.
(٧) المصدر السابق، م٢ الورقة ٥٥.
(٨) المصدر السابق، م١ الورقة ٨٠.
(٩) المصدر السابق، م٢ الورقة ٨٧.

ابن النَّصيبي «٦٠٩-٦٩٢هـ»[١] . ومن مكة: الإمامُ محب الدين الطَّبريُّ محدث الحَرَم ومفتيه «٦١٥-٦٩٤هـ»[٢] ، وغيره[٣] . ومن المدينة: كافور بن عبدالله الطواشي[٤] . ويبدو أن علاء الدين ابن العَطّار قد حج في تلك السنة[٥] فحصل بعض الإجازات من مكة والمدينة. وذكر ابن حجر أنَّ الذين أجازوه في هذه السنة «جَمْعٌ جمٌّ»[٦] وقال في ترجمة ابن العطار: «وهو الذي استجازَ للذهبي سنة مولده فانتفعَ الذهبيُّ بعد ذلك بهذه الإجازة انتفاعاً شديداً»[٧] .

ويمضي الطِّفلُ إلى أحد المؤدبين هو علاء الدين عليّ بن محمد الحَلَبيُّ المعروف بالبصبص، وكان من أحسنِ الناس خَطّاً وأخبرِهم بتعليم الصِّبيان، فيقيم في مكتبه أربعةَ أعوام[٨] ، وفي أثناء ذلك كان جده عثمان يدمنه على النُّطق بالراء يُقَوِّمُ بذلك لسانَهُ[٩] . ولا نعرف في أي سنةٍ تركَ المكْتَبَ ولكنه كان في سنة ٦٨٢هـ لم يزل عنده حيث أَنشدَهُ في هذه السنة شعراً لأبي القاسم الحَريري[١٠] .

وقد اتجه الذهبيُّ بعد ذلك إلى شيخه مسعود بن عبدالله الصَّالحيِّ فَلَقَّنَهُ جميع القُرآن، ثم قرأ عليه نحواً من أربعين ختمة، وكان الشيخ مسعود إمامَ مسجدٍ بالشَّاغور، وكان خَيِّراً متواضعاً بَراً بصبيانِه لَقَّنَ خَلْقاً، وتوفي سنة ٧٢٠هـ[١١] . وبدأ الصبي بالحضور إلى مجالس الشيوخ ليسمع كلامَ بعضهم[١٢] . ولما قَدِمَ عزالدين الفاروثيُّ، عالمُ العِراق، إلى دمشق سنة ٦٩٠هـ ذهبَ الفَتَى

---

(١) المصدر السابق، م ١ الورقة ١٨ .
(٢) الذهبي: معجم الشيوخ، م ١ الورقة ٨ .
(٣) انظر مثلاً: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٩٠، م ٢ الورقة ٦، ٣١، ٥٩-٦٠، ٨٨، وابن حجر: الدرر، ج٣ ص٤٣٦ .
(٤) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٢٦ .
(٥) المصدر السابق، م٢ الورقة ٥٩-٦٠ .
(٦) ابن حجر: الدرر، ج٣ ص٤٢٦ .
(٧) المصدر السابق، ج ٣ ص ٧٣ .
(٨) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ١١ .
(٩) المصدر السابق، م١ الورقة ٨٩ .
(١٠) المصدر السابق، م٢ الورقة ١١ ومات مؤدبه في حدود سنة ٦٩٠هـ.
(١١) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٧٨ .
(١٢) المصدر السابق، م٢ الورقة ٥٨ .

وسَلَّم عليه وحَدَّثه[١] ، مما يدل على حُبه للعلم والعُلماء منذ الصِّغَر.

ثالثاً: بدء عنايته بطلب العلم:

بدأ الذَّهبيُّ يعتني بطلبِ العِلْم حينما بلغَ الثامنةَ عشرةَ من عُمُره، وتوجهت عنايتُهُ إلى ناحيتين رئيسيتين هما: القراءات والحديث الشريف.

أ- القراءات:

اهتم الذهبيُّ بقراءة القرآن الكريم، والعِناية بدراسة علم القِراءات فتوجه سنة ٦٩١هـ هو ورفقةٌ له، إلى شيخ القُرّاء جمال الدين أبي إسحاق إبراهيم بن داود العَسْقلانيِّ ثم الدمشقيِّ المعروف بالفاضِلِي، فشرَعَ عليه بالجَمْع الكَبِير[٢] ، وكان الفاضِلي قد صَحِبَ الشيخَ علمَ الدين السَّخَاويَّ المتوفى سنة ٦٤٣هـ، وهو الذي انتهت إليه رياسة الإقراء في زمانه[٣] ، وجَمَعَ عليه القراءات السَّبْع، وتَصَدَّر للإقراء بتُربة أُمِّ الصالح ولكنه أُصِيبَ بطرفٍ من الفالج فكان يُقرىء في بيته، وينتهي الذَّهبيُّ عليه إلى أواخر سورة القَصَص، ويَزْداد الفالج على الشيخ فيمنع الطلبة من الدخول عليه ثم يموت سنة ٦٩٢هـ، وتظل قراءة الذَّهبيِّ على الفاضليِّ ناقصة[٤] . ولكنه كان في أثناء شروعه بالجَمْع الكَبير على الفاضلي، قد شَرَعَ في الوقت نفسه يقرأ بالجمع الكَبِيرِ على الشيخ جمال الدين أبي إسحاق إبراهيم بن غالي الدِّمشقي «ت٧٠٨هـ»[٥] . وقرأ ختمةً جامعةً لمذاهب القُرَّاء السبعة بما اشتملَ عليه كتاب «التَّيسير» للداني وكتاب «حِرْز الأماني» للشاطبي على ابن جِبْريل

(١) الذهبي: معرفة القراء، ج ٢ ص ٦٩٢. وتوفي الفاروثي سنة ٦٩٤.
(٢) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٢٧، ومعرفة القراء، ج ٢ ص٧٠٣- ٧٠٤، ابن الجزري: غاية، ج ٢ ص ٧١.
(٣) سبط ابن الجوزي: مرآة، ج٨ ص٧٥٨، القفطي: إنباه، ج٢ ص٣١١، الحسيني: صلة التكملة، (وفيات ٦٤٣)، الذهبي: العبر، ج٥ ص١٧٨، ابن كثير: البداية، ج١٣ ص١٧، ابن الجزري: غاية، ج١ ص ٥٦٨.
(٤) الذهبي: معجم الشيوخ، م ١ الورقة ٢٧، ومعرفة القراء، ص٥٦٢-٥٦٣، ٥٧٦-٥٩٢.
(٥) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٣٠، ومعرفة القراء، ص ٥٧٦.

المِصْريّ نزيلِ دمشق[1] . وما لَبِثَ الذهبيُّ أن أصبحَ على معرفةٍ جيدةٍ بالقراءات وأصولها ومسائلها وهو لَمّا يَزَل فتىً لم يتعد العِشرينَ من عُمُره، قال في ترجمة قاضي القضاة شهاب الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن خليل الخويي ثم الدمشقي الشافعي المتوفى سنة ٦٩٣هـ: «جلستُ بين يديه وسألني عن غيرِ مسألةٍ من القراءات فَمَنَّ اللهُ وأجبته وشهدَ في إجازتي من الحاضرينَ وأجاز لي مَرْوياته»[2] . على أنه استمَّر في تحصيلِ هذا الفن فكتب في سنة ٦٩١هـ «المقدمة في التجويد» عن مؤلفها المقرىء المُجَوِّد أبي عبدالله محمد ابن جوهر التلعفري المتوفى سنة ٦٩٦هـ[3] ، وتلا ختمةً للسبعةِ على مجد الدين أبي بكر بن محمد المرسي نزيل دمشق المتوفى سنة ٧١٨هـ[4] وجمع الختمة على شيخ القراء ببعلبك موفق الدين المتوفى سنة ٦٩٥هـ[5] ، وقرأ بالسبع أيضاً على المقرىء شمس الدين أبي عبدالله محمد بن منصور الحلبي المتوفى سنة ٧٠٠هـ، وكان الحلبي هذا من المتصدرين بالعادلية وبالجامع الأموي[6] . وقرأ كتاب «المبهج في القراءات السبع»[7] لسبط الشيخ أبي منصور الخياط البغدادي، و«السبعة» لابن مجاهد وغيرهما على شيخه أبي حفص عمر ابن القَوَّاس المتوفى سنة ٦٩٨هـ، وسمع «الشاطبية» من غير واحد من القراء[8] .

وتميز الشاب في دراسة القراءات وبرع فيها براعةً جعلت شيخَهُ شمس الدين أبا عبدالله محمد بن عبدالعزيز الدمياطي ثم الدمشقي الشافعي، وهو من المقرئين المجودين، يتنازل له عن حلقته بالجامع الأموي في أواخر سنة ٦٩٢هـ أو أوائل سنة ٦٩٣هـ حينما أصابه المرضُ الذي توفي فيه، وكان

---

(١) الحسيني: ذيل تذكرة الحفاظ، ص٣٦.
(٢) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٣١.
(٣) المصدر السابق، م٢ الورقة ٣٩.
(٤) المصدر السابق، م٢ الورقة ٩٨.
(٥) المصدر السابق، م٢ الورقة ٧٤.
(٦) المصدر السابق، م٢ الورقة ٦٥-٦٦.
(٧) عندي منه نسخة مصورة عن نسخة معهد إحياء المخطوطات (رقم ٧٥ قراءات وتجويد) وهو كتاب نفيس للغاية.
(٨) انظر مثلاً الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٣٥، ٦٩.

الذهبيُّ قد أكملَ عليه القراءات قبل ذلك[1] ، فكان هذا أول منصبٍ علمي يتولاه الذهبيُّ فيما نعلم وإنْ لم يبق فيه أكثرَ من سنةٍ واحدة[2] .

ب- الحديث:

وفي الوقتِ نفسه كان الذهبيُّ، وهو في الثامنة عشرة من عمره، قد مال إلى سماعِ الحديثِ واعتنى به عنايةً فائقة[3] . وانطلق في هذا العلم حتى طَغَى على كُلِّ تفكيره، واستغرق كُلَّ حياتِه بعد ذلك، فسمع ما لا يُحْصَى كَثْرةً من الكتب والأجزاء، ولقي كثيراً من الشيوخِ والشيخاتِ، وأُصيب بالشَّرَهِ في سماع الحديث وقراءته ورافقه ذلك طِيلةَ حياتِه، حتى كان يسمع من أناس قد لا يرضى عنهم، قال في ترجمة علاء الدين أبي الحسن علي بنَ مظفر الإسكندراني ثم الدمشقي، شيخ دار الحديث النفيسية المتوفى سنة ٧١٦هـ: «ولم يكن عليه ضوءٌ في دِينِه حملني الشَّرَهُ على السماعِ من مِثْلِه، والله يسامحه كان يخلُّ بالصلواتِ ويُرْمى بعظائمِ الأمور»[4] ، وقال في ترجمة شيخه شهاب الدين غازي بن عبدالرحمن الدمشقي المتوفى سنة ٧٠٩هـ: «وكانَ ذَا سيرةٍ غير محمودةٍ فالله يعفو عنه، كتب عنه خَلْقٌ من أبناء البلد»[5] ، وقال في ترجمة شيخه أبي عبدالله محمد بن أحمد المقدسي المتوفى سنة ٧٠٦هـ: «فقير مسكين. . . ورأيتهم يَذمُّونَهُ. . . روى لنا عن خطيب مردا جزء البطاقة»[6] ، وذكر عن شيخه محمود بن يحيى التميمي الدمشقي المتوفى سنة ٧٣٣هـ أنه

---

(١) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٤٨، وتوفي شيخه بعد ذلك في صفر من سنة ٦٩٣.

(٢) قال الذهبي في ترجمة محمد بن أحمد بن علي شمس الدين أبي عبدالله الرقي الحنفي من معرفة القراء ج ٢ ص ٧٥٤: «ولما سافرت إلى بعلبك، سنة ثلاث وتسعين وتعوقت بالقراءة على الموفق، وثب على حلقتي، فأخذها لكوني لم أستأذن الحاكم في الغيبة، وهو الآن يقرىء بالجامع».

(٣) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٩ ص١٠٢، والسيوطي: طبقات الحفاظ، الورقة ٨٤.

(٤) الذهبي: معجم الشيوخ، م ٢ الورقة ١٢.

(٥) المصدر نفسه، م٢ الورقة ٢١.

(٦) المصدر نفسه، م٢ الورقة ٣٠.

كان «سيىء الحال سفيهاً»[١] ، وقال عن أحد شيوخه: «لا ينبغي الروايةُ عنه، حكوا لي عنه مصائبَ»[٢] ، وقال عن آخر: إنه كان «من عوام الطلبة»[٣] وقال في ترجمة شيخه محمد بن النصير المؤذن المتوفى سنة ٧١٥هـ: «شُوَيْخٌ عامي سمعنا منه ولم يكن بذاك»[٤] ، بل إنه ليذهبُ به حُبُّه للحديثِ إلى القراءةِ على الصُّمِّ، فقد ذكر في ترجمة شيخه محمود بن محمد الخرائطي الصالحي الأصم المتوفى سنة ٧١٦هـ: «قرأتُ عليه بأقوى صوتي في أذنه»[٥] .

رابعاً: رحلاته في طلب العلم:

كان الذهبيُّ يتحسَّرُ على الرحلة إلى البلدانِ الأخرى لما لذلك من أهميةٍ بالغةٍ في تحصيل عُلُوِّ الإسناد وقدم السماع ولقاء الحُفَّاظِ والمذاكرة لهم والاستفادة عنهم[٦] . إلا أنَّ والده لم يشجعه على الرحلة، بل منعه في بعض الأحيان، قال في ترجمة أبي الفرج عبدالرحمن بن عبداللطيف بن محمد بن وريدة البغدادي الحنبلي شيخ المستنصرية «٥٩٩-٦٩٧هـ»[٧] : «وقد هَمَمْتُ بالرحلةِ إليه ثم تركته لمكان الوالد»[٨] ، وقال في ترجمته من معرفة القراء الكبار: «وانفرد عن أقرانه، وكنتُ أتحسر على الرحلةِ إليه، وما أتجسَّرُ خوفاً من الوالد فإنه كان يمنعني»[٩] ، وقال في ترجمة المكين الأسمر المقرىء الإسكندراني المتوفى سنة ٦٩٢هـ: «ولما مات شيخُنَا الفاضلي، فازددتُ تلهفاً

---

(١) المصدر نفسه، م٢ الورقة ٧٧.
(٢) المصدر نفسه، م١ الورقة ٧٢.
(٣) المصدر نفسه، م٢ الورقة ٥٥.
(٤) المصدر نفسه، م٢ الورقة ٦٧.
(٥) المصدر نفسه، م٢ الورقة ٧٦.
(٦) راجع عن أهمية الرحلة: الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، «باب الرحلة في الحديث إلى البلاد النائية للقاء الحفاظ وتحصيل الأسانيد العالية» الورقة ١٦٨-١٦٩ (نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية ٣٧١١ج١)، وقد طبع الكتاب.
(٧) الدكتور ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية، ج١ ص ٣٤٢-٣٤٥.
(٨) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٧٤.
(٩) الذهبي: معرفة القراء، ج ٢ ص ٦٩٥ وقال في تاريخ الإسلام: «وكنت في سنة أربع وتسعين وسنة خمس أتلهف على لقيه وأتحسر وما يمكنني الرحلة إليه لمكان الوالد ثم الوالدة» الورقة ٢٦٨ (أيا صوفيا ٣٠١٤).

وتحسراً على لُقِيِّه، ولم يكن الوالدُ يمكنني من السفر»[1] . ولم يكن الذهبي ابناً عاقًّا يخالفُ إرادةَ والده لاسيما أنَّ آدابَ طَلَبِ العلم تقتضي استئذان الأبوين في الرحلة[2] ، ووجوب طاعتهما وبرِّهما، وترك الرحلة مع كراهتهما ذلك وسخطهما[3] . ويبدو لنا أن الذهبيَّ كان وحيدَ أبيه، أو كان هو البارز بين أبنائه في الأقل[4] ، بحيث كان يخافُ عليه هذا الخوفَ كله.

ويظهر أنَّ والده قد سمح له بالرحلة حينما بلغ العشرينَ من عمره، وذلك سنة ٦٩٣هـ[5]. على أنه سمحَ له برحلاتٍ قصيرة لا يقيم في كل منها أكثر من أربعةِ أشهر[6] في الأغلب، ويرافقه فيها بعض مَنْ يعتمد عليهم[7] .

أ- رحلاته داخل البلاد الشامية:

تشيرُ المصادرُ إلى رحلاتِ الذهبي عرضاً ولكنها لا تقدمُ لنا عنها الكثير. على أننا استطعنا أنْ نتبينَ أَنَّ أولَ رحلة له ربما كانت إلى بعلبك سنة ٦٩٣هـ[8] حيث قرأ فيها القرآن جمعاً على الموفَّقِ النصيبي المتوفى سنة ٦٩٥هـ[9] ، وأَكْثَرَ عن المُحَدِّثِ الأديبِ الإمام تاج الدين أبي محمد المغربي

---

(١) معرفة القراء، ج ٢ ص ٦٨٩ وانظر أمثلة أخرى في معجم الشيوخ، م ١ الورقة ٥.

(٢) الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي، الورقة ١٧٠.

(٣) الخطيب البغدادي: الجامع، الورقة ١٧١-١٧٥.

(٤) لم نقف على أخ لمحمد بن أحمد الذهبي في جميع الكتب المطبوعة والمخطوطة التي اطلعنا عليها، مع أن الذهبي كثير العناية بذكر أقربائه.

(٥) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٦٥.

(٦) قال الذهبي في ترجمة شرف الدين أبي الحسين يحيى بن أحمد الجذامي الإسكندراني وكان قد بلغ السابعة والثمانين من عمره، ووجد الذهبي بعض صعوبات وتأخير في قراءة القراءات عليه فخاف أن يذهب وقته سدى: «وكنت قد وعدت أبي وحلفت له أني لا أقيم في الرحلة أكثر من أربعة أشهر، فخفت أعقه» (معرفة القراء ج ٢ ص ٦٨٩).

(٧) كان والده يرافقه في رحلته إلى حلب سنة ٦٩٣هـ وقد سمع معه فيها، وكان رفيقه في رحلته إلى البلاد المصرية سنة ٦٩٥ ابن أمه في الرضاع داود بن إبراهيم بن داود ابن العطار الفقيه الشافعي، وهو أكبر من الذهبي بثمانية أعوام (معجم الشيوخ، م١ الورقة ٤٧).

(٨) الذهبي: معجم الشيوخ، ج ١ الورقة ٦٥.

(٩) ابن الجزري: غاية، ج٢ ص٧١، الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٧٤.

ثم البعلبكي المتوفى سنة ٦٩٦[١] . وسوف نجده مرة أخرى في بعلبك سنة ٧٠٧هـ[٢] ، وقد سمع في هاتين الرحلتين على كثيرٍ من شيوخ البلد[٣] .

ورحل بعد ذلك إلى حلب، وأكثرَ فيها عن علاء الدين أبي سعيد سنقر بن عبدالله الأرمني ثم الحلبي، قال: «رحلتُ إليه وأكثرتُ عنه، ونعم الشيخ كان ديناً ومروءةً وعقلاً وتعففاً»[٤] ، وسمع من جُملةٍ من شيوخها[٥] . وتشيرُ المصادرُ إلى أنه قد سمع ببلدان عديدة منها: حمص[٦] ، وحماة[٧] ، وطرابلس[٨] ، والكرك[٩] ، والمعرة[١٠]، وبصرى[١١]، ونابلس[١٢]، والرملة[١٣]، والقدس[١٤]، وتبوك[١٥].

ب- رحلته إلى البلاد المصرية:

على أنَّ رحلة الذهبي إلى البلاد المصرية كانت من أبرزِ رحلاته المبكرة، ويقول الدكتور صلاح الدين المنجد: إنه لا يعرف متى سافر الذهبي إلى مصر،

---

(١) الذهبي: معجم الشيوخ، م ١ الورقة ٧١، السبكي: طبقات، ج٩ص١٠٢.

(٢) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٥٢.

(٣) انظر مثلاً الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٢٤، ٨٣، ٨٨، م٢ الورقة ٩، ٧٢، ٧٤، ٨١.

(٤) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٥٥، وذيل العبر، ص ٣٦، السبكي: طبقات ج ٩ ص١٠٢، الطباخ: أعلام النبلاء، ج٤ ص٥٤٠.

(٥) انظر مثلا: الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٢٧، ٣٤، ٣٩، السبكي: طبقات، ج٩ ص١٠٢.

(٦) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٦٣، والصفدي: الوافي، ج٢ ص١٦٥.

(٧) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٨٢، م ٢ الورقة ٦٨، ٨٢.

(٨) الذهبي: معجم الشيوخ، م ١الورقة ٧، ٢٢، ٢٩، م٢ الورقة ٦، ٩، وذكر أنه نزل في مدرسة القاضي شمس الدين أحمد بن أبي بكر بن منصور الإسكندراني الفقيه قاضي طرابلس (معجم الشيوخ، م١ الورقة ٢٢).

(٩) الذهبي: معجم الشيوخ، م ١ الورقة ٦١، م٢ الورقة ١٦، ٤٢-٤٣وقد سمع بها سنة ٦٩٨هـ من قاضي القضاة عز الدين محمد بن سلمان الحلبي.

(١٠) الذهبي: معجم الشيوخ، م ١ الورقة ٨٩.

(١١) الذهبي: معجم الشيوخ، م ١ الورقة ٨٣.

(١٢) الذهبي: معجم الشيوخ، م ١ الورقة ٧٦، م ٢ الورقة ٧.

(١٣) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٤٧، والصفدي: الوافي، ج٢ ص١٦٥.

(١٤) الصفدي: الوافي، ج٢ ص١٦٥.

(١٥) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٦٥.

ثم يقول: «ولعلَّ سفره إلى مصر كان بُعَيْدَ وفاةِ أبيه سنة ٦٩٧هـ وقد عاد سنة ٦٩٩هـ»[١] . واستند في ذلك إلى ما نقله ابن حجر عن مشيخة بدر الدين النابلسي الذي قال: «وأول ما وليَ تصديرَ حلقةِ إقراءٍ بجامع دمشق في أول رواق زكريا عِوَضاً عن شمس الدين العراقي الضرير المقرىء في المحرم سنة ٦٩٩ هـ بعد رجوعه من رحلته من مصر بقليل»[٢] .

وقد استطعنا، نتيجةَ تتبعنا لنشاطِ الذهبيِّ أنْ نُحَدِّدَ رحلته إلى البلاد المصرية وأنها كانت بين رجب وذي القعدة من سنة ٦٩٥هـ، فقد تبين أنه ابتدأ سفرته في رجب سنة ٦٩٥هـ متوجهاً إلى فلسطين، قال في ترجمة شيخته أم محمد سيدة بنت موسى بن عثمان المارانية المصرية المتوفاة سنة ٦٩٥هـ: «وقد رحلتُ إلى لُقِيِّها فماتت وأنا بفلسطين في رجب سنة خمس وتسعينَ وست مئة»[٣] ، وقال في ترجمتها من تاريخ الإسلام: «كنت أتَلَهفُ على لقيها، ورحلتُ إلى مصر وعلمي أنها باقيةٌ فدخلتُ فوجدتها قد ماتت من عشرة أيام. . . توفيت يوم الجمعة سادس رجب وأنا بوادي فحمة»[٤] ، وبذلك نستنتجُ أنه وصلَ إلى البلادِ المصرية في السادس عشر من رجب سنة ٦٩٥هـ.

وأول ما افتتح سماعه بمصر على شيخه جمال الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن عبدالله الحلبي المعروف بابن الظاهري[٥] «٦٢٦-٦٩٦هـ»، قال في تاريخ الإسلام: «وبه افتتحتُ السماعَ في الديار المصرية وبه اختتمتُ وعنده نزلتُ وعلى أجزائه اتَّكَلْتُ. وقد سمع منه عَلَمُ الدين (يعني البرزالي) أكثر من مئتي جزء»[٦] ، وقال في ترجمته من معجم شيوخه: «ودعته في ذي القعدة سنة خمس وتسعين فقال لي: قل للجماعة يجعلوني في حِلٍّ. . .»[٧] وطبيعي أنْ يرجع الإمامُ الذهبي في ذي القعدة من السنة لأنه كان قد وَعَدَ أباهُ وحلف له

(١) مقدمة سير أعلام النبلاء، ج١ ص١٨.
(٢) ابن حجر: الدرر، ج٣ ص ٤٢٧.
(٣) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٥٩.
(٤) تاريخ الإسلام، الورقة ٢٤٦(أيا صوفيا ٣٠١٤) ولم يذكر ياقوت وادي فحمة هذا.
(٥) كان والده محمد مولى الملك الظاهر صاحب حلب، فنسب إليه.
(٦) تاريخ الإسلام، الورقة ٢٥٧(أيا صوفيا ٣٠١٤).
(٧) معجم الشيوخ، م١ الورقة ١٨.

أنه لا يقيمُ في الرحلة أكثر من أربعة أشهر فخاف أن يَعقّهُ إذا تأخر[١] . وقد تُوفي ابنُ الظاهري بعد ذلك في ربيع سنة ٦٩٦هـ[٢] . وقد ذكر مترجمو الذهبيِّ أنه سمع من الحافظ ابن الظاهري[٣] فكيف يَصحُّ القولُ عندئذٍ أنه سافر بُعيد ٦٩٧هـ!؟ وسمع بمصر بعد ذلك من جماعةٍ كبيرة من أشهرهم: مُسْنِدُ الوقتِ أبو المعالي أحمد بن إسحاق بن محمد الأبرقوهي[٤] المتوفى سنة ٧٠١هـ[٥] ، وشيخ الإسلام المجتهد قاضي القضاة تقي الدين أبو الفتح محمد ابن علي المعروف بابن دقيق العيد القشيري المتوفى سنة ٧٠٢هـ[٦] ، والعلامة شرف الدين عبدالمؤمن بن خلف الدمياطي المتوفى سنة ٧٠٥هـ[٧] ، وغيرهم[٨] .

وفي أثناء وجوده بالبلاد المصرية رحلَ إلى الإسكندرية وكان بها في شوال من السنة، قال في ترجمة شيخه أبي الحجاج يوسف بن الحسن التيمي القابسي

---

(١) الذهبي: معرفة القراء، ج ٢ ص ٦٩٨.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام الورقة ٢٥٧(أيا صوفيا ٣٠١٤)، ومعجم الشيوخ م١ الورقة ١٨، ابن الجزري: تاريخ، م٢ الورقة ٦٠(باريس ٦٧٣٩).

(٣) انظر مثلاً: السبكي: طبقات، ج٩ ص١٠٢، وسبط ابن حجر: رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٤) نسبة إلى (أبرقوه) بلد قرب يَزْد (ياقوت: معجم البلدان، ج١ ص٨٥) وقد ولد بها حينما كان أبوه قاضيًا عليها (الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٥).

(٥) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٥، وذيل العبر، ص١٨، السبكي: طبقات، ج٩ ص١٠٢، ابن حجر: الدرر، ج١ ص١١٠، ج٣ ص٤٢٦، سبط ابن حجر: رونق الألفاظ، (نسخة الخالدية)، الفاسي: العقد الثمين، ج٣ ص١٥، ابن تغري بردي: النجوم، ج ٨ ص ١٩٨، والمنهل الصافي، ج١ ص٢١٨، وغيرها.

(٦) الذهبي: معجم الشيوخ، م ٢ ورقة ٥٥، وذيل العبر، ص٢١، وتذكرة الحفاظ ج٤ ص١٤٨١-١٤٨٤، ابن سيد الناس: أجوبة، ج ٢ ص ١٧٦ - ١٨٢ بتحقيق صديقنا العلامة محمد الراوندي، الأدفوي: الطالع السعيد، ص٣١٧-٣٣٨، الصفدي: الوافي، ج٤ ص١٩٣، ابن حجر: رفع الإصر، الورقة١١٢وغيرها.

(٧) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٨٧، وتذكرة الحفاظ، ج٤ ص١٤٧٧-١٤٧٩، ابن شاكر: فوات، ج٢ ص١٧، ابن كثير: البداية، ج١٤ ص٤٠، ابن قاضي شهبة: منتقى المعجم المختص، الورقة ١٦٢(أوقاف)، الصفدي: الوافي، م١٧ ورقة ٢٣٦ومعجم شيوخه لخصه وترجمه إلى الفرنسية الأستاذ جورج فايدا وطبع بباريس سنة ١٩٦٢م. وفي خزانة كتبي الجزء الثالث من إحدى نسخه الخطية.

(٨) انظر مثلاً: الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٢١، ٤٢، ٦٤، ٩٦.

ثم الإسكندراني: «وكنتُ في شوال هذه السنة في الإسكندرية وهو حيٌّ، وسمعتُ منه التجريدَ»[1].

وفي ثغر الإسكندرية مضى الذهبيُّ إلى أسندِ أهلها في القراءاتِ، الإمام شرف الدين أبي الحسين يحيى بن أحمد بن عبدالعزيز ابن الصواف الجذامي الإسكندراني المقرىء المشهور «٦٠٩-٧٠٥هـ»[2] فَأُدخلَ عليه فوجده قد أُضر وأصم، وهو في سبع وثمانين سنة، فقرأ عليه جزءاً ورفع صوته فسمع ثم كلَّمه في أن يجمع عليه القراءات السبع فوافق، وبدأ الذهبي بالقراءة فقرأ عليه الفاتحةَ وآياتٍ من البقرة، والشيخُ يَرُدُّ الخِلافَ ويردُّ رواية يعقوب وغيره، ولما ذكر له الذهبي أن قصده القراءة بالسبع حسب، تَخَيَّلَ الشيخُ منه نَقْصَ المعرفةِ وطلب منه أن يذهب إلى أحدِ تلامذته، قال الذهبي: «وزَهَّدني فيه أني كنتُ لا أدخل عليه إلا بمشقة وأمنع، ويؤذن لي مرة، وأيضاً فكنتُ لا أقرأ ربع حزب جمعاً، حتى ينقطع صوتي لمكان صَمَمِه» فخاف الذهبي ضياعَ الوقتِ القصيرِ، فتركه[3] وذهب إلى الإمام المقرىء صدر الدين أبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالحليم بن عمران الدكالي المعروف بسحنون «٦١٠-٦٩٥هـ»[4] وكان قد ضَعُفَ وأُضِرَّ، فختم عليه بقراءتي وَرْشٍ وحفص في مدة أحد عشر يوماً مع جماعة من رفاقه[5]. وسمع بالإسكندرية من جملة من علمائها المتميزين[6] من أبرزهم: تاج الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدالمحسن الهاشمي الحسيني الواسطي الغَرَّافي ثم الإسكندراني «٦٢٨-٧٠٤هـ» شيخ دار الحديث النبيهية بالإسكندرية[7]. كما رحل إلى

---

(١) الذهبي: معجم الشيوخ، م ١ الورقة ٢٥.

(٢) الذهبي: ذيل العبر، ص٣٢، ابن حجر: الدرر، ج٥ص١٨٥-١٨٦، الجزري: غاية، ج٢ ص٣٦٦، المقريزي: السلوك، ج٢ قسم١ ص ٢١.

(٣) الذهبي: طبقات القراء، ج ٢ ص ٦٩٨، ومعجم الشيوخ، م ٢ الورقة ٨٤.

(٤) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٧٣.

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، م١ الورقة ٢٤٧(أيا صوفيا ٣٠١٤) ومعرفة القراء ج ٢ ص٦٩٤.

(٦) انظر مثلاً: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٢١، ٢٢، ٧٥، ٨٦، م٢ الورقة ١٧، ٦٠، ٧٤، ٨٣، ٨٥.

(٧) الذهبي: معجم الشيوخ، م ٣ الورقة ٢-٣، وذيل العبر، ص ٢٨-٣٢، الحسيني: ذيل تذكرة الحفاظ، ص٩٤، ابن حجر: الدرر، ج ٣ ص ٨٥-٨٦، المقريزي: السلوك، ج٢ قسم ١ ص ١٣. وانظر أيضاً: السبكي: طبقات، ج ٩ ص ١٠٢.

ببلبيس وسمع بها[1] . لقد كانت هذه الرحلة قصيرة، وكان الذهبي يجهدُ نفسه في قراءة أكبر كميةٍ ممكنةٍ على شيوخ تلك البلاد؛ فقد ذكر مثلاً أنه قرأ جميعَ سيرةِ ابن هشام على شيخه أبي المعالي الأبرقوهي في ستة أيام فقط[2] .

ج- رحلته للحج وسماعه هناك:

وفي سنة ٦٩٨هـ، أي بُعَيدَ وفاة والده رحل الذهبي للحج، قال في حوادث السنة من تاريخ الإسلام: «وحج بنا الأميرُ شمس الدين العينتابي»[3] ، وكان يرافقه في حَجِّه جماعةٌ من أصحابهِ وشيوخهِ[4] ، منهم شيخُ دارِ الحديث بالمدرسة المستنصرية[5] العالم المسند أبو عبدالله محمد بن عبدالمحسن المعروف بابن الخرَّاط الحنبلي «٦٣٨-٧٢٨هـ»، وكان ابن الخراط قد قَدِمَ دمشق في تلك السنة وجلس للوعظِ بدمشق في شهر رمضان[6] ، قال الذهبي: «ورافقنا في الحج فسمعتُ منه بالعلى ومعان كتاب «الفرج بعد الشدة »[7] . وقد سمع بمكة[8] ، وعرفة[9] ، ومنى[10]، والمدينة[11] من مجموعة من الشيوخ.

خامساً: طبيعة دراساته:

لم ينقطع الذهبيُّ طيلةَ حياته عن الدراسةِ والسَّماعِ لا يشغله عنهما شاغلٌ،

---

(١) الصفدي: الوافي، ج٢ ص١٦٤.
(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ١٣٥(أيا صوفيا٣٠٠٧).
(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ٣٣٣(أيا صوفيا ٣٠١٤).
(٤) انظر مثلاً: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٧٢، م٢ الورقة ١٦.
(٥) الدكتور ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية، ج١ ص٣٥٤-٣٦٠.
(٦) ذكر ذلك علم الدين البرزالي المتوفى سنة ٦٣٩هـ (ابن رجب: الذيل، ج٢ ص٣٨٥) والذهبي في معجم شيوخه، م٢ الورقة ٥٠.
(٧) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٥٠ والكتاب المذكور للتنوخي كما هو معروف.
(٨) السبكي: طبقات، ج٩ ص١٠٢.
(٩) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٨٠.
(١٠) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٨٣، ٨٤.
(١١) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٥٠.

تَدُلُّ على ذلك مُعجماتُ شيوخِه لا سيما المعجم الكبير. وكانت دراستُه وسماعاتُه متنوعةً لم تقتصرْ على القراءات والحديث.

وقد عُني بدراسة النحو فسمع «الحاجبية» في النحو على شيخه موفق الدين أبي عبدالله محمد بن أبي العلاء النَّصيبي البَعْلبكي المتوفى سنة ٦٩٥هـ[١]. ودرس على شيخ العربيةِ وإمامِ أهلِ الأدب في مصرَ آنذاكَ الشيخ بهاء الدين محمد بن إبراهيم المعروف بابن النَّحَّاس المتوفى سنة ٦٩٨هـ[٢]. إضافةً إلى سماعه لعددٍ كبير من مجاميع الشعر واللغة والآداب.

واهتم بالكتبِ التاريخيةِ فسمع عدداً كبيراً منها على شيوخه، في المغازي والسِّيرة[٣]، والتاريخ العام، ومُعجمات الشيوخ والمَشْيخات[٤]، وكتب التَّراجم الأخرى[٥].

إلا أنَّ عنايتَهُ الرئيسةَ في السماع كانت منصبةً على الحديثِ؛ فقد سَمِعَ الذهبيُّ مئاتِ الكتبِ والأجزاء الحديثية طيلةَ حياتِه في طلب العلم، يَعْرِفُ ذلك من يقرأ مُعجماتِ شيوخه وكُتبه برَوِيَّةٍ وإمعانٍ، فضلاً عن أن هذه الكتب والأجزاء هي ليست كل ما قرأ الذهبي على شيوخه، فهناك العددُ الهائلُ من الأحاديث النبوية الشريفة التي لم يورد في معجمات شيوخه منها إلا أمثلةً حسب. يضاف إلى ذلك أنه كان ربما سَمِعَ الكتابَ أو الجزءَ على أكثر من شيخ حتى يبلغ في بعضها عشرات المرات أو عدداً كبيراً منها، ولنضرب لذلك بعض الأمثلة؛ فقد سمع «جزء الحسن بن عَرَفَة» وهو من الأجزاءِ الحديثية المشهورة أكثر من أربعينَ مرةً على أكثر من أربعينَ شيخاً[٦]، وسمع «نُسخة أبي مُسْهِر»

---

(١) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٧٤.

(٢) المصدر نفسه، م٢ الورقة ٣٠، وتاريخ الإسلام، الورقة ٢٨٧(أيا صوفيا ٣٠١٤).

(٣) انظر مثلاً: تاريخ الإسلام، الورقة ١٣٥(أيا صوفيا ٣٠٠٧).

(٤) انظر مثلاً: معجم الشيوخ، م١ الورقة ١٥، ٢٢، ٢٦، ٢٨، ٣٣، ٤٢، ٤٦، ٥٥، ٨٠، م٢ الورقة ٩، ١٠، ٥٠، ٧١، ١٠٠، وتاريخ الإسلام، الورقة ٩٦(أيا صوفيا ٣٠٠٨)، والورقة ٢٢(أيا صوفيا ٣٠٠٩).

(٥) مثلاً: تاريخ الإسلام، الورقة ٦٨، ٧٩(أيا صوفيا ٣٠٠٢) وغيرها.

(٦) انظر الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٩، ١٦، ١٧، ٣٣، ٣٦، ٣٨، ٤٩، ٥٣، ٥٨، ٦٤، ٧٢، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٦، م٢ الورقة ٨، ١١، ١٣، ٢٤، ٣١، ٣٢، ٣٧، ٣٩، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٥٩، ٧٧، ٧٩، ٨٢، ٨٥، ٨٦، ٨٨، ٩٨، ١٠٠.

عبدالأعلى بن مُسْهِر المتوفى سنة ٢١٨هـ[١] أكثر من اثنتي عشرة مرة[٢]، وسمع «جزء ابن فِيل»[٣] لأبي طاهر الحسن بن أحمد بن فِيل البالسيّ على أكثر من عشرة من الشيوخ[٤].

وأرى من الواجب أن أشير إلى أن الذهبيَّ لم يُعْن بذكر مسموعاته بصورة مفصَّلة في معجم شيوخه كما فعل ابن حَجَر مثلاً في «المُعْجَم المُفهرس» الذي رَتَّبه أساساً على الكتب[٥]، وفي «المجْمَع المُؤَسَّس» الذي رتبه على الشيوخ ولكن ذكر فيه المرويات أيضاً[٦]. ومع ذلك فإنَّ المَرْويات لا تمثل أصلاً دراسات الطالب أو العالم، لأن الكتب المروية محدودة عموماً، بينما يستطيع الطالب أن يقرأ ما يشاءُ من الكُتب الفقهية والتاريخية والأدبية ودواوين الشعراء ونحوها، وطائفة كبيرة منها لا تروى.

على أننا نستطيع القول من دراستنا لكتب الذهبي واهتماماته أنه عُنِيَ بالعلوم الدينية عموماً والعلوم المُساعدة لها كالنَّحو واللغة والأدب والشعر. كما أنه اطلع على بعض الكَتب الفلسفية. ونشك أنه درسَ كُتباً في العلوم الصِّرفة لعدم اعتقاده بجدواها.

سادساً: صلاته الشخصية وأثرها في تكوينه الفكري:

اتصل الذهبيُّ اتصالاً وثيقاً بثلاثةٍ من شيوخ ذلك العصر وهم: جمال الدين أبو الحجاج يُوسُف[٧] بن عبدالرحمن المِزّي الشافعي «٦٥٤-٧٤٢هـ»،

---

(١) منه نسخة بدار الكتب المصرية، رقم ٢٥٥٥١ب.

(٢) انظر الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٣٨، ٥٠، ٦٦، ٧٢، ٧٥، م٢ ورقة ٢٠، ٣٢، ٣٥، ٣٧، ٥١، ٦٥.

(٣) منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم ٢٥٥٦٨ب.

(٤) انظر الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ٦، ٢٠، ٧٢، ٧٤، م٢ الورقة ٣١، ٣٧، ٥٣، ٧٧، ٨٨.

(٥) ابن حجر: المعجم المفهرس (دار الكتب ٨٢ مصطلح الحديث).

(٦) نسختي المصورة (عن دار الكتب ٧٥ مصطلح الحديث). وطبع أخيرًا بتحقيق صديقنا الأستاذ محمد شكور الميادي‌ني.

(٧) راجع الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٩٠، وتذكرة الحفاظ، ج ٢ ص١٤٩٨، الحسيني: الذيل على ذيل العبر، ص ٢٢٩، السبكي: طبقات، ج٦ ص٢٥١ (القاهرة =

وتقي الدين أبو العباس أحمد(١) بن عبدالحليم المعروف بابن تيمية الحراني «٦٦١-٧٢٨هـ»، وعَلَم الدين أبو محمد القاسم(٢) بن محمد البِرْزاليّ «٦٦٥-٧٣٩هـ»، وترافق معهم طيلة حياتهم. وكان الذهبي أصغر رِفاقه سناً، وكان أبو الحَجّاج المِزي أكبرهم. وكان بعضهم يقرأ على بعض؛ فهم شيوخ وأقران في الوقت نفسه.

وقد ساعد من شَدِّ أواصر هذه الرفقةِ اتجاهُهم نحو طَلَبِ الحديثِ منذ فترة مبكرة وميلهم إلى آراء الحنابلة ودفاعهم عن مذهبهم، مع أنَّ المزيَّ والبرزاليَّ والذهبيَّ كانوا من الشافعية. وكان كلٌّ واحدٍ منهم محباً للآخر ذاكراً فضله. ويذكر الذهبي جيداً أنَّ علم الدين البرزالي هو الذي حَبَّبَ إليه العنايةَ بالحديث النبويِّ الشريف؛ فقال في معجم شيوخه الكبير: «الإمام الحافظ المتقن الصادق الحجة مفيدنا ومعلمنا ورفيقنا محدث الشام مؤرخ العصر»(٣). وقال في موضع آخر: «وهو الذي حَبَّبَ إليَّ طلب الحديث فإنه رأى خطي، فقال: خَطُّكَ يشبه خط المحدثين! فأثَّرَ قولُه فيَّ، وسمعتُ منه، وتخرجتُ به في أشياء»(٤)، وكان على غايةٍ من الإعجاب بعلمه ولا سيما معجم

= ١٣٢٤)، ابن كثير: البداية، ج ١٤ ص١٩١-١٩٢، ابن ناصر الدين: الرد الوافر، ص ١٢٨، والتبيان، الورقة ١٦٦، ابن حجر: الدرر، ج ٥ ص ٢٣٣-٢٣٧، ابن تغري بردي: النجوم، ج ١٠ ص ٧٦، ابن طولون: المَعَزَّة، ص ١٠، ابن العماد: شذرات، ج ٦ ص ١٣٦، الكتاني: فهرس ج١ ص١٠٧.

(١) ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية معروفة تناولها معظم المؤرخين الذين تناولوا عصره ومنهم الذهبي. ومن الذين كتبوا عنه مفرداً ابن ناصر الدين في «الرد الوافر» (بيروت ١٣٩٣هـ)، وابن قدامة: «العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية». ومن المحدثين: محمد كرد علي في «ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية» (لم يذكر مكان الطبع ولا تاريخه)، ومحمد بن بهجة البيطار في «حياة شيخ الإسلام ابن تيمية» (دمشق ١٩٦١)، ومحمد أبو زهرة: «ابن تيمية، حياته وعصره، آراؤه وفقهه» (القاهرة ١٩٥٢).

(٢) انظر الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٢٥، ذيل العبر ص٢٠٩، الحسيني: ذيل تذكرة الحفاظ، ص ١٨-٢١، السبكي: طبقات، ج ٦ ص ٢٤٦ (القاهرة ١٣٢٤)، ابن كثير: البداية، ج ١٤ ص ١٨٥، ابن شاكر: فوات، ج ٣ ص ١٩٦ (ط. إحسان عباس)، ابن حجر: الدرر، ج٣ ص ٣٢١-٣٢٣، ابن تغري بردي: النجوم، ج٩ ص٣١٩، ابن العماد: شذرات، ج٦ ص١٢٤.

(٣) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٢٥.

(٤) ابن حجر: الدرر، ج٣ ص٣٢٣.

شيوخه[١] الذي خرجه لنفسه وفيه ثلاثة آلاف شيخ، منهم ألفان بالسماع وألف بالإجازة[٢] . وكتب الذهبيُّ عن شيخه ورفيقه المزي بأنه: «العلامةُ الحافظ البارع أستاذ الجماعة... محدث الإسلام»[٣] ، وأنه كان «خاتمة الحفاظ وناقد الأسانيد والألفاظ وهو صاحب معضلاتنا وموضع مشكلاتنا»[٤] .

أما ابنُ تيمية فكانت شخصيته قد اكتملت منذ أن كان الذهبي شاباً في أول طلبه العلم، وكان قد أصبح مجتهداً له آراؤُه الخاصة التي تقومُ في أصلها على اتِّباعِ آثارِ السلف، وابتدأ منذ سنة ٦٩٨هـ يدخل في خُصوماتٍ عقائدية حادة مع علماء عصره من المخالفين له[٥] ، ويقيمُ الحدودَ بنفسه ويحلق رؤوسَ الصبيان[٦] ، ويحاربُ المشعوذين من أدعياء التصوف[٧] ، ويمنع من تقديم النذور[٨] ، ويدور هو وأصحابه على الخمارات والحانات ويُريقُ الخمورَ[٩] ، ويقاتل بعض مَنْ يعتقد فساد عقيدته[١٠]، ويشتط على القضاة[١١]، بل بلغ الأمرُ به في إحدى المرات أنْ دخل السجن وأخرج رفيقه المزي منه بنفسه[١٢]. وظهرت شخصيتُه السياسية في الحرب الغازانية سنة ٦٩٩هـ وما بعدها لاسيما

---

(١) نظم الذهبي في هذا المعجم بيتين من الشعر، قال:

إنْ رمتَ تفتيشَ الخزائنِ كلها وظهور أجزاء حوت وعوالي
ونعوت أشياخ الوجود وما رووا طالع أو اسمع معجم البرزالي

(ابن حجر: الدرر، ج٣ ص٣٢٢، ابن ناصر الدين: الرد الوافر، ص١٢٠).

(٢) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٢٥، وذيل العبر، ص٢٠٨، ابن حجر: الدرر، ج٣ ص٣٢٢، ابن ناصر الدين: الرد الوافر، ص١٢٠.

(٣) معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٧٠، وانظر تذكرة الحفاظ، ج٤ ص١٤٩٨-١٤٩٩.

(٤) ابن حجر: الدرر، ج٥ ص٢٣٥-٢٣٦.

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ٣٣٢(أيا صوفيا ٣٠١٤)، الصفدي: الوافي، ج٥ ص ٢٢، ابن كثير: البداية، ج١٤ ص٤، ابن حجر: الدرر، ج١ ص١٥٥.

(٦) ابن كثير: البداية، ج١٤ ص١٩.

(٧) الصفدي: الوافي، ج٥ ص١٨، ابن كثير: البداية، ج١٤ ص٣٣، وانظر فتواه في «الصوفية والفقراء» (نشرها رشيد رضا بالقاهرة ١٣٤٨ط٢).

(٨) ابن كثير: البداية، ج١٤ ص٣٤.

(٩) المصدر نفسه، ج١٤ ص١١.

(١٠) المصدر نفسه، ج١٤ ص١٢.

(١١) ابن حجر: الدرر، ج١ ص١٥٦.

(١٢) السبكي: طبقات، ج٦ ص٢٥٤(القاهرة ١٣٢٤)، ابن كثير: البداية، ج١٤ ص٣٧، ابن حجر: الدرر، ج ٥ ص٢٣٤.

سنة ٧٠٢هـ حيث لعب دوراً كبيراً في انتصار المماليك على المغول في وقعة شقحب[١].

وقد أحب الذهبيُّ شيخَهُ ورفيقه وأُعجِبَ به، فقال بعد أنْ مدحه مدحاً عظيماً: «وهو أكبر من أنْ يُنَبِّه مِثْلي على نعوته، فلو حلفتُ بين الركن والمقام لحلفتُ: أني ما رأيتُ بعيني مثله، ولا والله ما رأى هو مثل نفسه في العلم»[٢] ولما مات رثاه بقصيدة[٣]، وذكر أنَّ مصنفاته قد جاوزت الألف[٤]، وبالغ في ذِكْرِ مساوىء مَنْ حَطَّ عليه مثل الأمير سيف الدين تنكز[٥] نائب الشام.

ولم تكن محبة رفيقيه وإعجابهما بابن تيمية باقلَّ من محبةِ الذهبيِّ له، بل ربما كان المزي أكثرهم إعجاباً ومحبة له مع أنه أكبر منه سناً[٦].

ومع أن الذهبيَّ قد خالف رفيقه وشيخه «في مسائل أصلية وفرعية»[٧] وأرسل إليه نصيحته الذهبية[٨] التي يُقَرِّعُه ويلومُه وينتقدُ بعضَ آرائه وآراء أصحابه بها، إلا أنه بلا ريب قد تأثر به تأثرًا عظيماً، بحيث قال تاج الدين السبكي المتوفى سنة ٧٧١هـ: «إن هذه الرفقة: المزي والذهبي والبرزالي أضرَّ

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ٣٣٤فما بعد (أيا صوفيا ٣٠١٤)، الصفدي: أعيان العصر، ج٨ الورقة ١-٧(أيا صوفيا ٢٩٦٨)، ابن كثير: البداية، ج١٤ ص٩ فما بعد. وينظر بحثي: «من محراب العلم إلى ميدان القتال»، مجلة الرسالة الإسلامية ببغداد ١٩٨٤.

(٢) ابن ناصر الدين: الرد الوافر، ص٣٥، وقارن ابن حجر: الدرر، ج١ ص١٦٨-١٦٩.

(٣) ابن ناصر الدين: بديعة الزمان، الورقة ١٦٥، والرد الوافر، ص٣٥-٣٦.

(٤) ابن ناصر الدين: الرد الوافر، ص٣٥، وقارن ابن حجر: الدرر، ج١ ص١٦٠. وقال الصفدي: «ومن الذي يأتي على مجموعها!» وذكر منها جملة كبيرة (الوافي، ج٥ ص٢٣-٣٠).

(٥) ابن حجر: الدرر، ج١ ص٦١. وعاتب الذهبي تلميذه تاج الدين السبكي بسبب كلام وقع منه في ابن تيمية فاعتذر منه السبكي برسالة أرسلها إليه (ابن حجر: الدرر، ج١ ص١٦٩).

(٦) انظر أقوال المزي في ابن تيمية في كتاب الرد الوافر (ص١٢٨-١٣٠) وأقوال البرزالي في الكتاب نفسه (ص١١٩-١٢٣). وكان ابن تيمية شديد الإعجاب بالمزي، فلما باشر دار الحديث الأشرفية بعد الشريشي قال ابن تيمية: «لم يَلِهَا من حين بنيت إلى الآن أحق بشرط الواقف منه»، انظر: ابن كثير: البداية، ج١٤ ص٨٩، ابن حجر: الدرر، ج٥ ص٢٣٤، النعيمي: تنبيه، ج١ ص٣٥.

(٧) ابن حجر: الدرر، ج ١ ص١٦٦.

(٨) الذهبي: النصيحة الذهبية لابن تيمية (دمشق ١٣٤٧هـ).

بها أبو العباس ابن تيمية إضراراً بَيِّناً، وحملها من عظائم الأمور أمراً ليس هيناً وجَرَّهم إلى ما كان التباعدُ عنه أولى بهم»[1].

إنَّ هذه الصلةَ بين الرفقة وما اختطوه لأنفسهم فيما ارتضوه ومالوا إليه من آراءِ الحنابلةِ قد أدت في كثيرٍ من الأحيان إلى إيذائهم والتحامل عليهم بما ليس فيهم. وقد أُوذيَ المزيُّ بسبب ذلك[2]، وحرم الذهبي بسبب آرائه من تولِّي أكبرِ دارٍ للحديثِ بدمشق هي دار الحديث الأشرفية[3] التي شغرت مشيختها بعد وفاةِ رفيقه المزي سنة ٧٤٢هـ. فأشار قاضي القضاة علي بن عبدالكافي السبكي أنْ يعين الذهبيُّ لها، فتكلم الشافعيةُ بأنَّ الذهبيَّ ليس بأشعري، وأنَّ المزي ما وليها إلا بعد أن كتبَ بخطه وأشهدَ على نفسه بأنه أشعريٌّ، واتسع النقاش بينهم ورفض الشافعية أنْ يتولاها الذهبيُّ بعد أن جمعهم نائب الشام أَلْطُنْبُغَا بالرغم من إلحاح السبكي، ولم يحسم الأمر إلا بتولية السبكي نفسه[4].

ثم أثرت صلةُ الذهبيِّ بابن تيمية فيما اختصر[5] أو ألف[6] من كتب، وفي بلورة بعض آرائه، وحُبِّهِ للحنابلةِ[7]، وموقفه من بعض المتصوفة[8] ولا سيما

(١) السبكي: طبقات، ج٦ ص ٢٥٤ (القاهرة١٣٢٤هـ).

(٢) من ذلك ما حدث سنة ٧٠٥هـ حينما وقعت المناظرة بين ابن تيمية والشافعية، فقرأ الشيخ جمال الدين المزي فصلاً بالرد على الجهمية من كتاب أفعال العباد للبخاري تحت قبة النسر بعد قراءة ميعاد البخاري، فغضب بعض الفقهاء الحاضرين وشكاه إلى القاضي الشافعي ابن صصرى، وكان من أعداء ابن تيمية، فأمر بسجن المزي، ولما بلغ ابن تيمية ذلك تألم كثيراً وذهب إلى السجن فأخرجه منه بنفسه، فغضب نائب دمشق فأعيد المزي ثم أفرج عنه. (ابن كثير: البداية، ج١٤ ص٣٧، ابن حجر: الدرر، ج٥ ص٢٣٤).

(٣) منسوبة إلى الملك الأشرف مظفر الدين موسى ابن العادل الأيوبي، ابتدأ عمارتها سنة ٦٢٨هـ وافتتحت سنة ٦٣٠هـ وأول مَنْ وليها محدث عصره الشيخ تقي الدين ابن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٣هـ (انظر الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ٢٤٣(أيا صوفيا ٣٠١٢)، والنعيمي: تنبيه الدارس، ج١ ص١٩فما بعد).

(٤) السبكي: طبقات الشافعية، ج٦ ص١٧٠-١٧١(القاهرة ١٣٢٤)، ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، ج ٢ ص ١٩١.

(٥) من ذلك مثلاً «المنتقى من منهاج الاعتدال» لشيخه ابن تيمية (وانظر الفصل الخاص بكتبه).

(٦) من ذلك مثلاً كتاب «العلو» (وانظر الفصل الخاص بكتبه).

(٧) الذهبي: معجم الشيوخ م١ الورقة ٤.

(٨) قال في ترجمة شيخه بهاء الدين أبي المحاسن عبدالمحسن بن محمد المعروف بابن العديم المتوفى سنة ٧٠٤هـ: «وكان يدخل في ترهات الصوفية» (معجم الشيوخ، م١ =

طائفة الأحمدية، أتباع الشيخ أحمد الرفاعي[1] . وهو يذكر أنَّ علم المنطق «نفعهُ قليلٌ وضرره وبيلٌ وما هو من علوم الإسلام»[2] ، ويقول عن الفلسفة: «الفلسفة الإلهية ما ينظر فيها مَنْ يُرْجَى فلاحهُ ولا يركن إلى اعتقادها مَنْ يلوح نجاحه؛ فإن هذا العلم في شق وما جاءت به الرسل في شق، ولكن ضلال مَنْ لم يدر ما جاءت به الرسل كما ينبغي بالحكمة أشر ممن يدري، واغوثاه بالله، إذا كان الذين قد انتدبوا للرد على الفلاسفة قد حاروا ولحقتهم كسفة فما الظن بالمردود عليهم؟!»[3] .

ثم كان لهذه الرفقة، أعني رفقةَ ابنِ تيمية، أنْ جعلت بعضَ الناس يجدون فيها سبباً لطعنهم في كتاباتهم بسبب اعتقادهم بتحيزها[4] . وقد أثارت هذه المطاعنُ نقاشاً بين علماء عصره، وعند العلماء الذين جاؤوا بعده[5] وهو ما سوف نبحثه عند كلامنا على منهجه في تاريخ الإسلام[6] .

ومع أنَّ كثيراً من الانتقادات التي وجهت إلى الذهبيِّ بسبب العقائد كان يغلب عليها طابَعُ التحاملِ والتعصب[7] . إلا أننا في الوقت نفسه يجب أن نعترف بأنَّ تكوينه الفكري العام قد ارتبط ارتباطاً شديداً بالحديث والمحدثين ونظرتهم إلى العلوم والعلماء وفلسفتهم تجاه العلوم العقلية. وقد أثر ذلك، كما سنرى، في منهجه التاريخي تأثيراً واضحاً حينما ربطه بالحديث النبوي الشريف وعلومه فاهتم اهتماماً كبيراً بالتراجم حتى صارت أساسَ كتابه ومحور تفكيره. ثم أثر تكوينه الفكري هذا في نظرته إلى الأحداثِ التاريخية وأسس

= الورقة ٨٥).

(١) قال في ترجمة ثعلب بن جامع الصعيدي الأحمدي البازدار المتوفى سنة ٧٢٥هـ: «كان من كبار الأحمدية، وله أتباع، ثم إنه تاب وترك تلك الرعونات» (معجم الشيوخ، م١ الورقة ٤٠).

(٢) الذهبي: بيان زغل العلم، ص ٢٤ وقال في ترجمة أحد شيوخه: «ثم دخل في المنطق، فالله يسلم، ثم أقبل على شأنه» معجم الشيوخ، م١ ورقة ٦٦-٦٧.

(٣) الذهبي: بيان زغل العلم، ص٢٥-٢٦ وانظر معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٤٩.

(٤) السبكي: معيد النعم، ص٧٤، والطبقات، ج٢ ص١٣-١٥، ٢٢-٢٥، ج٩ ص١٠٣.

(٥) السخاوي: الإعلان، ص٤٩٩ فما بعد، وابن عبدالهادي: معجم الشافعية، الورقة ٤٧-٤٨.

(٦) انظر أدناه الباب الثاني تجد فيه تفصيلاً مغنياً.

(٧) انظر الفصل الأخير من الباب الثاني.

انتقائها ونوعية اهتماماته؛ كما ستراه مفصلاً في الباب الثاني من هذه المقدمة.

سابعاً: نشاطه العلمي ومناصبه التدريسية:

بدأت حياة الذهبي العلمية في الإنتاج في مطلع القرن الثامن الهجري كما يبدو، فبدأ باختصار عدد كبير من أمهات الكتب في شتى العلوم التي مارسها ومن أهمها التاريخ والحديث. ثم توجه بعد ذلك إلى تأليف كتابه العظيم «تاريخ الإسلام» الذي انتهى من إخراجه لأول مرة سنة ٧١٤هـ[١]. وقد تولى الذهبيُّ في سنة ٧٠٣هـ الخطابةَ بمسجد كفر بطنا[٢]، وهي قريةٌ بغوطة دمشق[٣]، وظل مقيماً بها إلى سنة ٧١٨هـ. وفي هذه القرية الهادئة ألف الذهبي خيرةَ كتبه، وقد ساعده على ذلك كما يبدو تفرغه التام للتأليف.

وفي شوال سنة ٧١٨هـ توفي الشيخ كمال الدين أحمد بن محمد بن أحمد ابن الشريشي الوائلي، وكيلُ بيتِ المال، وشيخُ دارِ الحديث بتربة أم الصالح وغيرها[٤]، وكانت هذه الدار من كُبرياتِ دورِ الحديث بدمشق آنذاك[٥]، تولَّاها كمال الدين ابن الشريشي مدة ثلاث وثلاثين سنة اعتباراً من سنة ٦٨٥هـ وإلى حين وفاته وكان والده قد تولاها قبله[٦]. قال ابن كثير في حوادث سنة ٧١٨هـ: «وفي يوم الاثنين العشرين من ذي الحجة باشر الشيخ شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي المحدث الحافظ بتربة أم الصالح عوضاً عن كمال الدين ابن الشريشي... وحضر عند الذهبي جماعة من القضاة»[٧]. وقد اتخذها الذهبيُّ سكناً له ثم مات فيها بعد ذلك.

---

(١) انظر الورقة الأخيرة من نسخة أيا صوفيا ٣٠١٤.
(٢) الحسيني: ذيل العبر، ص٢٦٩، ابن كثير: البداية، ج١٤ ص٢٨.
(٣) محمد كرد علي: غوطة دمشق، ص٢٤.
(٤) الذهبي: ذيل العبر، ص ٩٩، ابن كثير: البداية، ج١٤ ص٩١، النعيمي: تنبيه الدارس، ج١ ص٣٣-٣٤.
(٥) النعيمي: تنبيه، ج١ ص٣١٦، وواقفها هو الصالح إسماعيل ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر.
(٦) ابن كثير: البداية، ج١٤ ص٨٨، ٩١، النعيمي: تنبيه، ج١ ص٣٤.
(٧) ابن كثير: البداية، ج١٤ ص٨٨.

وفي يوم الأربعاء السابع عشر من جمادى الآخرة سنة ٧٢٩هـ ولي شمسُ الدين الذهبي دارَ الحديث الظاهرية(١) بعد الشيخ شهاب الدين أحمد ابن جهبل ونزل عن خطابة كفر بطنا(٢) .

ولما توفي الشيخ علم الدين البرزالي، شيخ الذهبي ورفيقه، سنة ٧٣٩هـ، تولّى الذهبيُّ تدريسَ الحديث بالمدرسة النفيسية وإمامتها عوضاً عنه، وكتب له تلميذه صلاح الدين الصفدي توقيعاً بذلك(٣) .

وفي هذه السنة أيضاً، أعني سنة ٧٣٩هـ، كمل تعميرُ دارِ الحديث والقرآن التنكزية(٤) ، وباشر الذهبي مشيخة الحديث بها(٥) . وقد أخطأ محيي الدين عبدالقادر النعيمي المتوفى سنة ٩٢٧هـ حينما جعل الذهبي يخلف تقي الدين ابن تيمية في دار الحديث السكرية(٦) ، فترجمه فيها(٧) وكرر ذلك مع أن الذهبيَّ لم يتول هذه الدار كما يبدو. ويظهر أن «التنكزية» تحرفت إلى «السكرية»(٨) فظن الرجلُ أنه تَولاَّها، مع أنه ذكر أن الذهبي تولى دار الحديث التنكزية ونقل النصوص الدالة نفسها، قال في دار الحديث السكرية بعد أن

---

(١) أسسها الملك الظاهر بيبرس البندقداري سنة ٦٧٦هـ، هي والمدرسة الظاهرية وهي اليوم مقر دار الكتب الظاهرية الواقعة قبالة المجمع العلمي العربي بدمشق، انظر عنها: النعيمي: الدارس، ج١ ص٣٤٨.

(٢) ابن كثير: البداية، ج١٤ ص١٤٣.

(٣) الصفدي: الوافي، ج٢ ص١٦٦ وتجد نص التوقيع في كتابه.

(٤) منسوبة إلى الأمير تنكز نائب الشام، وليها سنة ٧١٢هـ ومات معتقلاً بالإسكندرية في أوائل سنة ٧٤١هـ (الحسيني: ذيل العبر، ص٢١٩-٢٢٠، ابن حجر: الدرر، ج٢ ص٥٥-٦٢) قال ابن كثير في حوادث سنة ٧٣٩هـ: «ومما حدث في هذه السنة إكمال دار الحديث السكرية (كذا والصحيح: التنكزية) وباشر مشيخة الحديث بها الشيخ الإمام الحافظ مؤرخ الإسلام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، وقرر فيها ثلاثون محدثاً لكل منهم جِرايةٌ وجامكية كل شهر سبعة دراهم ونصف رطل خبز، وقرر للشيخ ثلاثون رطل خبز، وقرر فيها ثلاثون نفراً يقرؤون القرآن لكل عشرة شيخ، ولكل واحد من القراء نظير ما للمحدثين، ورتب لها إمام، وقارئ حديث، ونواب، ولقارئ الحديث عشرون درهماً وثماني أواق خبز، وجاءت في غاية الحسن. . .» إلخ، ج١٤ ص١٨٤.

(٥) ابن كثير: البداية، ج١٤ ص١٨٤، النعيمي: تنبيه، ج١ ص١٢٣.

(٦) تنبيه الدارس، ج١ ص٧٧-٧٨.

(٧) المصدر نفسه، ج١ ص٧٨-٧٩.

(٨) علماً بأنها محرفة في النسخة المطبوعة من البداية والنهاية (ج١٤ ص١٨٤) وهذه النسخة كثيرة الأغلاط كما هو معروف.

ترجم لشيخها تقي الدين ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ: «ثم وليها بعده الحافظ الذهبي وهو محمد.. ثم ولي مشيخة السكرية هذه بعده الصدر المالكي، قال الشيخ شمس الدين السيد في ذيل العبر في[١] سنة تسع وأربعين وسبع مئة: والإمام صدر الدين سليمان بن عبدالحكم[٢] المالكي مدرس الشرابيشية وشيخ السكرية بعد الذهبي. انتهى، وقال الصلاح الصفدي في تاريخه في حرف السين: سليمان بن عبد الحكم... إلخ»[٣] ثم قال في «دار القرآن والحديث التنكزية» من كتابه بعد ذكر عمارتها ووقوفها: «قال السيد الحسيني في ذيل العبر في سنة تسع وأربعين (وسبع مئة)[٤]: والإمام صدر الدين سليمان بن عبدالحكم المالكي شيخهم ومدرس الشرابيشية وشيخ التنكزية بعد الذهبي. انتهى. وقد تقدمت ترجمة الذهبي في دار الحديث السكرية. وقال الصلاح الصفدي في تاريخه في حرف السين: سليمان بن عبدالحكم... إلخ».[٥] وهذا النص الأخير هو الصحيح وهو الذي أورده الحسيني في ذيل العبر[٦]. إن هذا الاختلاط والتحريف بالنصوص جعل الدكتور صلاح الدين المنجد يذهب إلى القول بأنَّ الذهبيَّ خلف ابن تيمية سنة ٧٢٨هـ في دار الحديث السكرية وهو وهمٌ لا أساسَ له[٧].

ومن دور الحديث التي تولاها الذهبي دار الحديث الفاضلية[٨]، التي أسسها القاضي الفاضل وزير صلاح الدين المتوفى سنة ٥٩٦هـ.

وهكذا تولى الذهبي كبريات دور الحديث بدمشق في أيامه، لما وصل إليه من المعرفة الواسعة في هذا الفن. وحينما توفي سنة ٧٤٨هـ كان يتولى مشيخة

---

(١) زيادة مني يقتضيها السياق.

(٢) هكذا في الأصل. وفي ذيل العبر (ص٢٧٦) وذيل تذكرة الحفاظ (ص١١٩): عبدالحكيم. وهو الصحيح.

(٣) النعيمي: تنبيه، ج١ ص٧٧-٨٠.

(٤) زيادة من عندي يقتضيها السياق.

(٥) النعيمي: تنبيه الدارس، ج١ ص١٢٧.

(٦) الحسيني: ذيل العبر ص٢٧٦.

(٧) مقدمة سير أعلام النبلاء، ج١ ص٢٢ والطريف أن ابن تيمية لم يكن متولياً لهذه المدرسة سنة ٧٢٨هـ فقد اعتقل في ١٦ رمضان سنة ٧٢٦هـ وظل معتقلاً بالقلعة إلى حين وفاته في ليلة العشرين من ذي القعدة سنة ٧٢٨(ابن كثير: البداية، ج١٤ ص١٢٣، ١٣٥).

(٨) النعيمي: تنبيه الدارس، ج١ ص٩٤.

الحديث في خمسة أماكن هي:

١- مشهد عروة، أو دار الحديث العروية، ودرس فيها بعده شرف الدين ابن الواني الحنفي، نزل الذهبي له عنها في مرض موته[١].

٢- دار الحديث النفيسية، وقد نزل الذهبي عنها إلى الشيخ شرف الدين ابن الواني الحنفي في مرض موته أيضاً فدرس فيها في ذي القعدة[٢].

٣- دار الحديث التنكزية، ودرس فيها بعده الإمام صدر الدين سليمان بن عبدالحكيم المالكي كما مر بنا قبل قليل[٣].

٤- دار الحديث الفاضلية بالكَلاَّسة، ودَرَّس فيها بعده تلميذه تقي الدين أبو المعالي محمد بن رافع بن هجرس السلامي المتوفى سنة ٧٧٤هـ[٤].

٥- تربة أم الصالح، دَرَّس فيها بعده تلميذه أبو الفداء عماد الدين ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ[٥].

ثامناً: وفاته وأولاده:

أضرَّ الذهبيُّ في أُخرياتِ سني حياته، قبل موتِه بأربع سنين أو أكثر، بماءٍ نزل في عينيه، فكان يتأذى ويغضب إذا قيل له: لو قدحت هذا لرجع إليك بَصَرُكَ، ويقول: ليس هذا بماء، وأنا أعرَف بنفسي، لأنني ما زال بصري ينقص قليلاً قليلاً إلى أنْ تكامل عدمه[٦]. وتوفي بتربة أم الصالح ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة قبل نصف الليل سنة ٧٤٨هـ ودفن بمقابر باب الصغير، وحضر الصلاةَ عليه جملةٌ من العلماء كان من بينهم تاج الدين السبكي[٧]. وقد رَثاهُ

---

(١) ابن قاضي شهبة: الإعلام، الورقة ٨٦ وهو منسوب إلى شرف الدين محمد بن عروة الموصلي المتوفى سنة ٦٢٠هـ (النعيمي: تنبيه الدارس، ج١ ص٨٢).

(٢) ابن قاضي شهبة: الإعلام، الورقة ٨٦.

(٣) وانظر أيضاً ابن قاضي شهبة: الإعلام، الورقة ٨٦.

(٤) ابن قاضي شهبة: الإعلام، الورقة ٨٦، والنعيمي: تنبيه، ج١ ص٩٤.

(٥) قال في كتابه البداية والنهاية في حوادث سنة ٧٤٨هـ: «وفي يوم الأحد سادس عشر ذي القعدة حضرت تربة أم الصالح ـ رحم الله واقفها ـ عوضاً عن الشيخ شمس الدين الذهبي، وحضر جماعة من أعيان الفقهاء وبعض القضاة، وكان درساً مشهوداً ولله الحمد والمنة... إلخ» ج ١٤ ص ٢٢٥.

(٦) الصفدي: نكت الهميان، ص٢٤٢، ابن دقماق: ترجمان الزمان، الورقة ٩٩.

(٧) السبكي: طبقات، ج٩ ص١٠٥-١٠٦ وقد زاره والده تقي الدين السبكي قبل المغرب =

غيرُ واحد من تلامذته منهم الصلاح الصفدي[1] والتاج السبكي[2] وغيرهم.

وتركَ الذهبي ثلاثةً من أولاده عُرِفُوا بالعلم هم:

١- ابنته أمة العزيز، وقد أجاز لها غيرُ واحدٍ باستدعاء والدها منهم: شيخ المستنصرية رشيدالدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله البغدادي المتوفى سنة ٧٠٧هـ[3]. ويظهر أنها تزوجت في حياة والدها وخلفت ولداً اسمه عبدالقادر سمع مع جده من أحمد بن محمد المقدسي المتوفى سنة ٧٣٧هـ[4]، وأجاز له جده رواية كتابه تاريخ الإسلام[5].

٢- ابنه أبو الدرداء عبدالله، ولد سنة ٧٠٨هـ وأسمعه أبوه من خَلْقٍ كثير، وحدث ومات في ذي الحجة سنة ٧٥٤هـ[6].

٣- ابنه شهاب الدين أبو هريرة عبدالرحمن، ولد سنة ٧١٥هـ وسمع مع والده أجزاء حديثية كثيرة[7]، وسمع من عيسى المطعم الدلال المتوفى سنة ٧١٩هـ، وخرج له أبوه أربعين حديثاً عن نحو المئة نفس، وحدث منذ سنة ٧٤٠هـ وتأخرت وفاته إلى ربيع الآخر سنة ٧٩٩هـ[8] وخلف ولداً اسمه محمد، سمع مع جده[9]، وأجاز له جده رواية كتابه تاريخ الإسلام[10].

= وسأله عن حاله. الصفدي: الوافي، ج٢ ص١٥٦، ونكت الهميان، ص٢٤٢، ابن حجر: الدرر، ج٣ ص٤٢٧ وغيرهم ممن ترجم له.

(١) الوافي، ج٢ ص١٦٥.

(٢) طبقات، ج٩ ص١٠٩-١١١ وهي طويلة أورد بعضها، وابن قاضي شهبة: الإعلام، م١ الورقة ٩٠.

(٣) الذهبي: منتقى المعجم المختص، الورقة ٣٩ (باريس ٢٠٧٦) ومعجم الشيوخ، م٢ ورقة٤٦، وانظر أيضاً م١ ورقة ٧٨.

(٤) الذهبي: معجم الشيوخ، م١ الورقة ١٧.

(٥) راجع طرة المجلد الحادي والعشرين من «تاريخ الإسلام» الذي بخط الذهبي (أيا صوفيا ٣٠١٤).

(٦) ابن حجر: الدرر، ج٢ ص٣٩٢.

(٧) انظر مثلاً: معجم الشيوخ، م١ ورقة ٣٨، ٦٩-٧٠، ٧٤-٧٥، ٧٨، ٨٥، م٢ الورقة ٤٤، ٤٥، ٥٣.

(٨) ابن حجر: الدرر، ج٢ ص٤٤٩، والتونسي: دستور الإعلام بمعارف الأعلام، الورقة ١١٦ (نسخة ولي الدين جارالله ١٦٠٥-٦٩٧).

(٩) معجم الشيوخ، م١ ورقة ٤٤.

(١٠) انظر طرة المجلد الحادي والعشرين (أيا صوفيا ٣٠١٤).

الفصل الثاني

منزلة الذهبي العلمية

لعل خيرَ ما يصور منزلة الذهبي العلمية واتجاهاته الفكرية هو دراسة آثاره الكثيرة التي خَلَّفها، وتبيان قيمتها مقارنةً بمثيلاتها، ومدى اهتمام العلماء والدارسينَ بها في العصورِ التالية، والمساهمة الفعلية التي قَدَّمتها للحضارة الإسلامية[1].

وسيرة الذهبي العلمية، استناداً إلى آثاره، ذات وجوهٍ متعددة يَستبينها الباحثُ الفاحصُ من نوعية تلك الآثار.

وأول ما يلاحظ الدارسُ العَدَد الضخمَ من الكتبِ التي اختصرها والتي تربو على خمسين كتاباً، معظمها من الكتبِ الكبيرةِ التي اكتسبت أهميةً عظيمة عند الدارسين، والتي تُعَدُّ من بين أحسنِ الكتبِ التي وضعت في عصرها وأكثرها أصالةً، مما يدلُّ على استيعابِ الذهبي لمؤلفات السابقين، ومعرفته بالجيد الأصيلِ منها، وتمتعه بقابليةٍ ممتازة على الانتقاء.

ومما يثيرُ الانتباهَ أنَّ مختصرات الذهبي لم تكن اختصارات عادية يغلب عليها الجمودُ والنقلُ، بل إنَّ المطلع عليها الدارس لها برويةٍ وإمعان يجد فيها إضافاتٍ كثيرة، وتعليقاتٍ نفيسة، واستدراكاتٍ بارعة، وتصحيحاتٍ وتصويباتٍ لمؤلف الأصل إذا شعر بوهمه أو غلطه، ومقارناتٍ تَدلُّ على معرفته وتبحره في فن الكتاب المختصر؛ فهو اختصارٌ مع سَدِّ نقصٍ وتحقيق ونقد وتعليق وتدقيق، وهو أمر لا يتأتى إلا للباحثين البارعين الذي أُوتُوا بسطةً في العلم ومعرفة في فنونه.

والذهبي حين يُضيفُ إلى الكتابِ المختصر يشعر بضرورة ذلك لسد نقص

---

(١) استوفينا آثار الذهبي في كتابنا: «الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام» المطبوع بالقاهرة سنة ١٩٧٦م ص١٣٩-٢٧٦ فراجعه إن شئت استزادة.

يعتري ذلك الكتاب. فحينما اختصر ـ مثلاً ـ كتاب «أسد الغابة في معرفة الصحابة» لعز الدين ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ زاده من عدة تواريخ منها: «تاريخ الصحابة الذين نزلوا حمص» لأبي القاسم عبدالصمد بن سعيد الحمصي المتوفى سنة ٣٢٤هـ، و«مسند» الإمام أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١هـ، و«مسند» بقي بن مخلد المتوفى سنة ٢٧٦هـ، و«طبقات» ابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠هـ، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ، ومن كتابات ابن سيد الناس المتوفى سنة ٧٣٤هـ[١]. وقال سبط ابن حجر عند كلامه على اختصار الذهبي لمعجم شيوخ الأئمة النبل لابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ: «زاده فوائد ومحاسن»[٢].

ويجد الباحث في مختصرات الذهبي تعليقاتٍ نفيسة، من ذلك ـ مثلاً ـ ما عمله في كتاب «الكاشف» الذي اختصره من «تهذيب الكمال» لأبي الحجاج المزي المتوفى سنة ٧٤٢هـ، فعلى الرغم من محافظة الذهبي على روح النص الأصلي، فقد بَثَّ فيه من روحه ونشر فيه من علمه ما جعله يكاد يكون مؤلفاً من تآليفه مخالفاً للأصل المختصر منه في كثير من الأمور، وآيةُ ذلك أنه عَلَّقَ على آراء بعض أئمة الجرح والتعديل فيه تعديلاً أو إبطالاً، كما حقق كثيراً من التراجم وزادها تدقيقاً لا نجده في الأصل. فضلاً عن بيان رأيه في كثير من الرواة على أسس من دراساته الواسعة وخبرته العميقة بعلم الحديث النبوي الشريف مما حدا بتاج الدين السبكي أن يَصِفَ هذا المختصر بأنه «كتاب نفيس»[٣].

وتظهر براعة الذهبي في النقد والتحقيق في كثير من هذه المختصرات، فمن ذلك ـ مثلاً ـ ما ظهر في مختصره لكتاب «المستدرك على الصحيحين» لأبي عبدالله الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥هـ الذي قصد فيه مؤلفه أن يورد أحاديث على شرط البخاري ومسلم مما لم يذكراه في صحيحيهما، حيث يتبين لنا من مطالعة المختصر وتعليقات الذهبي عليه وتخريجاته يدل على ذلك

---

(١) انظر كتابنا: الذهبي ومنهجه ص ٢١٨.
(٢) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.
(٣) طبقات الشافعية، ج٩ ص١٠٤.

قوله في ترجمة الحاكم في سير أعلام النبلاء[1] : «في المستدرك شيء كثير على شرطهما، وشيء كثير على شرط أحدهما، ولعل مجموع ذلك ثلث الكتاب، بل أقل؛ فإن في كثير من ذلك أحاديث في الظاهر على شرط أحدهما أو كليهما، وفي الباطن لها علل خفية مؤثرة، وقطعة من الكتاب إسنادها صالح وحسن وجيد وذلك نحو ربعه، وباقي الكتاب مناكير وعجائب، وفي غضون ذلك أحاديث نحو المئة يشهد القلب ببطلانها، كنت قد أفردت منها جزءًا، وحديث الطير بالنسبة إليها سماء».

وغالباً ما يقوم الذهبي بتخريج الأحاديث الواردة في الكتب التي يقوم باختصارها، فغالب التخريج في كتاب «تلخيص العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» الذي لخصه من كتاب «العلل» لابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ هو من كلام الذهبي[2] . ولما اختصر الذهبي كتاب «السنن الكبرى» للبيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ تكلم على أسانيد الكتاب بنفائس تَدلُّ على تبحُّرِه بهذا الفن، ووضع رموزاً على الحديث لمن خَرَّجه من أصحاب الصحيحين والسنن الأربع، وخَرَّجَ الأحاديثَ التي لم ترد في هذه الكتب الستة.

وكثيراً ما كان الذهبي يخرج تراجمَ الكتبِ التي يختصرها في علم الرجال، من ذلك ـ مثلاً ـ ماعمله في اختصاره لتاريخ ابن الدبيثي المتوفى سنة ٦٣٧هـ حيثُ زادَ في كثير من تراجمه ولا سيما الرجال الذين أخذوا عن صاحبِ الترجمة، وهو ما أغفله ابن الدبيثي في تاريخه[3] . كما تظهر مقارنات دقيقة بالكتب والتواريخ التي من بابته كتاريخ محب الدين ابن النجار المتوفى سنة ٦٤٣هـ الذي ذَيَّلَ به على تاريخ الخطيب المتوفى سنة ٤٦٣هـ[4] ، ووفيات الأعيان لابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١هـ[5] ، والتكملة لوفيات النقلة

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٧٥ - ١٧٦.

(٢) الذهبي: تلخيص العلل، ورقة ٨٥ (نسخة الأزهر رقم ٢٩٠حديث).

(٣) انظر المختصر المحتاج، مثلاً ج١ ص١٨، ٢٠، ٢١، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٥، ٤٠، ٤٢، ٤٤، ٤٧، ١٠١، ١١٦، ١١٧، ١١٩، ١٤٨، ١٧٩، ١٩٩، ... إلخ.

(٤) انظر المختصر المحتاج، مثلاً ج١ ص٢١، ٤٩، ٥١، ٦٩، ٧٢، ٧٧، ٨٠، ١٠١، ١٣٦، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٨، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٨، ٢٠٠، ٢٠١، ٢١١، ٢١٢، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٢٨، ... إلخ.

(٥) المصدر السابق، مثلاً ج١ ص١٥٨.

لزكي الدين المنذري المتوفى سنة ٦٥٦هـ[١] وغيرها. أو من كتب الشعر ككتاب «الخريدة» للعماد الأصبهاني القرشي المتوفى سنة ٥٩٦هـ[٢]. أو من كتابات كبار العلماء الذين أخذوا عن المترجم له، مثل زكي الدين البرزالي المتوفى سنة ٦٣٦هـ[٣]، وفخر الدين ابن البخاري المتوفى سنة ٦٩٠هـ صاحب «المشيخة» المشهورة[٤]، وشهاب الدين أحمد بن إسحاق الأبرقوهي المتوفى سنة ٧٠١ هـ[٥]، وضياء الدين المقدسي المتوفى سنة ٦٤٣هـ[٦] وغيرهم كثير أو من خطوط العلماء نحو قوله: «قرأت بخط ابن قدامة»[٧]. فضلاً عما أضافَ هو من الأسانيدِ التي قرأها على شيوخه مما يَتَّصلُ بتلك التراجم، وهي إضافةٌ أصيلةٌ للترجمة، فهو حينما يقول مثلاً: «وروى لنا عنه بمصر أبو المعالي الأبرقوهي»[٨] أو «روى لنا عنه أبو العباس ابن الظاهري وأبو الحسين اليونيني وعلي بن عبدالدائم ومحمد بن يوسف الإربلي... إلخ»[٩] فمعنى ذلك أن هؤلاء الشيوخ قد أخذوا عن صاحب الترجمة[١٠].

ومن إضافاته إلى تلك المختصرات أيضاً تواريخ وفيات المترجمين الذين لم يذكُرْ صاحبُ الكتاب الأصلي وفياتهم، فنحن نعلم - مثلاً - أن ابن الدبيثي لم يذكر وفاة أحدٍ ممن ذكرهم في تاريخه ممن تأخرت وفاته عن سنة ٦٢١هـ وهي السنة التي حدث ابن الدبيثي فيها بتاريخه والتي تمثل آخرَ إخراجٍ له[١١]، في حين أن وفيات بعضهم قد تأخرت إلى النصف الثاني من القرن السابع الهجري، فاستخرج الذهبيُّ وفياتهم وذكرها ليكون اختصاره أكمل ولتكون

(١) المصدر نفسه ج١ ص١٧٥.
(٢) المختصر، ج١ ص٢٢٥.
(٣) المختصر، مثلاً ج٢ ص٦٢.
(٤) المصدر نفسه، مثلاً ج٢ ص٦٣.
(٥) المختصر، مثلاً ج٢ ص ٣٦.
(٦) المصدر نفسه، مثلاً ج٢ ص٣٦، ٦٢.
(٧) المصدر نفسه، مثلاً ج١ص٦٥.
(٨) المصدر نفسه، ج١ ص٢١.
(٩) المصدر نفسه، ج١ ص٢٣.
(١٠) انظر مزيداً من الأمثلة، المختصر، مثلاً ج١ ص٧٦، ١٣٠، ١٣٦، ١٤٠، ١٥٢، ٢٢٦، ٢٣١.
(١١) انظر كتابنا: تاريخ بغداد لابن الدبيثي، منهجه، موارده، أهميته، ص٤ (بغداد ١٩٧٤).

معلومات الكتاب أتم[1] . يضاف إلى ذلك أنه يروي بعض الأحاديث الواردة في هذه المختصرات بسنده إذا وجد مجالاً لذلك[2] .

وأعاد الذهبيُّ تنظيمَ بعض الكتبِ التي اختصرها، فحينما اختصر كتاب «الكنى» لأبي أحمد الحاكم المتوفى سنة ٣٧٨هـ أعادَ ترتيبَهُ على حروفِ المعجم بعد أنْ أضافَ إليه أشياء أخرى مما ليس فيه[3] . كما رتب «المجرد من تهذيب الكمال» على عشرة طبقاتٍ ورَتَّبَ كُلَّ طبقةٍ على حروف المعجم، في حين كان كتاب «تهذيب الكمال» للمزي مرتباً على حروف المعجم[4] .

وقد حفظنا من سيرة الذهبي أنه عُني بالقراءاتِ ودرسها على كبارِ شيوخ عصره من المقرئين المشهورين حتى أصبح «الأستاذ الثقة الكبير»[5] فيها. وذكر ابنُ ناصر الدين المتوفى سنة ٨٤٢هـ أنه كان «إماماً في القراءات»[6] . لكننا نلاحظُ في الوقت نفسه أنه لم يتخرج عليه في القراءات سوى عدد قليل جداً[7] . ولعلَّ السببَ في ذلك يعود إلى أنه عُنيَ بهذه الناحية في مطلع حياته العلمية، ثم اتجه بعد ذلك إلى الحديثِ والتاريخ وغيرهما. ولم نعرف من آثاره في هذا الفن غير كتاب «التلويحات في علم القراءات»[8] وكتاب «معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار» الذي هو إلى كتب التراجم أقرب منه إلى القراءات وإنْ كانت محتوياته غالباً ما تتعلقُ بموضوع القراءات. وقد شهد له ابن الجزري بالإحسان فيه[9] ، لذلك سلخه بأجمعه في كتابه «غاية النهاية» كما

---

(١) انظر المختصر المحتاج إليه، مثلاً ج١ ص٧٦، ٨٦، ١٠٦، ١٣٣، ١٥١، ١٥٢، .. إلخ ونجد أيضاً ذكراً لوفيات من يرد اسمه عرضاً في بعض الأحيان ج١ ص١٠٣.

(٢) المختصر المحتاج إليه ج١ ص٤٩، ٦٥.

(٣) انظر مقدمة نسخة فيض الله رقم ١٥٣١ من الكتاب.

(٤) انظر كلامنا على كتاب «المجرد من تهذيب الكمال» في كتابنا الذهبي ومنهجه ٢٣٠.

(٥) ابن الجزري: غاية، ج٢ ص٧١.

(٦) الرد الوافر، ص٣١.

(٧) ابن الجزري: غاية، ج٢ ص٧١، قال: «ولم أعلم أحداً قرأ عليه القراءات كاملاً، بل شيخنا الشهاب أحمد بن إبراهيم المنبجي الطحان قرأ عليه القرآن جميعه بقراءة أبي عمرو والبقرة جمعاً. وروى عنه الحروف إبراهيم بن أحمد الشامي ومحمد بن أحمد ابن اللبان وجماعة. وسمع منه الشاطبية يحيى بن أبي بكر البوني وحدث بها عنه في اليمن».

(٨) انظر كتابنا الذهبي ومنهجه ١٤٠

(٩) غاية، ج٢ ص٧١.

نَصَّ على ذلك في المقدمة[١] ووصفه شمس الدين السخاوي بأنه «كتاب حافل»[٢] . ومع كل ذلك فإنَّ هذا الوجه من حياة الذهبي العلمية هو أضعف الوجوه وأقلها آثاراً.

على أنَّ مكانة الذهبيِّ العلمية وبراعته تظهران في أحسن الوجوه إشراقاً وأكثرها تألقاً عند دراستنا له مُحَدِّثاً يعنى بهذا الفن، فقد مهر الذهبيُّ في علم الحديث وجمع فيه الكتب الكثيرة «حتى كان أكثر أهل عصره تصنيفاً»[٣] . وقد رأينا إقباله العظيم عليه وشَرَهه لسماعِه وذاك العدد الضخم من الشيوخ الذين حوتهم معجماتُ شيوخِه الثلاثة والكتب والأجزاء والمجاميع الكثيرة التي قرأها على الشيوخ أكثر من مرة. وقد فَتحتْ له هذه المعرفةُ الواسعة آفاقاً عظيمةً في هذا الفن فاختصر عدداً كبيراً من الكتب وألَّفَ عدداً أكبر يستبينه الباحثُ عند إلقائه نظرةً على قائمةِ مؤلفاتِه في هذا المجال. كما ألف في مصطلح الحديث كتباً، وخَرَّجَ التخاريجَ الكثيرة من الأربعينات، والثلاثينات، والعوالي، والأجزاء، ومعجمات الشيوخ، والمشيخات، وغيرها مما فَصَّلْنَا القولَ فيه عند كلامنا على آثاره.

ومع أن الذهبي قد عاش في عصرٍ غَلَبَ عليه الجمودُ والنقلُ والتلخيص، فإنه قد تخلَّص من كثيرٍ من ذلك بفضل سعة دراساته وفطنته، قال تلميذه صلاح الدين الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ: «لم أجدْ عنده جُمودَ المحدثين ولا كودنة[٤] النَّقَلَةِ بل هو فقيهُ النظر له دُرْبَةٌ بأقوالِ الناس ومذاهبِ الأئمة من السلف وأرباب المقالات. وأعجبني منه ما يعانيه في تصانيفه من أنه لا يتعدى حديثاً يورده حتى يُبَيِّنَ ما فيه من ضَعْفِ متنٍ أو ظلامِ إسنادٍ أو طعنٍ في رواته، وهذا لم أر غيره يراعي هذه الفائدة فيما يورده»[٥] .

إن هذه البراعة في علم الحديث والتمكن منه ذاك التمكن، جعلت الذهبيَّ ينطلق بعد ذلك يُجَرِّحُ، ويُعَدِّلُ، ويفرع، ويصحح، ويعلل، ويستدرك على

(١) المصدر نفسه، ج١ ص٣.
(٢) الإعلان، ص٥٦٤.
(٣) ابن حجر: الدرر، ج٣ ص٤٢٦.
(٤) الكودنة: البلادة.
(٥) الوافي، ج٢ ص١٦٣.

كبار العلماء[1]، «فدخل في كل باب من أبوابه» على حَدِّ تعبيرِ تلميذِه تاج الدين السبكي[2]، حتى أطلق عليه معاصروه «محدث العصر»[3]. وبلغ اعتراف حافظ عصره الإمام ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ بفضل الذهبي وبراعته إلى درجة أنه شرب ماء زمزم سائلاً الله أنْ يصلَ إلى مرتبة الذهبي في الحفظ وفطنته[4].

ومفهومُ التاريخ عند الذهبيِّ يَتَّصلُ اتصالاً وثيقاً بالحديث النبوي وعلومه، ويظهر ذلك من كتب الرجال التي يطلق الذهبي عليها اسم «التاريخ». وقد أصبح واضحاً أن الغاية الرئيسية من العناية بالرجال تأتي لضبط الرواة أولاً[5]، وهو ما يظهرُ في معظم مقدمات كتبه في هذا الفن، وهو مفهوم ساد عن المحدثين المؤرخين لاسيما في ذلك العصر[6].

وعلى علم الرجال، وعلى آثار الذهبي فيه، قامت شهرتُه الواسعةُ باعتباره مؤرخاً، كما نرى. وقد خلف الذهبيُّ في هذا الفن عدداً ضخماً من الآثار ابتدأها باختصار أمهات الكتب المؤلفة فيه، كالتواريخ المحلية مثل «تاريخ

(١) الحسيني: ذيل تذكرة الحفاظ، ص٣٥.
(٢) الطبقات الوسطى (ترجمة الذهبي من نسخة دار الكتب المصرية رقم ٥٥٤).
(٣) السبكي: الطبقات، ج٩ ص١٠٠، العيني: عقد الجمان، ورقة ٣٧(أحمد الثالث رقم ٢٩١١).
(٤) استناداً إلى حديث رسول الله ﷺ - «ماء زمزم لما شُربَ له» وقد ذكر ذلك تلميذه السخاوي في الإعلان (ص٤٧٢). وقديماً شرب ابن خزيمة المتوفى سنة ٣١١هـ ماء زمزم وطلب علماً نافعاً (الذهبي: تذكرة، ج٢ ص٧٢١). وقال الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥هـ: «شربت ماء زمزم وسألت الله أن يرزقني حُسْنَ التصنيف» (الذهبي: تذكرة، ج٣ ص١٠٤٤). وألف شمس الدين محمد بن طولون الدمشقي المتوفى سنة ٩٥٣هـ رسالة في «التزام ما لا يلزم فيما ورد في ماء زمزم» منها نسخة في خزانة كتب جستربتي في دبلن ضمن مجموع برقم ٣٣١٧.
(٥) انظر كتابنا: «أثر الحديث في نشأة التاريخ عند المسلمين». بغداد، مطبعة الحكومة ١٩٦٦م، وبحثنا: «مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين» المنشور في مجلة الأقلام البغدادية، السنة الأولى، العدد الثالث ١٩٦٥م.
(٦) حينما شعر الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ أن من بين مستدركاته على الذهبي في كتابه «المشتبه» أسماء لشعراء وفرسان في الجاهلية وما أشبه ممن ليست لهم روايةٌ حديثية، اعتذر عن ذلك بقوله: «فإنَّ غالب من ذكرت يأتي ذكره في كتب المغازي والسير والمبتدأ والأنساب والتواريخ والأخبار ولا يستغني طالب الحديث عن ضبط ما يرد في ذلك من الأسماء ولو لم يكن لهم رواية». تبصير المنتبه، ج٤ ص١٥١٣.

مدينة السلام» للخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ، والذيول عليه لابن السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ، وابن الدبيثي المتوفى سنة ٦٣٧هـ، وابن النجار المتوفى سنة ٦٤٣هـ. ومنها أيضاً «تاريخ دمشق» لابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ، و«تاريخ مصر» لابن يونس المتوفى سنة ٣٤٧هـ، و«تاريخ نيسابور» لأبي عبدالله الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥هـ، و«تاريخ خوارزم» لابن أرسلان الخوارزمي المتوفى سنة ٥٦٨هـ. ومن كتب الوفيات: «التكملة لوفيات النقلة» لزكي الدين المنذري المتوفى سنة ٦٥٦هـ وصلته للحسيني المتوفى سنة ٦٩٥هـ. ومن كتب الأنساب: كتاب «الأنساب» لأبي سعد السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ. ومن كتب الصحابة كتاب «أسد الغابة» لابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ. ومن كتب رجال الصحاح والسنن مثل كتاب «تهذيب الكمال في معرفة الرجال» لأبي الحجاج المزي المتوفى سنة ٧٤٢هـ، و«المعجم المشتمل على أسماء شيوخ الأئمة النبل» لابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ وغيرها. فكانت هذه المختصراتُ المادةَ الرئيسةَ التي كَوَّنَتْ شخصيته العلمية ومعرفته بالعصور السابقة. أما تراجم المعاصرين فَيُعَدُّ الذهبيُّ من بين أحسن الذين كتبوا فيهم، وقد أدرك أهميةَ هذا الأمر فكان كتابه «المعجم المختص بالمحدثين» خير دليل على ذلك، ولا عبرة بعد ذلك بمن انتقده لتناوله التاريخ المعاصر كابن الوردي[1] ، لأنَّ هذا هو التاريخ الأكثر أهمية وخطراً، وهو الذي يعطي المؤرخَ أهميته البالغة بين المؤرخين ويميزه عن غيره.

لقد أنتجت هذه المعرفةُ الرجالية الواسعة مؤلفات كثيرة لعل من أهمها كتابه العظيم «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» الذي هو إلى كتب الرجال أقرب منه إلى التاريخ بمفهومه الحديث كما سيأتي بيانه في فصول قادمة، ثم ذلك العدد الضخم من المؤلفات التي سوف نُفَصِّلُ القولَ فيها في فصل آتٍ.

ولعل مما يميز الذهبي عن غيره من بعض مؤلفي كتب الرجال أنه لم يقتصر في تأليفه على عصرٍ معين، أو فئةٍ معينة، أو تنظيم معين، بل تناولت

---

(١) ابن الوردي: تتمة المختصر، ج٢ ص٣٤٩.

مؤلفاتُه رجالَ الإسلام من أولِ ظهورهِ حتى عصره، بله المعاصرينَ له. وهو في كتابته للترجمة فنانٌ تراجميٌّ مليء بفن التراجم يجد الباحثُ فيها دقةً متناهيةً في التعبير وحبكاً للترجمة تشدُّ القارىء إليها مع تعدد الموارد وانتقاء لأفضلها، وإبداء لآرائه الشخصية فيها[١].

وقد عانى الذهبيُّ كتابة «السيرة» وهو فَنٌّ خاص له مميزاته التي تجعله يختلف عن كتابة «الترجمة» المجردة، فكتب في سير الخلفاء الراشدين، وأئمة الفقه، والحديث، وغيرهم.

ومعرفة الذهبي الواسعة في الرجال دفعت تاج الدين السبكي الذي انتقده في بعض المواضع إلى القول: «إنه كان شيخَ الجرحِ والتعديل ورجل الرجال، وكأنما جُمعت الأمةُ في صعيدٍ واحد فنظرها ثم أخذ يعبر عنها إخبار مَنْ حَضَرها»[٢]. وقد ازداد شأنه بعد عصره بحيث اعتبر هو والمزي مؤرخي القرن الثامن اللذين لا ينافسهما أحد[٣]، وعَدَّهُ الإمامُ السيوطيُّ المتوفى سنة ٩١١هـ رأسَ طبقةٍ ذكر فيها القطب الحلبي المتوفى سنة ٧٣٥هـ وابن سيد الناس المتوفى سنة ٧٣٤هـ وشمس الدين المقدسي المتوفى سنة ٧٤٤هـ وتقي الدين السبكي المتوفى سنة ٧٥٦هـ وعلم الدين البرزالي المتوفى سنة ٧٣٩هـ وشهاب الدين النابلسي المتوفى سنة ٧٥٨هـ[٤]، وهم من أعلام الحُفَّاظِ المحدثين المؤرخين، وذكر أن المحدثين في عصره عيالٌ في الرجال وغيرها من فنون الحديث على أربعةٍ أحدهم الذهبي[٥].

ومع أن براعة الذهبي التاريخية أكثر ما ظهرت في الرجال فإنه قد درس التاريخ السياسي، واختصر عدداً من المؤلفات الرئيسة فيه مثل تاريخ أبي شامة المتوفى سنة ٦٦٥هـ وتاريخ أبي الفدا المتوفى سنة ٧٣٢هـ وغيرهما، وأفاد من معظم التواريخ المعروفة في عصره ودرسها كسيرة ابن إسحاق المتوفى سنة ١٥١هـ وتواريخ: الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ وابن الأثير المتوفى سنة

---

(١) انظر الباب الثاني من هذا البحث عند كلامنا على منهج الذهبي في تاريخ الإسلام.
(٢) السبكي: طبقات، ج٩ ص١٠١.
(٣) السخاوي: الإعلام، ص٢٠٤.
(٤) السيوطي: طبقات الحفاظ، ورقة ٨٥ فما بعد (نسخة الإسكندرية).
(٥) المصدر نفسه، ورقة ٨٦.

٦٣٠هـ وابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ وغيرها مما يَطُولُ تَعدادُه[١] . وقد ظهرت هذه الكتابات في تواريخه المرتبة على الحوادث والوفيات مثل «تاريخ الإسلام» و«العبر» و«دول الإسلام» وغيرها. ونَستبينُ من نطاقِ كتاباتِه هذه أنه كان مؤرخاً جَوَّالَ الذهنية استطاع استيعابَ عصورِ التاريخِ الإسلامي من أول ظهوره حتى زمانه الذي كتب فيه مؤلفاته، وهي فترةٌ تزيد على السبعة قرون، فألف في كل هذه العصور بعد أنْ درسها دراسةً عميقةً قامت على دعامتين رئيستين هما: الرواية الشفوية والكتب. وهذا أمرٌ لم يتأت لكثيرٍ من العلماء الذين سبقوه أو عاصروه. وحينما كتب الذهبيُّ كتابه «تذكرة الحفاظ» ورتبه على الطبقات تكلم في نهاية أكثرها على الأوضاعِ السياسيةِ والثقافية والاجتماعية والاقتصادية في الوقت الذي تناولته فأَجملَ الأوضاعَ العامةَ بفقراتٍ قليلة دللت على سَعَةِ أُفقهِ التاريخي وقدرته الفائقة على تصوير حقبةٍ كاملة من الزمن وعلى امتداد العالم الإسلامي المترامي الأطراف بعبارةٍ وجيزة. وهذا أمرٌ لا يتأتى إلا لمن استوعبَ العصرَ ودرسه دراسةً عميقة بحيث حصل له مثل هذا التصور والفهم العام[٢] .

ثم إن هذه المعرفة الرجالية الواسعة مع ما أُوتيَ من ذكاءٍ وإدراك واسعين جعلت منه ناقداً رجالياً ماهراً، تدل على ذلك مؤلفاته في النقد وأصوله والتي من أبرزها كتابه العظيم «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» الذي اعتبره معاصروه[٣] ومَنْ جاء بعدهم[٤] من أحسن كتبه وأجلها. وقد تناوله عددٌ كبيرٌ من الحفاظ والعلماء والمعنيين بالنقد استدراكاً وتعقيباً وتلخيصاً بحيث قال شمس الدين السخاوي: «وعَوَّلَ عليه مَنْ جاء بعده»[٥] .

وللذهبيِّ التفاتاتٌ بارعة في أصول النقد؛ فقد ألف رسالة في «ذِكر مَنْ يعتمد قولُه في الجرح والتعديل» تكلم فيها على أصول النقد وطبقات النقاد

(١) انظر أدناه كلامنا على نهج الذهبي في الموارد.
(٢) انظر مثلاً الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١ ص٧٠، ١٥٨-١٦٠، ٢٤٤، ٣٢٨، ج٢ ص٥٣٠، ٦٢٧-٦٢٨، ج٤ ص١٢٦٦، ١٤٨٥.
(٣) السبكي: طبقات، ج٩ ص١٠٤، الحسيني: ذيل تذكرة الحفاظ ص٣٥.
(٤) ابن حجر: لسان الميزان، ج١ ص٤.
(٥) الإعلان، ص ٥٨٧.

وكيفية أخذ أقوالهم[١] . وأورد في مقدمة «الميزان» عبارات الجرح والتعديل من أعلى مراتبها إلى أدناها وبَيَّنَ مدلولاتها في النقد[٢] . وهو في كتبه يشرح بعض هذه الأصول، من ذلك مثلاً ما ذكره في ترجمة أبان بن تغلب الكوفي، قال: «شيعيٌّ جَلْدٌ، لكنه صَدوقٌ، فلنا صِدْقُه وعليه بدعته. وقد وَثَّقَهُ أحمد بن حنبل، وابنُ معين، وأبو حاتم، وأورده ابن عدي، وقال: كان غالياً في التشيع. وقال السعدي: زائغ مجاهر. فلقائلٍ أنْ يقولَ: كيف ساغ توثيقُ مبتدع وحَدُّ الثقةِ العدالةُ والإتقان؟ فكيف يكون عدلاً مَنْ هو صاحب بدعة؟ وجوابه أن البدعة على ضربين: فبدعة صغرى كَغُلُوِّ التشيع، أو كالتشيع بلا غلو ولا تحرق[٣] ، فهذا كثيرٌ في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق، فلو رُدَّ حديثُ هؤلاء لذهب جملةٌ من الآثار النبوية، وهذه مَفْسَدَةٌ بينةٌ. ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل والغلو فيه، والحط على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، والدعاء إلى ذلك، فهذا النوعُ لا يُحْتَجُّ بهم ولا كرامة. . ولم يكن أبان ابن تغلب يَعْرِضُ للشيخين أصلاً، بل قد يعتقد علياً أفضل منهما»[٤] . وقال في ترجمة أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني: «أَحَدُ الأعلامِ صَدوقٌ، تُكُلِّمَ فيه بلا حجةٍ، ولكن هذه عقوبةٌ من الله لكلامه في ابن مندة بهوى، قال الخطيب: «رأيت لأبي نعيم أشياء يتساهل فيها، منها أنه يطلق في الإجازة أخبرنا ولا يبين. قلت (يعني الذهبي): هذا مذهبٌ رآه أبو نعيم وغيره، وهو ضربٌ من التدليس. وكلام ابن مندة في أبي نعيم فظيع، لا أُحبُّ حكايته، ولا أقبلُ قولَ كُلٍّ منهما في الآخر، لا أعلم لهما ذنباً أكثر من روايتهما الموضوعات ساكتين عنها. . . قلتُ: كلامُ الأقران بعضهم في بعض لا يُعْبَأُ به، لاسيما إذا لاحَ لكَ أنه لعداوةٍ أو لمذهبٍ أو لحسد، ما ينجو منه إلا مَنْ عصم الله، وما علمتُ أنَّ عصراً من الأعصار سلم أهله من ذلك، سوى الأنبياء والصديقين، ولو شئتُ لسردتُ من ذلك كراريسَ، اللهم فلا تجعلْ في قلوبنا غلاً للذين

(١) نسخة أيا صوفيا رقم ٢٩٥٣، ونشرها صديقنا العلامة الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، وطبعت أربع طبعات.

(٢) ميزان الاعتدال، ج١ ص٣-٤.

(٣) لعل هذا هو الأصوب في قراءتها، وفي الأصل: «تحرف» بالفاء.

(٤) ميزان الاعتدال، ج١ ص٥-٦ وانظر أمثلة أخرى في معجم الشيوخ م ١ الورقة ٢٥٦، م ٢ الورقة ٧٢.

آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم»[١] .

ولم يكن الذهبي ليصدر اتباعاً لآراء الآخرين في النقد فهو يخالفهم في بعض الأحيان حين لا يجد لآرائهم من سندٍ قوي يؤيدها؛ فمن ذلك ـ مثلاً ـ ما جاء في ترجمة زيد بن وهب الجهني، أحد التابعين، وهو الذي تكلم فيه أبو يعقوب الفسوي في «تاريخه» وذكر أن في حديثه خللاً كبيراً، فقال: «ولا عبرةَ بكلام الفسويِّ»[٢] وأورد في «ميزان الاعتدال» مآخذَ الفسوي عليه ورَدَّ عليها ثم قال: «فهذا الذي استنكره الفسويُّ من حديثه ما سُبق إليه، ولو فتحنا هذه الوساوس علينا لرددنا كثيراً من السنن الثابتة بالوهم الفاسد»[٣] والميزان مليءٌ بمثل هذه النقدات لا مجال لتكثيرِ الأمثلةِ منها.

ولم يقتصر نقد الذهبي على الرجال حسب، بل تَعَدَّى ذلك إلى نقدِ الموارد التي يطالعها أو يختصرها أو يأخذ منها، وهو ما يعرف اليوم بنقد المصادر؛ من ذلك مثلاً نقده لكتاب «الضعفاء» لابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ الذي اختصره وذَيَّلَ عليه، فقال في ترجمة أبان بن يزيد العطار: «قد أورده أيضاً العلامة ابن الجوزي في الضعفاء ولم يذكر فيه أقوال مَنْ وثقه. وهذا من عيوبِ كتابهِ يسردُ الجرحَ ويسكتُ عن التوثيق»[٤] . وقال في ترجمة حفص بن بغيل من الميزان: «قال ابن القطان: لا يعرف له حال ولا يعرف. قلت: لم أذكر هذا النوع في كتابي هذا؛ فإنَّ ابن القطان يتكلم في كل مَنْ لم يقل فيه إمامٌ عاصَرَ ذاك الرجلَ أو أخذ عمن عاصره مما يدلُّ على عدالته. وهذا شيء كثير، ففي الصحيحين من هذا النمط خَلْقٌ كثير مستورون، ما ضَعَّفَهُمْ أحدٌ ولا هُمْ بمجاهيل»[٥] . وانتقد الذهبيُّ كتاب «الضعفاء» لأبي جعفر بن عمرو العقيلي المتوفى سنة ٣٢٢هـ لإيرادِه بعضَ الثقاتِ ومنهم حافظ عصره

(١) نفسه، ج١ ص١١١ وانظر تاريخ الإسلام، الورقة ٢٣٤ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).
(٢) الذهبي: تذكرة، ج١ ص٦٧.
(٣) الذهبي: ميزان الاعتدال، ج٢ ص١٠٧ وانظر: تاريخ الإسلام، الورقة ٤٨٥ (أيا صوفيا ٣٠٠٩).
(٤) المصدر نفسه، ج١ ص١٦. وقد تكلم في هذه المسألة ابن حجر في اللسان فراجعه هناك تجد فائدة.
(٥) ميزان الاعتدال، ج١ ص٥٥٦.

عليّ ابن المديني المتوفى سنة ٢٣٤هـ فقال في ترجمة ابن المديني من الميزان: «ذكره العقيلي في كتاب الضعفاء فبئس ما صنع» ورد عليه حينما نقل قولَ عبدالله بن أحمد بن حنبل: «كان أبي حدثنا عنه، ثم أمسك عن اسمه... ثم ترك حديثه»، بقوله: «بل حديثه عنه في مسنده» وهذا رَدٌّ مفحمٌ من الذهبي، بل قال بعد ذلك: «وهذا أبو عبدالله البخاري ـ وناهيك به ـ قد شحَنَ صحيحه بحديث ابن المديني»[١]. ولا يقتصر الذهبيُّ في نقد الكتب على إيراد مساوئها، بل كثيراً ما يذكر محاسنها ومميزاتها؛ فقد سبق أنْ قال إنَّ كتاب العقيلي مفيد[٢]، وقال عن كتاب «الكامل» لابن عدي المتوفى سنة ٣٦٥هـ إنه «أكمل الكتب وأجملها في ذلك»[٣]، وقال في ترجمة الدارقطني المتوفى سنة ٣٨٥هـ: «وإذا شئتَ أنْ تتبين براعةَ هذا الإمام الفرد فطالع العلل له فإنك تندهش ويطول تعجبك»[٤].

ونحن نعلم أيضاً أنَّ الذهبيَّ قد عانى في تآليف خاصة رَدَّ بها على كتب معينة، فقد ألف كتاباً في الرد على ابن القطان المتوفى سنة ٦٢٨هـ[٥]. كما ألف كتاب «مَنْ تُكُلِّمَ فيه وهو مُوَثَّقٌ» رَدَّ به على جملة من كتب الضعفاء.

وبسببِ هذا الذي قدمنا ذكره من براعة الذهبي في النقد والتمكن منه، فقد أصبح «شيخ الجرح والتعديل» كما ذكر تاج الدين السبكي[٦]. وقال ابن ناصر الدين المتوفى سنة ٨٤٢هـ: «ناقد المحدثين وإمام المعدلين والمجرحين... وكان آيةً في نقد الرجال، عمدةً في الجرح والتعديل»[٧]، وقال شمس الدين السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢هـ: «وهو من أهل الاستقراء التام في نقد الرجال»[٨]، فأصبحت أقوالُ الذهبيِّ فيمن يترجمُ لهم تُعتبرُ عند النقاد

(١) ميزان الاعتدال، ج٣ ص١٣٨-١٤٠.
(٢) المصدر نفسه، ج١ ص٢.
(٣) المصدر نفسه، ج١ ص٢.
(٤) تذكرة الحفاظ، ج٣ ص٩٩٣-٩٩٤.
(٥) الذهبي: الرد على ابن القطان، (نسخة الظاهرية، مجموع رقم ٧٠).
(٦) الطبقات، ج٩ ص١٠١.
(٧) الرد الوافر، ص٣١.
(٨) الإعلان، ص٧٢٢.

والمؤرخين الذين جاؤوا بعده أقصى حدودِ الاعتبار، وظهرتْ بصورةٍ جلية في المؤلفات التي كتبتْ بعد عصره، ولا سيما في مؤلفات مؤرخ القرن التاسع وحافظه ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ[١].

وتطالعنا عند قراءة كتب الذهبي العديد من الأمثلة التي تدل على قوته في البحث والاستدلال، ومناقشة آراء الغير بروح علميٍّ يعتمدُ الدليلَ والإقناع، من ذلك ـ مثلاً ـ مناقشته لمن اتهم الحافظ أبا حاتم محمد بن حبان البستي التميمي المتوفى سنة ٣٥٤هـ بالزندقة لقوله: «إنَّ النبوة هي العلم والعمل» وما تبع ذلك من كتابةِ الخليفةِ أمراً بقتله لهذا السبب، قال الذهبيُّ: «وهذا أيضاً له مَحْملٌ حَسَنٌ ولم يرد حصر المبتدأ بالخبر، ومثله: الحج عرفة. فمعلومٌ أنَّ الرجلَ لا يصيرُ حاجاً بمجردِ الوقوفِ بعرفة، وإنما ذكر مهمَّ الحجِّ، ومهمَّ النبوة؛ إذْ أكملُ صفاتِ النبيِّ العلم والعمل، ولا يكون أحد نبياً إلا أنْ يكون عالماً عاملاً. نعم، النبوةُ موهبةٌ من الله تعالى لمن اصطفاه من أولي العلم والعمل لا حيلةَ للبشرِ في اكتسابها أبداً، وبها يتولَّدُ العلمُ النافع الصالح، ولا ريبَ أنَّ إطلاق ما نقل عن أبي حاتم لا يسوغ، وذلك نفس فلسفي»[٢]. ومن الأمثلة الطريفة أيضاً مناقشته لمسألة معرفة النبي ﷺ الكتابة، فقال في ترجمة الحافظ العلامة أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي المتوفى سنة ٤٧٤هـ: «ولما تكلم أبو الوليد في حديث الكتابة يوم الحديبية الذي في البخاري قال بظاهر لفظه، فأنكر عليه الفقيه أبو بكر ابن الصائغ، وكَفَّرَهُ بإجازةِ الكَتْبِ على رسولِ الله ﷺ النبيِّ الأمي وأنه تكذيبٌ بالقرآن، فتكلم في ذلك مَنْ لم يفهم الكلام حتى أطلقوا عليه الفتنةَ وقَبَّحُوا عند العامة ما أتى به وتكلَّم به خطباؤهم في الجُمع وقال شاعرهم:

برئتُ ممن شَرَى دنيا بآخرةٍ ... وقال: إنَّ رسول الله قد كتبا

وصنف أبو الوليد رسالةً بَيَّنَ فيها أن ذلك غير قادحٍ في المعجزة فرجع بها جماعة. قلتُ: ما كُلُّ مَنْ عرف أنْ يكتبَ اسمه فقط بخارجٍ عن كونه أمياً لأنه

---

(١) انظر مثلاً كتابه: «لسان الميزان».

(٢) الذهبي: تذكرة، ج ٣ ص ٩٢١-٩٢٢، وانظر أيضاً ميزان الاعتدال، ج٣ ص٥٠٧-٥٠٨ ففيه تفصيل أكثر في هذه المسألة.

لا يسمى كاتباً. وجماعة من الملوك قد أدمنوا في كتابة العلامة وهم أميون، والحُكْمُ للغَلَبةِ لا للصورة النادرة، فقد قال عليه السلام: «إنَّا أمةٌ أمية» أي أكثرهم كذلك لندور الكتابة في الصحابة، وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴿٢﴾ ﴾[1] [الجمعة] وقال في موضع آخر معقباً على هذه المسألة أيضاً: «قلتُ: وما المانعُ من جوازِ تعلم النبيِّ ﷺ يَسيرَ الكتابةِ بعد أنْ كان أمياً لا يدري ما الكتابة، فلعله لكثرةِ ما أملى على كتاب الوحي وكتاب السنن والكتب إلى الملوك عَرَفَ من الخَطِّ وفهمه وكتبَ الكلمةَ والكلمتين كما كتبَ اسمه الشريف يوم الحديبية محمد بن عبدالله، وليست كتابتُه لهذا القَدْرِ اليسيرِ ما يُخْرِجُه من كونه أمياً ككثيرٍ من الملوك أميين ويكتبون العلامة»[2]. ومثل هذا كثير في كتب الذهبي.

وقد حفظنا من سيرة الذهبي أنه كان حنبليَّ العقيدةِ قد أثَّرَتْ فيه البيئةُ الدمشقيةُ وصُحْبَتُه لشيخِ الإسلام ابن تيمية. ومع أنَّ الذهبي لم يكن متحمساً للخوض في مضايق العقائد ويعتبر السكوت فيها أوْلى وأسلم[3]، لكنه في الوقت نفسه أبدى آراءه في كثير من المواضع، وألف فيها. وقد اعتبر «الاعتزال بدعة»[4] وهاجم الفلاسفة اليونانيين هجوماً عنيفاً[5]. وكان على غايةٍ من الإعجابِ بأعمالِ السلف وإنجازاتهم[6]، واهتم اهتماماً كبيراً بذكر أخبار العلماء في المحنة التي أُصيبوا بها حينما أعلن المأمونُ رأيه وألزم الناسَ القولَ بخلقِ القرآن، وبَيَّنَ مواقفهم الجريئة من هذا الأمر[7].

لقد اختصر الذهبيُّ عدداً من الكتب المهمة في العقائد منها ـ مثلاً ـ كتاب «البعث والنشور» وكتاب «القدر» اللذان للبيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ، وكتاب «الفاروق في الصفات» لشيخ الإسلام الأنصاري المتوفى سنة ٤٨١هـ، وكتاب

---

(١) الذهبي: تذكرة، ج٣ ص١١٨١-١١٨٢.
(٢) المصدر نفسه، ج٢ ص٧٤٢.
(٣) تذكرة، ج٢ ص٦٠٠، ج٤ ص١٤٩٩.
(٤) انظر مثلاً تذكرة الحفاظ، ج٣ ص١١٢٢.
(٥) أهل المئة فصاعداً، ص١١٥.
(٦) تذكرة الحفاظ، ج٢ ص٦٢٧-٦٢٨.
(٧) انظر مثلاً تذكرة، ج١ ص٤٧٦، ٤٧٧، ٥٦١، ٥٨٩، ج٢ ص٧٣٠، ٧٣٣، ٧٤٧، . . إلخ.

«منهاج الاعتدال في نقص كلام أهل الرفض والاعتزال» لرفيقه وشيخه تقي الدين ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ.

وخَلَّفَ الذهبيُّ عدداً من الآثار في هذا العلم منها كتاب «الكبائر وبيان المحارم» وكتاب «الأربعين في صفات رب العالمين» وكتاب «العرش» و«كتاب مسألة الوعيد» وغيرها. ولعل من أشهرها كتابه المعروف «العُلُوُّ للعليِّ الغفار» الذي يُعَدَّ أوسعَ هذه الكتب وأكثرها شهرة.

بحث الذهبيُّ العقائد على طريقة السلف من أهل الحديث، فكانت المادة الرئيسة التي تكون هذه الكتب والأدلة المستعملة فيها من الأحاديث النبوية الشريفة. وقد انْتُقِدَ الذهبي من قبل مخالفيه على تأليفه لبعض هذه الكتب واعتقاده مثل هذه العقائد، قال الشيخ محمد زاهد الكوثري عن كتاب «العلو»: «ولو لم يؤلفه لكان أحسن له في دينه وسمعته لأنَّ فيه مآخذ كثيرة، وقد شهر عن الذهبيّ أنه كان شافعيَّ الفروع حنبليَّ المعتقد»[١].

ولم يشتهر الذهبي بوصفه فقيهاً أو عالماً بالفقه مع أنه درسه على أعلام العصر آنذاك مثل الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني وبرهان الدين الفزاري وكمال الدين ابن قاضي شهبة وغيرهم[٢]. وقد ألف في أصوله، وعني باختصار كتاب «المحلى» لابن حزم[٣]، وهو من كبار الكتب الفقهية، وألف عدداً من الكتب والأجزاء التي تناولت موضوعات فقهية، وكانت له فيه خواطر وآراء ونقدات جاءت في ثنايا كتبه، من ذلك مثلاً كلامُه في مسألة الطلاق ومناقشته لابن تيمية[٤]. وهو كغيره من علماء الحنابلة يعتبرُ القرآنَ والحديثَ هما أساس الفقه، ويظهر مفهوم الفقه عند الذهبي واضحاً في بيتين من الشعر له ذكرهما غيرُ واحدٍ ممن ترجمَ له وهما:

الفقه قال اللهُ قال رسولُه ... إنْ صَحَّ والإجماع فاجهدْ فيه
وحذارِ من نصبِ الخلافِ جهالةً ... بين النبيِّ وبين رأيِ فقيهِ[٥]

---

(١) ذيل تذكرة الحفاظ، ص٣٤٨ هامش ٢.
(٢) انظر أعلاه كلامنا على سيرته ورونق الألفاظ لسبط ابن حجر، ورقة ١٨٠.
(٣) وهو كتاب «المستحلى في اختصار المحلى» وانظر كتابنا الذهبي ومنهجه ٢٥٠ - ٢٥١.
(٤) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٢ ص٧١٣-٧١٥.
(٥) ابن ناصر الدين: الرد الوافر، ص٣١، الصفدي: الوافي، ج٢ ص١٦٦.

وهذا الذي قدمناه لا يعني أنَّ الذهبيَّ لم يكن عارفاً بالفقه، لكنه كان عَزُوفاً عنه لانشغاله بالحديث وروايته الذي هو الأصل الثاني للفقه، قال ابن ناصر الدين المتوفى سنة ٨٤٢هـ: «له دُربةٌ بمذاهبِ الأئمةِ وأربابِ المقالات قائماً بين الخلف ينشر السنة ومذهب السلف»[١].

ولغةُ الذهبيِّ في كتبه لغةٌ جيدة قياساً بالعصر الذي عاش فيه، ويكفي أننا قَلَّما وجدنا له لحناً في كتبه. وهو باعتباره محدثاً كبيراً وناقداً ماهراً دقيق في تعابيره، لما لذلك من أهمية في وضعِ الكلمةِ المناسبة أو العبارة في موضعها الملائم لا سيما في تحبير التراجم، فضلاً عن أسلوبه السلس الممتع لمن أدمنَ قراءةَ مثل هذه الكتب.

وقد عني الذهبيُّ في مطلع حياته العلمية برواية الشعر وأورد طائفةً من الأشعار عن شيوخه[٢]. وذكرت لنا مصادر ترجمته بعضاً من نظمه في المدح[٣]، والرثاء[٤]. وله شعر تعليمي، فقد علمنا أنه نظم أسماء المدلسين بقصيدة أوردها السبكي في طبقاته[٥]، كما نظم أسماء الخلفاء بقصيدة أخرى[٦]. وكان كثير الاعتناء بالشعراء تدل على ذلك تراجمهم الواسعة في كتابه «تاريخ الإسلام» والنماذج الشعرية الكثيرة التي أوردها وعنايته الفائقة بتتبع دواوين الشعراء بحيث قال في ترجمة أبي الحسن محمد بن المظفر

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) انظر مثلاً معجم الشيوخ، م١ الورقة ٣، ٧، ١٥، ٢٠، ٢٤، ٢٩، ٣٤، ٣٥، ٤٥، ٤٨، ٥٢، ٥٥، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٥، و٦٦، ٦٩، ٧٥، ٧٧، ٨١، ٨٣، ٨٩، م٢ الورقة ١-٦، ١١، ١٢، ٣٠، ٣٣، ٣٦، ٤٠، ٥٢، ٥٦، ٥٩، ٦٠، ٦٦، ٧٤، ٨٥، ٨٦، ٨٨، ٩٦-٩٩.

(٣) من بين الذين مدحهم الذهبي ووصل إلينا شعره فيهم: إسحاق بن أبي بكر بن إبراهيم الأسدي الحلبي الحنفي النحاس المتوفى سنة ٧١٠هـ (معجم الشيوخ، م١ ورقة ٣٤) وتقي الدين السبكي المتوفى سنة ٧٥٦هـ وولده التاج المتوفى سنة ٧٧١هـ (طبقات السبكي، ج٩ ص١٠٦، والسيوطي: طبقات الحفاظ، ورقة ٨٦) ومعجم البرزالي (ابن ناصر الدين: الرد الوافر، ص١٢٠).

(٤) من ذلك قصيدته في رثاء رفيقه وشيخه ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ (ابن ناصر الدين: الرد الوافر، ص٣٥-٣٦، والتبيان، ورقة ١٦٥).

(٥) ج٩ ص١٠٧-١٠٩.

(٦) ينظر كتابنا: الذهبي ومنهجه ١٣٢.

البغدادي الخرقي في وفيات سنة ٤٥٥هـ «ولا يكاد يوجد ديوانه»[١] .

كان للذهبيِّ خط متقن قد أعجب به علم الدين البرزالي منذ أن بدأ الذهبي بطلب العلم[٢] . وقد وصل إلينا الكثير من كتبه وكتب غيره مكتوباً بخطه، وهو وإنْ لم يكن جميلاً مراعياً لأصولِ الخطاطين والكتاب، لكنه يمتازُ بالدقة والإتقان لا سيما للذي يُدْمِنُ عليه.

وعُرِفَ الذهبيُّ بزهدِه وورعه وديانته المتينة، وقد رأينا عند دراستنا لمجمل سيرته أنه كان يأنسُ إلى الاجتماع بمشاهير الفقراء والصوفية من ذوي الديانة والتمسك بالآثار، قال تلميذه تقي الدين ابن رافع السلامي المتوفى سنة ٧٧٤هـ: «كان خيراً صالحاً متواضعاً حسن الخلق حلو المحاضرة، غالب أوقاته في الجمع والاختصار والاشتغال بالعبادة. له وردٌ بالليل وعنده مروءةٌ وعصبية وكرم»[٣] . وقال الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ: «مع ما كان عليه من الزهد التام والإيثار العام والسبق إلى الخيرات والرغبة بما هو آت»[٤] ويكفي الذهبيَّ أنه أفنى حياته في دراسة حديثِ رسولِ الله ﷺ وتدريسه.

لقد أصبحت كتبُ الذهبيِّ متداولةً في عصره والعصور التالية له، واعتبرت من أعظمِ المواردِ التي استقى منها الكُتَّابُ الذين جاؤوا بعده، قال ابن حجر: «ورغب الناس في تواليفه ورحلوا إليه بسببها وتداولوها قراءةً، ونسخاً، وسماعاً»[٥] ، وقال تلميذه الحسيني: «وقد سار بجملة منها الركبانُ في أقطار البلدان»[٦] وحسبنا أنْ نلقي نظرةً عجلى على المستدركات والتلخيصات والذيول التي عُملت على كتبه لندرك أهميتها البالغة.

وكان الذهبيُّ مدرسةً قائمة بذاتها خَرَّجت العديدَ من الحُفَّاظِ والعلماء. وقد أتاحتْ له معرفتُه العظيمةُ الواسعة بالحديثِ وعلومِه والتاريخ وفنونه مكانةً مرموقةً بين أساتيذ العصر، فأَمَّهُ طلبةُ العلم من كُلِّ حدبٍ وصوب. ونحن نعلم

---

(١) تاريخ الإسلام، ١٠/ ٦٥ (من طبعتنا).
(٢) الذهبي: معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٢٥، ابن حجر: الدرر، ج٣ ص٣٢٣.
(٣) سبط ابن حجر: رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.
(٤) عقود الجمان (نسخة مكتبة فاتح رقم ٤٤٣٥).
(٥) ابن حجر: الدرر، ج٣ ص٤٢٧.
(٦) ذيل تذكرة الحفاظ، ص٣٦.

أنَّ الذهبيَّ تولى مناصبَ تدريسية كثيرة نعرفُ منها مشيخةَ الحديث في تربة أم الصالح، ودار الحديث الظاهرية، والمدرسة النفيسية، ودار الحديث التنكزية، ودار الحديث الفاضلية، ودار الحديث العروية. وقد أتاحت له هذه المناصبُ أن يدرس عليه عددٌ كبيرٌ من الطلبةِ يفوقُ الحصرَ، قال تلميذه الحسيني: «وحمل عنه الكتابَ والسُّنَّةَ خلائق»[١] وقال ابن قاضي شهبة الأسدي: «سمع منه السبكي والبرزالي والعلائي وابن كثير وابن رافع وابن رجب وخلائق من مشايخه ونظرائه.. وتخرج به حفاظ»[٢]. وإنَّ كُتُبَ القرنِ الثامن لتزخرُ بمئاتٍ من تلاميذِ الذهبيِّ النُّجُبِ لم نجد في إيرادهم كثيرَ فائدةٍ في مثل هذا البحث.

ونرى من المفيد أنْ نقتطفَ في نهاية هذا الفصل آراء العلماء فيه لما لذلك من أهمية في تقويمه، وكنا نقلنا في أثناء هذا البحث بعضاً منها، فقد وصفه رفيقُه وشيخه علم الدين البرزالي المتوفى سنة ٧٣٩هـ في معجم شيوخه ـ والذهبي ما زال في مطلع حياته العلمية ـ بقوله: «رجلٌ فاضل، صحيح الذهن. اشتغل ورحل، وكتب الكثير. وله تصانيف واختصارات مفيدة. وله معرفةٌ بشيوخ القراءات»[٣]. وقال تلميذه صلاح الدين الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ: «الشيخ الإمام العلامة الحافظ شمس الدين أبو عبدالله الذهبي. حافظٌ لا يُجارى ولافظ لا يبارى، أتقنَ الحديثَ ورجاله، ونظر علله وأحواله، وعرَّف تراجم الناس، وأزالَ الإبهام في تواريخهم والإلباس. ذِهْنٌ يَتوقَّدُ ذكاؤه، ويصحُّ إلى الذهب نِسْبتُه وانتماؤه. جمع الكثير، ونَفعَ الجَمَّ الغفير، وأكثر من التصنيف، ووفر بالاختصار مؤونة التطويل في التأليف... اجتمعتُ به وأخذتُ عنه وقرأت عليه كثيراً من تصانيفه ولم أجد عنده جمود المحدثين ولا كودنة النقلة»[٤].

وعلى الرغم من مخالفة تاج الدين السبكي لشيخه الذهبي في بعض المسائل وَرَدِّهِ عليه، فإنه قال في حقه: «شيخنا وأستاذنا، الإمام الحافظ... محدث العصر. اشتمل عصرنا على أربعة من الحفاظ، بينهم عموم

---

(١) ذيل تذكرة الحفاظ، ص٣٦.
(٢) الإعلام، م١ ورقة ٩٠ (نسخة باريس ١٣٩٨).
(٣) سبط ابن حجر: رونق الألفاظ، ورقة ١٨٠.
(٤) الوافي، ج٢ ص١٦٣.

وخصوص: المزي والبرزالي والذهبي والشيخ الإمام الوالد، لا خامس لهؤلاء في عصرهم... وأما أستاذنا أبو عبدالله فنضيرٌ لا نظيرَ له، وكبير[1] هو الملجأ إذا نزلت المعضلة، إمامُ الوجود حفظاً، وذَهَبُ العصر معنىً ولفظاً، وشيخ الجرح والتعديل ورجل الرجال في كل سبيل... وهو الذي خَرَّجَنا في هذه الصناعة، وأدْخَلَنا في عداد الجماعة»[2]، وقال أيضاً: «وسمع منه الجمعُ الكثير. وما زال يخدم هذا الفن إلى أنْ رسخت فيه قَدَمُه، وتَعب الليلُ والنهار وما تعبَ لسانُه وقلمه، وضُربت باسمه الأمثالُ وسار اسمه مسيرَ لقبه الشمس إلا أنه لا يتقلصُ إذا نزل المطر، ولا يُدْبرُ إذا أقبلت الليالي. وأقام بدمشق يرحل إليه من سائر البلاد وتناديه السؤالات من كل نادٍ»[3] ووصفه تلميذه الحسيني المتوفى سنة ٧٦٥هـ بأنه «الشيخ الإمامُ العلامة شيخ المحدثين قدوة الحفاظ والقراء محدث الشام ومؤرخه ومفيده»[4]. وقال في موضع آخر: «وكان أحد الأذكياء المعدودين والحفاظ المبرزين»[5]. وقال تلميذه عماد الدين ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ: «الشيخ الحافظ الكبير مؤرخ الإسلام وشيخ المحدثين... وقد ختم به شيوخ الحديث وحفاظه»[6]. وحينما قدم

---

(١) في المطبوع من الطبقات الكبرى «فبصر» و«كنز» وهما مصحفتان، والذي أثبتناه مجود التقييد في مشيخة التاج السبكي، وهي أصل في التقييد لأن ناسخها قرأها على التاج السبكي نفسه، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ، وأما قوله «نضير» فمعناه: نعمة. وقد أورد صديقنا العلامة الشيخ عبدالفتاح أبو غدة يرحمه الله هذه العبارة في مقدمته لكتاب «ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل» ص ١٤٥ فجعلها: «فبحر لا نظير له وكنز» وعلق عليها في الحاشية فقال: «هذا هو الصواب في هذه الكلمة. وقد وقعت محرفة على أنحاء شتى ومَرَّ عليها محققون أفاضل»، وأطال النفس فيها - كعادته في تعليقاته النفيسة - يرحمه الله - وذكر عشرة ممن استشهد بها. واستدل على صحة عبارته بورودها في «جلاء العينين بمحاكمة الأحمدين لنعمان الآلوسي» ص ٣٢. وعندي أن صديقنا العلامة طيب الله ثراه قد وقع بما وقع فيه غيره فتحرفت عنده مثلما هي محرفة في «جلاء العينين»، ويلاحظ أن الألفاظ «بصر» و«نضر» و«نضير» أكثر قربًا من «بحر»، وينظر بلابد تعليقنا على مشيخة السبكي (بتحقيقنا).

(٢) الطبقات، ج ٩ ص ١٠٠ - ١٠١.

(٣) المصدر نفسه، ج٩ ص١٠٣.

(٤) ذيل تذكرة الحفاظ، ص٣٤.

(٥) المصدر نفسه، ص٣٦.

(٦) البداية والنهاية، ج١٤ ص٢٢٥.

العلامة أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلي الأصل الأطرابلسي[1] إلى دمشق سنة ٧٣٤هـ ودرس على الذهبي في تلك السنة قال فيه:

مازلتُ بالسمعِ أهواكم وما ذكرت أخبـاركـم قَـطُّ إلا مِلْـتُ مـن طَـرَبِ
وليس من عجبٍ أنْ ملتُ نحوكم فالناسُ بالطبع قد مالوا إلى الذهبِ[2]

ووصفه الحافظ ابن ناصر الدين المتوفى سنة ٨٤٢هـ بأنه «الحافظ الهمامُ مُفيدُ الشام ومؤرخُ الإسلام»[3]. وقال ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ: «قرأتُ بخط البدر النابلسي في مشيخته: كان علامةَ زمانِه في الرجال وأحوالهم حديدَ الفهمِ ثاقبَ الذهنِ وشهرتُه تُغني عن الإطنابِ فيه»[4]. وقال بدر الدين العيني المتوفى سنة٨٥٥هـ: «الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ المؤرخ شيخ المحدثين»[5]. وذكره سبط ابن حجر المتوفى سنة ٨٩٩هـ في «رونق الألفاظ» وبالغَ في الإطنابِ فيه وقال: «الشيخ الإمام العالم العلامة حافظ الوقت الذي صار هذا اللقب علماً عليه... فلله دَرُّه من إمام مُحَدِّثٍ... فكم دخل في جميع الفنون وخرج وصَحَّحَ وعَدَّلَ وجرح وأتقنَ هذه الصناعة... فهو الإمامُ سيد الحفاظ إمام المحدثين قدوة الناقدين». وقال في موضع آخر: «وكتب بخطه كثيراً من الأجزاء والكتب وحَصَّلَ الأصولَ وانتقى على جماعة من شيوخه... وعُني بهذا الفن أعظم عناية وبرع فيه وخدمه الليل والنهار»[6].

(١) توفي سنة ٧٧٤هـ وقد ترجمه ابن حجر في الدرر، ج٤ ص٣٠٦-٣٠٧.
(٢) ابن ناصر الدين: الرد الوافر، ص٣١-٣٢.
(٣) المصدر نفسه، ص٣١.
(٤) الدرر، ج٣ ص٤٢٧.
(٥) عقد الجمان، ورقة ٣٧ (نسخة أحمد الثالث ٢٩١١).
(٦) الورقة ١٨٠.

الباب الثاني

منهج الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام

الفصل الأول

تنظيم الكتاب وأساليب عرضه

توطئة:

جعل الذهبي كتابه في واحدٍ وعشرين مجلداً راعى فيها أنْ تكونَ متناسقة من حيث عدد أوراقها ولم يراعِ فيها أية ناحية تنظيمية، ولذلك لم يلتزم النُّسَّاخُ فيما بعد بتجزئة المؤلف هذه[1].

وتناول في كتابه الحوادث والتراجم ابتداء من السنة الأولى للهجرة حتى سنة ٧٠٠هـ. ووضع خطة عامة للكتاب قسمه بموجبها إلى وحدات زمنية أمدُها عشر سنواتٍ أطلق عليها لفظ «الطبقة». ورَتَّبَ الحوادثَ حسب السنوات، أما التراجم فاتبع فيها تنظيماتٍ مختلفة. ولما كانت «الطبقة» هي الأساس الذي قامت عليه الخطة العامة للكتاب، فقد أصبح لابد من دراسة تنظيم الكتاب استناداً إليها وتبيان مفهومها مقارنة بكتبه الأخرى وبمفهومها عند المؤلفين السابقين.

ولما كان الكتاب قد احتوى على الحوادث والتراجم بصورة منفصلة فقد أصبح لزاماً علينا أنْ ندرسَ العلاقةَ التنظيمية بينهما، ومن ثم دراسة تنظيم الحوادث وتنظيم التراجم، كل على حدة، ومحاولة التعرف على الأساليب التي اتبعها الذهبي في عرض كل منهما، ودراسة عناصر أسلوبه اللغوي والأدبي الذي عرض فيه مادته.

أولاً: الخطة العامة للكتاب:

أظهرت الدراسات الحديثة لكتب الطبقات التي سبقت تاريخ الإسلام للذهبي أنها لم تستعمل «الطبقة» كوحدة زمنية ثابتة، بل كانت تعني اللقيا في

---

(١) انظر في الباب الثالث الكلام على نسخ الكتاب.

الأغلب[١] . وقد رتب الذهبي كثيراً من كتبة الرئيسة على الطبقات، بالرغم مما في هذا النظام من بعض العيوب[٢] . لكن مفهوم الطبقة عند الذهبي يختلف من كتاب إلى آخر، حيث نجد أنه رتب كتابه «تذكرة الحفاظ» الذي تناول فيه كبارَ حُفَّاظ الحديثِ من الصحابة حتى عصره، على إحدى وعشرين طبقة استناداً إلى اللقيا بين المشايخ، وهو بذلك لم يدخل سِني الوفيات باعتباره، حيث نجدها متداخلة بين طبقة وأخرى، وقد علل الذهبيُّ ذلك بقوله في ترجمة أبي الأحوص سلام بن سليم: «مات سنة تسع وسبعين ومئة مع مالك وحماد وإنما أخَّرته لأنه أصغر منهما قليلاً، ولابد في كل طبقة من مجاذبة الطبقتين وإلا فلو بُولغ في تقسيم الطبقات لجاءت كل طبقة ثلاث طبقات وأكثر»[٣] . أما كتابه الآخر «معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار»[٤] فقد جعله في سبع عشرة طبقة فقط حسب اللقيا في القراءة مع أنه تناول الفترة الزمنية نفسها التي تناولها كتابه «تذكرة الحفاظ» ومع أنه جعل الصحابة طبقتين. بينما رتب كتابه الثالث «سير أعلام النبلاء» على أربعين طبقة، علماً أنَّ الفترة الزمنية التي تناولها هي نفسها التي تناولها في كتابيه السابقين[٥] .

ومن هذا الذي قدمنا يتضح لنا أن الذهبي لم يراع الوحدة الزمنية الثابتة في جميع هذه الكتب. أما كتابه «المُعين في طبقات المحدثين» فقد جعل الطبقات الأولى فيه تتخذ أسماء المشهورين فيها نحو قوله: «طبقة الزهري وقتادة»[٦] و«طبقة الأعمش وأبي حنيفة»[٧] و«طبقة ابن المديني

(١) راجع عن مفهوم الطبقة عند المؤلفين السابقين، الدكتور أكرم العمري: مقدمة كتاب الطبقات لخليفة بن خياط، ص٤٥ فما بعد، وبحثنا: مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ. (مجلة الأقلام، العدد الخامس من السنة الأولى، بغداد ١٩٦٥).

(٢) لعل من أهم عيوبه الرئيسة هو عدم اتباع المصنفين تقسيماً واحداً حيث يتباين عدد الطبقات بين مصنف وآخر، فلم يعد بالإمكان أن نكتفي بالقول أن فلانًا الفلاني في الطبقة الفلانية لأنه قد يكون في الطبقة السادسة عند مؤلف بينما هو في الطبقة الثامنة عند مؤلف آخر (انظر التفاصيل عند العمري: بحوث ص١٨٦).

(٣) الذهبي: تذكرة، ج١ ص٢٥٠.

(٤) حققناه بالمشاركة سنة ١٩٨٤ في مجلدين. ونشرته مؤسسة الرسالة ببيروت.

(٥) تنظر مقدمتي لسير أعلام النبلاء ١/ ١٠٠.

(٦) الورقة ٧ من نسختي المصورة.

(٧) الورقة ٨.

وأحمد»[١] ونحوها، إلا أنه غَيَّرَ هذه الطريقة حينما وصل إلى مطلع القرن الثالث الهجري حيث أخذ يستعمل السنوات التقريبية في الطبقة نحو قوله: «الطبقة الذين بقوا بعد الثلاث مئة وإلى حدود العشرين والثلاث مئة»[٢] و«طبقة من الثلاثين وإلى ما بعد الخمسين وخمس مئة»[٣] وهلم جرًّا. ويتبين من دراسة هذه الوحدات الزمنية التي ذكرها أن الطبقة قد تكون في حدود عشرين سنة[٤] أو خمس وعشرين[٥] أو ثلاثين سنة[٦]. وبذلك يتحدد مفهوم «الطبقة» عند الذهبي في جميع الكتب المذكورة باللقيا بين المشايخ، والتعاصر بين مجموعة من الناس.

ولكن الذهبي جعل الطبقة عشر سنوات في «تاريخ الإسلام» فتألف كتابه من سبعين طبقة، فهل يعني هذا أنه وضع تحديداً زمنياً واضحاً للطبقة مخالفاً طريقته في كتبه الأخرى؟ علماً أنَّ عمله هذا لم يسبقه فيه أحد فيما نعلم. وقد دفع عمله هذا الباحثين المعنيين بعلم التاريخ إلى القول بأنه خالف الأقدمينَ الذين اعتبروا اللقيا أساسَ التقسيم على الطبقات، بل خالف نهجه هو في «تذكرة الحفاظ» الذي اعتبر فيه اللقيا ولم يعتبر الوفيات.[٧]

على أننا لا نعتقد أنَّ الذهبي خالف الأقدمين في مفهوم الطبقة فقد استعملها بالمفهوم نفسه في جميع كتبه الأخرى كما بينا قبل قليل، بينما استعمل «الطبقة» في «تاريخ الإسلام» لتدل على «العقد» وهو مفهومٌ يختلف عن المفهوم الذي أراده في كتبه الأخرى والذي جارى فيه الأقدمين. ومن ثم فإننا نعتقد أن ربط الشكل الذي اتبعه الذهبي في «تاريخ الإسلام» بأدبِ الطبقات أمرٌ يحتاج إلى إعادة نظر، بل يجب أن يربط، فيما نرى، بأدبِ التنظيم على السنين الذي يخضع لتعاقُبِ السنين المفردة، فَتُذكرُ مختلفُ الحوادث والوفيات في كلِّ سنةٍ منفصلة عن الأخرى. وآيات هذا الذي نقوله

---

(١) الورقة ١٤.
(٢) الورقة ١٩.
(٣) الورقة ٣٢.
(٤) الورقة ٢١، ٣٢.
(٥) الورقة ٢٢، ٢٤.
(٦) الورقة ٢٠، ٢١.
(٧) انظر: روزنتال: علم التاريخ، ص١٢١، العمري: بحوث، ص١٩١.

ودِلالاته في الترتيب الذي اتبعه الذهبي في كتابه؛ فقد رتب الحوادث على السنين مبتدئاً بالسنة الأولى للهجرة ومنتهياً بسنة ٧٠٠هـ، وجعل حوادث كل سنة منفردة بنفسها، ووضع لها عنواناً خاصاً. وكان يفصل الحادثة عن الأخرى في السنة الواحدة باستعماله لفظة «وفيها»، أو يذكر الشهر الذي وقعت فيه نحو قوله: «وفي المحرم» أو «وفي رمضان» ونحوهما، وربما عيَّن اليومَ، لا سيما في القسم الأخير من كتابه.

وعلى الرغم من أن الذهبي قسم كتابه إلى «عقود»، وهو الذي أطلق عليه لفظة «طبقة» فإنه لم يلتزم بهذا التقسيم في الحوادث إطلاقاً، ولو التزم به لكان من المفروض أن يذكر حوادث الطبقة مندمجة ببعضها، بل إنه لم يلتزم حتى بذكر حوادثِ كلِّ طبقةٍ ووفياتها بصورةٍ منتظمة. وقد وصل إلينا، لحسن الحظ، قسم من تاريخه بخطه، ومن دراسة هذا القسم تتبين صحةُ دعوانا: ففي المجلدين السابع[١] والثامن[٢] اللذين أرَّخَ فيهما ما بين سنتي ١٧١-٢٣٠هـ ذكر حوادث «الطبقة» مرتبةً حسب السنين ثم ذكر وفياتها، ولكن القسم الموجود من المجلد الثاني عشر[٣] ليس فيه غير الوفيات من سنة ٣٥١هـ إلى سنة٤٠٠هـ، وكذلك المجلد الثالث عشر[٤] لم يحتو غير الوفيات من سنة ٤٠١هـ إلى سنة ٤٥٠هـ، أما المجلد الخامس عشر[٥] فترد فيه وفيات ٥٠١-٥٤٦هـ[٦] متسلسلة ثم حوادث السنوات ٥٠١-٥٥٠هـ متسلسلة فيمكان واحد أيضًا[٧] . والظاهر أنه اتبع هذه الطريقة، أعني: جمع حوادث كل مجلد في مكان واحد، في جميع المجلدات ابتداء من المجلد الحادي عشر الذي يبتدئ من أول سنة ٣٠١هـ إلى نهاية المجلد الخامس عشر. ويبدو ـ أيضاً ـ أن المجلدات الأربعة المبتدئة بالمجلد الحادي عشر والمنتهية بالمجلد الرابع عشر قد احتوى كل مجلد منها ـ أيضاً ـ على حوادث خمسين سنة

---

(١) أيا صوفيا ٣٠٠٦.

(٢) أيا صوفيا ٣٠٠٧.

(٣) أيا صوفيا ٣٠٠٨.

(٤) أيا صوفيا ٣٠٠٩.

(٥) أيا صوفيا ٣٠١٠.

(٦) الورقة ٢-٤٦ من النسخة أعلاه.

(٧) الورقة ٤٧ فما بعد من النسخة أعلاه.

بصورة متتالية، وهاكَ دلالات ذلك:

١- على الرغم من عدم وصول المجلد الحادي عشر إلينا، فإننا استطعنا من إشارة وردت عند السخاوي في كتاب «الإعلان» أنْ نعرفَ أن المجلد العاشر من نسخة الذهبي الموقوفة على المدرسة المحمودية بالقاهرة قد انتهى بنهاية المتوفين من الطبقة الثلاثين[1] (٢٩١-٣٠٠هـ). ولما كان المجلد الثاني عشر قد وصل إلينا وهو يتناول الفترة من سنة ٣٥٠ هـ إلى سنة ٤٠٠هـ[2] فقد أصبح من الواضح أن الذهبي تناول في المجلد الحادي عشر الفترة الممتدة من سنة ٣٠١هـ إلى سنة ٣٥٠هـ. ولكن كيف عرفنا أنه تناول حوادث هذه الفترة مجتمعة ولم تصلْ إلينا أية قطعةٍ من هذا المجلد الذي هو بخطه؟ وجواب ذلك في النسخ التي نسخت عنها وحافظت على ذاتية الذهبي في بعض تنظيمه، فمن ذلك ـ مثلاً ـ المجلد المحفوظ في مكتبة أحمد الثالث برقم (٢٩١٧/ ١٥) والذي اختص بالحوادث فقط[3]، حيث نجد حوادثَ السنين (٣٠١-٣٥٠هـ) قد سارت متناسقةً ومتتابعة من غير وجود أي عنوان يدل على أنَّ الذهبي تناول حوادث كل طبقة ـ مثلاً ـ بصورة منفصلة[4]، بل إنَّ الخط نفسه يتغير في بداية حوادث سنة (٣٥١هـ) التي بدأها الناسخ بعنوان جديد وورقة جديدة. وعند تتبعنا لتنظيم هذا المجلد المحفوظ في مكتبة أحمد الثالث ومقارنته بما تبقى لنا من مجلدات بخط المؤلف نجده يضع بدايات للحوادث كلما انتقل من مجلد إلى آخر، أو من مجموعة حوادث جمعها الذهبي إلى أخرى حيث بدأ حوادث سنة ٥٠١هـ بالبسملة وبداية ورقة

---

(١) ذكر السخاوي عند الكلام على كتابه الذي جمعه على حروف المعجم وأصله من «تاريخ الإسلام» للذهبي أن هناك نقصاً يسيراً في نسخة «تاريخ الإسلام» الموقوفة على المدرسة المحمودية، وهي النسخة التي اعتمدها في تجريد التراجم، فقال: «وقد سقط من آخر الطبقة الثلاثين، وهي سنة إحدى وتسعين ومئتين إلى آخر القرن، وهو آخر المجلد العاشر: من ذكر محمود بن أحمد بن الفرج إلى آخر الطبقة ولم يثبته البدر البشتكي في النسخة التي بخطه بالباسطية فكأنه سقط قبل كتابته، فيراجع من نسخة أخرى» ص٥٩٧-٥٩٨.

(٢) أيا صوفيا ٣٠٠٨، وانظر أعلاه وصفه عند كلامنا على نسختنا الملفقة (رقم ١٠).

(٣) انظر أعلاه كلامنا على نسختنا الملفقة (رقم ١٨).

(٤) الورقة ١-٥٠ من النسخة أعلاه.

جديدة[1] ، واستمر كلامه على حوادث السنين متناسقاً حتى سنة ٥٥٠هـ[2] . وفي مطلع القرن السابع بدأ الحوادث بصفحة جديدة ووضع لها عنواناً[3] ، ثم تناول حوادث عشرين سنة بصورة متتابعة ومتناسقة[4] ، وهي الحوادث الموجودة على هذا الشكل في المجلد الثامن عشر الذي وصل إلينا بخط المؤلف[5] . ثم ابتدأ حوادث سنة ٦٢١هـ ببداية جديدة ووضع لها عنواناً وسار به بصورة رتيبة إلى سنة ٦٥٠هـ[6] ، وهو ما فعله الذهبي في المجلد التاسع عشر من نسخته[7] . وقد قال في بداية حوادث ٦٥١هـ «بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي، ذكر الحوادث الكائنة في هذه السنين العشر»[8] وهذه هي عبارة الذهبي بنصها[9] .

٢- وهذا الذي ذكرته من المحافظة على الترتيب في المجلد المحفوظ بمكتبة السلطان أحمد الثالث رقم (٢٩١٧/ ١٥) قد حافظ عليه ـ أيضاً ـ ناسخ المجلد المحفوظ في المكتبة الأحمدية بحلب رقم (١٢٢٠/ ١) والمتضمن حوادث السنوات (٣٠١-٥٠٠هـ)[10] وصاحب النسخة المحفوظة في مكتبة أحمد الثالث برقم (٢٩١٧/ ٤) والتي تبين لنا أنها انتقاء من «تاريخ الإسلام»[11].

٣- أما المجلد الثاني عشر فقد وصلت إلينا جميع تراجمه مسلسلة وهي تشمل

---

(١) الورقة ١١٩ وقارن الورقة ١-٤٥ (أيا صوفيا ٣٠١٠).
(٢) الورقة ١٦٧ .
(٣) الورقة ٢٥٠ .
(٤) الورقة ٢٨٠ .
(٥) الورقة ٢١٩-٢٥١ (أيا صوفيا ٣٠١١). وانظر أعلاه وصف هذا المجلد في الكلام على نسختنا الملفقة (رقم ١٩).
(٦) الورقة ٢٨١ فما بعد.
(٧) الورقة ٢٢٧ فما بعد (أيا صوفيا ٣٠١٢).
(٨) الورقة ٣٣٣.
(٩) الورقة ٢٩٥ (أيا صوفيا ٣٠١٣).
(١٠) انظر وصفه أعلاه في نسختنا الملفقة (رقم ١٤).
(١١) الورقة ٢٢١ ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الانتقاء كان في حياة المؤلف سنة ٧٣٩هـ. وقد تبين لنا نتيجة المقارنة الدقيقة أن المنتقي قد حافظ على ذكر الحوادث ولم يختصر فيها وأن الاختصار وقع في تراجم غير المشهورين.

وفيات السنوات (٣٥١-٤٠٠هـ)[١] والظاهر أنه كان يحتوي على حوادث هذه الفترة، فإضافة إلى ما قدمنا ذكره في الفقرتين السابقتين من أدلة تنظيمية[٢] ، فإنَّ وجودَ خَطِّ الصلاح الصفديِّ على طرة هذا المجلد بقراءة الحوادث خيرُ دليلٍ على ما نقول، فالّذي حفظناه من ترجمة الصفديِّ لشيخه الذهبي أنه قرأ عليه من «تاريخ الإسلام المغازي والسيرة النبوية إلى آخر أيام الحسن وجميع الحوادث إلى آخر سنة سبع مئة»[٣] فأين هي الحوادث التي قرأها الصفدي والتي وضع خطه على المجلد من أجلها؟. ثم يتكامل يقيننا بعد ذلك بجمع الذهبي لحوادث هذه الخمسين سنة في مكان واحد حينما ننظر إلى تسلسل الوفيات في هذا المجلد من سنة ٣٥١هـ إلى سنة ٤٠٠هـ، من غير فجوةٍ ولا انقطاع.

٤- وقد وصلت إلينا جميع وفيات المجلد الثالث عشر متتابعة، وهي وفيات السنوات (٤٠١-٤٥٠هـ) ولم تصل إلينا حوادث هذه الفترة مع عدم توافر احتمال وجودها في المجلدات الأخرى كما سيتضح بعد قليل.

٥- ومما قدمنا من أدلةٍ وتسلسلٍ لمحتوياتِ المجلدات التي كتبها الذهبي بخطه ووصول المجلد الخامس عشر إلينا، وهو يتضمنُ وفياتِ السنواتِ من ٥٠١هـ إلى أثناء ٥٤٦هـ وحوادث السنوات (٥٠١-٥٥٠هـ)[٤] ، يظهر لنا أن المجلد الرابع عشر الذي لم يصل إلينا، كان يتناول حوادث ووفيات السنوات ٤٥١-٥٠٠هـ.

٦- ثم إن وجود حوادث السنوات (٥٠١-٥٥٠هـ) في المجلد الخامس عشر من نسخة المؤلف يقطع من غير شك احتمالَ وجودِ حوادث السنوات السابقة لهذه المدة في المجلدين السادس عشر والسابع عشر. ولما كانت

---

(١) أيا صوفيا ٣٠٠٨.

(٢) وانظر أيضاً بداية الحوادث في النسخة الحلبية رقم ١٢٢٠/ ١ لسنة ٣٥١هـ (الورقة ٧٥) حيث يبدأ الناسخ بالبسملة والدعاء بالتيسير ثم يذكر حوادث السنوات متتابعة إلى سنة ٤٠٠هـ ويبدأ حوادث سنة ٤٠١هـ بورقة جديدة.

(٣) الصفدي: الوافي، ج٢ ص١٦٣ ونكت الهميان ص٢٤٢. وانظر طرة المجلد الحادي والعشرين من نسخة المؤلف التي بخطه (أيا صوفيا ٣٠١٤).

(٤) انظر أعلاه وصف هذا المجلد في كلامنا على نسختنا الملفقة (رقم ١٥).

الفترات الزمانية للمجلدات من الحادي عشر إلى الرابع عشر متساوية حيث اشتمل كُلُّ مجلدٍ منها على خمسين سنة، فإنه يبدو من غير المحتمل أنْ يكونَ أحد المجلدات قد تضمن من الحوادث ما هو زائد على نطاقه الزماني.

٧- ولما كان البدرالبشتكي قد حافظ على تقسيم الذهبي ونقل نسختيه من خط المؤلف فقد عرفنا من نصه أن المجلد السادس عشر ينتهي بنهاية الطبقة الثامنة والخمسين، وأن المجلد السابع عشر قد انتهى بنهاية الطبقة الستين، ويؤيده وصول المجلد الثامن عشر كاملاً بخطه.

أما المجلد الثامن عشر[(١)] فقد أورد الذهبي فيه وفيات السنوات (٦٠١-٦٢٠هـ) مجتمعة ثم أعقبها بذكر حوادث المدة نفسها[(٢)]، وقال في نهاية الوفيات: «وقد انقضى ما انتهى إليَّ عِلْمُه من وفيات هؤلاء الذين انتقلوا إلى الله في هذه العشرين سنة، فلنشرع فيما وقع الاختيارُ عليه من حوادث هذه العشرين سنة ـ إن شاء الله ـ»[(٣)] بينما تناول المجلد التاسع عشر[(٤)] وفيات السنوات (٦٢١-٦٤٠هـ) ثم أعقبها بحوادث السنوات (٦٢١-٦٥٠هـ)[(٥)] وابتدأها بقوله: «ومن الحوادث»[(٦)]، ولم نجد وكما هو في المجلدات الأخرى أيضاً أيَّ فاصل بين حوادث طبقة وأخرى[(٧)]، ثم توكيده ذلك بقوله في أول حوادث سنة ٦٤١هـ من المجلد التاسع عشر، وهي بداية الطبقة الخامسة والستين: «بسم الله الرحمن الرحيم: ومن حوادث المجلد العشرين عشر سنين»[(٨)].

---

(١) أيا صوفيا ٣٠١١.

(٢) الورقة ٢١٩-٢٥١ من المجلد أعلاه.

(٣) الورقة ٢١٧ من المجلد أعلاه.

(٤) أيا صوفيا ٣٠١٢.

(٥) الورقة ٢٢٧-٢٧٠ منه.

(٦) الورقة ٢٢٧ منه أيضاً.

(٧) انظر الورقة ٢٤٣ من النسخة الأصلية (غير المصورة) حيث تنتهي حوادث سنة ٦٣٠هـ وتبدأ في ظهرها حوادث سنة ٦٣١هـ وهي بداية الطبقة الرابعة والستين.

(٨) الورقة ٢٥٥ (أيا صوفيا ٣٠١٢) وقد انتهت حوادث سنة ٦٤٠هـ وابتدأت حوادث سنة ٦٤١هـ في وجه الورقة نفسها.

ولعلَّ الذي يؤيد رأينا هذا ويزيده قوةً هو أن الذهبيَّ لا يقتصر في إطلاق لفظ «الطبقة» على التراجم حسب، بل يطلقه ـ أيضاً ـ على الحوادث وهي متسلسلة وبعيدة تماماً عن مكانها، فقد قال في نهاية حوادث سنة (٥٥٠هـ) من النسخة التي بخطه: «آخر الطبقة الخامسة والخمسين والحمد لله»[١]، فإذا كان مفهوم الطبقة يُرادُ به تحديد جماعة من الناس فكيف يصحُّ إطلاقُه على الحوادث؟!

قد توصلنا إذن إلى أنَّ مفهومَ «الطبقة» في كتاب «تاريخ الإسلام» يعني «العقد». ويحق للقارئ الباحث بعد كل هذا الذي أطلنا القولَ فيه، ودللنا عليه أنْ يتساءلَ عن سبب تنظيم الذهبي كتابه على «عقود» فنقول عندئذ: إنَّ ذلك لم يكن إلا لحاجةٍ تنظيمية استشعرها الذهبيُّ لا سيما في الفترة الأولى من كتابه التي تمتد إلى سنة (٣٠٠هـ) حيث لم تتوافر فيها لديه وفيات عدد كبير من المترجَمين بصورة دقيقة. فلم يكن ليستطيع أنْ ينظم وفياتهم حسب السنين، وإذا ما رَتَّبهم كذلك فإنه سوف يضطر لإعادةِ ذِكْرِ الشخصِ أكثرَ من مرة استناداً إلى الاختلافِ الحاصل في تاريخ وفاته، وهي الطريقة التي اتبعها حينما نظم الوفيات على السنين اعتباراً من سنة (٣٠١هـ). وقد أشار الذهبي إلى ذلك في مقدمة كتابه حينما قال: «ولم يعتنِ القدماء بضبط الوفيات كما ينبغي، بل اتَّكَلُوا على حفظهم، فذهبت وفيات خَلْقٍ من الأعيان من الصحابة ومن تبعهم إلى قريب زمان أبي عبدالله الشافعي فكتبنا أسمائهم على الطبقات تقريباً»[٢].

إنَّ عدمَ توافر تواريخ وفيات المترجَمين في الفترة الأولى من تاريخ الإسلام بصورة دقيقة من جهة، وقلتهم من جهة أخرى[٣] دفعت الذهبيَّ إلى

---

(١) الورقة ٤٥ (أيا صوفيا ٣٠١٠).

(٢) تاريخ الإسلام، ١/ ١٠ (من طبعتنا).

(٣) اعتذر الذهبي عن قلة ما هو مذكور من التراجم في السنين الأولى من كتابه فقال في أثناء السنة الأولى للهجرة: «والسبب في قلة من توفي في هذا العام وما بعده من السنين أن المسلمين كانوا قليلين بالنسبة إلى مَنْ بعدهم، فإن الإسلام لم يكن إلا ببعض الحجاز أو من هاجر إلى الحبشة. وفي خلافة عمر - بل وقبل - انتشر الإسلام في الأقاليم، فبهذا يظهر لك قلة مَنْ توفي في صدر الإسلام وسبب كثرة من توفي في زمن التابعين فمن بعدهم» تاريخ الإسلام ١/ ٢٠ وقال في آخر سنة ٢٨هـ من كتابه: «وقل من مات وضبط موته في هذه السنوات كما ترى» ٢/ ١٧٩

أنْ يدمج الحوادث والتراجم في العقود الأربعة الأولى من «تاريخ الإسلام»، بل لم يظهر لفظ «الطبقة» في العقود الثلاثة الأولى إطلاقاً، فقد انتقل من السنة العاشرة للهجرة إلى الحادية عشرة من غير إشارة إلى بدء طبقة جديدة[(١)] ، وانتقل من سنة عشرين إلى سنة إحدى وعشرين من غير ذكر للطبقة أيضاً[(٢)] . أما الطبقة الرابعة (٣١-٤٠هـ) فقد ذكر عنوانها ولم نجد فحواها وفائدتها، فقد خلط الذهبيُّ الوفيات بالحوادث في هذا العقد خلط كتب الحوليات[(٣)] .

ولننظر الآن إلى تنظيم الوفيات في هذه السنين الأربعين، إذا كان هناك من تنظيم، ففي المدة الواقعة (١-١١هـ) ذكر الذهبي بعض الوفيات القليلة جداً ضمن الحوادث بحيث لا يشعر الباحث بأهميتها وترجم للنبيِّ ﷺ ترجمةً طويلة باعتبار وفاته حادثاً من حوادث سنة ١١هـ[(٤)] . وبعد أن تكلم على خلافة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ من ضمن حوادث هذه السنة وقصة الأسود العنسي، وجيش أسامة، وشأن أبي بكر مع فاطمة وأخبار الردَّةِ وماجرى فيها[(٥)] ، ذكر وفاة فاطمة وبعض الصحابة[(٦)] ، ولم يراع في ذكر هذه الوفيات أيَّ نوعٍ من أنواع التنظيم، لا من حيثُ قِدَم الوفاةِ ولا من حيث الترتيب على حروف المعجم غير ورودها في سنة ١١هـ، أما في سنة ١٢هـ فقد ذكر فيها مَنْ توفي في وقعة اليمامة من غير ترتيب[(٧)] ، وذكر بعدها بعض الحوادث القصيرة[(٨)] ، ثم عاد إلى الوفيات ثانية[(٩)] ، ثم ذكر بعض الحوادث، وهكذا نجد تبايناً كبيراً في التنظيم. وفي السنين التالية نجده يرتب بعض وفيات السنين على حروف المعجم كما هو في سنة ثلاث عشرة[(١٠)]، وأربع

(١) انظر ١/ ٤٧٧ .
(٢) انظر ٢/ ١٢٣ .
(٣) ٢/ ١٩٨ -٣٨٢ .
(٤) الورقة ١-١٧٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٥)= ١/ ٤٧٩ - ٨٣٧ (من طبعتنا).
(٥) ٢/ ٥ - ٢٩ .
(٦) ٢/ ٢٩ - ٣٥ .
(٧) ٢/ ٣٦ - ٤٦ .
(٨) ٢/ ٤٧ .
(٩) ٢/ ٤٧ - ٤٨ .
(١٠) ٢/ ٥٢ - ٧٢ .

عشرة[١] ، وخمس عشرة[٢] ، وثلاثين[٣] ، ويدمج بعض الوفيات في سنين أخرى بالحوادث أو يذكرها في آخر الحوادث من غير ترتيب كما في سنة ست عشرة[٤] ، وسبع عشرة[٥] ، وثماني عشرة[٦] ، وتسع عشرة[٧] وعشرين[٨] ، وإحدى وعشرين[٩] ، وثلاث وعشرين[١٠]، وأربع وعشرين[١١]، والسنوات من إحدى وثلاثين إلى أربعين[١٢]، في حين لم يذكر في بعض السنين أية ترجمة[١٣]. ولكنه ذكر من توفي في خلافة عمر على التقريب في سنة وفاته وهي سنة ٢٣هـ، ورتبهم على حروف المعجم[١٤]، ثم ذكر في نهاية سنة ثلاثين من توفي في خلافة عثمان تقريباً ونظمهم على حروف المعجم أيضاً[١٥]، مع أن عثمان قتل سنة ٣٥هـ، كما هو مشهور، وقد ترجم له هناك ترجمة حافلة[١٦].

من كل هذا الذي قدمنا يتضح لنا أنه لم يكن هناك تنظيم سار على نَسَقٍ واحد على الإطلاق، في هذه المدة الممتدة حتى سنة ٤٠هـ، ولم يكن للتراجم أي أثرٍ واضح في الكتاب يميزها عن الحوادث. وهذا هو الذي يفسر لنا سبب قراءة الصفدي لكتاب «تاريخ الإسلام» من أوله إلى آخر أيام الحسن، ثم اقتصاره على الحوادث إلى نهاية الكتاب، مع أنَّ الصفديَّ لم يكن يريد أن

---

(١) ٢/ ٧٣ - ٨١.
(٢) ٢/ ٨٢ - ٩١.
(٣) ٢/ ١٨٢ - ١٨٥.
(٤) ٢/ ٩٢ - ٩٦.
(٥) ٢/ ٩٧ - ٩٨.
(٦) ٢/ ٩٩ - ١٠٤.
(٧) ٢/ ١٠٦ - ١٠٩.
(٨) ٢/ ١١٠ - ١٢١.
(٩) ٢/ ١٢٣ - ١٣١.
(١٠) ٢/ ١٣٧ - ١٦٧.
(١١) ٢/ ١٦٩ - ١٧٢.
(١٢) ٢/ ١٩٨ - ٣٨١.
(١٣) ٢/ ١٧٤ و١٧٥ و١٧٦ - ١٧٨ و ١٧٩ و١٨٠ - ١٨١.
(١٤) ٢/ ١٦٠ - ١٦٧.
(١٥) ٢/ ١٨٦ - ١٩٦.
(١٦) ٢/ ٢٥٧ فما بعد.

يقرأ من هذا التاريخ على مؤلفه غير الحوادث كما يبدو[١] ، لأنَّ تاريخ الإسلام حتى أيام الحسن لم يكن غير تاريخ حوادث، فيه بعض الوفيات ولم يكن بالإمكان فصل الحوادث عن الوفيات.

وابتداء من سنة ٤١هـ وحتى سنة ٣٠٠هـ اتَّبع الذهبيُّ تنظيماً جديداً مغايراً لما سار عليه في المدة السابقة، فصار ينظم وفيات كل عشر سنوات على حروف المعجم ومن ثم فإنه لم يعتن بذكر وفيات المترجَمين داخل الطبقة دائماً، وأغفل وفيات عدد كبير منهم، بسبب عدم معرفته بسنة وفاتهم على وجه الدقة، فلو أخذنا أول طبقة في هذا التنظيم الجديد وهي الطبقة الخامسة (٤١-٥٠هـ) ـ مثلاً ـ لوجدنا عدد المترجَمين فيها ٧٩ ترجمة[٢] ، لم يذكر غير تواريخ وفيات خمسة وعشرين منهم فقط، أما الآخرون فقد تركهم غُفلاً من تاريخ الوفاة، أو حدد عصرهم تقريباً نحو قوله ـ مثلاً ـ: «وعاش إلى دهر معاوية»[٣] ، و«توفي في إمرة معاوية»[٤] ، و«مات وسط إمرة معاوية»[٥] ، و«توفي في أول خلافة معاوية»[٦] ، و«توفي في صدر خلافة معاوية»[٧] ، و«توفي في خلافة معاوية»[٨] ، و«بقي إلى هذا الوقت»[٩] . ولو أخذنا الطبقة العاشرة ـ مثلاً ـ (٩١-١٠٠هـ) لوجدنا أنه أورد فيها ٢٨٤ ترجمة[١٠]، لكنه لم يذكر سوى تاريخ وفاة ٨٥ ترجمة منها فقط، وكتب الباقي على التقريب مستعملاً في بعض الأحيان العبارات الدالة على تعيين أوقاتهم التقريبية نحو قوله: «توفي في خلافة الوليد»[١١]، و«توفي في آخر خلافة الوليد»[١٢]،

---

(١) راجع الصفدي: الوافي، ج٢ ص١٦٣، ونكت الهميان، ص٢٤٢.
(٢) ٢/٣٩٣ - ٤٥٤.
(٣) ٢/٣٩٣.
(٤) ٢/٤٣١.
(٥) ٢/٣٩٦.
(٦) ٢/٤٠٧.
(٧) ٢/٤١٤.
(٨) ٢/٤١٣ و٤١٧ و٤٣٩.
(٩) ٢/٣٩٦.
(١٠) ٢/١٠٥١ - ١٢١٠.
(١١) ٢/١٠٨٥ و١٠٩٢ و١١٣٢.
(١٢) ٢/١١٣٨.

و«توفي في إمرة الحجاج»[1] ، و«توفي في خلافة عمر بن عبدالعزيز»[2] ونحو ذلك. وينطبق هذا الذي قلناه من عدم تقييد الوفيات، إلا في القلة، على جميع المدة الواقعة في القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الذهبيِّ ابتداء من سنة ٤١هـ.

من ثم نلاحظ بعد كل ذلك تبايناً كبيراً جداً بين كبار المؤرخين الذين نقل الذهبيُّ عنهم تواريخَ الوفيات في ضبطها وتحديدها، لا سيما في غير المشهورين، فإذا ما قدمنا أمثلة لاختلاف هؤلاء المؤرخين في المشهورين جداً عرفنا مدى التباين الكبير في غيرهم، فهذا أبو موسى الأشعري وتلك شهرته اختلفت مواردُ الذهبيِّ اختلافاً بيناً في تاريخ وفاته، فذكر الهيثم بن عدي أنه توفي سنة ٤٢هـ، ووافقه ابن مندة، وقال أبو نعيم الأصبهاني ومحمد بن عبدالله بن نمير وأبو بكر بن أبي شيبة وقعنب التميمي: توفي سنة ٤٤هـ، أما الواقدي فذكر أن وفاته سنة ٥٢هـ، وجعلها المدائني سنة ٥٣هـ[3] . وهذا سعيد بن المسيب عالم أهل المدينة بلا مدافعة تختلفُ جُلُّ موارد الذهبي في وفاته، فيذكر الهيثم بن عدي وسعيد بن عفير ومحمد بن عبدالله بن نمير أن وفاته سنة ٩٤هـ، ويذكر أبو نعيم الأصبهاني وعلي ابن المديني أنها سنة ٩٣هـ، ويقول يحيى القطان: إنها سنة٩١هـ أو سنة ٩٢هـ، وينقل الذهبي عن محمد بن سواء عن همام عن قتادة أنه توفي سنة ٨٩هـ ثم ينقل عن أبي عبدالله الحاكم النيسابوري قوله: «فأما أئمة الحديث فأكثرُهم على أنه توفي سنة خمس ومئة»[4] . وهذا عروة بن الزبير بن العوام الإمام الفقيه المشهور نقل الذهبيُّ عن أبي نعيم وابنِ المديني وخليفة: أنه مات سنة ٩٣هـ، ونقل عن الهيثم بن عدي والواقدي وأبي حفص الفلاس: أنه توفي سنة ٩٤هـ، ونقل عن يحيى بن بكير: أنه توفي سنة ٩٥هـ[5] . ومثل هذه الأمثلة كثيرة جداً، بل هي الصفة الغالبة على «تاريخ الإسلام» في هذه الحقبة، فكيف يستطيع الذهبيُّ بعد

---

(١) ٢/١١٥٩.
(٢) ٢/١٠٨٤.
(٣) ٢/٤٥٤.
(٤) ٢/١١٠٧.
(٥) ٢/١١٤٢ وانظر بعض الأمثلة في الحقب التالية الورقة ١٢١ هـ ١٩١ (أيا صوفيا ٣٠٠٦).

كل هذا أنْ يُرتِّبَ التراجمَ حسب السنين؟ ولذلك اخترع «العقد» وسماه «طبقة» بحيث تستوعب السنوات العشر كثيراً من مثل هذا الاختلاف. ومن أجل أن يقدم للقارئ تسهيلاً فقد ذكر أسماء بعض الأعلام في أول حوادث السنة التي رجح وفاتهم فيها.

وابتداء من سنة ٣٠١هـ وإلى نهاية الكتاب غَيَّرَ الذهبيُّ تنظيمه مرة أخرى فصار يذكرُ وفيات كُلِّ سنةٍ بصورة مستقلة مرتباً تراجمَ السنةِ الواحدة على حروف المعجم، وذاكراً المتوفَّين على التقريب في نهاية كل «طبقة».

ويَحقُّ للباحثِ الذي قرأ ما خَبَّرناه قبلَ قليل أنْ يتساءل: كيف استطاع الذهبيُّ أن ينقل تنظيم كتابه هذه النقلة بين سنة وأخرى؟ وكيف تَمكَّنَ من حل الإشكالات الكثيرة والمصاعب الجمة التي واجهته في ضبط الوفيات والخُلف الذي بينها؟ فنقول عندئذ:

١- من المعلوم عند أهل العلم بالتاريخ أن التدوين في هذه الحقبة قد ازداد ازدياداً عظيماً[١]، ولذلك توافرت مادةٌ جيدة في الوفيات،[٢] وقد أشار الذهبيُّ إلى ذلك في مقدمة كتابه فقال بعد الذي ذكره من عدم اعتناء المتقدمين بضبط الوفيات: «ثم اعتنى المتأخرون بضبط وفيات العلماء وغيرهم حتى ضبطوا جماعة فيهم جهالة بالنسبة إلى معرفتنا لهم، فلهذا حفظت وفيات خلق من المجهولين»[٣]. وهكذا توافرت للذهبيِّ مادةٌ غنيةٌ ودقيقة نسبياً من تواريخ

---

(١) انظر عن انتشار التدوين والصراع الذي جرى قبل هذا بسبب تفضيل الروايات الشفوية والحفظ عليه، والمفاضلة بينه وبين الحفظ: بحث الدكتور صالح العلي «المحاضرات الشفهية» وبحثه الآخر: «مواد الكتابة» وكلاهما مكتوب بالآلة الكاتبة ببغداد سنة١٩٧٣م، وبحث الأستاذ كولتسيهر عن «الصراع حول مكانة الحديث عند المسلمين».
Goldziher Kampfe um die Stellung des Hadith im Islam (ZDMG Band 61P.860).
المنشور في مجلة جمعية المستشرقين الألمان (ZDMG) م٦١ ص٨٦٠ فما بعد.

(٢) من المناسب أن أُشير هنا إلى أنه بجانب كثير من الكتب المؤلفة في علم الرجال نجد القرن الرابع يشهد التأليف بكتب «الوفيات»؛ فقد ألف كل من عبدالباقي ابن قانع البغدادي المتوفى سنة ٣١٥ هـ ومحمد بن عبدالله بن زبر الدمشقي المتوفى سنة ٣٧٩هـ كتابيهما في «الوفيات»، انظر بحثنا: كتب الوفيات، ص٢٤٠.

(٣) ١/ ١٠ (من طبعتنا).

وفيات المترجَمين وإنْ ظلت طائفة منهم مجهولة عنده وعند غيره من المؤرخين.

٢- ومن دراسة هذا القسم من الكتاب يتبين لنا أنَّ الذهبيَّ قد تمكن أن يتبع منهجاً تنظيمياً يخفف فيه كثيراً من عدد الذين لم يستطع التَّثَبُّتَ من تواريخ وفياتهم، ويزيل كثيراً من الإرباك الذي يتأتَّى من كثرةِ المذكورين في آخر الطبقة على التقريب، وذلك بأن ينظم بعضاً من هؤلاء في وفيات السنة التي كان لهم آخر ذِكْرٍ فيها، بعد أنْ صَرَّحَ في غير موضع من كتابه بأنه لم يعرف وفاتهم يقيناً، وأنه إنما كتبهم في وفيات السنة على التقدير[١]، ونبَّه على ذلك بعبارات دالة نحو قوله: «حدث في هذه السنة»[٢]، و«حدث في شوال من هذه السنة»[٣]، و«لم تضبط وفاته وإنما حدث في هذه السنة»[٤]، و«حدث في هذا العام ولعله مات فيه»[٥]، و«حدث في هذه السنة وتوفي بعدها»[٦]، و«حدث في السنة ولم يذكروا وفاته»، و«حدث بنيسابور في هذه السنة وتوفي بعد ذلك»[٧]، و«حدث في هذا العام ولم تعرف وفاته»[٨]، و«حدث في هذه السنة، وانقطع خبره»[٩]، و«حدث في أواخر سنة تسع وأظنه توفي سنة عشر»[١٠]، و«توفي بعد سنه سبع»[١١]، و«انقطع خبره من هذا العام»، و«توفي في حدود هذه السنة»[١٢]، و«سمع منه في هذا العام»[١٣]، و«سمع منه في هذه

---

(١) انظر مثلاً الورقة ١٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) قال: «قلت: هو والذي قبله لا أعرف وفاتهما يقيناً»، والورقة ٤٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) قال: «لا أعلم تاريخ موته وإنما كتبته هنا اتفاقاً»، والورقة ١٣٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٨)، والورقة ٨٤ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) وغيرها.

(٢) انظر مثلاً الورقة ٨٧، ١١٣، ١٨٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).

(٣) الورقة ١٦٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).

(٤) الورقة ١٣٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٨)، والورقة ٨٤ (أيا صوفيا ٣٠٠٩).

(٥) الورقة ١٢٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).

(٦) الورقة ١٨٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).

(٧) ينظر كتابنا: الذهبي ومنهجه ٢٩٨.

(٨) الورقة ١٢٨، ١٢٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).

(٩) الورقة ٣٣٧ (أيا صوفيا ٣٠٠٩).

(١٠) ٧/ ١٦٥ (من طبعتنا) وقد ذكر في سنة ٣١٠.

(١١) ٧/ ١٢٢، علمًا أنه ذكره في سنة ٣٠٧.

(١٢) ينظر كتابنا: الذهبي ومنهجه ٢٩٨.

(١٣) الورقة ٨٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).

السنة ولم تؤرخ وفاته»[1] ، و«أجاز للخولاني في هذه السنة»[2] ، و«كان حياً في هذه السنة»، و«بقي إلى بعد هذا العام بيسير»[3] ، و«بقي إلى هذا العام»[4] ، و«كان حياً في هذا الوقت ولم أر له تاريخ وفاة»[5] ، ونحوها.

٣- وقد رأينا الذهبي دائما يحاول أن يجد وحدات زمنية يَتَّسع نطاقُها لتشملَ أولئك المتوفَّين على التقريب، وهنا وجد هذه الوحدة الزمنية أيضاً، فوضع غير المعروفين منهم في نهاية كل عقد ومَيَّزهم بعناوينَ تحملُ العبارات الدالة على عدم تمكنه من ضبطِ تاريخ وفاتهم نحو قوله: «ذِكْرُ مَنْ لم أعرف تاريخَ موته من أهل هذه الطبقة كتبتهم على التقريب»[6] ، أو «مَنْ كان حياً في هذا الوقت، ولم أعرف تاريخ وفاته فكتبتهم تخميناً لا يقيناً»[7] ، أو «مَنْ لم نَحْفظ وفاته وله شهرة كتبناه تقريباً»[8] ، أو «المتوفون في عشر السبعين وثلاث مئة تقريباً لا يقيناً»[9] ، أو «ممن كان في هذا الوقت»[10]، أو«المتوفون بعد الأربع مئة ظناً»[11]، أو «المتوفون في هذا الحدود ما بين الستين والسبعين»[12] - يعني وخمس مئة -، أو «وممن كان في هذا الوقت»[13]، أو «المتوفَّون على التخمين»[14]، ونحوها من هذه العناوين. وقد رتب الذهبيُّ غير المعروفين هؤلاء على حروف المعجم[15] أيضاً.

(١) الورقة ١٣١ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).
(٢) الورقة ٢٣٩ من النسخة السابقة.
(٣) ينظر كتابنا: الذهبي ومنهجه ٢٩٨.
(٤) الورقة ١٩٢، ١٩٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).
(٥) ينظر: الذهبي ومنهجه ٢٩٨.
(٦) ٧/ ١٦٩ (من طبعتنا).
(٧) ٧/ ٦٠٠.
(٨) ٨/ ١٥٨.
(٩) الورقة ١٠٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).
(١٠) الورقة ٢١٠ من النسخة السابقة.
(١١) الورقة ١٠٢ (أيا صوفيا ٣٠٠٩).
(١٢) ١٢/ ٤٤٧.
(١٣) ١٢/ ٩٢٢
(١٤) ١٢/ ٦٥٢.
(١٥) قد نلاحظ في آخر تراجم المذكورين على التقريب عدم انتظام في الترتيب المعجمي (انظر مثلاً الورقة ١١٢-١١٣، ١٧١-١٧٢، ٢٠٨، ٢٥٧-٢٥٨، أحمد الثالث =

ولما كان الذهبيُّ قد غير التنظيم ابتداء من مطلع القرن الرابع الهجري وجعله على السنين فكان من الطبيعي أن يكون عدد المترجَمين غير المعروفة وفياتهم في العقود الأولى من هذا التنظيم الجديد أكبر بكثير مما هو عليه في العقود الأخيرة، على الرغم من إيجاد بعض الأساليب المخففة لعددهم مما ذكرنا قبل قليل.. وقد لاحظنا نتيجةً لما قمنا به من إحصاءات بعد تحقيقنا للكتاب على أفضل النسخ أن عددهم كان يأخذ بالتناقص كلما اقترب الكتاب من عصر المؤلف، فمن بين عدد تراجم الطبقة الحادية والثلاثين (٣٠١-٣١٠هـ) البالغ (٦٦٣) ترجمة وجدنا (١٦٧) ترجمة منها قد ذكرت في نهاية الطبقة على التقريب[١] ، لعدم وقوفِ المؤلف على وفياتهم، في حين بلغ عددهم في الطبقة التي بعدها (٨٤) نفساً[٢] ، وفي الطبقة الثالثة والثلاثين (٧٩) نفساً[٣] ، وفي الطبقة الخامسة والثلاثين (٨٠) نفساً[٤] ، وفي السادسة والثلاثين (٧٣) نفساً[٥] ، وفي الطبقة الثامنة والثلاثين (٦٨) نفساً[٦] ، وفي الطبقة الأربعين (٤٨) نفساً[٧] ، وفي الثانية والأربعين (٥٢) نفساً[٨] بينما بلغوا في الطبقة الثالثة والأربعين (٢٦) نفساً[٩] ، وفي الرابعة والأربعين (٢٧)

= ٢٩١٧/٩) على أن هذا لا علاقة له بالتنظيم إذ جاء من الإضافات التي أضافها الذهبي إلى نسخته فيما بعد ووضع لها إشارات تشير إلى مواضعها وطلب إلى النساخ وضعها في مكانها الصحيح، إلا أن النساخ أبقوا عليها حيث كانت. على أن بعض النساخ الفهماء، ومنهم بدر الدين البشتكي، قد أعادوا تنظيم التراجم في كثير من الأحيان لإدراكهم أن المصنف أراد ذلك، فقد ذكر البشتكي في آخر الطبقة التاسعة والخمسين أنه فعل ذلك، قال: «وقدمت من الأسماء وأخرت على شرطه ما يجب». وقد سرنا نحن على هذه القاعدة في جل المواضع.

(١) ١٦٩/٧ - ٢٠٢ (من طبعتنا).

(٢) ٣٨٠/٧ - ٤٠٠.

(٣) ٦٠٠/٧ - ٦٢٠.

(٤) ٩٠٠/٧ - ٩٢٠.

(٥) ١٥٨/٨ - ١٧٦.

(٦) ٤٨٨/٨ - ٥٠٢.

(٧) ٨٢٥/٨ - ٨٤٠.

(٨) ٣٢٦/٩ - ٣٣٨.

(٩) ٤٨٤/٩ - ٤٩٠.

نفساً[١] ، وفي الخامسة والأربعين (١١) نفساً[٢] ، فإذا ما انتقلنا إلى القرن السابع وجدنا هذا العدد يتناقص حيث لم يتجاوز عدد المذكورين على التقريب في نهاية أول عقد منه (٦٠١-٦١٠هـ) (١٨) ترجمة[٣] ، وفي العقدين الثاني[٤] والثالث[٥] أربع تراجم، وفي العقد الرابع سبع عشرة ترجمة[٦] ، وفي العقد الثامن عشر تراجم[٧] ، أما العقدان الأخيران من الكتاب فلم نجد فيهما ذكراً للمتوفين على التقريب، مع أن عدد الذين ذكر الذهبيُّ وفاتهم في الطبقة الأخيرة من كتابه قد بلغ (٨٢٥) مترجَم[٨] .

وفي أثناء تبييض الذهبيِّ لكتابه وبعد الانتهاء من كتابته، كان يعثر دائماً على وفيات بعض من لم يعرف وفاتهم من أولئك الذين كتبهم على التقريب، سواء أكان ذلك في القسم المنظم على «العقود» أم في القسم المنظم على السنين فكان يضع إشارة لذلك ويطلب من النُّسَّاخ تحويلهم إلى مواضعهم الأصلية الصحيحة، فقد تبين له فيما بعد مثلاً، أنَّ المنذر بن عبدالله بن المنذر القرشي الأسدي الذي ترجم له أولاً في الطبقة الثامنة (١٧١-١٨٠هـ) قد توفي سنة ١٨١هـ لذلك طلب تأخيره إلى الطبقة التاسعة عشرة[٩] . ومن ذلك ـ أيضاً ـ ما قال في أثناء وفيات سنة ٣٢٤هـ: «محمد بن أحمد بن عمر الداجري ـ يُحَوَّل إلى هنا من تقريب الطبقة الماضية»[١٠] ومثلُ هذا كثير في كتابه[١١].

إنَّ ذكر الحوادثِ سنةً بعد سنة من أول الكتاب إلى آخره ثم تنظيم التراجم ابتداء من سنة ٣٠١هـ على السنين قد جعل الذهبيَّ، فيما نعتقد، يغير رأيه في

---

(١) ٩/٥٩٨ - ٦٠٤.
(٢) ٩/٧٥٧ - ٧٦٠.
(٣) ١٣/٢٥٧ - ٢٦٤.
(٤) ١٣/٦٢٧ - ٦٢٨.
(٥) ١٣/٩٤٧ - ٩٥٠.
(٦) ١٤/٣٣٨ - ٣٤١.
(٧) ١٥/٤١٠ - ٤١٤.
(٨) الورقة ٢١٠-٣١٩ (أيا صوفيا ٣٠١٤).
(٩) الورقة ١٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٦).
(١٠) الورقة ١٣٣ (أحمد الثالث ٢٩١٧/ ٩) وانظر أيضاً الورقة ١١٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).
(١١) انظر أدناه كلامنا على تنظيم التراجم.

عنوانِ الكتاب فيحذف منه لفظ «طبقات» ويضع لفظ «وفيات» بدلاً منه فيصير عنوانِ الكتاب «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» بدلاًمن «تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام». ودليلنا على ذلك أن العنوان الذي ورد فيه لفظ «طبقات» لم يرد إلا في طرتي المجلدين الثاني والحادي والعشرين من النسخة التي بخطه، بينما ورد العنوان الذي يحمل لفظ «وفيات» بخطه في المجلدات الثمانية التي وصلت إلينا من هذه النسخة. ويزدادُ يقيننا، بل يتكامل في هذا الأمر حينما نتذكر أنَّ طرتي المجلدين الثاني والحادي والعشرين هما من الطرر التي كتبها الذهبيُّ عند انتهائه من الكتاب أول مرة، وأنَّ الطررَ الثماني الأخرى كانت تمثِّلُ الإخراجَ الأخير لكتابه.

ثانياً: العلاقة بين الحوادث والتراجم:

كانت الكتب التاريخية الأولى المرتبة حسب السنين تُعنى بذكرِ الحوادثِ بالدرجة الأولى مثل تاريخ خليفة بن خياط المتوفى سنة ٢٤٠هـ وتاريخ الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ وغيرهما، وقَلَّما أعطتْ أهميةً كبيرة ومتميزة للتراجم. وقد ظهر تحولٌ واضح منذ القرن السادس الهجري في هذا النمط من الكتب التاريخية لاسيما عند المؤرخين المحدِّثين، حيث زاد اهتمامهم بذكر التراجم. ويبدو ذلك واضحاً في كتاب «المنتظم» لأبي الفرج ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ حيث أدخل تقسيماً واضحاً بين الحوادث والوفيات، فجعل التراجمَ تعقبُ حوادثَ كُلِّ سنةٍ ورَتَّبها حسبَ حروفِ المعجم. وقد ظلت هذه الطريقة تؤثر في أُطُر الصور الحولية للمؤلفات التاريخية التي جاءت بعده. ويعزو الأستاذ روزنتال ذلك إلى سيطرةِ علم الكلام[1]، في حين نعتقد أنَّ هذا التطور لم يكن إلا بتأثيرِ علمِ الحديثِ النبويِّ، واشتدادِ العنايةِ بروراته[2].

لقد فصَلَ الذهبيُّ فصلاً تاماً بين الحوادث والوفيات، ورأينا قبل قليل تذبذبه في السير على خطٍّ واضح في ذكر الحوادث وعدم وجود أية علاقة بيِّنة لها بالوفيات. ولعلَّه فكَّر في بعض الأحيان بتجميع حوادثِ كل مجلد مع

(١) روزنتال: علم التاريخ، ص ١٩٨، ٢٠٤.

(٢) انظر بحثنا: مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين ص٣٣-٣٤.

الوفيات الواردة فيه[1]، فحينما أورد حوادث السنوات ٦٤١-٦٥٠هـ في المجلد التاسع عشر الذي لم يتضمن وفياتها، ذكر أنها من حوادث المجلد العشرين[2]. وقد طلب الذهبيُّ من الناسخ في نهاية تراجم الطبقة الخامسة والستين من المجلد العشرين أن يرتب تلك الحوادث التي مرت في المجلد الماضي في ذلك الموضع[3].

والعلاقة الوحيدة التي نجدها بين الحوادث والتراجم هي وجود بعض الإحالات من الحوادث إلى الوفيات وبالعكس لاسيما في تراجم الشخصيات السياسية التي أسهمت في الحوادث، نحو قوله في ترجمة السلطان غياث الدين الغوري في وفيات سنة ٦٠٥هـ: «هو في الحوادث»[4]، وقوله في ترجمة محمد ابن تكش خوارزم شاه: «قد ذكرنا قطعة من أخباره في الحوادث»[5]، مع أنه ترجم له ترجمة حافلة في قرابة الخمس ورقات[6]، وقوله في ترجمة ولده جلال الدين: «وفي الحوادث على السنين قطعة من أخباره»[7] وغيرها[8]. ومع كل ذلك فإن هذا الانفصام الذي أشرت إليه بين الحوادث والوفيات قد أدى إلى تكرار بعض المعلومات فيهما، كما في قصة الوحشة التي جرت بين الملك الجواد وعماد الدين عمر ابن شيخ الشيوخ محمد بن حموية الجويني ومقتل عماد الدين سنة ٦٣٦هـ حيث تكررت في الحوادث والوفيات[9].

---

(١) انظر أعلاه كلامنا على «الخطة العامة للكتاب».

(٢) الورقة ٢٥٥ (أيا صوفيا ٣٠١٢).

(٣) الورقة ١٠٧ (أيا صوفيا ٣٠١٣).

(٤) الورقة ٣٤ (أيا صوفيا ٣٠١١).

(٥) الورقة ١٧٢ (أيا صوفيا ٣٠١١).

(٦) الورقة ١٧٢-١٧٧ (أيا صوفيا ٣٠١١).

(٧) الورقة ٧٨ (أيا صوفيا ٣٠١٢).

(٨) انظر مثلاً الورقة ١٤٣ (أيا صوفيا ٣٠١٢)، والورقة ٣٤ (أيا صوفيا ٣٠١٤)، الورقة ٦٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٦)، والورقة ٧٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٨)، والورقة ١٢ (أيا صوفيا ٣٠٠٩)، والورقة ٣٩.

(٩) انظر ترجمة عماد الدين ابن شيخ الشيوخ في نسخة أيا صوفيا ٣٠١٢، ورقة ٧٨ فما بعد، وقارن حوادث سنة ٦٣٦هـ (ورقة ٢٤٨ من النسخة نفسها).

كان اهتمامُ الذهبيِّ الرئيس ينصب دائماً على التراجم، وذلك يعكسُ مفهومه الأصلي للتاريخ، لذلك احتلت التراجمُ حيزاً كبيراً من تاريخه. فإذا استثنينا الحقبة الأولى من كتابه (١-٤٠هـ) فإنَّ كميةَ الحوادث لا يمكن أن تقارن بكمية التراجم، فإننا إذا أحصينا عددَ الأوراق التي سودها الذهبيُّ لتاريخ القرن السابع الهجري من «تاريخ الإسلام» ـ مثلاً ـ وجدناها تبلغ ١١٧٤ ورقة لم تحتل الحوادث منها غير ١٧٠ ورقة فقط[١] ، وهذا يعني أنها تُكَوِّنُ ٤, ١٤٪ من الكتاب، علماً أنها أقل من ذلك بالنسبة للقرون الأولى حيث بلغت للحقبة الواقعة بين سنتي ١٨١-٢٢٠هـ ١٠٪ فقط[٢] . وقد جاء هذا التقصيرُ النسبي في الحوادث بسبب عدم استقصاء الذهبي لما ذكرته المصادرُ من حوادث واقتصاره على البعض منها. وقد صرح بذلك في أكثر من موضع، فقال في بداية حوادث الطبقة السادسة والستين: «وهذه نبذة مما جرى في هذه الطبقة من الحوادث»[٣] ، وقوله في بداية حوادث الطبقة التاسعة والستين: «ذِكْرُ الحوادث الكائنة في هذه السنين العشر على الترتيب مختصرًا»[٤] ، وهو منهجٌ اختطه الذهبيُّ لنفسه كما سيتضح عند كلامنا على الأسس التي اتبعها في انتقاء مادة الحوادث.

إن اختفاء العلاقة بين الحوادث والتراجم في كتاب «تاريخ الإسلام» هو الذي جعل الذهبيَّ فيما نعتقد لا يتبع نمطاً واحداً في تجميع الحوادث، وجَوَّزَ لنفسه أنْ يذكرها متتابعةً كل عشر سنوات تارة وكل خمسين سنة تارة أخرى

---

(١) منها ٣٤ ورقة في المجلد الثامن عشر (أيا صوفيا ٣٠١١) و٤٣ ورقة في الملجد التاسع عشر (أيا صوفيا ٣٠١٢) و٣٧ ورقة في المجلد العشرين (أيا صوفيا ٣٠١٣) و٥٦ ورقة في المجلد الحادي والعشرين (أيا صوفيا ٣٠١٤).

(٢) أجريت هذه الإحصائية على النسخة التي بخط الذهبي، فقد بلغت أوراق الطبقة التاسعة عشرة ١٣٨ورقة احتلت الحوادث ١٢ورقة منها، وبلغ عدد أوراق الطبقة العشرين ١٣١ورقة منها ٢١ورقة حوادث، وعدد أوراق الطبقة الحادية والعشرين ٨٤ورقة منها ٨ أوراق حوادث، أما الطبقة الثانية والعشرون فبلغ عدد أوراقها ١٤٧ورقة احتلت الحوادث ٩ أوراق منها فقط. فيكون مجموع عدد أوراق الطبقات الأربع ٥٠٠ورقة منها ٥٠ ورقة حوادث. ونرى من المفيد أن نشير هنا إلى أن الذهبي كان يورد أسماء وفيات الكبار ضمن الحوادث فهي تحتل قسماً غير قليل منها أيضاً.

(٣) الورقة ٢٠٤ (أيا صوفيا ٣٠١٣).

(٤) الورقة ١٩٧ (أيا صوفيا ٣٠١٤).

ونحو ذلك مما بَيَّناهُ سابقاً. ثم إنَّ شعورَ المؤرخين فيما بعد بعدم وجود هذه العلاقة جعلهم في وضع يبدو أكثر حرية في دراسة أيٍّ قسم منهما على انفراد[1]، أو الانتقاء منه[2]، كما شعر النُّساخ دائماً بحرية كبيرة في تجميع كل قسم على حدة[3].

ثالثاً: تنظيم الحوادث وأساليب عرضها:

إن قلة المادة التاريخية التي قدمها الذهبيُّ في الحوادث قياساً بالمادة الضخمة التي قدمها في التراجم تجعلُ من العسير علينا أنْ نميز له منهجاً خاصاً في هذا المجال خالف فيه غيره منْ كُتَّابِ الحوليات الذين سبقوه. وقد لاحظنا تذبذباً في طريقته بين مدة وأخرى في أساليب العرض وفي كمية المعلومات التي يقدمها ونوعيتها.

ففي القسم الخاص بالمغازي (١-١١هـ) وجدنا نوعاً من التنظيم الذي يمتاز بالوضوح حيث تناول الحوادث سنة سنة، ورتب السنة الواحدة حسب تسلسل شهورها ابتداء بالمحرم وانتهاء بذي الحجة منها. ومع أننا نجد محاولةً للسيرِ على تسلسلٍ زمني في ذكر الحوادث ضمن السنة الواحدة في القسم الخاص بالخلفاء الراشدين، إلا أنَّ ذلك لم يكن واضحاً كُلَّ الوضوح. وفي كثير من أحداث هذه السنين (١-٤٠هـ) ذكر الذهبيُّ بعض وفيات المشهورين باعتبارها من الأحداث المهمة التي وقعت في تلك السنة، فمنهجه في هذه

---

(١) لقد استطاع الصلاح الصفدي مثلاً أن يقرأ على الذهبي القسم الخاص بالحوادث من تاريخ الإسلام فقط (انظر الوافي، ج٢ ص١٦٣ ونكت الهميان ص٢٤٢ وارجع إلى كلامنا على وصف نسخة المؤلف).

(٢) من ذلك مثلاً أن شمس الدين السخاوي تمكن من تجريد تراجم الكتاب وترتيبها على حروف المعجم (انظر الإعلان، ص٥٨٩) ووجدنا خطه على نسخة المؤلف بالإشارة إلى ذلك (راجع المقدمة عند الكلام على نسخة المؤلف).

(٣) من ذلك مثلاً أن صاحب النسخة المحفوظة في المكتبة الأحمدية بحلب برقم ١٢٢٠ استطاع أن يجمع الحوادث التي أرخت المدة ٣٠١-٥٠٠هـ في مجلد واحد كما استطاع صاحب النسخة المحفوظة في مكتبة أحمد الثالث برقم ٢٩١٧/ ١٥ أن يجمع الحوادث التي أرخت الفترة ٣٥١-٦٧٠هـ في مجلد واحد أيضاً. وقد جربنا وجود الكثير من النسخ التي وصلت إلينا وهي تحتوي على مجلدات كاملة لم تذكر فيها غير التراجم.

الحقبة يشبه منهج خليفة بن خياط «ت ٢٤٠هـ» والطبري «ت٣١٠هـ»، وابن الأثير «ت٦٣٠هـ»، في تواريخهم.

أما القسم الخاص بالحقبة الواقعة بين سنتي ٤١-٣٠٠هـ فلم نجد فيه تنظيماً زمنياً ضمن السنة الواحدة. ولكننا وجدنا عناية بذكر أسماء المشهورين الذين توفوا فيها في أول حوادث السنة دائماً، وقد يبلغ الأمرُ به في بعض الأحيان إلى حد يضع فيه عنواناً لأسماء المتوفَّين فيها[١]. وفي القسم الذي بيَّضه الذهبيُّ ثانية من كتابه ووصل إلينا بخطه، نلاحظ أنَّ المؤلفَ رَتَّبَ هذه الأسماء في أول السنة بشكل منسق: كل اسمين متقابلين، حتى لتبدو هذه الأسماء لأول وهلة وكأنها أبيات من الشعر[٢].

إن اعتناء الذهبيِّ بذكرِ أسماءِ الأعلام ممن توفوا في السنة ضمن الحوادث يبدو أمراً معقولاً ومنسجماً مع مزاجه التراجمي لا سيما إذا علمنا أنه نظّم التراجمَ في هذه الحقبة حسب العقود.

وأما المدة الممتدة من بداية القرن الرابع حتى منتصف القرن السابع الهجري فمن الصعوبة أنْ نُميز فيها أيَّ وجودٍ لتنظيم الحوادث داخل السنة الواحدة لا من حيث الزمان ولا من حيث الأهمية، ولم نجدْ أيةَ روابطَ بين الحوادثِ المذكورة في مثل هذه السنين سوى وقوعها في سنةٍ واحدة. وقد اتبع الذهبيُّ طريقة كُتَّابِ الحوليات الذين سبقوه في ذكر العبارات التي تربط الحوادث ببعضها في داخل السنة الواحدة والتي تُوضَعُ في مقدمة الخبر عادة مثل: «وفيها» أو «وفي أولها» أو «وفي آخرها» أو «وفي رجب منها» ونحو ذلك.

ثم نعود فنرى تنظيمًا واضحًا في القسم الذي تناول النصف الثاني من القرن السابع الهجري (٦٥١-٧٠٠هـ) من كتابه حيث سار الذهبيُّ على نمطٍ واحد في ذكر الشهر الذي وقعت فيه الحادثة ورتب المادة حسب تسلسلها الزمني من السنة، فكان يبدأ السنة بقوله: «في المحرم» أو «في أول المحرم» أو يذكر أي شهر آخر لكنه كان يسلسلُ الأشهرَ دائماً، وربما عيَّن اليوم في

(١) انظر مثلاً سنة ١٣٣هـ: «ذكر مَنْ توفي فيها من الأعيان» ٣/٥٩٣ (من طبعتنا) وانظر أيضاً: ٣ / ٥٨٣ «ذكر من توفي فيها مجملاً».
(٢) انظر مثلاً الورقة ١٧١ فما بعد(أيا صوفيا ٣٠٠٦).

بعض الأحيان.

وفي جميع الكتاب لم يوازن الذهبيُّ، ولو بشكلٍ بسيط، بين المعلومات المذكورة في كتابه لا من حيث الكمية ولا من حيث النوعية على عكس طريقته في الموازنة بين عدد التراجم في القسم الخاص بها، كما سنوضحه بعد قليل، ولذلك وجدنا السنين الأربعين الأولى تحتل قرابة ٤٠٪ من جميع حوادث الكتاب مع أنها لا تكوِّن من نطاق الكتاب الزماني إلا أقل من ٦٠٪ فقط، ووجدناه في الوقت نفسه يقصر في حوادث بعض السنوات بحيث لا تتعدى الأسطُرَ المحدودةَ، ويطوِّل في أخرى بحيث تبلغ أوراقاً عديدة. والسببُ في ذلك فيما نعتقد، مُتَأَتٍّ من تقييمِه للحوادثِ وفَهْمِه لها، كما سيظهر لنا فيما بعد عند كلامنا على الأسس التي اتبعها في انتقاء الحوادث.

ولما كان الذهبيُّ ملتزماً في ذكر الحوادث بالتنظيم على السنين فإنه كان يقطعُ الخبرَ ليكمله في سنةٍ أخرى، وهي العادةُ التي اتبعها معظم مؤلفي الكتب التاريخية المرتبة على السنين، فإذا ما أراد القارئ أنْ يطلع على حادثةٍ معينة استمرت لعددٍ من السنين فإنَّ عليه أنْ يقرأ جميعَ حوادث هذه السنين، ويمر بأخبار وحوادث لا علاقة لها البتة بموضوعه، فضلاً عما تسببه هذه الطريقةُ من إرباكٍ في تتبع الخبرِ التاريخي. ومع ذلك فهو مثل غيره من كُتَّاب الحوليات، كان يتجاوزُ مثل هذه الحالة في أحيان قليلة، فكان يذكر بعض الأحداث المهمة متسلسلة لأكثر من سنة مثل خروج المغول وحروبهم مع علاء الدين خوارزم شاه[1] ، علماً أنه اعتبر مثل هذا التسلسل خروجاً عن نطاق السنة واستطراداً نحو قوله في حوادث سنة ٣٧٦هـ: «وإنما جرى ذلك في سنة تسع وسبعين ولكن سقناه استطراداً»[2] .

وإذا آمنا بأنَّ القسمَ الأخيرَ من كتابه يمثل طريقته الخاصة في تناول الحوادث، فإن ذلك لا يعفيه من عدم تنظيمها في الأقسام الأخرى من كتابه على النسق الذي نظم فيه القسم الأخير منه.

---

(١) انظر الورقة ٢٣٩-٢٤٧ (أيا صوفيا ٣٠١١).

(٢) ٨/ ٣٥٠ (من طبعتنا).

رابعاً: تنظيم التراجم وأساليب عرضها:

قد عرفنا أنَّ الذهبيَّ نظم المترجَمين بين سنتي ٤١-٣٠٠هـ في وحدات زمنية أمدُها عشر سنوات أطلق عليها لفظ «الطبقة» ثم رتب التراجم على حروف المعجم ضمن هذه الوحدات. ثم عرفنا أيضاً أنه عني بذكر تراجم كل سنة بصفة مستقلة ابتدأ من سنة ٣٠١هـ وحتى نهاية الكتاب، ورتب المترجَمين على حروف المعجم ضمن السنة الواحدة[(١)].

ومما هو جدير بالذكر أنَّ الذهبيَّ لم يعتبر اسم المترجَم حسب في التنظيم الداخلي للتراجم، بل اعتبر الشُّهرةَ واتخذها أساساً في ذلك سواء أكانت شهرة المترجَم في اسمه أم لقبه أم كنيته. ومن هنا وجدناه يترجم لبعضهم بلقبه؛ من ذلك مثلاً أنه ترجم للقطامي الشاعر المشهور في حرف القاف[(٢)]، وترجم للمُحَدِّثة المشهورة ست الكتبة نعمة بنت علي ابن الطراح في حرف السين[(٣)]. ثم قال في حرف النون من وفيات السنة نفسها: «نعمة بنت الطراح هي ست الكتبة ـ مَرَّ ذكرها»[(٤)]، وترجم ليحيى بن زياد المعروف بالفراء النحوي المشهور بلقبه في حرف الفاء[(٥)]، وترجم لمحمد بن المستنير المعروف بقطرب في حرف القاف[(٦)]، وترجم لبهاء الدولة البويهي في حرف الباء[(٧)] ونحو ذلك[(٨)].

أما المعروفون بكُناهم فقد عُني الذهبي بإفرادهم في آخر الطبقات حينما نظم أولاً على الطبقات، وفي السنين حينما نظم بعد ذلك على السنين. ولا ريب أنَّ اشتهارَ عددٍ كبير من المترجمين بكناهم هو الذي دفعه إلى إفرادهم بالترتيب في آخر الطبقات أولاً وفي آخر السنوات بعد ذلك ليسهل الكشفُ

---

(١) انظر أعلاه كلامنا عل الخطة العامة للكتاب.
(٢) ٣/ ١٤٣ (من طبعتنا).
(٣) الورقة ٢٤ (أيا صوفيا ٣٠١١) وفيات سنة ٦٠٤هـ.
(٤) الورقة ٢٧من النسخة نفسها.
(٥) الورقة ٤٨(أيا صوفيا ٣٠٠٧).
(٦) الورقة ٤٩(أيا صوفيا ٣٠٠٧).
(٧) الورقة ٢٨(أيا صوفيا ٣٠٠٩).
(٨) انظر الورقة ١٤٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٧).

عنهم، وآيةُ ذلك أنَّ عدداً كبيراً من المترجَمين لم يعرفوا أصلاً إلا بكناهم، فكانت كناهم هي أسماؤهم، وهذا معروف عند المعنيين بالرجال، فضلاً عن اشتهارِ عددٍ كبير منهم بالرغم من وجود أسماء لهم سواء عرفها الذهبي[1]، أم اختلف فيها المؤرخون[2]، أم لم يعرفها نحو قوله في آخر وفيات سنة ٦٠٩هـ: «أبو منصور ابن الصوفي الكلابي الدمشقي لم أظفر باسمه، قال المنذري: . . .»[3].

ومن أجل تسهيلِ الكشفِ على التراجم والتخلص من الأوهام التي قد تقع من جراء ترجمة شخصٍ ما بكنيته أو لقبه أو نسبته ونحو ذلك كان الذهبيُّ يعملُ إحالاتٍ للتراجم، فإذاً ما ترجم لأحدهم بلقب اشتهر به عمل إحالةً باسمه نحو قوله: «أحمد بن فنا خسرو بن مؤيد السلطان بهاء الدولة أبو نصر ابن السلطان عضد الدولة ـ مذكور بلقبه»[4]، وإذا ترجم لأحدهم بكنية اشتهر بها عمل إحالة باسمه نحو قوله مثلاً: «الجلخ بن عيسى بن محمد، أبو بكر ـ يأتي بكنيته»[5]. وعلى العكس من ذلك فإنه إذا ترجم لأحدهم باسمه وكان يعرف بلقب أو كنية، رتبه في لقبه أو كنيته على شكلِ إحالةٍ وترجم له باسمه نحو قوله في وفيات سنة ٣٢٠هـ: «أبو حامد ابن الشرقي، هو أحمد بن محمد بن الحسن ـ تقدم»[6]. وهكذا فإننا نجد الذهبيَّ قد سار على هذه الطريقةِ في جميع كتابه، فملأه بالإحالاتِ الكثيرة من الأسماء إلى الكنى والألقاب والأنساب، وبالعكس[7].

وقد عُني الذهبيُّ أيضاً بعملِ الإحالاتِ لأولئك الذين عُرِفُوا باسمين، فقد ترجم للمحدثة عائشة بنت عبدالجبار بن هبة الله ابن البندار، المدعوة فرحة

---

(١) انظر مثلاً ٢/ ٧٣٥ و١٠٢٣ و١٠٢٥ و١٠٣١.
(٢) انظر مثلاً ٢/ ٧٤٤ و٩٠٠.
(٣) الورقة ٧٤ (أيا صوفيا ٣٠١١) وقارن المنذري: التكملة، ٢/ الترجمة ١٢٧٣.
(٤) الورقة ٢٦ (أيا صوفيا ٣٠٠٩).
(٥) الورقة ٦٨ (أيا صوفيا ٣٠١١) ثم ترجم له بعد ذلك في الكنى، الورقة ٧٤ من النسخة نفسها.
(٦) ٧/ ٥١٧.
(٧) انظر مثلاً لا حصراً: الورقة ٥٢، ٢٣٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٦)، والورقة ٨٥ (أيا صوفيا ٣٠٠٧)، الورقة ١٨٧، ١٩٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٨)، والورقة ٢٥٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٩).

أيضاً، في وفيات سنة ٦٠١هـ[١]، ثم أعاد ذِكْرَهَا في حرف الفاء من وفيات السنة نفسها إحالةً، فقال: «فرحة بنت عبدالجبار بن هبة الله ابن البندار، أم الحياة، هي عائشة ـ مرت»[٢]. وترجم لأبي موسى النحوي المعروف بالحامض المتوفى سنة ٣٠٥هـ باسم «سليمان بن محمد»[٣]، ثم ذكره في حرف الميم من وفيات السنة إحالة، فقال: «محمد بن سليمان، أبو موسى الحامض البغدادي النحوي أحد أئمة اللسان وتلميذ ثعلب، وقيل: سليمان بن محمد كما مر آنفاً»[٤]، وقال في وفيات سنة ٣١٧هـ: «أحمد بن محمد بن إسحاق بن أبي خميصة، أبو عبدالله المكي نزيل بغداد، هو حرمي بن أبي العلاء... سيأتي في الحاء»[٥] ثم ترجم له باسم حرمي ترجمة مفصلة[٦]، ونحو ذلك من الأمثلة.

إن اعتماد اللقب أو الكنية أو نحوهما في التنظيم جعل الذهبيَّ في بعض الأحيان يتوهم فيسبقه قلمه ويترجم الشخص مرتين كما في ترجمة الفراء حيث ترجم له في لقبه أولاً[٧]، ثم أعاد ترجمته في حرف الياء باسم «يحيى بن زياد»[٨]. ولا ريب أنَّ سعةَ الكتابِ وكثرةَ التراجم وتشابه الأسماء وتعدد الموارد وتنوعها يُولِّدُ كثيراً من المشاكلِ التنظيمية الداخلية، فيصبح الوقوع في الوهم أمراً محتملاً مهما بلغت مرتبة المؤلف في الحفظ والتتبع والعلم بهذا الفن.

وتنظيمُ الذهبيِّ التراجمَ حسب السنين جعله يدقق في تواريخ الوفيات ويُرجِّح إحداها على الأخرى عندما يختلف المؤرخون في ضبطها، ولابد أن يفعل ذلك، وإلا صَعُبَ عليه التنظيمُ وأشكل، أما تلك التراجم التي لم يستطع أنْ يقطعَ فيها برأيٍ نهائي فقد ذكرها منفصلة في وفيات السنة التي رجّحها

(١) الورقة ٤ (أيا صوفيا ٣٠١١).
(٢) الورقة ٧ من النسخة السابقة.
(٣) ٧/ ٨٨ (من طبعتنا).
(٤) ٧/ ٩٥.
(٥) ٧/ ٣١٧.
(٦) ٧/ ٣٢٠ - ٣٢١.
(٧) الورقة ٤٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٧).
(٨) الورقة ٧٩ من النسخة السابقة.

ضمنياً وقطعياً وعمل لها إحالةً في وفيات السنة الأخرى تنبيهاً للقارئ، ومن أمثلة ذلك ترجمة السلطان عز الدين سنجر شاه بن غازي الأتابكي صاحب جزيرة ابن عمر، فقد ذكره أولاً في وفيات سنة ٦٠٤هـ مختصراً مقتصراً على اسمه، وقال: «توفي في هذا العام على قول»[١] ثم ذكر ترجمته المفصلة في وفيات سنة ٦٠٥هـ[٢]، وقد جاء مثل هذا الاختلاف في هذا الرجل وغيره، على ما نعتقد، بسبب الموارد الأصلية التي اعتمدها الذهبي، ففي ترجمة سنجر شاه هذا اعتمد الذهبيُّ روايةَ زكي الدين المنذري حيث ذكره في وفيات سنة ٦٠٤هـ من التكملة[٣]، بينما اعتمد في الرواية الثانية وهي المرجحة عنده، على أبي شامة[٤]. ومثل هذا قوله في وفيات سنة ٦١٠هـ «عيسى الجزولي النحوي، ذكر هنا وفاته ابن خلكان. وقدم في سنة سبع»[٥].

ولم يكن أمام الذهبي غير الاعتماد على الموارد أسلوباً وطريقاً في تثبيت الوفيات ومن ثم عرضها في السنة المخصصة لها، فكان يرجح ما يراه راجحاً ويترجم له في السنة المرجحة ثم يعملُ إحالةً في السنة الأخرى[٦]، إلا أنه اضطر في حالات قليلة جداً، إلى إعادةِ الترجمةِ بسبب عدم إيجاده سبباً للترجيح كما هو في ترجمة أبي بكر يحيى بن هذيل الأديب الأندلسي أحد الفقهاء المالكية، فقد ترجم له أولاً في وفيات سنة ٣٧١هـ نقلاً عن القاضي عياض[٧] ثم أعاد ترجمته مع الإشارة إلى الترجمة السابقة في وفيات سنة ٣٨٩هـ نقلاً عن ابن الفرضي وحَدَّدَ وفاته في الثالث عشر من ذي القعدة من

---

(١) الورقة ٢٤ (أيا صوفيا ٣٠١١).

(٢) الورقة ٢٥ من النسخة نفسها.

(٣) المنذري: التكملة ٢/ الترجمة ١٠٤٥ وانظر تعليقنا عليها.

(٤) ذيل الروضتين، ص٦٧. وهي الرواية التي اعتمدها المؤرخون الذين جاؤوا فيما بعد مثل أبي الفداء في المختصر (ج٣ص١١٧) والصفدي في الوافي (١٥/ ٤٧٢) والعيني في عقد الجمان (ج١٧ الورقة ٣١٦-٣١٧ مصورة القاهرة رقم ١٥٨٤ تاريخ) وغيرهم.

(٥) الورقة ٨٠ (أيا صوفيا ٣٠١١).

(٦) انظر مثلاً: الورقة ٢٦، ٥١، ٨٢ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) والورقة ١٣١، ١٣٤، ١٦٦، ١٧٢، ١٨٧، ١٩٤، ١٩٨، ٢٢٤ (أيا صوفيا ٣٠٠٨)، والورقة ٦، ١٢، ٢٤ (أيا صوفيا ٣٠٠٩).

(٧) الورقة ١١٦(أيا صوفيا ٣٠٠٨).

السنة[١]، بل قد يبلغ التغاير حتى في محتويات الترجمة نفسها بالرغم من وجودِ إشارةٍ إلى الترجمة السابقة، كما في ترجمة ابن الطبري القاضي الحنفي حيث ذكره أولاً في وفيات سنة ٣٧٣هـ ناقلاً عن الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ هـ وقد ذكر الحاكم أنه كان ببخارى حينما كان ابن الطبري يملي بها[٢]، ثم أعاده ثانية في وفيات سنة ٣٧٧ هـ ناقلاً عن أبي سعد عبدالرحمن ابن محمد الإدريسي المتوفى سنة ٤٠٥هـ أيضاً والذي ذكر أن ابنَ الطبريِّ كان يتولى قضاء القضاة بخراسان[٣] ولم يكن الحاكم قد ذكر له مثل هذه الوظيفة الخطيرة.

وفي مثل هذه التراجم يصعبُ ترجيحُ إحدى الروايتين، فإنه اعتمد مؤرخين عظيمين أكثرَ النقلَ عنهما، ومن ثم فهما متعاصران عُرِفَا بالدقة والضبط وكلاهما أَلَّفَ عن المشرقِ وأَرَّخ لرجاله الأُول في كتابه العظيم «تاريخ نيسابور» الذي اختصره الذهبي[٤]، والثاني في «تاريخ سمرقند»[٥] و«تاريخ إستراباذ»[٦].

إنَّ مثل هذا الاعتماد على بعض ثقاتِ المؤرخين جعله في بعض الأحيان يذهل فيترجمُ الشخصَ مرتين من غير أنْ يشعر كما فعل في ترجمة الفقيه أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن علي اليمني الشافعي المعروف بابن أبي الصيف حيث ترجم له أولاً في وفيات سنة ٦٠٩هـ[٧] ثم أعاد ترجمته من غير أن يشعر في وفيات سنة ٦١٩هـ[٨] متابعاً في ذلك زكي الدين المنذري الذي كان قد ترجمه مرتين من غير أن يشعر أيضاً[٩].

---

(١) في وريقة طيارة وضعت بين الورقتين ٢٠٧-٢٠٨ من النسخة السابقة.

(٢) الورقة ١٢١ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).

(٣) الورقة ١٣٧(أيا صوفيا ٣٠٠٨).

(٤) انظر كلامنا على «المختصرات» من آثار الذهبي في كتابنا: الذهبي ومنهجه ٢٣٥، وراجع الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ٥٠-٥٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٩).

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ٤٦ (أيا صوفيا ٣٠٠٩). السخاوي: الإعلان، ص٦٣٣.

(٦) الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ٤٦(أيا صوفيا ٣٠٠٩) والسخاوي: الإعلان، ص٦١٥.

(٧) الورقة ٧٢(أيا صوفيا ٣٠١١).

(٨) الورقة ١٩٨ من النسخة السابقة.

(٩) ترجم له المنذري أولاً في وفيات سنة ٦٠٩هـ من التكملة (٢/ الترجمة ١٢٧٥) ثم أعاده في وفيات سنة ٦١٩هـ منها (٣/ الترجمة ١٩٠٧) وتابع ابن الملقن شمس الدين الذهبي =

ونتيجة لكل هذا فقد كان من الطبيعي أن يظل الذهبي يبحث ويدقق في تواريخ الوفيات في أثناء تأليف الكتاب وبعد الانتهاء منه، فإذا ما وجد وَهَماً في ذكر تاريخ وفاة أو تقديراً لم يُقارب الحقيقةَ أو وقف على موردٍ أثبت وأكثر دقة، اعتنى بهذا الأمر ونَبَّه عليه وترجمَ له في موضعه الصحيح بوريقة طيارة أو على هامش النسخة وأشار في الموضع الأول إلى مثل هذا الأمر وطلب من الناسخ تحويلَ مثل هذه التراجم إلى مواضعها الصحيحة بكلمة «يُحَوّل» نحو قوله في وفيات سنة ٣٩٦هـ: «أحمد بن عبيد بن بيري الواسطي. ترجمته في بضع وأربع مئة. قال لنا الخلال: أخبرنا السلفي، قال: سألت خميساً الحوزي عن ابن بيري، فقال: هو أبو بكر أحمد بن عبيد... قال خميس: قال لي أبو المعالي... ولدت في السنة التي مات فيها أبو بكر ابن بيري سنة ست وتسعين»[1]. وكان الذهبيُّ مثلاً قد ذكر في وفيات سنة ٤٤٢هـ عبدالرحمن ابن محمد بن أحمد الذكواني الأصبهاني المعدل وقال: «وحدث في هذا العام ولا أعلم متى توفي» ثم وجد وفاته وأنها كانت سنة ٤٤٣هـ، نقلاً من كتاب «الوفيات» ليحيى بن مندة المتوفى سنة ٤٧٠هـ، فذكر هذه المعلومات في آخر الترجمة بقَطة قلم تختلفُ عن الأصلِ ثم كتبَ فوق الترجمة بالقطة نفسها «يُؤَخَّرُ إلى سنة ثلاث»[2]، وفي موضعه من سنة ثلاث ذكر اسمه واسم أبيه فقط وقال: «يكتب من السنة الماضية، قال يحيى بن مندة: مات في ربيع الآخر»[3]. ومثل هذا تعليقه على ترجمة بشر بن محمد بن ياسين الباهلي المذكور في وفيات سنة ٣٧٣هـ بقوله: «يؤخر إلى سنة ثمان»[4]. والشواهد في كتاب الذهبي كثيرة على مثل هذا الاستدراك والتصحيح وطلب

= في غلطه فترجم له في وفيات سنة ٦١٩هـ (العقد المذهب، الورقة ١٧٢) مع أن الصحيح في وفاته سنة ٦٠٩هـ. وانظر: الفاسي: العقد الثمين ١/ ٤١٥ - ٤١٦ والعيني: عقد الجمان ج ١٧ الورقة ٢٤٠ (مصورة دار الكتب ١٥٨٤تاريخ) وابن الأثير: الكامل ج ١٢ ص١٢٤ وغيرهم.

(١) وضع الذهبي هذه الترجمة بوريقة طيارة عند الورقة ٢٣٤(أيا صوفيا ٣٠٠٨).

(٢) الورقة ٤٠٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٩).

(٣) الورقة ٤٠٨ من النسخة السابقة وانظر عن ابن مندة وكتابه بحثنا: كتب الوفيات، ص٢٤٧.

(٤) الورقة ١٢٢ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).

التحويل[1] .

إنَّ عنايةَ الذهبيِّ بتنظيم التراجم حسب حروف المعجم وعمل الإحالات الكثيرة للأسماء، والكُنى والألقاب والأنساب المشهورة، وللوفيات المُخْتَلَف فيها ضمن السنةِ الواحدة وفي السنوات المختلف فيها، يسهِّلُ على القارئ كثيراً من العناء في البحث ويُجَنِّبُه الوقوعَ في متاهات التوهم والزلل، ويرفع عنه كثيراً من الإرباك الذي يسببه الاختلافُ في الأسماء والكنى والألقاب والوفيات ونحوها.

وكان جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي البغدادي «ت٥٩٧هـ» أول من فصَل الحوادث عن الوفيات فصلاً كاملاً في كتابه «المنتظم» ورتب التراجم ضمن السنة الواحدة على حروف المعجم، وذكر المشهورين بكناهم في آخر وفيات السنة[2] ، فلعلَّ الذهبيَّ أخذَ هذه الطريقة عنه. على أن الذهبيَّ كان دقيقاً في تنظيمه المعجمي سواء أكان ذلك في أسماء المترجمين أم أسماء

---

(١) انظر مثلاً الورقة ٦٤، ٨٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) والورقة ٨٧، ٩٧، ١٩٧، (أيا صوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٢٤١، ٤١١ (أيا صوفيا ٣٠٠٩)) ومن الجدير بالذكر أن النساخ في الأغلب الأعَمِّ أبقوا هذه التراجم في أماكنها مع نقلهم أقوال المؤلف بطلب التحويل وعلى ذلك فقد أصبح من الواجب أن يعيد المحقق النظر في الكتاب ويلبي رغبات المؤلف، قارن مثلاً:

أيا صوفيا ٣٠٠٨	أحمد الثالث ٢٩١٧/١٠
الورقة ٢٣٤	بالورقة ٢١٩
والورقة ٢٤٠	بالورقة ٢٢٥

أما صاحب النسخة الحلبية رقم ١٢٢٠ المختصة بالحوادث فقد لبى طلبات المؤلف فحول كثيراً من الأخبار إلى مواضعها الأصلية نحو قوله في حوادث سنة ٣٣٢هـ: «هذه تتمةُ أخبار أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي القرمطي ذكرها المصنف في غير موضعها وأمر أنْ تُلحقَ هنا فألحقتها حسب مرسومه» (الورقة ٥٥) ولكنه كان منزعجاً من طريقة المؤلف هذه، فقال في آخر ما نقله: «انتهى ما ألحقه المؤلف بخطه من أخبار أبي طاهر القرمطي في غير موضعه فألحقته هنا، ولا قوة إلا بالله؛ ففي كتابة مثل هذا مضض ونسأل الله العفو والسلامة» (الورقة ٥٨). قال بشار: ولكن كثرة الإحالات وطلبات المؤلف في التراجم وصعوبة معرفة ما سيأتي تجعل ذلك في غاية الصعوبة لاسيما على النساخ من غير العلماء المتخصصين.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، مثلاً ج٧ ص٢٣، ١٠٣، ٢٣٦، ٢٤٨، ج٩ ص٥، ٤٣، ١٣٣، ج١٠ص١٤، ٢١٩.

آبائهم، ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا في تقديمه مَن اسمُه أحمد في حرف الألف[1] ، في حين لم يلتزم ابن الجوزيِّ بهذا الترتيب التزاماً كاملاً، فإذا أرجعنا تقديمَ ابن الجوزيِّ لمن اسمه عمر على من اسمه عثمان، وذكره لمن اسمه علي بعد مَن اسمه عثمان مباشرة إلى احترامِه للخلفاءِ الراشدين[2] ، فإننا لا نستطيعُ تفسيرَ تقديم مَن اسمُه عليّ على مَن اسمُه العباس[3] ، وذكر من اسمه عبيدالله بعد من اسمه عبدالله ثم ذكر العبادلة الآخرين[4] ـ مثلاً ـ إلا بعدم التزامه الكامل بالترتيبِ المعجمي. ومع أن ابنَ الجوزيِّ قد ألزم نفسه بترتيب الآباء في الأسماء المتشابهة على حروف المعجم كما يبدو فإنه لم يضبط ذلك[5] ، علماً أنه أهملَ ترتيبَ الأسماء بعد الآباء إهمالاً تاماً. ولعل عدم عناية ابن الجوزي بضبط الترتيب يعودُ إلى قلة عدد المترجَمين في السنة الواحدة حيث لا يزيدُ معدل ما يذكر في السنة الواحدة عن عشر تراجم في حين يبلغ معدل ما يذكره الذهبي قرابة الستين ترجمة.

ولعلَّ من المشاكلِ الرئيسة التي جابهت مؤلفي كتب التراجم في التنظيم الداخلي لكتبهم، ومنهم الذهبي، هو التشابهُ بين أسماء المترجَمين لا سيما إذا كانوا متعاصرين، ولذلك سعى الذهبي دائماً إلى التنبيه على مثل هذا التشابه خوف الخلط بينهم نحو قوله في آخر ترجمة علي بن زياد التونسي من أهل

---

(١) اعتاد كثير من مؤلفي كتب التراجم المرتبة على حروف المعجم ملاحظة بعض الاعتبارات في الترتيب، منها مثلاً تقديم من اسمه محمد على جميع الكتاب، أو حرف الميم منه تيمناً وتبركاً واحتراماً للنبي ﷺ وتقديم عمر على عثمان وذكر علي بعد عثمان مباشرة في حرف العين احتراماً وتقديراً للخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وهي من العادات المعروفة عندهم منذ القديم حيث قدم البخاري «المحمدين» في كتابه «التاريخ الكبير». وممن اتبع هذه الطريقة ابن الدبيثي في تاريخه والصفدي في الوافي (انظر بحثنا: أصالة الفكر التاريخي ص٢٩ومقدمتنا لتاريخ بغداد لابن الدبيثي ص٣٤). ولا نعتقد أن تقديم الذهبي «الأحمدين» من هذا النمط، فهي عادة متبعة عند معظم واضعي التراجم على حروف المعجم.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، مثلاً ج٧ص٤٠، ٤٤-٤٥، ١٣٠، ٢١١... إلخ.

(٣) المصدر السابق، مثلاً ج٧ ص٧٢-٧٣.

(٤) المصدر السابق، مثلاً ج ٧ ص ١٢٨، ١٣٩، ١٤٣، ١٥٤، ١٩٣، ٢٠٧، ٢٤١.. إلخ.

(٥) أمثلة ذلك كثيرة؛ فانظر عن مثل هذه الاختلافات في المنتظم، مثلاً: ج٧ص١٥٠، ج٨ ص٤٦، ج٩ص٥٤، ٥٥، ٦٠، ٧٨، ١٠١-١٠٢، ١١٨، ١١٩، ١٢٩، ١٧٩، ١٨٢ وغيرها.

الطبقة التاسعة عشرة: «وسنذكر في الطبقة الآتية إنْ شاء الله علي بن زياد الإسكندري»[(١)] ، وقوله في وفيات سنة ٣٧٤هـ «محمد بن أحمد بن بالوية، أبو علي النيسابوري العدل. سمع عبدالله بن شيروية بنيسابور، وأبا القاسم البغوي وطبقته ببغداد. أما محمد بن أحمد بن بالوية النيسابوري الذي يروي عنه الكديمي فقديمٌ توفي سنة أربعين وثلاث مئة»[(٢)] ، وقوله في وفيات سنة ٤٢٠هـ: «علي بن محمد بن علي بن حميد، أبو الحسن. وقيل: أبو محمد الإسفراييني المقرئ المجود. أكثر عنه البيهقي... ومثله في الاسم والبلد علي بن محمد بن علي أبو الحسن ابن السقاء الإسفراييني من شيوخ البيهقي أيضاً، يروي عن ... وقد روى البيهقي عنهما معاً حديثاً، قالا: حدثنا الحسن بن محمد. ولكن ابن السقاء أقدم سماعاً ووفاة، روى.. توفي المقرئ في ذي الحجة سنة عشرين، وتوفي ابن السقاء سنة أربع عشرة»[(٣)] . ونحو ذلك كثير في كتابه[(٤)] .

وقد يضطره اتفاقُ بعض المترجَمين في الأسماء ونحوها إلى أنْ يترجم للشخص المتفق بعد المترجم الذي خاف أنْ يشتبه به مباشرةً، مع أنَّ ذلك ليس موضعه كما في ترجمة عدي بن زيد العاملي الشاعر المعروف بابن الرقاع[(٥)] ؛ حيث أورد بعده ترجمة عدي بن زيد ابن الحمار، وقال: «ذكرتُه هنا تمييزاً له من ابن الرقاع العاملي»[(٦)] .

ومثل هذا الذي ذكرناه قد أدى دائماً إلى وقوع العلماء في الخلط بين اسمين واعتبارهما شخصاً واحداً، أو جعل الشخص الواحد اثنين، فكان لابد للذهبي من العناية بهذا الأمر وهو يترجمُ لآلافِ الناس، وينقل عن مئات المصادر المتنوعة التي لابد أنْ تختلفَ في بعض الأسماء أو نحوها. وما كان

---

(١) الورقة ١١٦(أيا صوفيا ٣٠٠٦) وقد ذكر الذهبي سميه في الورقة ٢٤٣من النسخة نفسها.

(٢) الورقة ١٢٧ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).

(٣) الورقة ٢٠٤ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) وانظر ترجمة ابن السقاء في الورقة ١٥٣من النسخة نفسها.

(٤) انظر مثلاً الورقة ١٤٦ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) والورقة ٢٠٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٧) والورقة ١٩٨(أيا صوفيا ٣٠٠٨) والورقة ١٠٢(أيا صوفيا ٣٠٠٩).

(٥) ٣/ ٩٩.

(٦) ٣/ ٩٩. وانظر أيضاً الورقة ١٢٧(أيا صوفيا ٣٠٠٦).

هذا بالأمر الميسور، فهو يحتاجُ إلى معرفةٍ تامةٍ بالتراجم وصلات بعضهم ببعض وقوة ملاحظة وحفظ. وقد حاول الذهبيُّ جاهداً ألا يقع في مثل هذا الغلط فاتبع طريقة التنبيه هذه وبَيَّنَ أوهامَ بعض الموارد التي ينقلُ عنها، يساعده في ذلك سَعَةُ اطلاعِه ومعرفته التامة ودقته وتمحيصه للموارد، ولعل المثال الآتي، وهو واحد من أمثلةٍ عديدة في كتابه، يُوضِّحُ مدى عناية الذهبي بهذا الأمر قال في وفيات سنة ٣٠١هـ: «محمد بن حبان بن الأزهر العبدي، أبو بكر القطان البصري. حَدَّثَ ببغداد عن أبي عاصم النبيل وعمرو بن مرزوق، وعنه أبو طاهر الذهلي وابن عدي وأبو بكر الجعابي والإسماعيلي وعمر بن محمد ابن سبنك[١]. ضَعَّفَهُ الحافظُ محمد بن علي الصوري وكان قد نزل ببغداد، قال ابن سبنك: أول ما كتبت سنة ثلاث مئة عن ابن حبان ومات سنة إحدى. قلت: ومن طبقته:

محمد بن حُبان ـ بالضم أيضاً ـ بن بكر بن عمرو الباهلي البصري، نزل بغداد في المخرِّم، وحَدَّثَ عن أمية بن بسطام وكامل بن طلحة ومحمد بن منهال روى عنه الطبراني وأبو علي النيسابوري. وهو الأول[٢] بناء على أنَّ «الأزهر» لقب «بكر» أو هو جد أعلى أو وقع وهم في نسبه. وقد وهم عبدالغني المصري الحافظ وقيده بالفتح[٣] وقال: حدثنا عنه الذهلي، قال: وبضم الحاء محمد بن حُبان حدث عنه أبو قتيبة سلم بن الفضل. قال الصوري: وهما واحد وهو بالضم. قلت[٤]: ليس عند الطبراني عنه سوى حديث واحد عن كامل بن طلحة أورده عنه في معجميه الأصغر والأوسط، وهو ضعيفٌ، وقال ابن مندة الحافظ: ليس بذاك. وأما ابن ماكولا فقال: محمد بن حَبان ابن الأزهر الباهلي ـ بالفتح ـ عن أبي عاصم وعنه أحمد بن

---

(١) قيده الذهبي في المشتبه فراجعه هناك (ص٣٥٢).
(٢) يبدو أن الذهبي استدرك على نفسه فيما بعد واعتبرهما واحداً. ولما كان هذا القسم من «تاريخ الإسلام» لم يصل إلينا بخط المؤلف فمن الصعب أن نجزم بذلك وإن كنا نرجحه لقوله أولاً «قلت: ومن طبقته... إلخ».
(٣) انظر تفاصيل أوسع في توضيح المشتبه لابن ناصر الدين ٢/ ١٦٤ ـ ١٦٨.
(٤) الكلام للذهبي.

عبيدالله النهرديري[1] ومحمد بن حبان، أبو بكر، عن أبي عاصم ذكره عبدالغني وهو متقنٌ لا يَخْفَى عليه أمرُ شيخِ شيخِه، وكان القاضي أبو طاهر الذهلي من المتثبتين لا يخفى عليه أمرُ شيوخه. وقال الصوري: إنما هو واحد. قال ابن ماكولا: ولم يأت بشيء فإنهما اثنان، والنسبة تفرق بينهما والله أعلم، وجَدُّ أحدهما الأزهر وجَدُّ الآخر بكر[2]، قال: فإن كان شيخنا الصوري قد أتقنه بالضم فقد غلط في تصوره أنهما واحد وهما اثنان كل منهما: محمد بن حبان، وإنْ لم يكن أتقنه[3] فالأول بالفتح وهذا بالضم. قلت[4]: لم يقل الصوري هما واحد إلا باعتبار الاثنين المسمين. أما باعتبار الرجل الآخر الذي ذكره الدارقطني فيكونون ثلاثة؛ فإن الدارقطني قال: محمد بن حبان بن بكر بن عمرو البصري نزل بغداد في المخرِّم وحدث عنأمية بن بسطام ومحمد بن منهال وغيرهما»[5].

خامساً: عرض المواليد:

كان تاريخ ولادة المترجَم يكوِّن عنصراً بارزاً من عناصر الترجمة، وقد اعتنى به مؤلفو كتب التراجم منذ مدة مبكرة، وأخذنا نجد اهتماماً بالمواليد

---

(١) منسوب إلى (نهر دير) كانت قرية كبيرة عند البصرة كما ذكر السمعاني في «النهرديري» من الأنساب وتابعه ابن الأثير في اللباب.

(٢) قال بشار: قد تقدم قول الذهبي رداً على ذلك بأن الأزهر هو لقب بكر أو هو جد أعلى وأنه وقع وهم في نسبه.

(٣) يعني أتقن تقييد الحاء من حبان بالضم أو بالفتح.

(٤) القول للذهبي.

(٥) ٧/ ٤١ - ٤٢ (من طبعتنا). وانظر مناقشة ابن ماكولا في «الإكمال» ج٢ص٣٠٥ فما بعد. وراجع تعليقنا على كتاب الذهبي «أهل المئة فصاعداً» ص١٢٣هامش ١٦١تجد فيه تفصيلاً يغني. ومثل هذا المثال الذي ذكرناه كثير الوجود في «تاريخ الإسلام» للذهبي، فراجع مثلاً: ٢/ ١٢٠٥. حيث تجد قوله في الكنى من الطبقة العاشرة: «أبو عبدالله الأغر المدني مولى جهينة اسمه سلمان روى عن أبي هريرة و... وأما أبو مسلم الأغر (الكوفي) عن أبي هريرة فرجلٌ آخر، وقد جعلهما واحداً الحافظ عبدالغني المصري وقبله ابن خزيمة فوهما...» ولا شك أنَّ هذا الارتباك هو أحد الأسباب الرئيسة التي دعت العلماء المسلمين إلى العناية التامة بالمتفق والمشتبه من الأسماء والأنساب والكنى والألقاب فألفوا فيها الكتب الكثيرة المعروفة المشهورة.

كلما تقدم الزمن، فهو في الكتب المتأخرة أكثر منه في الكتب الأولى، فإن من الطبيعي أنْ يهتم الذهبي اهتماماً بالغاً في تدوين تاريخ ولادة المترجم أو عمره التقريبي في تراجم كتابه[1].

وفي سنة ٣٠٢هـ وجدنا أول ذكر للمواليد في نهاية وفيات السنة، لكنه انقطع بعد ذلك إلا في حالات نادرة، ولعله بدأ بالعناية بذلك حين وصل إلى أواخر المئة السادسة، فقد ذكر مواليد سنة ٥٧٢ هـ[2]، واستمر على ذلك بصورة منتظمة[3] إلى نهاية الكتاب. وكان الذهبي يؤكد في العناوين التي يضعها لقوائم الولادات هذه أنها للمشهورين حسب؛ فيقول مثلاً: «وفيها ولد من الكبار»[4] أو «وفيها ولد من المشاهير»[5]، ولذلك فإنه لم يستوعب المواليد استيعابه للوفيات.

ولكن لماذا عُني الذهبي بذكر المواليد في الربع الأخير من القرن السادس ولم يورد قوائم مماثلة قبل هذا التاريخ؟ فإذا كان الجواب على ذلك وقوفه على مواليد الكبار في هذه الفترة، أو حصوله على مادة في هذا الموضوع فإن ذلك مردودٌ بثبوتِ عددٍ كبير من المواليد قبل هذا التاريخ، وقد ذكرها هو في أثناء التراجم، وكان يستطيع أن يجمع مواليد المشهورين فيذكرها في آخر كل سنة. ويبقى لدينا بعد ذلك احتمالان:

---

(١) انظر أدناه كلامنا على «عناصر الترجمة».

(٢) وجدنا مواليد هذه السنة قد كتبت في أثناء تراجم سنة ٥٧٣هـ من نسخة أحمد الثالث رقم ٢٩١٧/ ١٤وبعد ترجمة أحمد بن حامد ابن الفرات، فقال: «وفيها ولد الشيخ الفقيه بيونين في رجب والصفي إسماعيل بن إبراهيم ابن الدرجي بدمشق والكمال علي بن شجاع الضرير بمصر في شعبان والشيخ أوحد الدين عمر الدويني». (الورقة ٤٧من النسخة) والظاهر أن الذهبي كان قد كتبها في إحدى الجزازات وظنها الناسخ الجاهل في هذا الموضع، وإلا فإن الذي حفظناه من ولادة هؤلاء الأعلام هو سنة ٥٧٢هـ وكما ذكر الذهبي نفسه (انظر العبر ج٥ص٢٤٨، ٢٦٦، ٢٧٧).

(٣) باستثناء بعض السنوات الأولى التي لم ترد فيها قوائم ولادات وهي سنة ٥٧٣ وسنة ٥٧٤ وسنة ٥٧٩ وسنة ٥٨١.

(٤) الورقة ٥٩ (أيا صوفيا ٣٠١١).

(٥) الورقة ٢٢٦ (أيا صوفيا ٣٠١٢).

الأول: إنه عُني بذكر مواليد الكبار من شيوخه وشيوخ شيوخه، ويؤكد هذا الاحتمال أن جميع المذكورة مواليدهم من هذه الفئة، وقد تَبَيَّنَ لنا ذلك بمقارنتهم بمعجم شيوخه وبشيوخ المذكورين في معجم شيوخه.

الثاني: وهو الأرجح عندنا أنه فَكَّرَ بمثل هذا العمل بأَخَرَة، وهو في الأقل قد عُني بذكر المواليد عند بداية تأليفه للمجلد الثامن عشر المحتوي على تراجم المدة الواقعة بين سنتي ٦٠١-٦٢٠هـ، أي منذ مطلع القرن السابع الهجري، فالولادات هنا مذكورة في أصل النسخة وليس على حواشيها ولا في طيارات لنقول عندئذ إنه ألحقها فيما بعد.

أما قوائم الولادات المذكورة قبل ذلك فهي إما أنْ تكونَ من أصلِ النسخة أو يكون الذهبي قد ألحقها فيما بعد. والذي يُعَزِّزُ كونَها مُلْحقةً غلطُ الناسخ في ولادات سنة ٥٧٢هـ وإقحامها في أثناء تراجم سنة ٥٧٣هـ مما يدل على أنها كتبت في طيارة أو على حاشية النسخة ولكننا في الوقت نفسه لم نقف على ولاداتٍ لسنتي ٥٧٣هـ و ٥٧٤هـ فهل ابتدأ الذهبي بذكر المواليد بصفة منتظمة اعتباراً من سنة ٥٧٥هـ؟ وأن قوائم الولادات قد ابتدأت تظهر في نسخة الذهبي الأصلية اعتباراً من هذا التاريخ؟ هذا هو الذي أعتقده.

وكان عدد ما يورده الذهبيُّ من المواليد في النصف الأول من القرن السابع يتراوح بين ١٠-١٨ اسماً[١]، وهي أقل من ذلك بقليلٍ في الربع الثالث منه[٢]، لكنها تناقصت تناقصاً كبيراً في العقد الأخير منه حيث تراوح عددها بين ٢-٥فقط[٣] وهو أمر طبيعي، فيما نعتقد، لأنَّ مَنْ ولد في هذا العقد كان ما يزال صغيراً لم يتعين بعد، ولم يعرف الذهبي من هو الذي سوف يتميز منهم، ولذلك جاءت هذه المواليدُ لبعضِ أبناءِ معارفه، ولبعضٍ من تلامذتِه النُّجُب.

---

(١) انظر مثلاً الورقة ١٠، ٢٨، ٣٨، ٤٨، ٥٥، ٦٢-٦٣، ٦٩، ٧٤، ٩١، ١٠٣، ١١٧، ١٣٢، ١٤٣، ١٥٨، ١٧١، ١٨٢، ١٩٤، ٢٠٥، ٢١٥، ٢٢٦(أيا صوفيا ٣٠١٢).

(٢) انظر مثلاً الورقة ٧، ١٦، ٢١، ٢٥، ٣٣، ٤٧، ٥٩، ٦٥، ٦٩، ٨٠ (أيا صوفيا ٣٠١٤).

(٣) انظر مثلاً الورقة ٢١٧، ٢٢٣، ٢٣٢، ٢٤١، ٢٥٥، ٢٦٣، ٢٧٢، ٢٨٢، ٣١٠، ٣١٩ من النسخة السابقة.

وعلى الرغم من أنَّ كثيراً من المؤرخين قد عُنوا بذكر مواليد المترجَمين لكن أحداً منهم لم يفكر أن يذكر ذلك بصورة منفردة. وإذا استثنينا كتاب «تاريخ موالد العلماء ووفياتهم» لابن زَبْر الرَّبَعِي الدمشقي المتوفى سنة ٣٧٩هـ الذي ذكر فيه مواليدَ بعض الرواة بصورة غير منتظمة ومرتبكة[١]، فإنَّ الذهبيَّ يُعَدُّ أولَ مَنْ نظم المواليد في كل سنة على حدة، فوصل بِفَنِّ التراجمِ إلى المستوى الراقي الذي لم يصل إليه أحد من قبل.

سادساً: أسلوب العرض الأدبي:

قد عرفنا من سيرة الذهبي ومكانته العلمية أنه قد حصل طرفاً صالحاً من العربية في نَحْوِهَا وصَرْفها وآدابها، كما أنه عُني عنايةً كبيرة في مطلع حياته بالقراءات التي تقومُ في أساسها على عِلْم تام بالعربية، وقد تعاطى الشعرَ فنظمه وأورد من شعرِ غيرِه جملةً كبيرة في كتابه «تاريخ الإسلام»، ولذلك أصبحت لغته قويةً جداً يصعبُ أنْ نجدَ في كتابه لحناً أو غلطاً لغوياً أو استعمالاً عامياً، فإذا كان النادر من ذلك فإنه من سهو القلم والذهول.

وقد نجد في بعض كتاباته ما يغلط فيه الخواص، وليس ذاك بشيء؛ فأهلُ العربية مستطيعون دائماً إيجادَ أوهامٍ حتى لخواص العلماء[٢]. فمن ذلك مثلاً قوله «توفي في ثالث عشرين صفرٍ»، أو «مولده في خامس عشرين محرم» ونحوهما هكذا بإثبات النون. وهذا لم يرض به بعضُ أهلِ العربية ومنهم أستاذنا الدكتور مصطفى جواد يرحمه الله، حيث ارتأى أنْ تُحذَفَ النونُ، وقد غيرها في جميع كتبه التي نشرها فصارت عندئذ «ثالث عشري» و«خامس عشري» ونحو ذلك[٣]، مع أننا نجد هذا الاستعمالَ في كتابات كَثْرةٍ من

---

(١) نسختي المصورة عن نسخة دار التحف البريطانية الفريدة وهي في ٨٢ ورقة ومن ضمنها بعض الذيول الأخرى. وقد نشره الدكتور عبدالله بن أحمد بن سليمان الحمد بالرياض في مجلدين سنة ١٤١٠ هـ.

(٢) انظر كتاب أبي القاسم الحريري: درة الغواص في أوهام الخواص.

(٣) انظر مثلاً تكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني ص٧٥-٧٧، والذهبي: المختصر المحتاج إليه، ج٢ص٢٥٢، ٢٩٢، ٣٠٢، وابن الساعي: الجامع المختصر ج٩ص١، ٤٦، ١١٨، ١٤٣، ١٤٥.

المؤرخين الذين عرفوا بقوة عربيتهم مثل جمال الدين ابن الدبيثي وجمال الدين ابن القفطي في كتابه «إنباه الرواة» وغيرهما. فضلاً عن أنَّ بعضَ أهل العربية يرى أنَّ هذا الاستعمال قد يكون تقديراً منهم يريدون «ثالث عشرين من شهر صفر» ونحوه(١).

ومن ذلك قوله في ترجمة الظاهر بيبرس البندقداري المتوفى سنة ٦٧٦هـ: «فإن له أياماً بيضاء في الإسلام»(٢)، والأصح أن يقول «أياماً بِيضاً» كما هو معروف عند أهل العربية لأن «أيام» جمع فكان لابد أنْ يلحقَ الصفةَ وهي مجموعة أيضاً. ومثل هذه المسائل بمجموعها لا تخرج الذهبيَّ عن صحة اللغة والمعرفة التامة بها، وهي ليست من الإهمام بحيث يقال فيها أخطأ فلانٌ وأصاب فلان.

ولقد اعتنى الذهبيُّ عنايةً بالغة بضبط الأسماء والأنساب ونحوها تقييداً بالحروف تارة، وضبطاً بالقلم تارة أخرى، وكان معنياً أشَدَّ العنايةِ حتى بضبط التلفظ بالأسماء، فلما أشكل عليه التلفظ ببعض أسماء أهل الأندلس كتب إلى شيخه العلامة أثير الدين أبي حيان الغرناطي «ت٧٤٥هـ»(٣)، يسأله عن ذلك، قال الصفدي في ترجمة أبي حيان: «وله اليدُ الطولى في . . . وتراجم الناس وطبقاتهم وتواريخهم وحوادثهم خصوصاً المغاربة وتقييد أسمائهم على ما يتلفظون به من إمالة وترخيم وترقيق وتفخيم لأنهم مجاورو بلاد الفرنج وأسماؤهم قريبة (من لغاتهم)(٤) وألقابهم كذلك، كل ذلك قد جَوَّدَهُ وقَيَّده وحَرَّره، والشيخ شمس الدين الذهبي له سؤالات سأله عنها فيما يتعلق بالمغاربة وأجابه عنها»(٥). وقد كتب أثير الدين إلى الذهبي كتاباً من أجل ذلك سماه: «قطر الحبي في جواب أسئلة الذهبي» ذكره أبو حيان في إجازته لصلاح الدين الصفدي،(٦) ونقل منه ابن حجر في ترجمة أبي الحجاج

(١) انظر مقدمتنا لكتاب «ذيل تاريخ مدينة السلام» لابن الدبيثي ص٦٢-٦٣.
(٢) الورقة ٣٥(أيا صوفيا ٣٠١٤).
(٣) انظر عن أبي حيان كتاب الدكتورة خديجة الحديثي: «أبو حيان النحوي» بغداد ١٩٦٦.
(٤) ما بين العضادتين إضافة من نفح الطيب للمقري ج ٣ ص ٢٩٥.
(٥) الصفدي: الوافي ج ٥ ص ٢٦٧-٢٨٦، والمقري: نفح الطيب ج٣ص٢٩٥.
(٦) الصفدي: الوافي ج ٥ ص ٢٨١.

المزي[١] .

إنَّ عنايةَ الذهبيِّ بدراسة عددٍ ضخم من المؤلفات التاريخية والأدبية والحديثية واشتهاره بقوة الحافظة جعلته يطلع على أساليب عددٍ كبير من الكتاب والمؤلفين على مدى عصور طويلة تنوعت أساليب الكتابة فيها، فأكسبه كُلُّ ذلك خبرةً أدبية قوية.

وقد تميز أسلوبُ الذهبيِّ بالطراوة والحبك ولم يُعْنَ بالصفةِ البيانية وتزويق الألفاظ كغيره من معاصريه وتلامذته مثل ابن سيد الناس وتاج الدين السبكي والصلاح الصفدي وغيرهم. وهذا أمرٌ طبيعي فيما نرى لأنَّ للكلمة مكانتها عند الذهبي، وهو الناقدُ الذي يختارُ العبارةَ المناسبة للتعبير عما يريد بصورة دقيقة ويصف المترجَم بالعبارة التي تَزِنُه جرحاً أو تعديلاً، فهو أسلوبٌ علمي قبل كل شيء. ومن الواضح أنه لايمكن عرضُ الحوادث بصفةٍ دقيقة وأوصاف المترجمين بشكل متقنٍ باتباع مثل تلك الأساليب، لأنَّ أسلوبَ الصنعةِ البلاغية يتجلى فيه دائماً الابتعادُ عن الدقة.

وكان الذهبيُّ صاحبَ منهج تاريخي بدا في غايةِ الوضوح في التراجم، لذلك فإنه لم يخرج عن موضوع هو بصددِ بحثه، فلم نجدْ في كتابه استطراداً لا في الحوادث ولا في الوفيات.

وقد عمد الذهبيُّ مثل غيره من المحدثين وعلماء الرجال إلى استعمال المختصرات[٢] في أسلوبه الكتابي، وتشمل هذه المختصرات بعض الألفاظ وأسماء الكتب التي يتكرر ذكرها في كتاب ما، ويرمز إليها عادة بحرف واحد أو أكثر أو رقم، وقد ذكر الذهبي بعضها في مقدمة كتابه[٣] ، وإليك ما وقفنا عليه من المختصرات التي استعملها:

---

(١) المصدر السابق: ج ٥ ص ٢٣٤ وانظر خديجة الحديثي: أبو حيان النحوي ٢٦١ قلت: والحبي: السحابُ الذي بعضُه فوق بعض.

(٢) انظر عن المختصرات واستعمالاتها: الصفدي: الوافي، ج١ص٤١-٤٢، ومقدمتنا لتاريخ ابن الدبيثي م ١ ص ٦٣، والعلموي: المعيد في أدب المفيد والمستفيد. المسألة العاشرة (ط. دمشق)، وروزنتال: مناهج العلماء المسلمين، ص٩٦-١٠١وغيرها.

(٣) ١/ ٧ - ٨ (من طبعتنا).

ع= حديث المترجم في الكتب الستة[1] .
٤= حديث المترجم في كتب السنن الأربعة.
خ=حديث المترجم في صحيح البخاري.
م= حديث المترجم في صحيح مسلم بن الحجاج.
د= حديث المترجم في سنن أبي داود.
ت= حديث المترجم في جامع الترمذي.
ن= حديث المترجم في سنن النسائي.
ق= حديث المترجم في سنن ابن ماجة القزويني[2] .

لقد عُني الذهبيُّ بوضع هذه الرموز عند بداية الترجمة ليدلل على ذلك من غير أن يكتبه، ثم استعمل مثل هذه الرموز للدلالة على أصحابها أيضاً وليس لوجود حديث المترجم في كتبهم فقط نحو قوله: «قال خ» أي: قال البخاري، و«قال خ في تاريخه» ويريد: قال البخاري في تاريخه. و«ذكره م» ويريد: ذكره مسلم. وهلم جرًا.

أما إذا كان حديث المترجم في خمسة من الكتب الستة فقد وضع الذهبي كلمة «سوى» قبل رمز الذي لم يرد حديثه فيه نحو قوله: «سوى خ» ويريد: حديثه في الكتب الستة فيما عدا البخاري، و«سوى ت» ويريد: حديثه في الكتب الستة فيما عدا جامع الترمذي وهكذا.

أما في الأسانيد فقد استخدم المختصرات الشائعة عند المحدثين وهي:

ثنا: حدثنا.

أنا وأبنا: أخبرنا. وغالبًا ما تكون من غير نقط.

ح: وهو رمز «التحويل» وتستعمل إذا كان للحديثِ إسنادانِ أو أكثر لتفصلَ بينهما ولتدلَّ على تَحَوُّلِ القارئ من إسنادٍ إلى آخر.

---

(١) وهي صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن كل من أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة.

(٢) استعمل حرف «ق» مع أن شهرته بابن ماجة أكثر من شهرته بالقزويني، إلا أنهم خافوا استعمال الجيم من اختلاطها بالخاء وهو الحرف المستعمل للبخاري.

الفصل الثاني

محتويات الكتاب وأسس انتقاء مادته

طبيعة الحوادث وأسس انتقائها:

واجه الذهبيُّ مادةً كبيرة كان عليه أنْ ينتقي منها ما يراه مناسباً لكتابه ولا سيما أنه اختصر في الحوادث كثيراً قياساً بالمادة الضخمة من التراجم التي أوردها في كتابه، فهل كانت لديه خطة معينة سار عليها في ذلك؟

الجواب: إنه انتقى ما رآه في نظره مُهمًّا حريًّا بالذكر جديراً بالتدوين[١]. ولكن ما هي موازينه في ذلك، وميزانُ أيِّ مؤرخٍ في وزنِ الأحداثِ يتصل اتصالاً وثيقاً بمفاهيمه، وينطلق من بيئته ونوعية ثقافته، وهما اللذان بدورهما يكونان مزاجه الذي يحمله على ذكر حدثٍ تاريخي وإهمالِ آخر، والإسهاب في جوانب معينة والاختصار في جوانب أخرى؟

لقد اعتبر الذهبيُّ، مثلَ غيرِه من المؤرخين المسلمين المتدينين، أنَّ أساسَ الدولة الإسلامية ونموذجها الأعلى يتمثل في حكومةِ الرسولِ ﷺ في المدينة[٢]، ولذلك أوْلَى الفترةَ المدنيةَ اهتماماً عظيماً وفصَّلَ في حوادثها تفصيلاً لانجده إلا في التواريخ المتخصصة بحيث احتلت السنوات العشر التي قضاها الرسول ﷺ في المدينة مجلداً كاملاً من تاريخه هو المجلد الأول. وعني بعد ذلك بذكر أخبار حروب الردة وتكوين الأمة الإسلامية وحركة الفتوح والمساهمين فيها باعتبارهم المثل الأعلى للمجاهدين المسلمين، ولذلك احتلت هذه الفترة الزمانية القصيرة التي لا تتجاوز ٥٪ من نطاق كتابه الزماني قرابة ثلث الحوادث المذكورة في جميع الكتاب.

---

(١) لقد اعتبر الذهبي التاريخَ من العلوم النافعة واستعاذَ بالله من علم لا ينفع، وأكد ضرورةَ الاطلاع على «المهم» منه، قال في المقدمة واصفاً كتابه: «يعرف به الإنسان مهم ما مضى من التاريخ» ١/ ٥ (من طبعتنا).

(٢) يدخل ضمن ذلك بالطبع أهمية حكومة الرسول ﷺ وأعمالها في دراسة الفقه الإسلامي باعتبارها من الأسس التي يقوم عليها الفقه.

ووجدناه بعد ذلك يعنى دائماً بأخبار الجهاد في سبيلِ الله سواء أكان ذلك بالفتح أم برد المعتدين عن ديار الإسلام، فأورد من أخبار الجهاد الكثير وفصَّل فيه بما سمح له منهجه، فذكر من أخبار فتوحات الأمويين شيئاً كثيراً بالنسبة لما تضمنه كتابه من حوادث هذه الفترة، كما عُني بذكر العلاقات الإسلامية البيزنطية على مدى التاريخ وأولاها اهتماماً واضحاً[1] ، ولعل من أبرز ذلك ذكره لتفاصيل الحروب التي خاضها الحمدانيون مع البيزنطيين[2] . كما اهتم اهتماماً كبيراً بذكر المعارك العديدة التي خاضها المسلمون ضد الصليبيين على مدى عصور التاريخ الإسلامي[3] ، وعني بظهور المغول وتحركاتهم وأخبارهم واستيلائهم على أجزاء واسعة من العالم الإسلامي، واهتم بذكر علاقاتهم بالشام ومصر[4] . ويظهر تقدير الذهبي لمثل هذه الأحداث في مدحه لأولئك الذين جاهدوا في سبيل الله وتحمسه الشديد عند ذكرهم، بل تفصيله في أفضالهم في هذا المجال بالرغم من ذكره الظلم الذي مارسوه نحو قوله في عهد الوليد بن عبدالملك: «وفتح الله على

---

(١) انظر مثلاً: ٧/٨ و٨ - ١٠ و١٣ - ١٤ (من طبعتنا).

(٢) نقل الذهبي كثيراً من التفاصيل عن العلاقات البيزنطية الحمدانية من تاريخ ثابت بن سنان وغيره من المصادر المعروفة. ولكن الذي يبدو أكثر أهمية نقله الكثير من التاريخ الذي ذَيَّلَ به علي بن محمد الشمشاطي العدوي على تاريخ الطبري وأوصله إلى زمانه (انظر بصفة خاصة ٧/٨ - ١٠) وكان الشمشاطي على صلة وثيقة بالأسرة الحمدانية؛ إذ عمل مؤدباً ونديماً لهم فكان مُطَّلعاً على أخبارهم عارفاً باتصالاتهم. ومع أننا لم نقف على تاريخ وفاته إلا أن ابن النديم كان على صلة به وذكر أنه كان حياً في عصره سنة ٣٧٧هـ (الفهرست ص٢٢٠) وانظر ترجمته وأخباره عند النجاشي: الرجال، ص١٨٦، وياقوت: معجم الأدباء ١٩٠٧/٤ - ١٩٠٩، ومعجم البلدان ج ٣ ص ٣٢٠، وبروكلمان: الملحق، ج ١ ص ٢٥١ (بالألمانية) والزركلي: الأعلام، ج٥ص١٤٣، وج ١٠ ص ١٥٤وانظر أيضاً تعليق أمدروز على تجارب الأمم لمسكوية، ج ص١٩٤-١٩٦، والسامر: الدولة الحمدانية، ج ٢ ص ١٨٢.

(٣) انظر مثلاً الورقة ٢-٤٥ (أيا صوفيا ٣٠١٠) والورقة ٢١٨، ٢٢٥، ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٤٥، ٢٤٩ (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٣٤-٢٣٧، ٢٤٢، ٢٥٥، ٢٦١، ٢٦٤-٢٦٧ (أيا صوفيا ٣٠١٢).

(٤) انظر مثلاً الورقة ٢٢٤، ٢٢٩، ٢٣٩-٢٤٤، ٢٥١(أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٢٧، ٢٣٣، ٢٥٢-٢٥٤، ٢٥٥(أيا صوفيا ٣٠١٢) وقلما تخلو الحوادث المذكورة في المجلدين الأخيرين من تاريخ الإسلام (أيا صوفيا ٣٠١٣، ٣٠١٤) المتضمنة لحوادث ٦٥١-٧٠٠من ذكر للمغول وعلاقاتهم بمصر والشام.

الأسلام فتوحاً عظيمة في دولة الوليد وعاد الجهاد شبيهاً بأيام عمر رضي الله عنه»[١] ، وقوله في ترجمته: «وكان الوليد جباراً ظالماً لكنه أقام الجهاد في أيامه وفتحت في خلافته فتوحات عظيمة كما ذكرنا»[٢] ، وقوله في ترجمة الظاهر بيبرس البندقداري المتوفى سنة ٦٧٦هـ: «ولما سارت الجيوش المنصورة من مصر لحرب التتار كان هو طليعة الإسلام... وكان غازياً مجاهداً مرابطاً خليقاً للملك لولا ما كان فيه من الظلم، والله يرحمه ويغفر له ويسامحه؛ فإن له أياماً بيضاء في الإسلام ومواقف مشهودة وفتوحات معدودة»[٣] . وتحمَّس الذهبي للملك الناصر صلاح الدين الأيوبي رضي الله عنه وطوَّل في حروبه للصليبيين بحيث وضع عنواناً في أثناء حوادث سنة ٥٨٣هـ أطلق فيه على هذه السنة «سنة الفتوحات» وفصّل فيها على غير عادته إلى درجة استغراق هذا العنوان قرابة الثماني ورقات كبيرة[٤] وقال معلقاً على فتح بيت المقدس: «فالحمد لله على هذه النعم التي لا تحصى»[٥] ، وقال في موضع آخر: «فرزقنا الله شكر هذه النعم ورحم صلاح الدين وأسكنه الجنة»[٦] ، وقال عن حصار عكا بعد ذلك: «وكان السلطان يكون أول راكب وآخر نازل... ولعله وجبت له الجنة برباطه هذين العامين»[٧] . ثم نتحسس تحمسه من الألفاظ التي يطلقها على أعداء الإسلام نحو قوله: «وتتابعت الأمداد من رومية الكبرى التي هي دار الطاغية الأعظم المعروف بالبابا لعنه الله»[٨] ، وقوله في أحدهم: «طاغية الروم... وكان هذا الكلب»[٩] ، و«ملك الفرنج لا رحمه الله» وقد صب اللعنة عليهم وأساء القول فيهم كلما ورد ذكر واحد منهم[١٠].

---

(١) تاريخ الإسلام ٢/ ١٠٢٤ (من طبعتنا).
(٢) ٢/ ١١٨٥ (من طبعتنا).
(٣) الورقة ٣٤-٣٥(أيا صوفيا ٣٠١٤).
(٤) ١٢/٦٧٣ - ٦٨٢ (من طبعتنا).
(٥) ١٢/٦٧٩.
(٦) ١٢/٦٨١.
(٧) ١٢/٦٩٨، وانظر تقويمه لجهاد بعض الأمراء والملوك الورقة ٩٠(أيا صوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٣٢٨ (أيا صوفيا ٣٠١٤).
(٨) الورقة ٢٣٢(أيا صوفيا ٣٠١١).
(٩) الورقة ١٧٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٧).
(١٠) ينظر كتابنا: الذهبي ومنهجه ٣٣٦.

ثم وجدنا الذهبي المسلم المتمسك بدينه يُعنى بذكر أخبار الحركات التي كان الهدف منها، في رأيه، تدمير الإسلام الحق مثل البابكية، والزنج، والقرامطة وأمثالهم، يظهر لنا ذلك مما خصص لهم من أخبار في تاريخه ومن تحمسه عليهم فهو دائم اللعن لصاحب الزنج ويسميه «الخبيث»(١) . وقد اعتبر الذين قتلهم بابك الخرمي في حروبه شهداء في سبيل الله(٢) ، وقال عن أبي طاهر القرمطي: «وقد كان هذا الملعون بلاء عظيماً على الإسلام وأهله»(٣) .

وتناول الذهبي السني أخبار الدولة المسماة الفاطمية بشيء من التفصيل، باعتبارها من أكبر الأخطار التي جابهت أهل السنة، فهم عنده باطنية(٤) ، أدعياء نسب إلى آل البيت(٥) ، ولذلك أطلق عليهم «بني عبيد» أو «العبيديين» أو «الرافضة» ونحوها، وقد قال في عبيدالله المهدي مؤسس دولتهم: «ويا حبذا لو كان رافضياً وبس(٦) ولكنه زنديق»(٧) ، وذكر في غير موضع من كتابه كيف كانوا يقتلون أهل السنة بعد تعذيبهم ليردوهم عن الترضي عن الصحابة(٨) . وقد اعتنى الذهبي في أثناء تناول حوادث السنين بإجمال حال السنة وأهلها لما لذلك من أهمية عنده، نحو ذكره في آخر حوادث سنة ٣٦٣هـ قطع الخطبة في مكة والمدينة وإقامتها للمعز العبيدي «في الحجاز ومصر والشام والمغرب، وكان الرفض قائماً في هذه الأقاليم وفي العراق(٩) والسُّنة خاملة مغمورة لكنها ظاهرة بخراسان وأصبهان فالأمر لله تعالى»(١٠). ثم قوله في سنة ٣٦٤هـ: «وفي هذه السنين وبعدها كان الرفض يغلي ويفور بمصر والشام والغرب والشرق

---

(١) انظر مثلاً: ٦/ ١٦ (من طبعتنا).

(٢) تذكرة الحفاظ، ج٢ص٤١٥ .

(٣) ٧/ ٦٢٩.

(٤) ٨/ ١٨٥ .

(٥) تكلم الذهبي في نسب الفاطميين في غير موضع من كتابه وكان يرى بطلانه، انظر مثلاً الورقة ١٨٧ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).

(٦) كلمة فصيحة بمعنى «حسب» كما في معاجيم اللغة.

(٧) ٧/ ٤٦١ .

(٨) المصدر نفسه.

(٩) يعني بسبب استيلاء البويهيين على العراق.

(١٠) ٨/ ١٨٣ .

لاسيما بالعبيدية الباطنية قاتلهم الله»[١] ثم أورد أخباراً عن ذلك[٢] ، وقوله في حوادث سنة ٣٧٢هـ: «وفي هذا الزمان كانت الأهواء والبدع فاشية بمثل بغداد ومصر من الرفض والاعتزال والضلال فإنا لله وإنا إليه راجعون»[٣] . ويتضح لنا من كل هذه الأمثلة أن عقيدته السُّنية هي التي دفعته إلى التركيز على مثل هذه الحوادث.

وقد عرفنا من دراستنا لسيرة الذهبي وعصره ما شهدته دمشق على عهده من صراع عقائدي حاد أثر إلى حد كبير في تكوينه الفكري، لذلك وجدناه، انطلاقاً من بيئته وتكوينه الفكري، يُعنى بذكر النزاعات العقائدية على مدى التاريخ حيث أولاها عناية خاصة[٤] ، وأورد أخبار الفتن التي قامت بسببها[٥] . ولعل من أوضح الأمثلة التي تؤيد هذه المقالة، الكمية التي خصصها من الحوادث لذكر مواقف الخلفاء العباسيين من محنة القول بخلق القرآن ابتداء بالمأمون وانتهاء بالمتوكل الذي رفع القول بخلق القرآن. وحسبنا أن نذكر أنه في الوقت الذي كانت الحوادث في هذه السنوات لا تستغرق في العادة أكثر من نصف ورقة فإنه كتب عن امتحان المأمون للعلماء في حوادث سنة ٢١٨هـ قرابة الست أوراق متتالية[٦] ، ولعل هذا كان من الأسباب الرئيسة التي جعلت العقائد تكون عنصراً بارزاً من عناصر الترجمة كما سيأتي بيانه.

وعني الذهبي بإبراز أعمال الخلفاء والملوك والأمراء المتصلة بنشر الدين والعناية به، وإبطال الفساد[٧] . وبناء المساجد والجوامع[٨] وتجديدها[٩] .

---

(١) ٨/ ١٨٥.
(٢) ٨/ ١٨٥ - ١٨٦.
(٣) ٨/ ٣٤٧ وأورد حكاية لأحد المغاربة القادمين من بغداد تبين كيف كان أهل الكلام من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس يتناقشون من غير اعتماد على كتاب الله تعالى.
(٤) انظر مثلاً الورقة ٢٢٠، ٢٣٠ (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٣٨، ٢٦٥ (أيا صوفيا ٣٠١٢) والورقة ٣٣٢ (أيا صوفيا ٣٠١٤) وغيرها.
(٥) ٨/ ٧٠٥ - ٥٠٨ و٩/ ١٨.
(٦) الورقة ٨٨-٩٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٧) .
(٧) مثلاً الورقة ٢٣٠ (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٤٨(أيا صوفيا ٣٠١٢).
(٨) مثلاً الورقة ٢٤٥ (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ٣٢٦(أيا صوفيا ٣٠١٤).
(٩) مثلاً الورقة ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٠ (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٤١(أيا صوفيا ٣٠١٢) والورقة ٣٢٥ (أيا صوفيا ٣٠١٤).

وإبراز الأعمال التي ساروا فيها بموجب الشريعة الإسلامية أو خالفوها مثل فرض المكوس أو إبطالها[١] . كما عني بذكر الولايات الدينية كالقضاء وتعيين القضاة وعزلهم، وإثبات الشهود وعزلهم، وأمراء الحاج[٢] .

واهتم بالأمور المتعلقة بمصالح المسلمين الدينية فاعتنى مثلاً بذكر مواسم الحج وما يجري للحجاج في المواسم أو في الطريق من نهب وسلب ونحوهما[٣] ، واعتنى بمصالحهم الدنيوية وما يصيب الأمة من أوبئة وسنين مجدبة، ومجاعات، وفيضانات، وعواصف مدمرة، وارتفاع فيأسعار الأطعمة أو انخفاض فيها، وقد قدم أمثلة لذلك[٤] .

ولما كان الذهبي من المهتمين بالعلم ونشره فقد اعتنى بذكر إنشاء دور العلم مثل المدارس، ودور الحديث، وخزائن الكتب، وتعيين المدرسين وعزلهم. ويظهرذلك أكثر وضوحاً في القسم الأخير من كتابه حيث احتلت مثل هذه الأمور حيزاً ليس بالقليل من مادة الحوادث فصرنا لا نجد حوادث سنة من السنوات خالية من مثل هذه الأمور مما يدل على شدة اهتمامه بها وعنايته بذكرها[٥] .

واهتم بإيراد كثير من الوثائق والمكاتبات بنصوصها، وهي ظاهرة واضحة في كتابه. وتشتمل هذه الوثائق على ما صدر من علماء الأمة من المحاضر المتعلقة بالعقائد، والتوقيعات التي أصدرها الخلفاء والملوك. على أنه ركز اهتمامه على الكتب التي كان ملوك الدول الإسلامية يبعثون بها إلى الخلافة العباسية يصفون بها فتوحاتهم وحروبهم وردهم لأعداء المسلمين أو أعداء الخلافة[٦] .

---

(١) مثلاً الورقة ٢٣٤ (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٤٨(أيا صوفيا ٣٠١٢).

(٢) ينظر كتابنا: الذهبي ومنهجه ٣٤٠.

(٣) مثلاً الورقة ٢٣٠ و٢٤٩ (أيا صوفيا ٣٠١١)، والورقة ٢٤٧، ٢٥٥، ٢٦٩ (أيا صوفيا ٣٠١٢) والورقة ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٨ (أيا صوفيا ٣٠١٤).

(٤) ينظر كتابنا: الذهبي ومنهجه ٣٤٠.

(٥) ينظر المصدر نفسه ٣٤١.

(٦) ينظر المصدر نفسه.

ولما كان الذهبي يولي التراجم عنايته الفائقة أصلاً، فإنه لم يخلص الحوادث منها، فصار يذكر أسماء وفيات المشهورين ضمن الحوادث باعتبار ذلك حدثاً تاريخياً مهماً من الواجب ذكره وتعيينه، بل إننا نجد حوادث بعض السنين ماهي إلا مختصر لوفيات كبار المترجمين، لاسيما في الفترة الواقعة بين سنتي ٤١-٣٠٠هـ، وهي الفترة التي نظم التراجم فيها على حروف المعجم ضمن كل عشر سنوات، فأصبح محتاجاً لتقديم وفيات الأعلام ضمن حوادث السنة.

إن مراكز القوى في الدولة الإسلامية هي التي حددت في كثير من الأحيان كمية المعلومات التي يقدمها الذهبي عن بلد ما من البلدان الإسلامية بالرغم من أنه أراد لكتابه الشمولَ المكاني باعتباره تاريخاً للإسلام أجمع. ولذلك وجدنا الحوادث المذكورة في كتابه تدور على عهد الأمويين في نطاق الشام والعراق بينما ازداد اهتمامه بالعراق حينما أصبح مركزاً للخلافة العباسية حتى كادت الحوادث تقتصر عليه في كثير من الأحيان. وفي بعض سني القرن الرابع الهجري نجد الذهبي يركز على أخبار الحمدانيين بحلب بسبب حروبهم المشهورة التي شنوها على البيزنطيين، ثم يعود إلى العناية التامة بأخبار العراق والعباسيين ويستمر في ذلك حتى منتصف القرن السادس الهجري تقريباً بحيث يكاد كتابه يقتصر عليهم في كثير من حوادث السنين[1] ، إلا أنه يتحول بُعيد هذا التاريخ فيعنى بأخبار الزنكيين في الجزيرة وبلاد الشام ومن بعدهم بالأيوبيين ولا سيما في عهد صلاح الدين بسبب نظرته إلى أهمية الأحداث التي قاموا بها في رد المعتدين عن ديار الإسلام فتشعر في بعض السنوات وكأنه دَوَّنَ تاريخه لهم وقَلَّ اهتمامه بأخبار الخلافة العباسية نسبياً. وتوجه الذهبي بعد سقوط بغداد بيد هولاكو سنة ٦٥٦هـ إلى العناية التامة بتوريخ حوادث بلاد الشام ومصر حيث احتلت الحيز الأعظم من الحوادث، بل ظلت أخبارها في تزايد مستمر سنة بعد أخرى حتى كادت تقتصر عليها في الربع الأخير من القرن السابع الهجري فصار «تاريخ الإسلام» في هذه الفترة أقرب شبهاً بالتواريخ المحلية.

(١) انظر مثلاً الورقة ٢-٥٤(أيا صوفيا ٣٠١٠).

ومع أن الذهبي اعتمد بعض الموارد أكثر من غيرها في بعض الأحيان إلا أننا وجدناه لا يتابع مورداً معيناً في اختيار الأحداث والتركيز على المهم منها. وقد استطعنا أن نميز له منهجاً خاصاً في هذا الباب يقوم على تقدير المهم وذكره، وإسقاط غير المهم وإهماله، مستنداً إلى مفهومه التاريخي للأحداث الذي شرحناه قبل قليل. وقد تبين لنا أن الذهبي استطاع، في أكثر الأحايين، أن يوجه الأحداث في تاريخه الوجهة النوعية والمكانية التي اختارها، بفضل قدرته الفائقة على تنويع موارده بين عصر وآخر، وعدم التزامه بخط مؤرخ معين من المؤرخين الذين سبقوه[١].

وعلى الرغم من أن الذهبيَّ قد اختار «المهم» من الأحداث التي شهدها العالم الإسلامي وأعطاها الأولوية في كتابه، فإنه لم يتخلص من طريقة كتّاب الحوليات المسلمين الذين سبقوه، فاهتم بذكر بعض الأخبار القصيرة العجيبة التي لا ترتبط ببعضها إلا بوقوعها في السنة التي يتناول أحداثها، وغالباً ما تأتي هذه النتف في آخر حوادث السنة مثل الظواهر الطبيعية كالزلازل[٢]، وكسوف الشمس[٣]، وخسوف القمر[٤]، والبرد الشديد[٥]. كما عني بالحوادث الغريبة مثل تحول امرأة إلى رجل[٦]، وولادة طفل برأسين وأربعة أرجل[٧]، وقدوم رجل طوله ثلاثة أشبار وثلاث أصابع إلى دار الخلافة[٨]، ونحوها.

---

(١) انظر أدناه كلامنا على الموارد.

(٢) انظر مثلاً الورقة ١٧٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٧) والورقة ٥، ٩٢، ٩٣، ٢١٥، والورقة ٩ (أيا صوفيا ٣٠١٠)، والورقة ٢٢٢ (أيا صوفيا ٣٠١١)، والورقة ٢٣٢ (أيا صوفيا ٣٠١٢)، والورقة ٣٢٤ (أيا صوفيا ٣٠١٤).

(٣) انظر مثلاً الورقة ٣٢٥ (أيا صوفيا ٣٠١٤).

(٤) انظر مثلاً الورقة ٢٣٢ (أيا صوفيا ٣٠١٢) والورقة ٣٢٥ (أيا صوفيا ٣٠١٤).

(٥) الورقة ٣٢١ (أيا صوفيا ٣٠١٤).

(٦) الورقة ٢٣٢ (أيا صوفيا ٣٠١٢).

(٧) الورقة ٢١٨ (أيا صوفيا ٣٠١١).

(٨) الورقة ٢٦٥ (أيا صوفيا ٣٠١٢).

طبيعة التراجم وأسس انتقائها:

لقد اتضح لنا من دراستنا لكتاب «تاريخ الإسلام» أن الذهبي اتبع منهجاً واضحاً عند ذكر التراجم فيه مراعياً أسساً معينة أبرزها ما يأتي:

١ - الشُّهرة والعَلَمِيَّة:

ذكر المشهورين والأعلام[1] ، ولم يذكر المغمورين والمجهولين، بعرف أهل الفن في كل عصر لا بعرفنا نحن، إذ لا ريب في أن هناك آلافاً من التراجم التي ذكرها لم يسمع بها كثير من المتخصصين في عصرنا. على أن الذهبي كان عارفاً بجميع مَنْ ذكرهم في تاريخه مطلعاً على سيرهم ورواياتهم وشيوخهم وأوقاتهم سوى حالات نادرة جداً ذكر فيها أشخاصاً عرفهم علماء سبقوه ولم يعرفهم هو فأشار إلى هذا الأمر نحو قوله في ترجمة أبي عبس خالد بن غسان السلمي: «ورّخه ابن منده. لا أعرفه»[2] . وهذا الذي ذكرته عن «الشهرة والعلمية» هو الذي يفسر عنوان الكتاب، فهو كتاب في «المشاهير والأعلام».

على أن مفهوم الشهرة يختلف عند مؤلف وآخر استناداً إلى عمق ثقافته ونظرته إلى البراعة في علم من العلوم أو فن من الفنون أو عمل من الأعمال أو أي شيء آخر، لذلك وجدنا تبايناً كبيراً بين عدد المشهورين المذكورين في السنة الواحدة عند كُتَّابِ الحوليات، ففي الوقت الذي اقتصرت فيه كثير من الكتب على إيراد ٥-١٥ ترجمة في السنة الواحدة مثل «المنتظم» لابن الجوزي «ت٥٩٧هـ» و«مرآة الزمان» لسبطه «ت٦٥٤هـ» و «الذيل على مرآة الزمان» لقطب الدين اليونيني «ت٧٢٦هـ» و«البداية» لابن كثير «ت٧٧٤هـ» و«عقد الجمان» لبدر الدين العيني «ت٨٥٥هـ» أورد الذهبي ستين ترجمة في المعدل

---

(١) استعمل الذهبي لفظ «الأعلام» لأولئك المشهورين جداً، وفي الأغلب ترجم لهم تراجم حافلة وأشار بعد اسم المترجم ونسبه بأنه «أحد الأعلام» انظر كتابنا: الذهبي ومنهجه ٣٤٤.

(٢) ٧/ ٣٥.

تقريباً، وزاد عددها في بعض السنين على المئة[1].

٢- الشمول النوعي:

لم يقتصر الذهبيُّ على نوع معين من المشهورين والأعلام، بل تنوعت تراجمه فشملت كل فئات الناس من الخلفاء، والملوك، والأمراء، والسلاطين والوزراء والسياسيين، والنقباء، والقضاة، والمحامين، والشهود العدول، والقراء والمحدثين، والفقهاء، والأدباء، واللغويين، والنحاة، والشعراء، والأطباء، والصيادلة، والتجار، والزهاد، والصوفية، وأرباب الملل والنحل والمتكلمين، والفلاسفة، وكل من اشتهر بشيء من الأشياء سواء أكان حسن الظن به أم سيئاً، ثقة أم كذاباً. ولم يكنْ ليمنعه من ذِكْرِ شخصٍ ما أن يكون مختلفاً معه في العقيدة كأن يكون معتزلياً أو رافضياً أو زنديقاً، أو من غير الملتزمين بالدين كالمغنين والمجان والمُتَهتِّكين، أو أن يكون مختلفاً معه في الدين كأن يكون مشركاً أو يهودياً أو نصرانياً، ما داموا في نطاق دولة الإسلام[2].

ومع أن المؤلف قصد أن يكون تاريخه شاملاً جميع الناس من المشاهير والأعلام، إلا أنه كان يُؤْثِرُ المُحَدِّثينَ على غيرهم، وفي القسم الأخير من كتابه آثر الدماشقة على مَنْ سواهم، لذلك جاءت الغالبية العظمى من المترجمين من أهل العناية بالحديث النبوي الشريف. وهذه ظاهرة طبيعية فيما أرى، لما عرفنا من تربية الذهبي ونشأته الحديثية وحبه لرواية الحديث وشَغَفه به ذلك الشغفَ العظيم الذي ملك عليه قلبه فهو من صنفهم وواسع المعرفة بهم، ولأن المحدثين من أكثر الفئات التي عنيت بالرواية نظراً للأهمية البالغة التي يحتلها الحديث النبوي في الحياة الإسلامية[3] لاسيما في تلك الأعصر التي امتازت

---

(١) بلغ عدد التراجم في سنة ٦٩٥هـ مئة وسبع تراجم (١٥/ ٨٠٣ - ٨٣٢) وبلغ عددها في سنة ٦٩٩هـ مئة وتسعين ترجمة ١٥(/ ٨٩٢ - ٩٤٥).

(٢) ينظر كتابنا: الذهبي ومنهجه ٣٤٦.

(٣) انظر عن مكانة الحديث وأهميته في التشريع كتاب مصطفى السباعي: السُّنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (القاهرة ١٩٦٦)، ومحمد أبو زهو: الحديث والمحدثون، ص٢٠فما بعد (القاهرة ١٩٥٨).

Robson: Hadith in Eney of Islam (New ed.).

وكان الإمام أحمد يفضل الحديث الضعيف ويقدمه على الرأي والقياس (محمد أبو زهرة: ابن حنبل، ص٢٤٠فما بعد وخاصة ص٢٤٣).

عن غيرها بغلبة الطابع الديني عليها.

٣- الشمول المكاني:

عمل الذهبي على أن يكون كتابه شاملاً لتراجم المشهورين من كافة أنحاء العالم الإسلامي من الأندلس غرباً إلى أقصى المشرق.

إلا أن توافر المصادر عنده عن منطقة معينة أو عدم توافرها في فترة ما من تاريخه هو الذي كان يحدد في كثير من الأحيان كمية المعلومات التي يتناولها في كتابه عنها في عصر معين، وقد قال في مقدمة كتابه: «وأيضاً فإن عدة بلدان لم يقع إلينا أخبارها إما لكونها لم يؤرخ علماءَها أحدٌ من الحفاظ، أو جُمعَ لها تاريخٌ ولم يقع إلينا»[١] ولنضرب لذلك مثلاً بغداد، فإن وقوع معظم تواريخها التراجمية الرئيسة إليه جعل معلوماته عنها واسعة جداً في الفترة التي تناولتها تلك التواريخ مثل تواريخ الخطيب البغدادي «ت٤٦٣هـ»، وابن السمعاني «ت٥٦٢هـ»، وابن الدبيثي «ت ٦٣٧هـ»، وابن القطيعي «ت٦٣٤هـ»، وابن النجار «ت٦٤٣هـ»، وابن الساعي «ت٦٧٤هـ»[٢] . فضلاً عَمَّا اطلع عليه من الموارد الأخرى التي تناولت تراجمَ أهلها وإنْ لم تكن من تواريخها المحلية الخاصة، ومن معاجيم الشيوخ والمشيخات والكتابات المتنوعة الأخرى. ولذلك احتفظت بغداد منذ تأسيسها بحصة الأسد من التراجم التي ذكرها، إلا أننا نلاحظ أن عددهم يأخذ بالتناقص الشديد في النصف الثاني من القرن السابع الهجري حتى لم يعد البَغَادِدة يزيدون عن ٥٪ في العقد الأخير من الكتاب (٦٩١-٧٠٠هـ) وذلك بسبب افتقاره إلى الموارد التي تعنى بتوريخ البغداديين، فضلاً عن صعوبة وصول المعلومات إليه بسبب ما عرف من القطيعة التي أصابت العلاقات بين العراق والشام في النصف الثاني من القرن السابع الهجري نتيجة النزاع الحاد بين المغول والمماليك وأكثر هذه التراجم اقتبسها من كتابين وقعا له بعد انتهائه من كتابة تاريخه، فألحقها في الحاشية،

---

(١) تاريخ الإسلام ١/ ١٠.

(٢) لقد اختصر الذهبي ثلاثة من أبرز هذه الكتب وهي تواريخ الخطيب وابن السمعاني وابن النجار (انظر كتابنا: الذهبي ومنهجه ٢٣٣ و٢٣٩ و٢٥٤).

وهما: تاريخ ظهير الدين الكازروني المتوفى سنة ٦٩٧ هـ، وكتاب «مجمع الآداب» لكمال الدين عبدالرزاق ابن الفوطي المتوفى سنة ٧٢٣ هـ. ويصح هذا الذي قلناه في عدد تراجم أهل الأقاليم الشرقية من المشرق الإسلامي، فبعد أن كانت تراجمهم تحتل حيزاً كبيراً من «تاريخ الإسلام» قبل استيلاء المغول على تلك البلاد في الربع الأول من القرن السابع الهجري، نجدها تتناقص بشكل مفاجئ بعد سنة ٦١٧هـ وتكاد تختفي من الكتاب بُعيد هذا التاريخ بسنوات قلائل بسبب انقطاع أخبارهم. ويقال مثل هذا عن الأندلس والمغرب، فمع أنه لم يُفَصِّل فيهم ويستوعبهم مثل أيِّ مؤرخٍ مشرقي لكنه ذكر جملة كبيرة منهم تزيد بكثير عما اعتاد المَشَارقةُ ذكره عنهم بسبب اعتماده على جملة من تواريخ المغرب والأندلس المحلية المعنية بتراجم رجالها مثل تواريخ ابن الفرضي «ت ٤٠٣هـ»، وابن بشكوال «ت ٥٧٨هـ»، والأبار «ت ٦٥٨هـ» وغيرهم، إلا أننا نجد تراجمهم تتناقص أيضاً ولا سيما في النصف الثاني من القرن السابع الهجري بسبب بُعْدِ تلك البلاد وانقطاع أخبارها عن مشرق العالم الإسلامي بحيث قال الذهبيُّ في نهاية الطبقة السادسة والستين (٦٥١-٦٦٠هـ): «وقد انقرض في هذه الطبقة السادسة والستين خلق من العلماء والأعيان ورواة الآثار، منهم طائفة بالأندلس والمغرب لم تبلغنا أخبارهم»[١].

وقال في ترجمة الحميدي من سير أعلام النبلاء[٢]: «عملتُ أنا تاريخ الإسلام، وهو كاف في معناه فيما أحسب، ولم يكن عندي تواريخ كثيرة مما قد سمعت بها بالعراق، وبالمغرب، وبرصد مراغة ففاتني جملة وافرة».

٤- التوازن الزماني:

سار الذهبيُّ على نَمَطٍ متقارب في ذكر عدد التراجم في السنة الواحدة لكل عصر من العصور، فلم نجد عنده تفضيلاً لعصر على آخر. ومع أنه من الواجب علينا ملاحظة قلة عدد التراجم في السنين الأولى إلا أن هذا لم يكن بسبب

(١) الورقة ٢٠٤ (أيا صوفيا ٣٠١٣).
(٢) السير ١٩/١٢٥.

تفضيل عصرٍ على آخر، فقد اعتذر الذهبي عنه بقلة الجماعة الإسلامية في صدر الإسلام من جهة[1] وعدم توفر المعلومات الدقيقة من جهة أخرى[2] .

ومع كل ذلك فإن عدد المترجَمين في الطبقة الخامسة عشرة (١٤١-١٥٠هـ) ، يبلغ ٥١٦ مترجمًا، وفي الطبقة الحادية والثلاثين (٣٠١-٣١٠هـ) بلغ ٦٦٣ مترجمًا في حين كان عدد المذكورين في الطبقة الثالثة والستين (٦٢١-٦٣٠هـ) ٦٣٧ مترجمًا، وهم في الطبقة الثامنة والستين (٦٧١-٦٨٠هـ) ٥٨٥ مترجمًا. أما الارتفاع غير الطبيعي في عدد المترجَمين في بعض الطبقات فإنه يعودُ إلى أسباب أخرى مثل الحروب والأوبئة التي تحدث في فترة ما فتزيدُ من عددِ الوفيات، فقد بلغ عدد المترجمين في الطبقة السبعين (٦٩١-٧٠٠هـ) مثلاً ٨٢٥ مترجمًا بسبب العدد الكبير الذي قُتِلَ من العلماء بدمشق في الحرب الغازانية المشهورة سنة ٦٩٩هـ. بحيث بلغ عدد المترجمين في هذه السنة وحدها ١٩٠ نفسًا[3] ، بينما كان عدد المذكورين في السنة التي قبلها ٦٥نفسًا[4] وعددهم في السنة التي بعدها ٦٧نفساً[5] .

٥- الاختصار:

وجَد الذهبيُّ، بسبب سَعَةِ اطلاعه وتمكنه العظيم في الرجال، مادةً هائلة احتوتها مئات الموارد التي اعتمدها في كتابه، يساعده على ذلك سعة النطاق الزماني لكتابه الذي يمتد من أول تاريخ الإسلام حتى سنة ٧٠٠هـ، والنطاق المكاني الذي يشمل العالم الإسلامي كله. وقد رأينا قبل قليل كيف استطاع أن يحدد نوعية المترجَمين باختيارِ المشهورين والأعلام منهم، إلا أنَّ المسألة التي تبدو أكثر أهمية هي كمية المعلومات التي يذكرها في الترجمة الواحدة، فقد كان لابد له، وقد تَحصَّلَتْ لديه مادةٌ ضخمة، أنْ ينتقي منها ما يتفق وخطته التي اتبعها في عناصر الترجمة[6] ، ومن أجل أن لا يتضخم الكتاب أزيد من

---

(١) ١/ ٢٠.

(٢) انظر مقدمة الذهبي لتاريخه ١/ ١٠، وينظر أيضًا ٢/ ١٧٩.

(٣) ١٥/ ٨٩٢ - ٩٤٥.

(٤) ١٥/ ٨٦٩ - ٨٩١.

(٥) ١٥/ ٩٤٦ - ٩٦٤.

(٦) انظر أدناه الفصل الخاص عن «عناصر الترجمة».

هذا التضخم الكبير الذي قدّره له. وقد أشار الذهبي إلى ضخامة المعلومات التي وقف عليها في مقدمة كتابه حينما قال: «إذ لو استوعبتُ التراجمَ والوقائع لبلغ الكتاب مئة مجلدة بل أكثر، لأن فيه مئة نفس يمكنني أن أذكر أحوالهم في خمسين مجلداً»[1].

وعلى هذا فقد حاول جاهداً أن يقدم ترجمة كاملة ومختصرة في الوقت نفسه، لا تؤثر فيها كمية المعلومات التي تتوافر لديه فتخرج عن خطته في الاختصار العام، فلما شعر مثلاً أن ترجمة عمر بن عبدالعزيز قد طالت أنهاها بقوله: «ومناقبه طويلة اكتفينا بهذا»[2]، واعتذر عن طول ترجمة ابن سينا بقوله: «وقد طالت هذه الترجمة»[3]. وعلى العكس من ذلك فهو يشير إلى عدم توفر مادة كافية لبعض التراجم نحو قوله: «بلغتنا أخباره مختصره»[4] و«لم تبلغنا أخباره كما ينبغي»[5]. أو يشير إلى تقصير بعض الموارد في ترجمة شخص ما نحو قوله: «ترجمته صغيرة عند الخطيب»، أو «وقد ذكره ابن عساكر مختصراً» أو «هو في تاريخ ابن النجار أخصر من هذا»[6].

وقد تمكن الذهبي في الوقت نفسه أن يتخلص من المادة الضخمة التي تَحَصَّلَتْ له عن بعض المترجَمين بإحالة القارئ إلى مصادر أوسع تناولت هذا المترجم بتفصيل أكثر مما ذكره هو نحو قوله في ترجمة عمرو بن العاص: «ولعمرو بن العاص ترجمة طويلة في طبقات ابن سعد في ثمان[7] عشرة

---

(١) ١/ ٥ ومن الجدير بالذكر أن الشمس السخاوي نقل من خط الذهبي أنه كان يريد أن يؤلف كتابه «التاريخ الكبير المحيط» وأنه لو عمله لجاء في ست مئة مجلد، ولكنه لم ينهض له. وقد نقل السخاوي محتويات هذا التاريخ وفيه أربعون صنفاً من أصناف المترجمين (الإعلان ص ٥١٨-٥٢٢).

(٢) ٣/ ١٣١.

(٣) الورقة ٢١٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٠).

(٤) الورقة ١٩٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).

(٥) الورقة ١٢٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٩).

(٦) ينظر كتابنا: الذهبي ومنهجه ٣٥١ - ٣٥٢.

(٧) هكذا من غير ياء وهو رسم الذهبي لها، وقال الصلاح الصفدي: «الفصيح أن تقول عندي ثماني نسوة وثماني عشرة جارية وثماني مئة درهم لأن الياء هنا ياء المنقوص وهي ثابتة في حالة الإضافة والنصب» (الوافي م ١ ص ١٩).

ورقة»[١]، وقوله في ترجمة ابن خزيمة المحدث المشهور: «وقد استوعب أخباره الحاكم أبو عبدالله في تاريخ نيسابور وفيها أشياء كَيِّسة وأخبار مفيدة»[٢]، وقوله في ترجمة المعافى بن عمران الموصلي الزاهد المعروف: «وله ترجمة في تاريخ يزيد بن محمد الأزدي في بضع وعشرين ورقة»[٣]، وقوله في ترجمة أبي نواس: «ترجمته سبع ورقات في تاريخ بغداد»[٤]، وقوله في ترجمة بلال بن سعد الدمشقي من أهل الطبقة الثانية عشرة: «وترجمته في تاريخ دمشق في نيف وعشرين ورقة»[٥]، ومثل قوله في بعض التراجم: «وقد طول الداني ترجمته وعظمه»[٦] و«وقد أطنب في ذكره وأسهب في أمره أبو سعيد بن يونس»[٧]، و«ذكره القاضي عياض وعظمه»[٨] ونحو ذلك[٩] وقد بلغ الأمر به في بعض الأحيان أنه أحال على كتب اختصت بسيرة أحد المترجمين، نحو قوله في ترجمة أحمد بن حنبل: «وقد جمع مناقب أبي عبدالله غير واحد منهم: أبو بكر البيهقي في مجلد، ومنهم: أبو إسماعيل الأنصاري في مُجَيْلِد، ومنهم: أبو الفرج ابن الجوزي في مجلد»[١٠]، وقوله في أخبار الحلاج من حوادث سنة ٣٠٩هـ بعد أن ذكر من أخباره ما بلغ قرابة ثماني أوراق[١١]: «وأخباره أكثر من هذا في تاريخ الخطيب، وفيما جمع ابن الجوزي من أخباره[١٢] ثم إني أفردتها في جزء»[١٣].

---

(١) ٢/ ٤٣١.
(٢) ٧/ ٢٤٦. وانظر إحالة أخرى إلى هذا التاريخ في الورقة ١٧٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).
(٣) الورقة ١٤٢ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) وهو «طبقات المحدثين».
(٤) الورقة ٣٠٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٦).
(٥) ٣/ ٢١٤.
(٦) ٧/ ٨٧٩.
(٧) ٧/ ٧٤٢.
(٨) ٧/ ٦٦٦.
(٩) انظر مثلاً ٢/ ١٢٧، والورقة ١٢٧ (أيا صوفيا ٣٠٠٦).
(١٠) ٥/ ١٠٦٨.
(١١) ٧/ ١٦ - ٢٦ (من طبعتنا).
(١٢) أحال الذهبي على كتاب ابن الجوزي هذا أيضاً في ترجمة الحلاج من وفيات سنة ٣٠٩هـ وسماه هناك: «القاطع لمحال المحاج بحال الحلاج» ٧/ ١٤٣.
(١٣) ٧/ ٢٦، وانظر عن كتاب الذهبي في سيرة الحلاج كتابنا: الذهبي ومنهجه ٢٠٨.

ومع كل هذا فإن سعة التراجم في «تاريخ الإسلام» تتباين الواحدة عن الأخرى، فقد لا تزيد على بضعة أسطر، وقد تبلغ أوراقاً عديدة. وقد انتقده تلميذه تاج الدين السبكي «ت٧٧١هـ» على خطته في تطويل التراجم وتقصيرها واعتبر ذلك من باب التعصب والهوى العقائدي، فذكر أن تطويل التراجم وتقصيرها مسألة يغفل عنها الكثيرون، وتكلم على هذه المسألة في عموم المؤرخين فقال: «فرب محتاط لنفسه لا يذكر إلا ما وجده منقولاً، ثم يأتي إلى من يبغضه فينقل جميع ما ذكر من مذامه، ويحذف كثيراً مما نقل في مَمَادِحِه، ويجيء إلى مَنْ يُحبه فيعكسُ الحالَ فيه، ويظنُّ المسكينُ أنه لم يأتِ بذنبٍ، لأنه ليس يجب عليه تطويل ترجمةِ أحدٍ، ولا استيفاء ما ذكر من ممادحه، ولا يظن المغتر أن تقصيره لترجمته بهذه النية استزراء به وخيانة لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين في تأدية ما قيل في حَقِّه من حَمْدٍ وذم»[1] . ثم خصص الذهبي فقال: «ولقد وقفت في تاريخ الذهبي ـ رحمه الله ـ على ترجمة الشيخ الموفق[2] ابن قدامة الحنبلي، والشيخ فخر الدين[3] ابن عساكر، وقد أطال تلك وقصر هذه وأتى بما لا يشك لبيبٌ أنه لم يحمله على ذلك إلا أن هذا أشعري وذاك حنبلي، وسيقفون بين يدي رب العالمين»[4] . وكلام السبكي هذا جزء من نقده الشديد للذهبي الذي سوف نتكلم عليه في موضع آخر إن شاء الله[5] .

وقد ظهر لنا نتيجة دراستنا لهذه الناحية في «تاريخ الإسلام» أن السبكي قد بالغ في نقده بسببٍ من تعصبه الشديد للأشاعرة، فقد تبين أنَّ الذهبيَّ راعى في أكثر الأحايين، وليس في جميعها قيمةَ الإنسان وشهرته بين أهل علمه أو

---

(١) السبكي: الطبقات، ج٢ص٢٣-٢٤.

(٢) هو عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي المتوفى سنة ٦٢٠هـ وكان من كبار العلماء الزهاد، وهو صاحب التصانيف المشهورة المطبوعة المتداولة ومن أشهرها كتاب «المغني» وقد ترجم له الذهبي في سبع أوراق ٢٠٤-٢١٠ (أيا صوفيا ٣٠١١) علماً أن الذهبي قد ألف كتاباً في سيرته (انظر: الذهبي ومنهجه ٢٠٦).

(٣) هو فخر الدين عبدالرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر ابن أخي الحافظ أبي القاسم ابن عساكر صاحب التاريخ المشهور، وقد توفي فخر الدين هذا سنة ٦٢٠هـ أيضاً، وكان من كبار الشافعية بالشام آنذاك، وترجم له الذهبي في ثلاث أوراق تقريباً ٢١١-٢١٣ (أيا صوفيا ٣٠١١).

(٤) السبكي: الطبقات، ج٢ص٢٤.

(٥) انظر أدناه الفصل الخاص بالنقد.

مكانته بين الذين من بابته سواء أكان متفقاً معه في العقيدة أم مخالفاً، فنراه مثلاً يطول في تراجم الشعراء البارزين مثل المتنبي[١]، وعمارة اليمني[٢]، ومجنون ليلى[٣]، والأرجاني[٤]، وغيرهم. أو كبار النحويين مثل الكسائي[٥]. أو كبار الخطاطين مثل ابن مقلة[٦]، وهلم جرًّا.

وكيف يقال: إنَّ التعصبَ هو الذي دفع الذهبيَّ إلى تطويل التراجم وتقصيرها وقد طول في ترجمة الحلاج بحيث بلغ ما ذكره عنه في الحوادث فقط ثماني أوراق[٧]، بله الجزء الذي ألفه في أخباره، وهو الذي يقول في ترجمته: «قتلوه على الكفر والحلول والانسلاخ من الدين... كان كذاباً مُمَوِّهاً مُمَخْرِقاً حلولياً له كلام حلو يستحوذُ به على نفوس جهال العوام»[٨]. وترجم ابن سينا ترجمة طويلة بلغت عشر أوراق بخطه[٩] باعتباره «آية في الذكاء وهو رأس الفلاسفة الإسلاميين الذين مشوا خلف العقول وخالفوا الرسول!»[١٠]، وترجم لأبي العلاء المعري ترجمة حافلة مع أنه أكد زندقته في غير موضع[١١]. وقد طوّل الذهبيُّ في كثير من تراجم الأشاعرة البارزين ومدحهم مدحاً كبيراً كلاً حسب مبلغه من العلم الذي برع فيه، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: الإمام محيي الدين النواوي الشافعي الأشعري[١٢] الذي لم تقلَّ ترجمتُه عن ترجمةِ الموفق ابن قدامة لا في الطول ولا في الثناء، فضلاً عن اعتذاره في آخر الترجمة بقوله: «ولا يحتمل كتابنا أكثر مما ذكرنا من سيرة هذا

---

(١) ٨/ ٦٥ - ٧٠.
(٢) ١٢/ ٤١٣ - ٤٢٢.
(٣) ٢/ ٧٠٠ - ٧٠٣.
(٤) الورقة ٣٠٥-٣٠٧ (أيا صوفيا ٣٠١٠).
(٥) الورقة ١١٣-١١٥ (أيا صوفيا ٣٠٠٦).
(٦) ٧/ ٥٥٨ - ٥٦٤.
(٧) ٧/ ١٦ - ٢٦ (من طبعتنا).
(٨) ٧/ ١٤٣ - ١٤٤.
(٩) الورقة ٢١٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٩).
(١٠) الورقة ٢٨١ (أيا صوفيا ٣٠٠٩).
(١١) الورقة ٤٦١-٤٧٠ من النسخة السابقة.
(١٢) الورقة ٤٢-٤٧ (أيا صوفيا ٣٠١٤).

السيد ـ رحمه الله ـ»[١].

ومع أن الذهبيَّ كان عظيم الاهتمام بالمحدثين شديدَ الكَلَفِ بهم، إلا أننا وجدناه يترجم لهم تراجم قصيرة عموماً إذا قيست بتراجم الشعراء والزهاد والصوفية والمتكلمين إذا استثنينا بعض أعلامهم المشهورين جداً مثل البخاري[٢] وأحمد بن حنبل[٣] والزهري[٤] وعبد الله بن المبارك[٥] ونحوهم.

على أن هذا الذي قلته لا يعني أنه لم يتأثر إطلاقاً بعقيدته وآرائه ونظرته إلى العلوم في فهم المترجمين وتطويل تراجمهم أو تقصيرها، فهذا أمرٌ يُجانبُ الطبيعةَ البشرية وهو موجود عند جميع المؤرخين، لكننا نشير إلى محاولاته الجدية في الموازنة وإلى أنه لم يفعل ذلك عن هوىً وتَقَصُّدٍ إنما دفعته بيئته وثقافته في كثير من الأحيان إلى الإعجاب بشخصٍ ما وتقديره، وعليه فإن تطويل الترجمة وتقصيرها يجب أنْ يُنظرَ إليه بمنظار ينفذ خلال المؤلف أولاً من أجل كشف معاييره واتجاهاته الفكرية. وعلى أساس من هذا يجب أن تفهم انتقاداتُ العلماء بعضهم لبعض في مثل هذه المسائل، وإلا فإن مآخذ السبكي على الذهبي يمكن تطبيقها على السبكي نفسه ويكفي أن نتذكر تراجمه في طبقات الشافعية لنعلم ذلك.

ونحن على أي حال يجب أنْ نعترفَ بأنَّ التاريخ كان أبداً ضحية أمزجة المؤرخين المسلمين في الإطناب والإيجاز ونوعية المعلومات التي يهتمون بها ويلتفتون إليها دون غيرها ويدونونها في كتبهم استناداً إلى أذواقهم ومفاهيمهم. وتفضل بعد كل هذا الذي قلته واسأل متعجباً: كيف ترجم الذهبي لواحد من أعظم الرياضيين هو البوزجاني المتوفى سنة ٣٨٧هـ في سطرين فقط؟![٦] ثم سرعان ما يتبدد استعجابك[٧] حينما تعلم أنه لم يدر يوماً من هذه العلوم شيئاً، ولم ينل منها حظاً، بله اعتباره الرياضيات والهندسة والفلك من «الصنائع المظلمة»!![٨].

---

(١) الورقة ٤٧ (أيا صوفيا ٣٠١٤).
(٢) ٦/ ١٤٠ - ١٦٤.
(٣) وقد تكلم على المحنة في أثنائها فاستغرقت من ترجمته قسماً كبيراً (٥/ ١٠٣٦-١٠٤٩).
(٤) ٣/ ٤٩٩ - ٥١٨.
(٥) الورقة ٨٩-١٠١ (أيا صوفيا ٣٠٠٦).
(٦) الورقة ١٩٤ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).
(٧) قال الزمخشري في (ع ج ب) من أساس البلاغة (ص٦١٤): الاستعجاب: فرط التعجب.
(٨) الورقة ٢٦٣(أيا صوفيا ٣٠٠٨).

الفصل الثالث

عناصر الترجمة

توطئة:

تختلف المادة الموجودة في ترجمة ما عن الأخرى حسب طبيعة المُترجَم له وقيمته العلمية أو الأدبية أو مكانته السياسية من جهة وعدد الموارد التي يعتمدها المؤلف ونوعيتها من جهة أخرى. وطبيعي أننا نجد اختلافاً واضحاً في محتويات ترجمة السياسي عن الأديب، واختلافاً بين ترجمة الأديب أو المحدث أو الفقيه أو المتكلم ونحو ذلك. وقد لا نستطيع أن نتبين سوى السمات العامة في الترجمة البالغة القِصَر. على أننا في الوقت نفسه نلاحظ تنظيماً واضحاً داخل التراجم الحافلة قد يصل حداً يضع فيه الذهبي عناوين بالخط الغليظ لكل جزء مميز من أجزائها كما هو في ترجمة فخر الدين الرازي(١)، وأبي عمر المقدسي(٢)، وأبي إسحاق المقدسي(٣)، والموفق المقدسي(٤)، وعز الدين ابن الأثير(٥)، وأبي زكريا النواوي(٦)، وغيرهم.

على أننا نستطيع أن نميز المنهج العام الذي اختطه الذهبي لنفسه في ذكر محتويات تراجم العلماء والرواة والأدباء ونحوهم بالأمور الآتية:

١- اسم المترجم ونسبه ولقبه وكنيته ونسبته.

٢- مولده أو ما يدل على عمره.

٣- نشأته ودراسته وأخذه عن الشيوخ.

٤- إنتاجه وتلامذته.

٥- مكانته العلمية وعقيدته وآراء العلماء فيه ورأي الذهبي إن وجد.

---

(١) الورقة ٣٨-٤٢ (أيا صوفيا ٣٠١١).

(٢) الورقة ٥١-٥٧ من النسخة السابقة.

(٣) الورقة ١٢٢-١٢٦ من النسخة السابقة.

(٤) الورقة ٢٠٤-٢١٠ من النسخة السابقة.

(٥) الورقة ٩٥-٩٦ (أيا صوفيا ٣٠١٢).

(٦) الورقة ٤٢-٤٧ (أيا صوفيا ٣٠١٤).

٦- تحديد تاريخ وفاته.

وقد تتوفر هذه الأمور جميعها في الترجمة الواحدة، وقد توجد طائفة منها، أو لا تتوفر منها إلا القليل حسب طبيعة المترجم له وكمية المعلومات المتوفرة عنه.

١- الاسم والنسب واللقب والكنية والنسبة:

يبتدئ الذهبيُّ الترجمةَ عادة بذكر اسم المترجم له واسم والده وأجداده وهو قلما يورد أقل من ثلاثة أسماء[١]. ثم يذكر بعد ذلك بعض الصفات المادحة أو الدالة على مكانته العلمية نحو: «الشيخ»، و«الفقيه»، و«الحافظ»، و«المسند»، و«العلامة»، و«الرحلة»، و«الشاعر»، و«الأديب»، أو من الألفاظ الدالة على المناصب الدينية والدنيوية الرفيعة نحو: «قاضي القضاة»، و«شيخ الشيوخ»، و«القاضي»، و«أمير المؤمنين»، و«الملك»، و«السلطان»، و«الأمير»، و«الوزير»، و«الحاجب»، و«نقيب النقباء»، ونحوها. كما يستعمل ألفاظاً دالة على أصالة المترجم وبيته العريق مثل: «الشريف» لمن كان من العلويين أو العباسيين، و«الأصيل» لمن هو من بيتٍ عريقٍ في رياسة أو علم. على أن الذهبيَّ غالباً ما يقتصر في إيراد هذه الصفات على المترجم نفسه ولا يتعداها إلى آبائه كما فعل المنذري في «التكملة»[٢]، فإذا تعداها في حالات قليلة فإنه يقتصر على والد المترجم أو أحد المشهورين من آبائه كأنه يريد أن يزيد في تعريف المترجم عند ذكره ذلك[٣].

---

(١) وكان يعنى بإصعاد نسب بعض المشهورين من ذوي البيوتات مثل العلويين والعباسيين ونحوهم، انظر مثلاً الورقة ١٤٦(أيا صوفيا ٣٠٠٦)، والورقة ٣٤، ١٥٣(أيا صوفيا ٣٠٠٧)، والورقة ٣٦٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٩)، أو بعض كبار العلماء، مثلاً الورقة ١٦٧ (أيا صوفيا ٣٠٠٦)، والورقة ٣٨٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) وغيرها.

(٢) قارن كتابنا: المنذري وكتابه: التكملة، ص٢٤٠.

(٣) نحو قوله: «السلطان الملك المعظم شرف الدين ابن السلطان الملك العادل سيف الدين»، الورقة ٤٥ (أيا صوفيا ٣٠١٢)، ونحو قوله في ترجمة عبدالله بن عبدالغني المقدسي: «الحافظ المحدث جمال الدين أبو موسى ابن الحافظ الأوحد أبي محمد المقدسي» الورقة ٧٩ (أيا صوفيا ٣٠١٢).

أما لقب المترجم فيأتي عادة بعد هذه الصفات والألفاظ[١] . ويلاحظ أن الذهبي حريص في هذا الموضع من الترجمة على إيراد ما يضاف إلى اللقب، نحو قوله: «عزالدين»، و«ضياء الدين»، و«تاج الدين» ونحوها في حين غالباً ما يحذفُ مثلَ هذه الإضافة في داخل الترجمة، أو من ألقاب الرواة الذين أخذوا عنه أو المصادر التي ينقل منها فيقول عوضاً عن الألقاب التي ذكرناها «العز»، و«الضياء»، و«التاج». وهذه الطريقة الأخيرة معروفة عند كثير من المؤرخين ومنهم زكي الدين المنذري[٢] .

ويذكر المؤلف كنية المترجم بعد ذكر لقبه[٣] ، فإذا كان للمترجم أكثر من كنية واحدة ذكرها نحو قوله: «أبو الحسن وأبو محمد»[٤] ، ولكنه قلما يذكر كنى الآباء كما فعل ابن الدبيثي وابن النجار في تاريخيهما حيث ذكرا عدداً من كنى الآباء في نهاية الاسم، نحو قول الذهبي: «محمد بن أحمد بن صالح بن شافع بن صالح بن حاتم، أبو المعالي الجيلي ثم البغدادي»[٥] ، في حين جاءت هذه الترجمة عند ابن الدبيثي بالصورة الآتية: «محمد بن أحمد بن صالح بن شافع بن صالح بن حاتم الجيلي الأصل البغدادي المولد والدار، أبو المعالي بن أبي الفضل بن أبي المعالي»[٦] . والذهبي يخالف الزكي المنذري في التكملة الذي كان يذكر الكنى قبل ذكر أي اسم من الآباء فضلاً عن الصفات المادحة نحو قوله في ترجمة ابن شافع المار ذكره: «الشيخ الأجل أبو المعالي محمد ابن الشيخ الأجل أبي الفضل أحمد ابن الشيخ الأجل أبي المعالي صالح ابن الشيخ الأجل أبي محمد شافع بن صالح. . .»[٧] .

---

(١) ولكن اللقب يأتي في أحيان قليلة جداً عند نهاية الترجمة فيذكر أن لقبه كذا، انظر مثلاً: الورقة ٢٤ (أيا صوفيا ٣٠٠٦)، والورقة ٧٧، ١٨٥، ١٨٧ (أيا صوفيا ٣٠١١).

(٢) انظر كتابنا: المنذري، ص٢٤٣.

(٣) وفي أحيان قليلة نجد تقديماً للكنية على اللقب، انظر مثلاً الورقة ٣٥، ٧٥، ٧٦(أيا صوفيا ٣٠١١).

(٤) الورقة ٦٦(أيا صوفيا ٣٠١١).

(٥) الورقة ٦٦(أيا صوفيا ٣٠١٢).

(٦) ابن الدبيثي: ذيل تاريخ مدينة السلام، ١/١٥٧ بتحقيقنا.

(٧) التكملة، ٣/ الترجمة ٢٢٩٣.

وطريقة المنذري هذه لم تكن لتلائم الذهبي في تنظيمه الذي قام على أساس ترتيب الأسماء ترتيباً معجمياً لأنها تؤدي إلى الاضطراب في ترتيب الأسماء.

وتأتي بعد ذلك النسبة، حيث يبدأ المؤلف أولاً بذكر نسبة المترجم إلى القبيلة وفروعها إنْ وُجِدَتْ ويُسلسلُ ذلك من الأعَمِّ إلى الأخصِّ نحو قوله عن المترجم الذي ينتسب إلى أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ: «القرشي التيمي البكري»[1]، لأن قريشاً تتكون من عدة عشائر فهو أعم من أن يكون تيمياً، والتيمي أعم من أن يكون من ولد أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ومثل هذا قوله عن الذي ينتمي إلى الخليفة المأمون: «الهاشمي المأموني»[2]، وعن الذي ينتسب إلى حاتم الطائي: «الطائي الحاتمي»[3]، وهكذا نحو قوله: «الحميري الكلاعي»[4]، و«الأنصاري السعدي العبادي»[5]. ثم يذكر بعد ذلك نسبته إلى المدينة أو البلدة التي ينتسب إليها، وهو يسلسل ذلك من الأعم إلى الأخص أيضاً نحو قوله: «البغدادي الحريمي الطاهري»[6]، فالبغدادي أعم من أن يكون من أهل الحريم الطاهري المحلة المشهورة ببغداد. ويعنى الذهبي بذكر البلدة التي جاء منها المترجم أو التي كان أحد أجداده ينتسب إليها، ويثني بالتي ولد بها، فالتي نشأ وسكن بها، وينتهي بذكر التي توفي بها حسب ما يتوفر له في الترجمة الواحدة، فإذا ما توفر كل ذلك أو بعضه في ترجمة واحدة ذكره نحو قوله: «الكناني العسقلاني الأصل التنيسي المولد المصري المنشأ»[7]. وتأتي بعد هذه النسبة إلى المذهب نحو: «الشافعي»، و«الحنفي»، و«الحنبلي»، و«المالكي»، و«الزيدي»، و«الظاهري»، فإذا ما غير المترجم مذهبه ذكر له نسبته إلى مذهبه القديم ثم إلى مذهبه الجديد. ويورد بعد ذلك نسبته إلى العلم أو الحرفة أو الصنعة. وإذا ما اشتهر الرجل بأكثر من

---

(١) الورقة ٣٨، ١٢٣، ١٤٥ (أيا صوفيا ٣٠١١).
(٢) الورقة ١٤١ (أيا صوفيا ٣٠١٢).
(٣) الورقة ٢٠٠ من النسخة السابقة.
(٤) الورقة ١٤٧ من النسخة السابقة.
(٥) الورقة ١٤٩ من النسخة السابقة.
(٦) الورقة ١٦١ من النسخة السابقة.
(٧) الورقة ١٧٧ (أيا صوفيا ٣٠١٢).

علم أو حرفة أو صنعة ذكرها نحو قوله: «الطحان البواب»[١] ، و«المقرئ الشاعر»[٢] ، و«السمسار الصايغ»[٣] . ويُتْبِعُ الذهبيُّ نسبةَ المترجَم بما عُرِفَ به من شهرةٍ ويسبق ذلك عادة بكلمة «المعروف»، أو «يعرف» مثل قوله: «أبو الحسن القرشي الأموي النابلسي ثم المصري المالكي العطار المعروف بابن النطاع»[٤] فإذا اشتهر بأكثر من نسبة أو لقب ذكرها أيضاً نحو قوله في ترجمة علي بن عمر بن محمد بن الحسن بن شاذان من وفيات سنة ٣٨٦هـ: «أبو الحسن الحميري البغدادي الحربي يعرف بالسكري وبالختلي وبالصيرفي وبالكيال»[٥] . وهو قلما ترك إنساناً اشتهر بشيء وعُرِفَ به إلا ذكره، وكتابةُ شاهدٌ على ذلك.

وقد يزيد الذهبيُّ في تعريف المترجم فيذكر بعد الاسم واللقب والكنية والنسبة وما إليها، وظيفةً عُرِفَ واشتهر بها اشتهاراً كبيراً نحو قوله: «مدرس الطائفة الحنفية بالمستنصرية»[٦] ، و«قاضي القضاة بقرطبة»[٧] ، و«قاضي بغداد»[٨] ، و«قاضي بلخ»[٩] ، و«قاضي بلد الخليل»[١٠]، و«خطيب زملكا»[١١]، و«ناظر الإسكندرية»[١٢]، ونحوها. أو يزيد في تعريفه بذكر أحد المشهورين من أقربائه نحو قوله في ترجمة تاج الأمناء ابن عساكر المتوفى سنة ٦١٠هـ: «ابن أخي الحافظ أبي القاسم ابن عساكر وأحد الإخوة وأكبرهم ووالد العز النسابة»[١٣].وقوله في ترجمة أبي المظفر ضياء بن صالح الخفاف المتوفى

(١) الورقة ١٤٥ من النسخة السابقة.
(٢) الورقة ٢٠٧ من النسخة السابقة.
(٣) الورقة ٢١١ من النسخة السابقة.
(٤) م ١٨، الورقة ١٤٢ (أيا صوفيا ٣٠١١).
(٥) الورقة ١٨٥ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).
(٦) الورقة ١٢٥ (أيا صوفيا ٣٠١٢).
(٧) ينظر كتابنا: الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام، ص ٣٦٤.
(٨) الورقة ٩٦ (أيا صوفيا ٣٠٠٦).
(٩) ينظر كتابنا: الذهبي ومنهجه ص ٣٦٥.
(١٠) الورقة ١٣ (أيا صوفيا ٣٠١٤).
(١١) الورقة ١٣٦ (أيا صوفيا ٣٠١٢).
(١٢) الورقة ١٤٨ من النسخة السابقة.
(١٣) م ١٨، الورقة ٧٤ (أيا صوفيا ٣٠١١).

سنة ٦٠١هـ: «ابن أخي المفيد المبارك بن كامل»[١] . وقوله في ترجمة الفقيه أبي المنصور فتح بن محمد بن علي الدمياطي المتوفى سنة ٦٠٦هـ: «والد الزين الكاتب المشهور»[٢] ، وغيرها[٣] . أو قد يُعَرِّفه بكتابٍ له مشهور جداً نحو قوله في ترجمة العلامة مجد الدين أبي السعادات ابن الأثير المتوفى سنة ٦٠٦هـ: «الكاتب البليغ مصنف جامع الأصول ومصنف غريب الحديث»[٤] ، وقوله في ترجمة محمد بن سعد بن محمد الديباجي المروزي المتوفى سنة ٦٠٩هـ: «مصنف كتاب المحصل في شرح المفصل للزمخشري»[٥] ، ونحوها[٦] . أو قد يعرفه بكتاب مشهور يرويه، نحو قوله في وفيات سنة ٤٤١هـ: «محمد بن أحمد بن عيسى بن عبدالله القاضي. . . البغدادي الفقيه الشافعي راوي معجم الصحابة للبغوي عن ابن بطة العكبري»[٧] ، وقوله في وفيات سنة ٣٨٨هـ: «أبو يعقوب الصيدلاني راوي كتاب الضعفاء لأبي جعفر العقيلي عنه»[٨] ، وقوله في وفيات سنة ٣٦٨هـ: «محمد بن عيسى بن عمروية، أبو أحمد النيسابوري الجلودي راوي صحيح مسلم»[٩] ، ونحو ذلك[١٠] .

إن هذه العناية الكبيرة بذكر انتسابات المترجم تكون في حقيقتها مادة غنية وجزءاً مهماً من الترجمة حيث يستطيع مؤلف التراجم أن يقدم معلومات عن نسب المترجم وأصله ومكان مولده ونشأته ووفاته ومذهبه واشتهاره بعلم من العلوم أو فن من الفنون أو أدب أو حرفة أو صنعة بعبارة وجيزة ومن غير حاجة

---

(١) م ١٨ ، الورقة ٤ من النسخة السابقة.
(٢) م ١٨ ، الورقة ٣٧ (أيا صوفيا ٣٠١١).
(٣) انظر مثلاً: الورقة ٧٧، ٨١، ٩٣، ٩٥، ١٠٠، ١٠٥، ١٢٢، ١٤٣، ١٥٧، ١٦٨(من النسخة السابقة).
(٤) م ١٨ ، الورقة ٤٢.
(٥) م ١٨ ، الورقة ٧٢.
(٦) انظر مثلاً: الورقة ١٤٢، ١٥٨، ١٨٦، ١٩٦ (أيا صوفيا ٣٠٠٨)، والورقة ٦٨، ١١٩، ١٢٠، ١٥١، ١٧٧ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) وغيرها.
(٧) الورقة ٣٩٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٩).
(٨) الورقة ٢٠٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).
(٩) الورقة ٨٩ من النسخة السابقة.
(١٠) انظر مثلاً: الورقة ١١٩، ١٣٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٩).

إلى استحداث جمل لأجل هذه الغاية، بل كان ذكر الاسم وإلحاق هذه الانتسابات به يجعل كل هذه المسائل على غاية من الوضوح. ومن أجل أن يضبط الذهبي ما قد يحدث من تَوَهُّم في بعض الألفاظ التي قد تؤدي إلى أكثر من معنى نراه يشير إلى المراد بذلك اللفظ بصورة مختصرة جداً نحو قوله: «العلويُّ الحسينيُّ الزيديُّ النسب»[١] . لئلا يتوهم القارئُ أنَّ هذا الرجل قد يكون زيدي المذهب، وقوله مثلاً: «حنش بن عبدالله . . . السَّبَئِي الصنعاني، صنعاء دمشق لا صنعاء اليمن»[٢] .

وفي هذا القسم، أعني القسم الأول من الترجمة، ينص الذهبي فيما إذا كان المترجم ضريراً فيذكر ذلك إذا وقع له[٣] . ولعل تأكيد العلماء على مثل هذا الأمر متأتٍ من النتائج العلمية المترتبة عليه، فالضرير مثلاً لايستطيع القراءة أو كتابة الإجازة، بل تُكتبُ عنه[٤] . كما أن أصوله يجب أن يضبطها له أصحابه، قال الذهبيُّ في ترجمة علي بن محمد أبي الحسن القابسي المتوفى سنة ٤٠٣هـ: «وكان حافظاً للحديث وعلله ورجاله فقيهاً أصولياً متكلماً مصنفاً صالحاً متقناً. وكان أعمى لا يرى شيئاً وهو مع ذلك من أَصَحِّ الناس كتباً وأجودهم تقييداً يضبطُ كُتُبه ثِقاتُ أصحابِه، والذي ضبط له صحيح البَخاري رفيقه أبو محمد الأصيلي »[٥] .

كما أنه عني بذكر كون المترجم من «المعدّلين» فيذكر ذلك بلفظ «المعدل»[٦] . ولعل مؤلفي كتب التراجم أعاروا أهمية لمثل هذا الأمر لما له

---

(١) الورقة ٨٠ (أيا صوفيا ٣٠١١).
(٢) تاريخ الإسلام ٢/ ١٠٨٦.
(٣) انظر على سبيل المثال لا الحصر: الورقة ٢١، ٣١، ٤٤، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٩، ١٤٣، ١٥٤، ١٧٧، ١٨٢ . . . إلخ (أيا صوفيا ٣٠١١).
(٤) انظر كتابنا: المنذري، ص٢٤٣.
(٥) الورقة ٣٢(أيا صوفيا ٣٠٠٩).
(٦) انظر مثلاً الورقة ٩١، ٩٥، ٩٩، ١٠٠، ١١٨، ١١٩، ١٢٧، ١٣١، ١٣٤، ١٦٨، ١٧٥، ١٨٠، ١٨٩، ١٩٢، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٤٠(أيا صوفيا ٣٠٠٨)، والورقة ٧، ٩، ١٠، ١٧، ٢١، ٢٨، ٤٣، ٥٠، ٥٨، ٦٤، ٧٤، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ٩٥، ٩٧ . . . إلخ (أيا صوفيا ٣٣١١)، وغيرها كثير.

من أثرٍ في توثيق المترجم وقبوله في المناصب الدينية وخاصة القضاء. وكان التعديل يجري عادة بشهادة الشخص عند القاضي وغالباً ما يكون عند قاضي القضاة ويقبل القاضي شهادته بعد أن يزكيه شخصان من العدول وتكتب بذلك وثيقة تُودَعُ بديوان الحكم[1]. على أن الذهبيَّ لم يهتم بذكر تاريخ تعديل الشهود، وفيما إذا كان المترجم قد عزل عن الشهادة، ولا يذكر القاضي، أو قاضي القضاة الذيجرى التعديل عنده وكأنه تابع في ذلك زكي الدين المنذري في «التكملة»[2]، بينما كان ابن الدبيثي وابن النجار وابن الساعي شديدي الاهتمام بذكر هذه الأمور[3].

٢- المولد:

أما القسم الثاني من الترجمة فهو ذكر تاريخ مولد المترجم وهو غالباً ما يأتي بعد اسمه ونسبه ولقبه وكنيته ونسبته. وقد اعتنى الذهبي بذكر الولادات جهد طاقته فذكرها دائماً حينما توفرت له لما لذلك من أهمية كبيرة في الاطمئنان على لقاء المترجم لمشايخه وسماعاته عليهم أو إجازته عنهم. وكان المحدثون يعنون بتتبع المواليد ويسألون الشيخ عن مولده قبل السماع منه أو الأخذ عنه فإذا ما وجدوا له رواية قبل هذا التاريخ أو في سن لا تحتمل السماع حكموا بكذبه في هذه الرواية، فقد كان للشيخ أبي محمد عبداللطيف بن عبدالقاهر السهروردي المتوفى سنة٦١٠هـ[4] أخ أكبر منه اسمه عبدالرحيم له مسموعاته عن القاضي أبي بكر محمد بن عبدالباقي الأنصاري المتوفى في رجب سنة ٥٣٥هـ[5] فحدث به عبداللطيف هذا بإربل مع أن مولده في رجب

(١) السمناني: روضة القضاة، الورقة ١٧(نسخة مكتبة البلدية في ميونيخ رقم ٢٦٠ عربي).

(٢) انظر كتابنا: المنذري، ص٢٤٤.

(٣) راجع مقدمتنا لتاريخ ابن الدبيثي، ١/ ٣٥، وكتابنا: تاريخ بغداد لابن الدبيثي، منهجه، موارده، أهميته، ص ٥ (بغداد ١٩٧٤).

(٤) انظر: ابن نقطة: التقييد، ص ٣٨١ - ٣٨٢، وإكمال الإكمال ١/ ٢٤٣، ابن الدبيثي: تاريخ، الورقة ١٦٢ (باريس ٥٩٢٢)، المنذري: التكملة، ٢/ الترجمة ١٢٩٥، الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ٧٩ (أيا صوفيا ٣٠١١)، والمختصر المحتاج إليه ٣/ ٦٤، ابن الملقن: العقد المذهب، الورقة ١٤٩.

(٥) ويعرف بقاضي المارستان، انظر: ابن الجوزي: المنتظم ١٠/ ٩٢-٩٤، ابن الأثير: =

سنة ٥٣٤هـ وسرعان ما شاع هذا الأمر بين المحدثين، قال ابن نقطة المتوفى سنة ٦٢٩هـ: «قال لي أبو العباس أحمد بن علي بن عبدالرحمن المقرئ الأندلسي: دخل جماعة من القادسية إلى إربل من طلبة الحديث فقالوا لي: احذر أن تقرأ على الشيخ هذا الجزء فإنه من مسموعات أخيه. فسألته عن مولده فتكاره في ذلك وقال: «ما أدري أيش مقصود أصحاب الحديث يسألون الإنسان عن مولده كأنهم يتهمونه» فذكر مولده، فقلت إنه ليس من سماعاته[1] باعتبار أن سنه لا تحتمل السماع.

ولما كان الاهتمام بذكر المواليد قد جاء نتيجة العناية بالرواية ولقاء المشايخ لذلك لاحظنا شدة اهتمام الذهبي بذكر مواليد المحدثين بصفة خاصة بينما كثيراً ما أهملها في غيرهم من الملوك والأمراء والمتكلمين ونحوهم.

إن ذكر تاريخ المولد يعتمد بالدرجة الأولى على معرفة المترجم نفسه به لذلك فإن مؤلفي كتب التراجم غالباً ما يذكرون المولد حسبما يورده صاحب الترجمة عندما يسأله الطلبة عنه. وغالباً ما تُضبطُ مواليدُ ذوي البيوتات العلمية أكثر من غيرهم، ذلك أن آباءهم أو أقاربهم يهتمون بتقييد تاريخ مولد أبنائهم لأنهم يأملون أن يكونوا من أهل العلم والعناية به.

وكان الذهبيُّ يذكر في بعض الأحيان عمر المترجم إذا لم يذكر تاريخ مولده، وفي هذه الحالة غالباً ما يأتي ذكر ذلك في نهاية الترجمة وبعد ذكره لتاريخ وفاته نحو قوله مثلاً: «عاش إحدى وتسعين سنة»[2] ونحو ذلك[3]، وإذا لم يظفر بتاريخ مولده دلل على قدم مولده، نحو قوله: «قديم المولد»[4].

= الكامل، ١١/ ٨٠، سبط ابن الجوزي: مرآة، ٨/١٧٨-١٨٠، الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٣ - ٢٨، والعبر ٤/ ٩٦ - ٩٧، العيني: عقد الجمان، ج ١٦الورقة ١٢١-١٢٢ (مصورة القاهرة ١٥٨٤ تاريخ).

(١) ابن نقطة: التقييد ص ٣٨١ - ٣٨٢ ولذلك تناوله ابن حجر في «لسانه» ٤/ ٥٤.

(٢) الورقة ٣٠ (أيا صوفيا ٣٠١١).

(٣) انظر مثلاً: الورقة ٨٦، ٨٩، ١٣٣، ١٣٩، ١٤٧، ١٦٥، ١٧٢، ١٧٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٨)، والورقة ٣٤، ٣٦، ٦٦ (أيا صوفيا ٣٠١١) وغيرهما كثير.

(٤) الورقة ٦٠ (أيا صوفيا ٣٠١١).

ويقتصر الذهبي في ذكر المولد على ذكر السنة التي ولد فيها في الأغلب الأعم، وقلما يُعَيِّنُ اليومَ والشهر الذي وقعت فيه الولادة إلا في حالات قليلة[1] على عكس ابن الدبيثي والمنذري اللذين اهتما بذكر اليوم والشهر والسنة إذا وقع لهما ذلك[2]. وقد يذكر الذهبي المدينة التي ولد بها تصريحاً[3]، على أنه كثيراً ما يذكر ذلك ضمنياً حينما يشير في الترجمة إلى أنه «بغدادي المولد»، أو «أصبهاني المولد» ونحوهما فيدل على مكان ولادته.

٣- الدراسة والشيوخ:

وتأتي المعلومات المتصلة بنشأة المترجم ودراساته بعد الولادة في الأغلب الأعم. وأول ما يبدأ الذهبي بذكره عادة هو قراءة القرآن الكريم باعتباره أشرف الكتب وهو الذي يعنى به الطلبة في فترة مبكرة من حياتهم. ويشير في هذا المجال فيما إذا كان المترجم قد قرأ بالقراءات السبع أو العشر أو الشواذ، كما يعنى بإيراد الشيوخ الذين قرأ عليهم هذه القراءات. ثم ينتقل بعد ذلك إلى دراسة الفقه، إذا كان المترجم من المهتمين به، ولكنه لا يعنى بذكر المذهب الذي تفقه عليه، إلا أنه يذكر الشيوخ الذين تفقه عليهم أو المدرسة التي تَفَقَّه فيها وفي ذلك دلالة على المذهب، لأن التفقه على شيخ معين يعني التفقه على مذهب ذلك الشيخ، ومثل ذلك التفقه في المدارس التي غالباً ما أوقفت على مذهب معين. ويذكر بعد هذا سماع المترجم للحديث وغيره وإجازات العلماء له، ثم العلوم الأخرى التي درسها.

وغالباً ما يقتصر الذهبي في ذكر شيوخ المترجم على ما اشتهروا به من اسم أو لقب، فيقول مثلاً «ابن الحصين» ويريد به أبا القاسم هبة الله بن محمد

---

(١) انظر مثلاً: الورقة ٤٨، ٦٦، ٧٦، ١٥٧، ١٦٨(أيا صوفيا ٣٠١١)وفي جميع هذه المواضع عين الشهر ولم يعين اليوم.

(٢) انظر المنذري: التكملة، مثلاً ٢/ ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩...إلخ. وابن الدبيثي: ذيل تاريخ مدينة السلام ١/ ٩٥، ٩٧، ١٠٤، ١٠٧، ١١٣، ١١٦، ١٣١، ١٣٦، ١٤٦، ١٥٠، ١٥٤...إلخ.

(٣) انظر مثلاً: الورقة ٤٢، ٤٤، ٨٤، ١٠٠، ١١٢، ١١٧، ١٥٧، ١٦٩(أيا صوفيا ٣٠١١).

ابن الحصين الشيباني، ويقول «أبو بكر الأنصاري» ويريد به القاضي أبا بكر محمد بن عبدالباقي الأنصاري. ونحو ذلك وهو بهذا يخالف طريقة المنذري الذي اعتنى بذكر أسماء الشيوخ بصورة مفصلة في كتابه التكملة[1] . والذهبي عند ذكره لأسماء الشيوخ بهذا الشكل قد افترض معرفةً واطلاعاً عند القارئ بحيث يستطيع أن يميز ويعرف الشيخ من شهرته، وهي طريقة تثير كثيراً من الإرباك لاسيما للقراء غير المتبحرين في علم الرجال ومعرفتهم والدراية بعصورهم، بينما تمتاز طريقة المنذري، بالرغم من التطويل الحاصل نتيجة لاتِّباعها، بأنها تُسَهِّلُ معرفةَ هؤلاء الشيوخ في أية ترجمة من التراجم بسهولة ويسر، كما أنها تجعل كل ترجمة قائمة بنفسها من غير حاجة إلى الرجوع إلى غيرها من التراجم.

ويعنى الذهبي بذكر المكان الذي قرأ فيه المُتَرجَمُ على الشيخ أو سمع عليه، ولكنه لا يذكر جميع الشيوخ بل يقتصر على المشهورين منهم والذين أكثر المترجم عنهم، ويتبع ذلك بألفاظ دالة نحو قوله بعد ذكرهم: «وجماعة»، أو «وطائفة»، أو«وغيرهم» ونحو ذلك[2] . كما يعنى بذكر صيغ التحمل لما لذلك من أهمية عند المحدثين نحو قوله: «أحضر»، أو «سمع حضوراً»، أو «سمع بإفادة أبيه»، أو «قرأ»، و «كتب»، و«أجاز له»، و«روى عن»، وما إلى ذلك، فإذا ما شك في شيء منها استعمل عبارة تمريضية للدلالة على تشككه نحو قوله: «وذكروا أنه سمع . . .»، أو «وقيل إنه سمع»، أو «ويقال إنه قرأ. . .».

وفي كثير من التراجم يهتم الذهبي بذكر بعض المسموعات المهمة لا سيما الكتب أو الأجزاء المشهورة أو العالية أو التي انفرد بها شيخ معين مثل الصحيحين والسنن الأربعة والمسانيد المعروفة والأجزاء الحديثية المشهورة التي يزخر بها كتابه[3] .

---

(١) انظر كتابنا: المنذري، ص٢٤٨.

(٢) انظر مثلاً: الورقة ٤٤، ٤٦، ٤٨، ٥١، ٥٨، ٦٤، ٦٥، ٦٧، ٧٠، ٧١..إلخ (أيا صوفيا ٣٠١١).

(٣) وهذه المسألة يتفق فيها كثير من كتاب التراجم، أعني عدم استيعاب الشيوخ، والعالم الوحيد الذي حاول ذلك هو أبو الحجاج المزي المتوفى سنة ٧٤٢هـ حيث اجتهد أن يذكر جميع الشيوخ الأساسيين في كتابه العظيم «تهذيب الكمال».

٤- الإنتاج والتلاميذ:

حرص الذهبيُّ حرصاً بالغاً في ذكر تحديث المترجم له، وذكرَ بتفصيلٍ وافٍ المشاهيرَ الذين رووا عنه، أعني تلامذته. وهذا القسم من الترجمة هو من اختراع الذهبي في الأغلب الأعم لم ينقله من كتب أخرى لكنه اطلع على رواية هؤلاء الشيوخ عن المترجم فذكرها، وبذلك استطاع أن يحبك التراجم السابقة واللاحقة وينسجها نسجاً دلل على عظيم اطلاعه وقدرته ومعرفته التامة بهذا الفن، ولذلك فإنه غالباً ما يُصَدِّرُ ذِكْرَهُ للرواة عنه بكلمة «قلتُ» للتدليل على أن هذا القسم من الترجمة لم ينقله عن أحد.

واعتنى الذهبي بذكر ما توفر له من الكتب المشهورة التي ألفها صاحب الترجمة، لكنه لم يعتن بالاستقصاء على نحو ما فعل مثلاً ياقوت الحموي في «معجم الأدباء» وابن القفطي في «إنباه الرواة» وابن قاضي شهبة في «طبقات اللغويين والنحاة» وغيرهم. ومع ذلك فإنه في حالة عدم ذكرها يشير إلى كثرة تآليف المترجم أو قِلَّتها أو نفاستها بأقوالٍ دالة على ذلك نحو قوله: «وله تصانيف حسنة في فنون»[١]، أو «وبرع في الطب وصنّف فيه كتاباً حافلاً»[٢]، ونحو ذلك[٣]. على أنه في الوقت نفسه يعنى بذكر المؤلف الذي يجد فيه براعةً أو غرابةً أو غلطاً نحو قوله في ترجمة إسحاق بن غانم العلثي المتوفى سنة ٦٣٤هـ: «ورأيت له رسالة في ورقات كتبها إلى ابن الجوزي ينكر عليه خوضه في التأويل وينكر عليه ما يخاطب به الملائكة على طريق الوعظ، فما قصّر وأبان عن فضيلة وورع»[٤]، ونحو قوله في ترجمة أبي بكر الزاهد المتوفى سنة ٦٧٢هـ: «وله شعر كثير رأيته في ديوان مفرد، وهو شعر طيب يقع على القلب ويحرك الساكن ويثير العزم وإن كان ملحوناً»[٥]، وقوله في ترجمة محمد بن علي بن يوسف بن ميسّر، تاج الدين أبي عبدالله المؤرخ

---

(١) الورقة ٣٧ (أيا صوفيا ٣٠١١).

(٢) الورقة ٧٩ من النسخة السابقة.

(٣) انظر مثلاً: الورقة ١٢ (أيا صوفيا ٣٠٠٧)، والورقة ١٠٠، ١٠١، ١٩٤، ٢٢٠(أيا صوفيا ٣٠٠٨)، والورقة ٩٣(أيا صوفيا ٣٠٠٩) وغيرها.

(٤) الورقة ١٤٤(أيا صوفيا ٣٠١٢).

(٥) الورقة ١٦(أيا صوفيا ٣٠١٤).

المتوفى سنة ٦٧٧هـ: «وله تاريخ كبير ذيّل به على تاريخ المسبحي، وهبني منه مجلداً الحافظ قطب الدين (يعني اليونيني) وعلى المجلد بخطه: مختصر من تاريخ تاج الدين محمد بن علي بن أحمد بن ميسر ويعرف بابن جلب»[١] . وقال في ترجمة ابن الصابوني المتوفى سنة ٦٨٠هـ: «صنف مجلداً مفيداً سماه إكمال الإكمال ذيّل به على إكمال ابن نقطة فأجاد وأفاد»[٢] ، ونحو ذلك كثير في كتابه[٣] .

ويعطي الذهبي اهتماماً لتفرد المترجم عن بعض شيوخه في الرواية سواء أكان هذا التفرد عن شيخ واحد أم عن عدة شيوخ أو كان بكتاب أو جزء واحد أم عدة أجزاء، وسواء أكان بالسماع[٤] أم بالإجازة[٥] نحو قوله في ترجمة أبي اليمن الكندي المتوفى سنة ٦١٣هـ: «وكان أعلى أهل الأرض إسناداً في القراءات فإني لا أعلمُ أحداً من الأمة عاش بعد ما قرأ القراءات ثلاثاً وثمانين سنة غيره، هذا مع أنه قرأ على أسندِ شيوخِ العصر بالعراق ولم يبق أحد ممن قرأ عليه مثل بقائه ولا قريباً منه، بل آخر من قرأ عليه الكمال ابن فارس وعاش بعده نيفاً وستين سنـة»[٦] . كما يهتم الذهبي بذكر تفرد بعض تلامذة المترجم عنه سواء أكان ذلك بالسماع[٧] أم بالإجازة[٨] .

وفي هذا الموضوع من الترجمة تظهر ذاتية الذهبي في التراجم، فهو يعنى بذكر العلاقة التي تربطه بالمترجَم من قراءةٍ أو رواية أو اتصالِ إسنادٍ وما إلى ذلك نحو قوله في ترجمة أحمد بنَ علي الحصّار المقرئ المعروف المتوفى سنة

---

(١) الورقة ٥٨ من النسخة السابقة.

(٢) الورقة ٧٧ من النسخة السابقة.

(٣) انظر مثلاً: الورقة ٨٢، ١٠٥، ١١١، ١٧٠، ٢٥٠، ٢٦١ (أيا صوفيا ٣٠٠٨)، والورقة ٥٩، ٤١٥ (أياصوفيا ٣٠٠٩) وغيرها.

(٤) انظر مثلاً: الورقة ١٦٥، ١٨٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) وغيرهما.

(٥) انظر مثلاً: الورقة ١٢، ١٥٣، ٣٩١ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) وغيرها.

(٦) الورقة ١١٠(أيا صوفيا ٣٠١١).

(٧) انظر مثلاً: الورقة ٨٥، ١٤٤، ٢٢٤ (أيا صوفيا ٣٠٠٨)، والورقة ٥٠، ٥٣، ٩١، ١٢٧، ١٤٩ (أيا صوفيا ٣٠١٢) وغيرها.

(٨) انظر مثلاً: الورقة ٨٢، ٩٨، ٢٠١، ٢٠٢، ٢١٥، ٢٢٣، ٣٨٠، ٣٨١، ٤١٢، ٤٥٥، ٤٨٥ (أيا صوفيا ٣٠٠٩)، والورقة ٤٢، ٤٦، ٥٩ (أيا صوفيا ٣٠١١)، والورقة ٩٤، ٩٨ (أيا صوفيا ٣٠١٢) وغيرها.

٦٠٩هـ: «قلت: قرأت للسبعة على شيخنا برهان الدين الإسكندراني عن قراءته على علم الدين القاسم بن أحمد الأندلسي وقال له: قرأت القراءات، وقرأت «التيسير» على جماعة منهم: أبو جعفر أحمد بن علي ويعرف بالحصّار. وكتب له الحصار بخط يده أنه رواه، يعني «التيسير»، عن أبي عبدالله محمد بن الحسن ابن غلام الفرس، وقال الحصّار...»(١) ونحو ذلك(٢).

إن اهتمام الذهبي وعنايته بذكر شيوخه الذين حدثوه أو أخبروه عن الشيخ المترجم تكوِّن في كثير من الأحيان جزءاً نفيساً من الترجمة الأصلية التي نسجها الذهبي وصاغها بنفسه، ففي ترجمة سراج الدين أبي عبدالله الحسين بن المبارك الرّبعي الزبيدي الأصل البغدادي المتوفى سنة ٦٣١هـ أورد الذهبي مثلاً أسماء واحد وخمسين شيخاً وعشرة شيخات رووا له عنه(٣)، ومثل هذا كثير التكرار في الكتاب(٤) وقد اعتاد أيضاً أن يورد في بعض الأحيان رواية مسندة عن طريق المترجم(٥).

ويذكر الذهبي في الترجمة إذا كان المترجم ممن درّس وفي كثير من الأحيان يعين المدرسة التي دَرَّس بها أو الموضوع الذي دَرَّسه، لكنه لايذكر، في الأغلب الأعَمِّ ماذا كان يدرس، وإن كان المعروف من ذلك الفقه.

٥- المنزلة العلمية:

أما منزلة المترجم العلمية فتحددها في الأغلب الأعم آراء الثقات الذين ينقل عنهم الذهبي ويورد عباراتهم في المُتَرجَم جرحاً وتعديلاً، وهي في الأغلب عبارات وجيزة تعطي معاني دقيقة، وهو لا ينقل في مثل هذا الموضع عن شخص واحد بل يحاول دائماً أن يقدم آراء عدد كبير منهم. وهذه الآراء

---

(١) الورقة ٦٧ (أيا صوفيا ٣٠١١).

(٢) انظر أمثلة أخرى في الورقة ٦٨، ٩٦، ٩٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) وغيرها.

(٣) الورقة ١٠٨-١٠٩(أيا صوفيا ٣٠١٢).

(٤) انظر مثلاً: الورقة ١٧، ١٨، ٢٠، ٢٢، ٢٨، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٧، ٥٢، ٩٣، ٩٥، ١٢٣... إلخ (أيا صوفيا ٣٠١١) أما في القسم الأخير من كتابه فإنه يؤكد دائماً فيما إذا كان قد سمع من المترجم أو حصل على إجازة منه ونحو ذلك.

(٥) انظر مثلاً: الورقة ٨١، ٩٢، ٩٥، ١١٣، ١١٦، ١٢١...إلخ (أيا صوفيا ٣٠٠٨)، والورقة ٩، ٣٧، ١٠١، ١٢٦، ١٦٩، ١٩٠، ٢٠٥(أيا صوفيا ٣٠١١)، والورقة ٢، ٨، ٤٥، ٤٧، ٥٠، ٥٤... إلخ (أيا صوفيا ٣٠١٢) وغيرها.

غالباً ما تكون لتلامذة المترجم في الأغلب الأعم أو بعض رفاقه في بعض الأحيان، ولذلك جاءت المعلومات دقيقة ومتقنة في كثير من الأحيان، ومن هنا وجدنا المؤلف يذكر مثل هذه الآراء بعد ذكر تلامذته أو في أثناء ذكرهم.
أما القسم الأخير من الكتاب فغالب هذه الآراء ترجع إلى الذهبي نفسه لاسيما عن شيوخه أو الذين رآهم واتصل بهم وسمع عليهم من معاصريه فكوّن فكرة عنهم وعن مكانتهم ودرجة ثقتهم.

وعني الذهبي بتبيان عقيدة المترجم، وأوْلى هذه الناحية أهمية كبيرة بحيث صارت لا تخلو منها ترجمةٌ من التراجم، ولعل سبب هذه العناية الفائقة يعود إلى أمرين رئيسين: أولهما تأثره بالبيئة الدمشقية التي كانت تغلي وتفور بالنزاع العقائدي الذي أثر تأثيراً كبيراً في تكوينه الفكري، وثانيهما أهمية العقيدة في النقد عند المحدثين[١] ، فصارت العقيدة بعد كل هذا عنصراً بارزاً من عناصر الترجمة[٢] .

٦- الوفاة:

وغالباً ما يورد الذهبي في نهاية الترجمة تحديد تاريخ وفاة المترجم. ولا ريب أن تنظيم الذهبي كتابه على السنين جعله يستعيضُ عن ذِكْرِ السنة ويؤكد ذكر التاريخ الذي توفي فيه المترجم من السنة. وبالنظر لتوفر تواريخ الوفيات لمعظم المترجمين بسبب عناية المتأخرين بها صار الذهبيُّ يستطيع تحديدها في اليوم والشهر في كثير من الأحيان. أما الحالات التي لم يظفر المؤلف فيها بوفاة المترجم فإنه كثيراً ما يذكره في آخر الطبقة كما مرّ بنا، أو في السنة التي انقطع خبره فيها[٣] .

---

(١) انظر أدناه الفصل الخامس من هذا الباب.

(٢) انظر أمثلة لذلك في الورقة ٢٢٠، ٢٢٧(أيا صوفيا ٣٠٠٩) وراجع أمثلة أخرى عند كلامنا على الفصلين الثاني والخامس من هذا الباب.

(٣) ومما يعزز اهتمام المحدثين بضبط تواريخ الوفيات تأليف كتب كاملة فيها (انظر بحثنا: كتب الوفيات وأهميتها في دراسة التاريخ الإسلامي ـ مجلة كلية الدراسات الإسلامية، العدد الثاني، بغداد ١٩٦٨) وكان بعض المؤلفين يتركون فراغاً في الإجازات التي يمنحونها أو الكتب التي يؤلفونها أو طباق السماع ليدون فيها فيما بعد وفاة المحدث

٧- أمور متفرقة:

وفي نهاية التراجم أيضاً يعنى الذهبي ببيت المترجم إذا كان من عائلة علمية معروفة فيؤكد ذلك بعبارات دالة نحو قوله: «وفي ذريته علماء وأكابر»[١] ، أو «وفي أقاربه جماعة رووا الحديث»[٢] . ولكنه قليل الإحالة على مَنْ مَرَّ أو من سيأتي منهم نحو قوله: «وقد ذكرنا والده من سنوات»[٣] ، و«مات أبوه سنة كذا»[٤] ، وقوله: «وللعلم ولدان فاضلان وهما محمد ويوسف رويا الحديث وسيأتيان إن شاء الله»[٥] ونحو ذلك مما لايشفي الغليل في الإحالة[٦] .

وفي أثناء الترجمة يعلق الذهبي على ما قد يحتاج إلى تعليق مثل النسبة[٧] ، أو اللقب[٨] ، أو ما إليهما عند أول وروده وبعده مباشرة بما يشبه الجملة الاعتراضية ولا يؤخر ذلك إلى نهاية الترجمة كما هو الحال عند الزكي المنذري وابن خلكان وغيرهما نحو قوله: «ويعرف بابن أبي ركب - جمع ركبة -»[٩] ، وقوله: «. . . أبو بكر البقابوسي - وبقابوس من قرى نهر الملك - كان مقرئاً . . .»[١٠]، وهلم جرًّا.

= بحيث قال في بيتيه المشهورين:

إذا قرأ الحديث عليَّ شخص ... وأخلى موضعاً لوفاة مثلي
فما جازى بإحسان لأني ... أريد حياته ويريد قتلي

الصفدي: نكت، ص٢٤٣، والسخاوي: الإعلان، ص٧٢٣وغيرهما.

(١) الورقة ٣٥ (أيا صوفيا ٣٠١١).
(٢) الورقة ٣٠من النسخة السابقة. وانظر أمثلة أخرى في الورقة ١٣٠، ١٨٢، ١٩٧(أيا صوفيا ٣٠٠٨) وغيرها.
(٣) الورقة ١٢٧(أيا صوفيا ٣٠١٢).
(٤) الورقة ٣٨(أيا صوفيا ٣٠١١).
(٥) الورقة ٧٦من النسخة السابقة.
(٦) انظر الورقة ١٣٧(أيا صوفيا ٣٠٠٨)، والورقة ٢٦٠، ٣٨٠(أيا صوفيا ٣٠٠٩)، والورقة ٦٤، ٧٤، ٧٦، ١٢٦، ١٢٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٥١(أيا صوفيا ٣٠١١).
(٧) مثلاً: الورقة ٦١، ٦٦، ٨٤، ٩٥(أيا صوفيا ٣٠١١)، والورقة ١٠٤(أيا صوفيا ٣٠١٢) وغيرها.
(٨) مثلاً: الورقة ٤٣، ٤٨، ٥٠(أيا صوفيا ٣٠١١).
(٩) الورقة ٢٦ (أيا صوفيا ٣٠١١).
(١٠) الورقة ٣٤ من النسخة السابقة.

أما تقييد ما قد يشتبه من الأسماء فقد عني الذهبي بضبطه وتقييده، ولكنه اعتمد ضبط القلم في كثير من الأحيان، بل هو الطابع الغالب على تقييده إلا فيما يلبس ويشكل كثيراً فإنه قيده بالحروف[١]، وهي طريقة انْتُقِدَ عليها حينما ألف كتابه «المشتبه» واعتمد فيه ضبط القلم أيضاً[٢]. وقد جاءت معظم تقييداته التي قيدها بالحروف بعد ورود ما يراد ضبطه وليس في آخر الترجمة إلا في حالات قليلة أخّر فيها التقييد بالحروف إلى آخر الترجمة[٣]. على أنه يذكر في بعض الأحيان وفي آخر الترجمة ما قد يستفاد مع هذا الاسم أو ذاك من تشابه أو اتفاق نحو قوله في ترجمة فتيان بن أحمد ابن سمنيّة المتوفى سنة ٦١٢هـ: «وسمنية مستفاد مع سمينة»[٤] يعني قد يشتبه به. أو فيما إذا كان للمترجم سَمِيٌّ من طبقته نحو قوله في ترجمة محمد بن أحمد بن عبدوس الأديب النحوي النيسابوري من وفيات سنة ٣٩٦هـ: «ومن طبقته أحمد بن محمد بن عبدوس أبو بكر الحافظ النسوي نزيل مرو، روى عنه... ومن طبقتهما أحمد بن محمد بن عبدوس الحاتمي أبو الحسن النيسابوري...»[٥].

ومما تجدر الإشارة إليه أن الذهبي شديد الاهتمام بذكر خط المترجم وجودته، وهو لا يفتأ يشير إلى ذلك كلما وجد ذلك ضرورياً أو تحصلت لديه معلومات عن هذا الأمر نحو قوله: «مليح الخط»[٦]، و«مليح الكتابة»[٧]، و«خطه مليح مغربي في غاية الدقة»[٨]، و«كان الخط الذي يكتبه لا نظير له في

(١) انظر مثلاً: الورقة ١٩٧ (أيا صوفيا ٣٠٠٧)، والورقة ١٨١ (أيا صوفيا ٣٠٠٨)، والورقة ١٨، ٥٠، ٥٩، ٧٨، ١٠٩(أيا صوفيا ٣٠١١).

(٢) انظر مقدمة ابن ناصر الدين لكتابه «توضيح المشتبه» ١/ ١١٧، ومقدمة ابن حجر لكتابه «تبصير المنتبه» ١/ ١.

(٣) مثلاً: الورقة ١٨٢، ٢١٢(أيا صوفيا ٣٠٠٨)، والورقة ١٤٤(أيا صوفيا ٣٠٠٩)، والورقة ٦٣، ١٠٢، ١٥٠ (أيا صوفيا ٣٠١٢).

(٤) الورقة ١٠٣ (أيا صوفيا ٣٠١١).

(٥) الورقة ٢٣٧ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).

(٦) الورقة ٨٢ (أيا صوفيا ٣٠١١).

(٧) الورقة ١٠٧(أيا صوفيا ٣٠١٢).

(٨) الورقة ١٦٩(أيا صوفيا ٣٠١١).

الإتقان والضبط»[١] ونحو ذلك[٢] . كما أنه يشير إلى من كان رديء الخط نحو قوله: «خطه مغلق سقيم»[٣] ، و«كان ضعيف الكتابة»[٤] . كما عني بأولئك الخطاطين الذين كتبوا الخط المنسوب[٥] نحو قوله في ترجمة الفضل ابن عمر المعروف بابن الرائض المتوفى سنة ٦٠٩هـ: «وكتب الخط المنسوب على طريقة ابن البواب في غاية الحسن»[٦] ، وقوله في أحدهم: إنه كان «مليح الخط إلى الغاية على طريقة المغاربة»[٧] ، ونحوها[٨] .

إن هذا الذي ذكرناه هو الطابع العام للتراجم، ولاسيما تراجم العلماء والفقهاء والمحدثين وأهل الرواية، وقد تجد في بعض التراجم اختلافاً طفيفاً عما حكيناه من المحتويات والتنظيم. ولا ريب أن طبيعة المترجم هي التي تحدد نوعية الأخبار. فقد عُني الذهبي مثلاً بإيراد أعمال الخلفاء والملوك والأمراء والمتولين في تراجمهم وركز عنايته على ما قاموا به من نشرِ عدلٍ أو بَثِّ ظلمٍ وسفكِ دماء للرعية، وقوّم كل ذلك بنقله عن المؤرخين الذين سبقوه وأعطى هو رأيه[٩] . وقدم نماذج من أقوال المتفلسفين وأرباب المقالات بما ينبئ عن حسن عقيدتهم أو سوئها، وفعل مثل هذا في المتصوفة فحاول التمييز بين المتصوفة الملتزمين بالكتاب والسنة وأولئك الذين اتبعوا ما هو ليس من الدين، وقاموا بالأعمال الخارجة عنه وتمسكوا بالترهات التي انتشرت انتشاراً كبيراً بين متصوفة ذلك العصر. أما الشعراء فقد أورد نماذج غير قليلة من شعرهم مما وصل إليه عن طريق الرواية الشفوية أو أخذه عن المصادر

---

(١) الورقة ١٤٧(أيا صوفيا ٣٠١٢).

(٢) انظر مثلاً: الورقة ٢١٩، ٢٢٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٨)، والورقة ٢٥٠، ٤٠٤(أيا صوفيا ٣٠٠٩)، والورقة ١٩، ٢١، ٤٧، ٦٣، ٨٢، ١٠٩، ١١٩(أيا صوفيا ٣٠١١).

(٣) انظر كتابنا: الذهبي ومنهجه ص ٣٨١.

(٤) الورقة ٧٨(أيا صوفيا ٣٠١١).

(٥) الخط المنسوب: أي الموزون بنسب معينة في أبعاد الحروف حسب القواعد المقررة والأصول المحررة. (من فوائد الخطاط وليد الأعظمي).

(٦) الورقة ٧٢(أيا صوفيا ٣٠١١).

(٧) الورقة ١٦٣(أيا صوفيا ٣٠١٣).

(٨) مثلاً: الورقة ١٣٦، ٤٣٩(أيا صوفيا ٣٠٠٩).

(٩) انظر أدناه الفصل الخامس عند كلامنا على التقويم والأحكام.

السابقة[1] . وأما الأدباء فقد أورد لهم في بعض الأحيان مقطعات أدبية من مختار نثرهم[2] .

ومن هذا الاختلاف في محتويات التراجم الذي وجدناه ـ مثلاً ـ عناية المؤلف بذكر الأوصاف الجسمية للخلفاء والملوك والأمراء[3] وبعض المتصوفة[4] مما لا نجده في محتويات تراجم العلماء.

---

(١) انظر مثلاً: الورقة ٨١، ٩٥، ١٠٥، ١٢٤، ١٢٧، ١٧٠، ١٧٦، ١٨١، ١٨٧، ٢١٢، ٢١٤، ٢٢٤، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٧... إلخ (أيا صوفيا ٣٠٠٨)، والورقة ١٠، ١١، ٦٦، ٧٠، ٩٧، ١٨٧، ١٩٤، ٢١٦، ٢١٧، ٢٣١... إلخ (أيا صوفيا ٣٠٠٩)، والورقة ٢٧، ٢٨، ٣٣، ٣٦، ٥٦، ٦٦، ٦٩، ٨٠، ٨٢، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٩٤، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٨، ١١١، ١٣٣، ١٤٣، ١٤٤، ١٥٤، ١٦١، ١٦٧، ١٧١، ١٧٦، ١٨٨، ٢٠١، ٢٠٤(أيا صوفيا ٣٠١١)، والورقة ٣، ٢٣، ٣٨، ٥٢، ٥٩، ٨٠، ٨١، ٨٤، ٨٩، ٩١، ٩٦، ١٠٠، ١٠٥، ١٢٣، ١٤٧، ١٥٤، ١٥٨، ١٦٧، ١٧٣، ١٧٤، ١٩٤، ١٩٦، ١٩٧، ٢١٤ (أيا صوفيا ٣٠١٢) وغيرها.

(٢) مثلاً: الورقة ٢٤٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٨)، والورقة ١٩٧، ٢٠٤، ٢٠٦ (أيا صوفيا ٣٠١٢) وغيرها.

(٣) انظر مثلاً: الورقة ١٨٦(أيا صوفيا ٣٠٠٨)، والورقة ٢٢٧ (أيا صوفيا ٣٠٠٩)، والورقة ٨٢، ١٧٣، ٢١٦ (أيا صوفيا ٣٠١١)، والورقة ٣٥ (أيا صوفيا ٣٠١٢)، والورقة ٣٢٨، ٣٢٩(أيا صوفيا ٣٠١٤).

(٤) انظر مثلاً: الورقة ٥٧، ١٢٢، ٢٠٥ (أيا صوفيا ٣٠١١) وغيرها.

الفصل الرابع

نهج الذهبي في الموارد وطرائق النقل منها

توطئة:

على الرغم من قيامي بجرد الموارد التي اعتمدها الذهبي في كتابه «تاريخ الإسلام» فإن الغاية من ذلك لم تكن دراسة هذه الموارد لذاتها، بل لمحاولة التعرف إلى أنواعها ومدى استيعابه للمؤلفات السابقة، والأسس التي اتخذها للمفاضلة في الاعتماد عليها، والمنهج الذي اتبعه في النقل منها.

وقد أدت عملية الجرد الاستقصائية التي قمت بها لموارد الكتاب إلى تكدس عشرات الآلاف من النقول أعانتني كثيراً على تفهم نوعية موارده وطبيعتها ومدى استفادته منها. على أن إيراد هذه النقول في مثل هذه الدراسة على الاستقصاء يبدو أمراً عبثاً يخرج الدراسة عن مسارها المرسوم لها، ولذلك سوف أكتفي دائماً بإيراد نماذج من الموارد للتدليل على المنهج حسب، وأقتصر على ذكر بعض مواضع النقول من غير استقصاء لها.

أولاً- أنواع الموارد:

اعتمد الذهبي أنواعاً متعددة من الموارد في تأليف كتابه، تتباين في أهميتها ومدى اعتماده عليها، وهذه أبرزها:

١ - المشاهدة والملاحظة:

وأكثر ما نجد ذلك في القسم الأخير من كتابه الذي عاصره وشاهد أحداثه واتصل برجاله، فالسنوات العشر الأخيرة من حوادث الكتاب في الأقل هي من

تأليف الذهبي نتيجة مشاهدته لها والوقوف على أخبارها[1] حيث لم نجد ذكراً لمصدر فيها، ووجدنا ذاتيته ظاهرة فيها نحو قوله في حوادث سنة ٦٩١هـ عند كلامه على الكأس الذي نصبه نائب دمشق الشجاعي في مكان البرادة بجامع دمشق ووصفه له: «ثم أجرى فيه الماء... وشربنا منه»[2]، وقوله في حوادث سنة ٦٩٤هـ: «وفي شوال كملت عمارة الحمام الكبير والمسجد والسوق... وكان يعرف ببستان الوزير ورأيته مبقلة[3] كبيرة»[4]، وقوله في الجفاف الذي كان بالشام سنة ٦٩٥ هـ: «واجتمعنا لسماع البخاري ففتح الله بنزول الغيث»[5]، وقوله في حوادث سنة ٦٩٩هـ بعد وصفه لهزيمة جيش المماليك: «وأما نحن فوقعت يوم الخميس الظهر بطاقة مضمونها... فبتنا بليلةٍ اللهُ بها عليم وفترت الهمم عن الدعاء ودقت البشائر من الغد تطمئننا ثم تبين كذبها...»[6]، ونحو ذلك.

أما المترجمون في هذه فقد شاهدهم واتصل بأكثرهم، وشخصيته هنا جِدُّ ظاهرة في الكتاب بحيث لم تَخْلُ ورقةٌ منها. ونحن نعلم شدة اتصاله بالعلماء آنذاك للدراسة عليهم والسماع منهم يشهدُ على ذلك معجمُ شيوخه الكبير، لذلك دوّن في الكتاب مشاهداته وانطباعاته عنهم.

ومن طرائف مشاهدات الذهبي وملاحظاته أنه كان ينقل تواريخ بعض الوفيات من لوحات المقابر[7]، وقد زار ـ مثلاً ـ قبر أبي العلاء المعري ووصفه[8].

---

(١) قد بينا سابقاً أن هذا القسم من الكتاب اقتصر على الشام ومصر، فحوادث الشام شاهدها هو، أما أخبار مصر فكانت تصل إلى دمشق أولاً بأول، بكتب تكتب من هناك، انظر مثلاً الورقة ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٣، ٣٣٥(أيا صوفيا ٣٠١٤).

(٢) الورقة ٣٢٠ (أيا صوفيا ٣٠١٤).

(٣) قوله مبقلة يعني مزرعة للبقول.

(٤) الورقة ٣٢٦ (أيا صوفيا ٣٠١٤).

(٥) الورقة ٣٢٧ من النسخة السابقة.

(٦) الورقة ٣٣٤ من النسخة السابقة.

(٧) انظر مثلاً: الورقة ١٥٧ (أيا صوفيا ٣٠١١). وقد أفاد من هذه الطريقة كثيراً تقي الدين الفاسي المتوفى سنة ٨٣٢هـ في كتابه «العقد الثمين».

(٨) الورقة٤٧٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٩).

٢- المشافهة:

لقد ظلت الرواية الشفوية تحتفظ بمكانة جيدة على الرغم من انتشار التدوين بشكل واسع بسبب ما تميزت به من خصائص معينة كالدقة والضبط، فضلاً عن أنها تقليد لكبار العلماء السابقين[١] . ولذلك اهتم العلماء، وبخاصة المحدثين، بالحفظ وكان من صفة العالم الكبير أن يكون حافظاً[٢] ، ومن ثم ألف العلماء الكتب المعنية بالحفَّاظ على مدى التاريخ[٣] . ووُصِفَ الذهبيُّ بأنه «حافظ لا يجارى»[٤] وأنه كان «إمام الوجود حفظاً»[٥] ، فكان من الطبيعي أن يحفظ الكثير من الأخبار والحكايات والحوادث التاريخية عند دراسته على شيوخه، وقد أورد الكثير منها بأسانيدها مستعملاً ألفاظ المشافهة[٦] . كما أخذ بعض الأخبار عن شيوخه ورفاقه ممن حضر بعض الأحداث نحو قوله في نزول المغول على حمص سنة ٦٩٩هـ: «حدثني ضوء بن صباح الزبيدي، قال: ما رأيت أنفع من الخاصكية، لقد رأيتهم. . .» ثم وصف له وقائع الحرب[٧] ، وكان الذهبي يروي دائماً مثل هذه الأخبار عن مصادر متخصصة فقد قال مثلاً عن ضوء بن صباح هذا بأنه: «أعرابي دَيِّنٌ عاقلٌ صاحبُ خبرٍ للمسلمين يسكن بكفربطنا حكى لي أموراً عجيبة جرت له وفي الآخر قبض عليه نواب التتار ومات تحت العذاب» سنة ٧١١هـ[٨] .

---

(١) انظر مثلاً الرامهرمزي: المحدث الفاصل، ص٥٤٥-٥٤٧، الخطيب البغدادي: تقييد العلم (دمشق ١٩٤٩)، السيوطي: تدريب الراوي، ص٢٨٦، وبحث الدكتور صالح العلي: المحاضرات الشفهية.

(٢) انظر مثلاً ابن سلام الجمحي: طبقات، ص٥، ابن الأنباري: نزهة الألباء، ص١٣٧، ١٨٢، ١٨٣، السيوطي: المزهر، ص١٧١.

(٣) من أشهرها كتاب «تذكرة الحفاظ» للذهبي والذيول عليه، وانظر السخاوي: الإعلان، ص٥٦٥.

(٤) الصفدي: الوافي، ج٢ص١٦٣.

(٥) السبكي: طبقات، ج٩ص١٠١.

(٦) انظر مثلاً: الورقة ١٨٠، ٢٣٤ (أيا صوفيا ٣٠٠٨)، والورقة ١٨٠(أيا صوفيا ٣٠٠٩) وغيرها.

(٧) الورقة ٣٣٥ (أيا صوفيا ٣٠١٤).

(٨) الذهبي: معجم الشيوخ، م ١الورقة ٦٢.

٣- المساءلة والمكاتبة:

وهي إما أن تكون بسؤال الذهبي لشيوخه عن مسألة ما بصورة شخصية استناداً إلى معرفة شيخه وتخصصه بها نحو قوله ـ مثلاً ـ: «سألت شيخنا ابن تيمية عن مذهب السالمية، فقال...»[١]، وقوله في ترجمة أحدهم: «سألت المزي عنه، فقال...»[٢]، و«سألته أي الرجلين أعرف بالفن»[٣]، وغيرها[٤]، وإما أن تكون عن طريق المكاتبة؛ فقد كانت الاتصالات جارية بين العلماء، ولا سيما المعنيين بالتراجم، في إرسال المعلومات من بلد لآخر، فكان العلماء يتفقون فيما بينهم على أن يرسل كل واحد منهم المعلومات المستجدة في بلده إلى صاحبه بغية الوقوف عليها ومتابعة أخبار العلماء أولاً بأول[٥]، من ذلك ـ مثلاً ـ سؤاله أثير الدين أبا حيان الغرناطي المتوفى سنة ٧٤٥هـ بعض الأسئلة عن المغاربة وكيفية التلفظ بأسمائهم وعن جماعة من شيوخه، فرد عليه أبو حيان بكتاب ألفه لأجل ذلك سماه «در الحبي في جواب أسئلة الذهبي»[٦] وقد استفاد منه الذهبي ونقل منه في كتابه فقال عن أحدهم: «وقد سألت عنه العلامة أبا حيان الأندلسي ـ أبقاه الله ـ فكتب إليّ فيما كتب...»[٧] ومن ذلك ـ أيضاً ـ قوله: «فكتب إلينا ابن هارون من تونس...»[٨].

---

(١) الورقة ٤٣٢ (أيا صوفيا ٣٠٠٩).
(٢) الورقة ٥٨ (أيا صوفيا ٣٠١٤).
(٣) الورقة ٥ من النسخة السابقة.
(٤) انظر مثلاً الورقة ٢٦٣(أيا صوفيا ٣٠٠٨).
(٥) راجع كتابنا: المنذري وكتابه التكملة، ص٢٧٩فما بعد.
(٦) انظر أعلاه كلامنا على أسلوب العرض الأدبي.
(٧) الورقة ٨٦ (أيا صوفيا ٣٠١٢).
(٨) الورقة ٥٠من النسخة السابقة. وابن هارون هذا هو أبو محمد عبدالله بن محمد بن هارون الطائي القرطبي المالكي أحد المعمرين، ولد سنة ٦٠٣هـ وتوفى سنة ٧٠٢هـ(الذهبي: معجم الشيوخ، م١الورقة ٦٩).

٤- الإجازات:

كانت الإجازات تحصل باستدعاء من الطالب نفسه أو بواسطة أحد أقاربه أو معارفه[١]. وكان الشيخ يكتب فيها عادة اسمه ونسبه ومولده وشيوخه وما يجيزه للمستجيز. وكان من الطبيعي أن يحتفظ الطالب بهذه الإجازات للتدليل على صحة روايته ولإبرازها عند الحاجة. ولا شك أن المعلومات التي حوتها هذه الإجازات هي من أدق المعلومات عن المجيز وشيوخه لأنه كتبها بنفسه، ولذلك أفاد الذهبي من هذه المادة ليس فيما يتعلق بشيوخه حسب، بل لغيرهم أيضاً فقد كان ـ مثلاً ـ يطالع الإجازات القديمة، قال في ترجمة مسعود بن إسماعيل بن إبراهيم القاضي المتوفى سنة ٦٠١هـ: «من رواة المعجم الصغير عن فاطمة الجوزدانية سمعه منها، كذا وجدت تحت اسمه في الإجازات. أجاز للشيخ شمس الدين عبدالرحمن بن أبي عمر ولابن البخاري[٢] ولفاطمة بنت عساكر وتاريخ الإجازة في سنة إحدى وست مئة»[٣].

٥- مجاميع الطلبة والشيوخ:

كان الطلاب عادة يجمعون ما يستفيدونه عن شيوخهم في مجالس الإملاء، وما يعقلونه عن أساتذتهم عند اتصالهم بهم، وما يقيدونه من الفوائد والانتخابات من الكتب التي يروونها في مجاميع خاصة بهم. وكانت هذه المجاميع تختلف في قيمتها الواحدة عن الأخرى باختلاف قيمة جامعيها ودقتهم في النقل والضبط والتعليق، وقد عني الذهبي بالنقل من بعض هذه المجاميع. ولما لم تكن هذه النقول من كتب معينة فقد كان يشير عادة بقوله:

---

(١) انظر الخطيب البغدادي: الكفاية، ص ٣٣٤، وابن الصابوني: تكملة، ص ١٦٨، والذهبي: معجم الشيوخ، م ١ الورقة ٨، ١٨، ٥٥، ٨٠، م ٢ الورقة ٦، ٣١، ٥٩، ٦٠، ٨٧، ٨٨، وابن حجر: الدرر، ج٣ص٧٣، ٤٢٦.

(٢) راجع كتابنا: المنذري، ص٢٧٨، وانظر نص إجازة أبي حيان النحوي للصفدي في كتابه: الوافي، ج ٥ ص ٢٧٧-٢٨١.

(٣) الورقة ٨٨ (أيا صوفيا ٣٠١١)، وانظر مثالاً آخر في الورقة نفسها، وراجع الورقة ٣٨ (أيا صوفيا ٣٠١٤).

«نقلت من خط فلان»، أو «وجدت بخط فلان» ونحو ذلك. على أن النقل عن الخطوط لا يعني دائماً عدم النقل من كتاب معين، فقد كان الذهبي يعنى بانتقاء الكتب المكتوبة بخطوط مؤلفيها أو خطوط الثقات كما سيأتي بيانه، إلا أن طبيعة المادة المنقولة ومعرفة مؤلفات المنقول عنه، أو عدم وجود تأليف له هو الذي يحدد هذه النقول، ولنضرب لذلك مثلاً توضيحيّاً: قال الذهبي في ترجمة شميم الحلي المتوفى سنة ٦٠١هـ: «قرأت بخط محمد بن عبدالجليل الموقاني، قال بعض العلماء: وردت إلى آمد سنة أربع وتسعين وخمس مئة...»[١] ثم ذكر مناقشة هذا «العالم» مع شميم وإزراء شميم بالمتقدمين وإعجابه الشديد بنفسه في قصة طويلة. وحينما نبحث في الكتب نجد أن هذا العالم هو ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ وقد ذكر هذه القصة بحذافيرها في كتاب «إرشاد الأريب»[٢] ووصف لقاءه ومناقشته لشميم الحلي. والظاهر أن الموقاني هذا نقلها من كتاب ياقوت ودونها في أحد مجاميعه، ودليلنا على ذلك أننا لم نعرف لمحمد بن عبدالجليل الموقاني مؤلفاً معيناً، وقد ترجم له الذهبي في وفيات سنة ٦٦٤هـ، وقال: «وكتب بخطه الكثير من الحديث والآداب... وله مجاميع مفيدة»[٣]، وقال الصفدي: «وكتب وحدث، وكان يشتري الكتب النفيسة للانتفاع والمتجر، وكانت له معرفة ويقظة»[٤]. ومن ذلك قوله أيضاً في ترجمة عفيفة الفارفانية الأصبهانية المتوفاة سنة ٦٠٦هـ: «نقلت إجازة البغاددة لها من خط شيخنا المزي»[٥]. وقوله: «قرأت وفاته بخط شيخنا ابن الظاهري سنة ٦٠١هـ»[٦] ولم نعرف لابن الظاهري تأليفاً في هذه الفترة، ولا كان هذا الرجل من شيوخه فقد ولد ابن الظاهري سنة ٦٢٦هـ

---

(١) الورقة ٦(أيا صوفيا ٣٠١١).
(٢) ج ٥ ص ١٢٩فما بعد، ثم نجد ملخصاً لها في ج٦ص١٧٠-١٧١هـ وقد تصحفت سنة اللقاء هناك فجاءت سنة ٥٩٣ هـ وهو من وهم الطبع كما يظهر.
(٣) الورقة ٢٦٣-٢٦٤ (أيا صوفيا ٣٠١٣)، والعبر، ج ٥ ص ٢٧٨ وعنه نقل ابن العماد في شذرات الذهب، ج ٥ ص ٣١٦.
(٤) الوافي، ج ٣ ص ٢١٦.
(٥) الورقة ٣٧ (أيا صوفيا ٣٠١١).
(٦) الورقة ٨٩ من النسخة السابقة.

وتوفي سنة٦٩٦هـ[١] .

وهذا الذي ذكرته يُبَدِّدُ الكثيرَ من حيرتنا حينما نجدُ نقولاً عن شخصٍ ما ولا نجد له كتاباً في المادة المنقولة، أو لا نجد له تأليفاً على الإطلاق. ومن أسف فإن معظم «كراريس» الطلبة ومجاميعهم لم تصل إلينا لعدم أهميتها آنذاك، وعدم قيام النساخ بانتساخها[٢] .

٦- مؤلفات المترجم:

عرفنا من دراستنا لعناصر الترجمة أن الذهبيَّ كان يعنى بذكر ما يقع له من مؤلفات المترجم أو أجزائه أو نحوها. وقد اعتنى الذهبي في كثير من الأحيان بدراسة هذه المؤلفات وإبداء رأيه فيها، وكان ينقل منها لتوضيح قدرة المترجم أو عقيدته أو نحوها نحو قوله في ترجمة محمد بن القاسم بن شعبان المصري المالكي المتوفى سنة ٣٥٥هـ: «وكان ابن شعبان صاحب سُنَّة كغيره من أئمة الفقه في ذلك العصر فإني قد وقفت على تأليفه في تسمية الرواة عن مالك قال في أوله...»[٣] ، وقوله في ترجمة محمد بن الحسن بن المظفر البغدادي اللغوي المعروف بالحاتمي المتوفى سنة ٣٨٨هـ: «وله الرسالة الحاتمية التي شرح فيها ما جرى بينه وبين المتنبي من إظهار سرقاته وإبانة عيوبه في شعره، وهي رسالة تدل على تبحره، يذكر في أولها...»[٤] ، وقوله في ترجمة تقي الدين علي بن أبي بكر الهروي الزاهد السائح المشهور المتوفى سنة ٦١١هـ: «ورأيت له كتاب المزارات والمشاهدات التي عاينها في الدنيا فرأيته حاطب ليل وعنده عامية»[٥] .

---

(١) انظر الذهبي: تاريخ الإسلام، الورقة ٣٥٦-٣٥٧ (أيا صوفيا ٣٠١٤)، معجم الشيوخ، م١ الورقة ١٨.

(٢) من الممكن أن يتصور الإنسان ضخامة هذه المادة حينما يتذكر مجالس الإملاء وهي تعج بمئات الطلبة على مدى العصور.

(٣) ٨/ ٨٩.

(٤) الورقة ١٩٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).

(٥) الورقة ٩٤ (أيا صوفيا ٣٠١١).

ولما أراد الذهبي أن يبين قراءة المقرئ أحمد بن نصر البصري المتوفى سنة٣٧٣هـ قال: «وطرقه في كتاب المبهج لسبط الخياط»[١] باعتبار أن كتاب «المبهج» من كتب القراءة المشهورة المتداولة المروية في عصر الذهبي[٢].

ويصح هذا الذي ذكرناه على عشرات الدواوين الشعرية التي نقل منها الذهبي نماذج عند ترجمته لأصحابها.

٧- المؤلفات السابقة:

وهي أساس موارد الكتاب، والمُكَوِّنُ الرئيسُ لمادته وقد اعتمدها الذهبي بشكل واسع جداً واستوعب الكثير منها. وقد ذكر طائفة منها في المقدمة التي كتبها له. إلا أن هذه القائمة، من أسف، لا تمثل الموارد الحقيقية للكتاب، فإن عدد الكتب المذكورة فيها قليل جداً لم يزد على ثمانية وثلاثين كتاباً[٣]، وقد خلت من كثير من المصادر الأساسية التي أفاد منها بصورة واسعة[٤]، ولذلك فهي لا تقدم صورة حقيقية لطبيعة موارده أو حتى قريبة منها، ومن ثم لا يمكن اعتمادها في مثل هذه الدراسة، فكان لابد عندئذ من دراسة الكتاب برويَّةٍ وإمعان وجرد الموارد التي ذكرها المؤلف في ثناياه بشكل دقيق بغية الوقوف عليها وإقامة الدراسة استناداً إليها.

ولما كانت المؤلفات السابقة هي أساس الكتاب، فإننا سوف نعنى بدراسة مدى استيعاب المؤلف لها، وأسس المفاضلة في اعتمادها، وطرائق النقل منها.

---

(١) الورقة ١٢١ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).

(٢) في خزانة كتبي نسخة مصورة منه، وهو من كتب القراءات النفيسة.

(٣) ١/ ٥ - ٩.

(٤) والظاهر أن الذهبي كتب هذه المقدمة في أول تأليفه الكتاب وأنه على أية حال لم يقصد منها الاستيعاب، وإلا فمن غير المعقول إطلاقاً أن تكون خالية من ذكر بعض الكتب التي سلخها تماماً وأدخلها في كتابه من مثل مؤلفات ابن الدبيثي وابن النجار وابن نقطة والمنذري وغيرهم، ويكفي أن نعلم أنه مثلاً لم يذكر فيها كتاباً واحداً من كتب الوفيات الكثيرة التي اعتمدها بشكل واسع.

ثانياً- استيعاب المؤلفات السابقة:

إن اتساع النطاقين الزماني والمكاني لكتاب الذهبي، واحتواءه على الحوادث والتراجم، وضع أمامه جميع التراث التاريخي الإسلامي بأوسع مفاهيمه[(١)]، منذ بدايته حتى نهاية القرن السابع الهجري، وهو تراث هائل وغني قد مر بعصور ازدهار التأليف عند المسلمين الذين تفننوا في تنويعه وإثرائه سواء أكان ذلك في الأشكال التنظيمية المتعددة التي عرضوه بها، أم بالمادة المتنوعة التي احتوتها تلك المؤلفات[(٢)]. ولذلك لم يكن من السهولة مطلقاً الوقوف عليه واستيعابه، فهو يحتاج إلى وقت طويل وجهد جهيد في وقت لم يكن الحصول فيه على الكتب من الأمور السهلة الميسرة دائماً، فعلى الرغم من وجود الكثير من الكتب والأجزاء الموقوفة في الجوامع والمدارس ودور العلم وخزائن الكتب، إلا أن الحصول على نسخة من الكتاب في البيت كان من الصعوبة بمكان فهو يكلف مالاً ووقتاً في عصر كانت فيه الجهود العلمية فردية لا تدعمها المؤسسات، ولم يكن العلم حرفة يعيش منها العالم، بل كان في الأغلب الأعم من باب التدين والهواية.

وقد تمكن الذهبي أن يستوعب مئات المؤلفات الجيدة ويفيد منها في كتابه كأحسن ما تكون الإفادة. وقد ساعده على ذلك انصرافه التام إلى العلم، وذكاؤه وقوة حافظته، وقيامه باختصار عدد كبير من المؤلفات الرئيسة السابقة، واستعماله الجزازات[(٣)] في جمع هذه المادة الضخمة.

---

(١) لما كان الذهبي قد راعى في كتابه الشمول النوعي في التراجم لذلك تحتم عليه شمول الموارد المعنية بهم، وبذلك وسع المفهوم التاريخي للموارد التي اعتمدها.

(٢) إن نظرة واحدة إلى ما وصل إلينا من أسماء الكتب المؤلفة في النطاق المكاني والزماني والنوعي الذي احتواه كتاب «تاريخ الإسلام» توضح ضخامة مثل هذا التراث وتنوعه.

(٣) كان استعمال الجزازات شائعاً في عصر الذهبي، ولم يكن العلماء المسلمون يستنكفون عن ذكر الجزازات التي كانوا يدونون عليها نقولهم عن الكتب الأخرى وملاحظاتهم (انظر روزنتال: مناهج، ص٢٤فما بعد) وكان زكي الدين المنذري المتوفى سنة ٦٥٦هـ قد وجد كتاب «معجم السفر» لأبي طاهر السلفي «ت٥٧٦هـ» في جزازات، كل ترجمة في جزازة فبيضها ورتبها كما تجيء لا كما يجب (السخاوي: الإعلان، ص٥٩٢) وقد وصل الكتاب إلينا بهذا الشكل (في خزانة كتبي نسخة مصورة منه، وانظر مقدمتنا لمشيخة النعال البغدادي، ص١٥). وقد وصلت إلينا الكثير من الجزازات التي كتبها الذهبي =

مفهوم الاستيعاب:

على أن الاستيعاب كان في الكتب الجيدة عموماً، إذ لا ريب أن الذهبي أهمل الكثير من الكتب الرديئة نحو قوله في ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي: «وعندي مجلد في أخبار الحجاج فيه عجائب لكن لا أعرف صحتها»[(١)]. والواقع أننا لا نعرف كثيراً عن مثل هذه «الكتب غير الجيدة» لعدم اهتمام المؤرخين بالنقل عنها أو ذكرها. ومع ذلك فإننا نلاحظ الذهبي وهو ينقل عن كتب أو مؤلفين لم يرض عنهم تماماً، فقد وصف سبط ابن الجوزي ـ مثلاً ـ بالمجازفة في غير موضع من كتابه[(٢)]، وقال عن معجم شيوخ شهاب الدين القوصي المتوفى سنة ٦٥٣هـ: «وخرج لنفسه معجماً هائلاً في أربعة مجلدات ضخام ما قصر فيه وفيه غلط كثير مع ذلك وأوهام وعجائب»[(٣)] مع أنه نقل عنها كثيراً. وقد تمكن الذهبي من استيعاب مثل هذه المؤلفات في توجيه النقد إليها كلما شعر بخطئها والتنبيه على ذلك[(٤)].

الغاية من الاستيعاب:

وكانت غاية الذهبي الرئيسة من استيعاب كل هذه الموارد الضخمة تقديم خبر أو ترجمة متكاملة لا تعتمد مورداً واحداً أو موردين مما قد يؤدي به إلى الوقوع في الخطأ، فضلاً عن أن هذا الاستيعاب يقدم له مادة دسمة للمقارنة

= بخطه بعد الانتهاء من تأليف الكتاب ووضعها في نسخته مما يدل على أنه لابد أن يكون قد استعملها قبل ذلك.

(١) ٢/١٠٧٩.

(٢) الورقة ٢٣١ (أيا صوفيا ٣٠١١)، والورقة ٩٩، ٢٥٨ (أيا صوفيا ٣٠١٢)، واعتمده بشكل كبير في الحوادث والتراجم انظر مثلاً: الورقة ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٩... إلخ (أيا صوفيا ٣٠١١)، وانظر مقدمة كتاب تاريخ الإسلام ١/٩.

(٣) الورقة ١٢٤ (أيا صوفيا ٣٠١٣)، واعتمده كثيراً انظر مثلاً الورقة ٧، ٨، ٩، ١٤، ٢٠، ٢٥، ٤٢، ٥٨، ٦٠، ٦٢، ٧٤، ٧٧، ٧٨، ٩٥، ٩٧، ١٠٥، ١١٣، ١١٤، ١١٩.. إلخ (أيا صوفيا ٣٠١١).

(٤) انظر أدناه كلامنا على «النقد».

بين الروايات وهو منهج عُني به الذهبي كما سيأتي بيانه.

لذلك وجدنا تعدداً للموارد في الحادثة الواحدة أو العصر الواحد أو الترجمة الواحدة فمن أمثلة ذلك أنه اعتمد في الخبر الذي أورده عن ظهور المغول على كل من ابن الأثير وعبداللطيف البغدادي وسبط ابن الجوزي وأبي شامة وابن واصل الحموي وشهاب الدين النسوي[١]. ونقل في ترجمة الدارقطني عن الحاكم النيسابوري والخطيب البغدادي وعبدالغني بن سعيد المصري والأزهري والبرقاني ومحمد بن طاهر المقدسي وأبي عبدالرحمن السلمي وابن ماكولا[٢]، وذكر تسعة روايات ومصادر لتحديده وفاة عيسى بن يونس السبيعي[٣]، ومثلها لتحديد وفاة أبي إسحاق الفزاري[٤]. وأورد عشرة روايات ومصادر في وفاة الزهري[٥]، واثني عشر رواية ومصدراً في وفاة محمد بن كعب القرظي[٦]، وثلاثة عشر رواية مصدراً في وفاة أبي هريرة[٧]، وهلم جرًّا ومع أن بعض هذه الموارد منقولة من مصادر جاءت بعدها واستوعبتها مثل «تاريخ مدينة السلام»، و«تهذيب الكمال» وغيرهما، لكننا لا نشك في سعة دائرة موارده واطلاعه على الكثير مما ذكر.

ولقد دفعته عنايته هذه في الاستيعاب إلى تتبع الموارد التي ينقل منها وتمحيصها والاستدراك عليها ما هو من شرطها، نحو قوله مثلاً: «لم يذكره ابن عساكر»[٨]، و«ذكره القاضي عياض وما أرخ موته»[٩]، و«ولم يذكره المنذري في الوفيات»[١٠]، وقوله: «لم يذكر ابن يونس هذا في تاريخه»[١١]، وقوله:

---

(١) الورقة ٢٣٩-٢٤٧(أيا صوفيا ٣٠١١).
(٢) الورقة ١٧٨-١٨٠(أيا صوفيا ٣٠٠٨).
(٣) الورقة ١٢١(أيا صوفيا ٣٠٠٩).
(٤) الورقة ٤٨(أيا صوفيا ٣٠٠٦).
(٥) ٣/ ٥١٧ - ٥١٨.
(٦) ٣/ ١٦٣.
(٧) ٢/ ٥٦٧..
(٨) الورقة ٨٩(أيا صوفيا ٣٠٠٨).
(٩) ٨/ ١٧٦.
(١٠) الورقة ١٥٥، ١٥٧(أيا صوفيا ٣٠١١).
(١١) ٧/ ٧٤٢.

«لم يذكره الخطيب في تاريخه»[١]، وقوله في ترجمة معاوية الضال: «وقال أبو حاتم: صالح الحديث، وأنكر على البخاري إخراجه في الضعفاء. قلت: لم أره في الضعفاء للبخاري فلعله أسقط بعد.. ولم يذكره العقيلي ولا الدولابي ولا أحد في الضعفاء...»[٢] ونحو ذلك كثير.

مظاهر الاستيعاب:

ويتمثل استيعاب الذهبي في عنايته بالأخذ عن جميع الأشكال التأليفية عند المسلمين حتى عصره ومن أبرزها:

١- كتب المغازي والسيرة النبوية ودلائل النبوة.

٢- كتب التاريخ العام المرتبة على السنين.

٣- تواريخ الخلفاء.

٤- كتب السير.

٥- كتب الأنساب والأخبار.

٦- الكتب الأدبية.

٧- التواريخ المحلية.

٨- كتب الرجال بكافة أشكالها.

٩- كتب التراجم بأنواعها العديدة.

إضافة إلى عدد كبير من كتب الحديث والأجزاء الحديثية والدواوين الشعرية، وكتب العقائد وغيرها.

وقد حاول جاهداً أن يفيد من جميع المؤلفات في كل نوع من الأنواع المذكورة أعلاه، وإذا ما تتبعنا المؤلفات التي وضعت في كل شكل من هذه الأشكال، واستقصينا الكتب التي وقف الذهبي عليها وأفاد منها لوجدناه قد استوعب القسم الأكبر منها، ولنأخذ كتب الوفيات[٣] مثلاً لذلك فقد نقل

---

(١) الورقة ١٢٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٨)، والورقة ٦٢(أيا صوفيا ٣٠٠٩).

(٢) الورقة ١٥ (أيا صوفيا ٣٠٠٦).

(٣) المقصود بكتب الوفيات هنا هي الكتب التي رتبت التراجم حسب الوفيات، ولذلك لا تدخل فيها الكتب المرتبة على الحروف وإن أطلق عليها لفظ الوفيات مثل «وفيات =

مثلاً لذلك فقد نقل الذهبي من:

١- كتاب[١] «تاريخ وفاة الشيوخ الذين أدركهم البغوي» لأبي القاسم عبدالله ابن محمد بن المرزبان البغوي المتوفى سنة ٣١٧هـ[٢].

٢- كتاب «الوفيات» لأبي الحسين عبدالباقي بن قانع بن مرزوق البغدادي المتوفى سنة ٣٥١هـ الذي ابتدأه من الهجرة ووصل به إلى سنة ٣٤٦هـ[٣].

٣- وكتاب «الوفيات» لأبي سليمان محمد بن عبدالله بن أحمد المعروف بابن زبر الربعي الدمشقي المتوفى سنة ٣٧٩هـ ابتدأه من الهجرة أيضاً ووصل به إلى سنة ٣٣٨هـ[٤].

٤- كتاب «وفيات الشيوخ» لأبي الحسن محمد بن العباس بن الفرات المتوفى سنة ٣٨٤هـ[٥].

٥- كتاب «الوفيات» لأبي الفتح محمد بن أحمد بن محمد بن أبي الفوارس البغدادي المتوفى سنة ٤١٢هـ[٦].

٦- و«تاريخ» أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم السرخسي ثم الهروي القراب المتوفى سنة ٤٢٩هـ قال الذهبي «وله تاريخ السنين الذي صنفه في وفاة أهل العلم من زمان رسول الله ﷺ إلى سنة وفاته»[٧].

٧- و«الذيل على وفيات ابن زبر» لتلميذه أبي محمد عبدالعزيز بن أحمد ابن

= الأعيان» لابن خلكان و«فوات الوفيات» لابن شاكر، و«الوافي بالوفيات» للصفدي وغيرها.

(١) انظر عن كتب الوفيات التي نعرفها بحثنا: كتب الوفيات (مجلة الدراسات الإسلامية ـ العدد الثاني ١٩٦٨).

(٢) منه نسخة بدار الكتب الظاهرية، رقم ١٠٦مجاميع، وقد حققه محمد عزيز شمس، وطبع بالدار السلفية بالهند سنة ١٩٨٨. انظر مثلاً ٥/ ٦٣٤ و٩١٠ و٩٢١ و٩٢٨.

(٣) ٧/ ٢٤٩ و٣٢٣ و٤٩٢.

(٤) ٧/ ١٢٠ و٣٥٤ و٥٩٩.

(٥) الورقة ٨٥ (أيا صوفيا ٣٠٠٧).

(٦) الورقة ٨٧، ٩٤، ٩٦، ٩٩، ١١٨، ١٢٦... إلخ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).

(٧) الورقة ٢٩١ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) وانظر نقولاً عنه في الورقة ١٤٣، ١٤٤، ١٦٠، ١٦٦، ١٩٦(أيا صوفيا ٣٠٠٨).

الكتاني المتوفى سنة ٤٦٦هـ ووصل به إلى سنة وفاته[١] .

٨- وكتاب «الوفيات» لإبراهيم بن سعيد النعماني المصري المعروف بالحبال المتوفى سنة ٤٨٢هـ ابتدأه من سنة ٣٧٥هـ ووصل به إلى سنة ٤٥٦هـ[٢] .

٩- وكتاب «الوفيات» لابن مندة الأصبهاني المتوفى سنة ٤٧٠هـ، قال الذهبي: «لم أر أكثر استيعاباً منه»[٣] .

١٠- وكتاب «الوفيات» لأبي الفضل بن خيرون البغدادي المتوفى سنة ٤٨٨هـ وفيه وفيات سنة ٤٠٦-٤٨٨هـ[٤] .

١١- وكتاب «جامع الوفيات» لأبي محمد هبة الله بن أحمد بن الأكفاني المتوفى سنة ٥٢٤هـ الذي ذيل به على كتاب شيخه ابن الكتاني ووصل به إلى سنة ٤٨٥هـ[٥] .

١٢- وكتاب «الوفيات»[٦] لأبي مسعود عبدالرحيم الحاجي الأصبهاني المتوفى سنة ٥٦٦هـ، قال الذهبي في ترجمته: «وله جزء وفيات شيوخه ومن أخذ عنهم من الأصبهانيين سمعناه بإجازة كريمة منه»[٧] .

١٣- كتاب «الوفيات» لأبي بكر محمد بن المبارك بن مشق المتوفى سنة ٦٠٥ هـ[٨] .

---

(١) عندي نسخة مصورة منه، وانظر الورقة ٢٠، ٢٢، ٢٤، ٣٨، ٤٠، ٥٠، ٩٥، ١٠٦، ١١٢، ١٢٦، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٥١، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧ . . إلخ (أيا صوفيا ٣٠٠٩).

(٢) نشره الدكتور صلاح المنجد في مجلة معهد المخطوطات (م٢ج٢ص٢٨٦-٣٣٧) وقد سلخه الذهبي تقريباً انظر مثلاً الورقة ٤، ٢٢، ٤٤، ٦٧، ٧٠، ٧٤، ٧٥، ٧٧، ٨٠، ٨٧، ٩٠، ٩١، ٩٨، ١١٦، ١١٧، ١٣١، ١٥٥، ١٦٤ . . . إلخ (أيا صوفيا ٣٠٠٩).

(٣) انظر الكتاني: الرسالة، ص٢١١، وبحثنا: «كتب الوفيات»، وراجع تاريخ الإسلام، الورقة ٤٠٠(أيا صوفيا ٣٠٠٩).

(٤) انظر الورقة ٨٥، ١٣٦، ١٤٨، ١٥١، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣١٨، ٣٥٩، ٤١٣، ٤٣٨، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٨٥ (أيا صوفيا ٣٠٠٩).

(٥) عندي نسخة مصورة منه، انظر ١٠/٢٥٧ و٢٥٨ و٥٠٨.

(٦) نشرناه بالاشتراك مع أستاذي الدكتور أحمد ناجي القيسي يرحمه الله ببغداد سنة ١٩٦٦.

(٧) ١٢/٣٥٣.

(٨) ١٢/٣٠٢.

١٤- وكتاب «وفيات النقلة» لأبي الحسن علي بن المفضل المقدسي الإسكندراني المتوفى سنة ٦١١هـ الذي ذيل به على كتاب ابن الأكفاني ووصل به إلى سنة ٥٨١هـ[١].

١٥- وكتاب «الوفيات» لضياء الدين المقدسي المتوفى سنة ٦٤٣هـ[٢].

١٦- وكتاب «التكملة لوفيات النقلة» لزكي الدين المنذري المتوفى سنة ٦٥٦هـ الذي ذيل به على كتاب شيخه أبي الحسن المقدسي ووصل به إلى سنة ٦٤٢هـ[٣].

١٧- وكتاب «صلة التكملة لوفيات النقلة» لعز الدين الحسيني المتوفى سنة ٦٩٥هـ ابتدأه من سنة ٦٤١هـ ووصل به إلى سنة ٦٧٤هـ[٤].

وهكذا لم يترك الذهبي كتاباً يذكر في «الوفيات» من غير أن ينقل منه. وهذا الذي قلته عن استيعابه لكتب الوفيات ينطبق إلى حد بعيد على معظم المؤلفات الأخرى لا سيما في الكتب المعنية بالتراجم والرجال، فإذا تذكرنا ضخامة التراث التاريخي الإسلامي حتى عصره عرفنا ضخامة موارده في تاريخه هذا.

ثالثاً- أسس المفاضلة في اعتماد المؤلفات السابقة:

مع أن الذهبي حاول استيعاب المؤلفات الجيدة إلا أن ذلك لا يعني أنه اعتمدها في كل نطاقها الزماني والمكاني بصورة متساوية، أو من غير منهج، فقد أوضحت دراستنا لموارده أنه كان يفضل اعتماد مصدر على آخر في فترة معينة أو في نوع معين من المترجمين. وقد يستفيد من كتاب ما في فترة معلومة

---

(١) ١٢/ ٢٩٥ و٥٣٣.

(٢) اعتمده الذهبي اعتماداً كبيراً جداً، مثلاً الورقة ٤، ٥، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥... إلخ (أيا صوفيا ٣٠١١).

(٣) حققناه سنة ١٩٦٧وقد سلخه الذهبي تقريباً، انظر تعليقاتنا على هوامشه.

(٤) عندي نسخة مصورة عن مسودة المؤلف وهي كاملة. وقد عرفنا أن الذهبي اختصره ولذلك سلخ معظم تراجمه.

ولا يعتمده في فترة أخرى، وهو ينطلق في ذلك، على ما نرى، من ثلاث قواعد رئيسة هي:

أ- المعاصرة والمشاهدة.

ب- تفضيل المورد الأقدم عند عدم توافر المعاصرة.

ج- التخصص التأليفي.

أ-المعاصرة والمشاهدة:

عني الذهبي بالمؤلفات السابقة التي عاصر مؤلفوها الحدث التاريخي أو المترجم، وفضلها على غيرها، بالرغم من شعوره بالخطر الذي يجيء من اعتماد التواريخ المعاصرة حينما قال في ترجمة داود بن علي العباسي «وفي الخلفاء وآبائهم وأهلهم قوم أعرض أهل الجرح والتعديل عن كشف حالهم خوفاً من السيف والضرب، وما زال هذا في كل دولة قائمة يصف المؤرخ محاسنها ويُغضي عن مساوئها، هذا إذا كان المحدث ذا دين وخير فإن كان مداحاً مداهناً لم يلتفت إلى الورع بل ربما أخرج مساوئ الكبير وهناته في هيئة المدح والمكارم والعظمة فلا قوة إلا بالله»[١]. وتفضيله هذا جاء من اعتقاده أن الاعتماد على معاصرة الحدث التاريخي ومشاهدته من ضرورات الدقة في المعرفة، ولذلك رجح في الأغلب الروايات التي رواها المعاصرون على غيرها[٢]. كما أن أقوال الجرح والتعديل لا تؤخذ إلا من الرجال الذين اتصلوا بالمترجمين كأن يكونوا من تلامذتهم أو رفاقهم في الطلب، لأنهم هم وحدهم العارفون بهم وبمدى صحة مروياتهم، وهكذا فإن الاتصال والمشاهدة شرط مهم من شروط النقد.

ويمكننا أن نميز عناية الذهبي بالخبر المعاصر والراوي المشاهد حينما نتتبع نوعيةَ الموارد التي ينقلُ منها في عصرٍ من العصور، وطبيعةِ نُقُولِه من الموارد التي شملت فترة زمانية طويلة تَعَدَّتْ عصر المؤلف، والاهتمام بذكر موارد الكتب التي ينقل منها، وعنايته بالألفاظ الدالة على المعاصرة والمشاهدة، وإليك تبياناً لأبرز هذه المظاهر.

---

(١) ٣/ ٦٤٢، ونقله السخاوي في الإعلان ص٤٨٩.

(٢) انظر مثلاً الورقة ٤٨(أيا صوفيا ٣٠١١).

١ - اتصال المؤلف بالأحداث:

اهتم الذهبي بالمؤلفين الذين كانوا على صلة بالحوادث التاريخية أو المترجمين وأَوْلاَهُم عنايةً خاصة فاعتمدهم في كتابه أكثر من غيرهم، فقد رأيناه في الحوادث ينتقل من مورد لآخر بين فترة وأخرى ولا يقتصر على مورد واحد عند حديثه عن جميع العالم الإسلامي، ففي النصف الأول من القرن الرابع الهجري مثلاً نجده يعتمد في حوادث العراق بالدرجة الأولى على كل من أبي بكر محمد بن يحيى الصولي «ت٣٣٥هـ»[١]، والمسعودي «ت٣٤٦هـ»[٢]، وثابت بن سنان «ت٣٦٠هـ»[٣] ولا سيما الأخير. ولما تناول علاقات الحمدانيين بالبيزنطيين اعتمد على تاريخ علي بن محمد الشمشاطي المتوفى بعد سنة ٣٧٧هـ[٤] لأنه كان على صلة بالحمدانيين إذ كان مؤدباً ونديماً لهم فكان مطلعاً على أخبارهم عارفاً باتصالاتهم[٥] ولما تناول أخبار صلاح الدين اعتمد الموارد التي عاصرته وعنيت بأخباره وكانت على صلة وثيقة به مثل العماد الأصبهاني القرشي «ت ٥٩٦ هـ» في حين ركز عند تناوله أخبار العراق في هذه الفترة على ابن الجوزي «ت ٥٩٧ هـ» وابن الأثير «ت ٦٣٠هـ»، وغيرهم مما بيناه عند تعليقنا على تلك الفترة.

وفي النصف الأول من القرن السادس الهجري نجد الذهبي يعتمد في أخبار العراق على المؤلفين الذين عاصروا أحداثه أو كانوا قريبين منها مثل: ابن الأثير، وابن القادسي «ت٦٣٢هـ»[٦]، وابن الساعي

---

(١) انظر ٧/ ١٣ و١٨ و٤٠٨.
(٢) انظر ٧/ ٤١٠ و٦٣٠.
(٣) انظر مثلاً: ٧/ ٨ و٢١٢ و٢١٧ و٢١٩ و٤٢٠ و٦٣٠.
(٤) ٨/٨ - ١٠.
(٥) ابن النديم: الفهرست، ص٢٢٠، ياقوت: إرشاد، ج٥ص٢٧٥-٣٧٧، والسامر: الدولة الحمدانية، ج ٢ ص ١٨٢.
(٦) محمد بن أحمد بن محمد، أبو عبدالله القادسي المنسوب إلى القادسية التي بين سامراء وبغداد، قال الذهبي: «صاحب التاريخ... وكان رجلاً فاضلاً له اعتناء بالتواريخ والحوادث» الورقة ١٢٦ (أيا صوفيا ٣٠١٢) انظر من نقول الذهبي عنه في الورقة ٢١٨فما بعد (أيا صوفيا ٣٠١١).
(٧) انظر مثلاً: الورقة ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥٢ (أيا صوفيا ٣٠١٢) وغيرها كثير.

«ت٦٧٤هـ»[١] ، وابن البزوري «ت٦٩٤هـ»[٢] .

أما أخبار مصر فاعتمد فيها على موفق الدين عبداللطيف البغدادي «ت٦٢٩هـ»[٣] حتى تاريخ وفاته وصار اعتماده بعد ذلك في أخبار مصر والشام على سبط ابن الجوزي «ت٦٥٤هـ»[٤] ، وأبي شامة «ت٦٦٥هـ»[٥] ، وابن واصل الحموي «ت٦٩٧هـ»[٦] .

وقد اعتنى الذهبي كثيراً بكتاب «مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي بالرغم من كلامه فيه[٧] نظراً لصلاته بملوك بني أيوب ومشاهدته للأحداث وهو يشير إلى هذه المعاصرة وذاك الاتصال حينما ينقل أقواله من مثل: «قال لي المعظم. . »[٨] و«حدثني الصالح نجم الدين أيوب. . . »[٩] ونحوهما[١٠].

واعتنى الذهبي في هذه الفترة عناية بالغة بتاريخ سعد الدين مسعود بن عبدالسلام بن حموية المعروف بابن شيخ الشيوخ «ت٦٧٤هـ»[١١] وقد سمى الذهبي تاريخه «جريدة»[١٢] وذكر أنه في مجلدين[١٣]، ولعله كان كتاب

---

(١) ذكره الذهبي في معجم شيوخه، وذكر أنه «ذيل على المنتظم لابن الجوزي فأفاد وأجاد» (م٢الورقة ٢٨) وقد ذهب أكثر هذا التاريخ في الوقعة الغازانية سنة ٦٩٩هـ، وقد أخذ الذهبي عنه واعتمد عليه كثيراً.

(٢) انظر مثلاً: الورقة ٢٢٤، ٢٤٥، ٢٤٩ (أيا صوفيا ٣٠١١)، والورقة ٢٣٨فما بعد (أيا صوفيا ٣٠١٢).

(٣) انظر مثلاً: الورقة ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٢٩. . .إلخ (أيا صوفيا ٣٠١١)، والورقة ٢٢٨، ٢٣٨، ٢٤٨، ٢٥٢. .إلخ (أيا صوفيا ٣٠١٢).

(٤) انظر مثلاً: الورقة ٢١٨، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠(أيا صوفيا ٣٠١١)، والورقة ٢٢٨، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٤٢. . .إلخ (أيا صوفيا ٣٠١٢).

(٥) انظر مثلاً: الورقة ٤٣، ٤٦، ٨٤، ٩٤، ١١٦، ١٤٤(أيا صوفيا ٣٠١١).

(٦) مثلاً الورقة ١٤٧ (أيا صوفيا ٣٠١١).

(٧) الورقة ٢٣٠ (أيا صوفيا ٣٠١٢).

(٨) الورقة ٢٥٢من النسخة السابقة.

(٩) انظر مثلاً الورقة ٢٥٥-٢٥٦(أيا صوفيا ٣٠١٢) وقارن مرآة الزمان، مختصر، ج٨ ص٧٤٦ حيث كان السبط حاضراً في الحرب التي جرت في القدس بين المصريين والصليبيين، وروى أحداثها.

(١٠) انظر مثلاً: الورقة ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠. .إلخ (أيا صوفيا ٣٠١٢).

(١١) الورقة ٢٥٠ من النسخة السابقة.

(١٢) الورقة ٢١-٢٢ (أيا صوفيا ٣٠١٤) وقد أخذه الذهبي عنه بالإجازة كما صرح بذلك في الورقة ٢٤٦ (أيا صوفيا ٣٠١٢).

مذكرات كما تدلُّ النقولُ الكثيرة التي نقلها الذهبي عنه، وهو الذي يُفسِّرُ شدةَ اهتمام الذهبي به، لأن جميع النقول تروي أحداثاً ساهم فيها سعد الدين، وهو من بيت أمراء اشتهروا بمشاركتهم السياسية في أواخر الدولة الأيوبية. وقد بيِّنت النصوصُ التي نقلها الذهبي من «جريدته» أنه كان مرافقاً للملك المظفر غازي الأيوبي صاحب ميافارقين، فكان بها سنة ٦٣٧هـ[١]، وكان حاضراً في القصر عند ورود رُسُلِ المغول إلى ميافارقين سنة ٦٤٢هـ[٢]، وظل هناك إلى سنة ٦٤٤هـ حيث ترك خدمة الملك المظفر وتوجه إلى مصر[٣] وشارك في حرب طبرية وعسقلان ضد الصليبيين سنة ٦٤٥هـ[٤]، وكان حاضراً في مدينة المنصورة عندما انتصر المسلمون عليهم سنة ٦٤٨هـ[٥]، واعتزل الحياة السياسية سنة ٦٥٦هـ[٦] وتصوف إلى حين وفاته بدمشق سنة ٦٧٤هـ[٧].

وقد نقل الذهبي عن هذا المؤلف السياسي العسكري المعاصر أنقى الأخبار مما لانجده في غيره من الكتب.

واعتمد في أخبار المغرب، ولا سيما عن الموحدين من بني عبدالمؤمن على مصدرين معاصرين: أولهما تاج الدين عبدالله بن عمر بن حموية، والد سعد الدين المذكور قبل قليل. وكان تاج الدين شيخ الشيوخ بدمشق وقد زار المغرب سنة ٥٩٣هـ. وعاش في بلاط ملك مراكش يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن، وكان على صلة قوية به، وظل هناك إلى سنة ٦٠٠هـ[٨]، فاتصل بالأحداث اتصالاً مباشراً، وقدم معلومات نفيسة عُني الذهبيُّ بنقلها[٩]. وأما الثاني فهو أبو محمد عبدالواحد بن علي المراكشي المتوفى سنة ٦٤٧هـ، وكان

---

(١) الورقة ٢٥٤(أيا صوفيا ٣٠١٢).
(٢) الورقة ٢٥٦من النسخة السابقة.
(٣) الورقة ٢٦٠من النسخة السابقة.
(٤) الورقة ٢٦١من النسخة السابقة.
(٥) الورقة ٢٦٦من النسخة السابقة.
(٦) الورقة ٢١١(أيا صوفيا ٣٠١٣).
(٧) الورقة ٢٢(أيا صوفيا ٣٠١٤).
(٨) انظر سبط ابن الجوزي: مرآة، مختصر، ج٨ص٧٤٨، والمَقَّري: نفح الطيب، ج٢ص٧٠٧.
(٩) انظر مثلاً: الورقة ٨٥، ٨٦، ٨٧...إلخ (أيا صوفيا ٣٠١١).

سياسياً له اتصال بالأحداث ومشاهدة لها، لذلك عُني بالنقل منه، بل اختصر كتابه «المعجب»[1].

كل هذا والذهبي لا يعتني بالحوادث عنايته بالتراجم، ولذلك وجدناه في التراجم يولي هذه الناحية جل عنايته، وعظيم اهتمامه. ولعل من أبرز مظاهر تلك العناية هو اهتمام الذهبي بمعاجيم الشيوخ والمشيخات[2] ومحاولة استقصائها ولما كانت مثل هذه الكتب لا تضم بين دفتيها سوى الشيوخ الذين اتصل بهم صاحبُ المعجم أو المشيخة وتلقى العلمَ عنهم بالسماع أو الإجازة[3]، لذلك تعد من أنفس المصادر المعاصرة، فهي تحتوي على معلومات دقيقة لا تتوفر في غيرها من المصادر، وتمتاز عموماً بالدقة والتحري بعد المشاهدة والاتصال وقد صرت أعتقد نتيجة لدراستي الخاصة في هذه الناحية أنها المُكَوِّنُ الرئيس لكتب التراجم.

وقد حاول الذهبيُّ جاهداً أن يستوعب كل ما يقف عليه من هذه المعاجيم والمشيخات ويفيد منها في كتابه. وقد وقف على أكثر من مئتي معجم ومشيخة[4]، وقد كان كثير منها يبلغ عدداً من المجلدات، فانتقى منها ما اتفق والخطة العامة لكتابه.

وإذا كان الذهبي قد جوّز لنفسه في بعض الأحيان أن يعتمد موارد غير

---

(١) ينظر كتابنا: الذهبي ومنهجه ٢٤٩.

(٢) انظر عن معاجيم الشيوخ والمشيخات بحثنا: «معاجيم الشيوخ والمشيخات وأهميتها في دراسة التاريخ الإسلامي» مجلة الأقلام، العدد السابع من السنة الخامسة (بغداد ١٩٦٩) ومقدمتنا لكتاب: مشيخة النعال البغدادي ص١٤فما بعد (بغداد ١٩٧٥) ورسالة الدكتور أكرم العمري: موارد الخطيب، ص٤١٨فما بعد. والفرق بين معجم الشيوخ والمشيخة هو في الترتيب، فمعجم الشيوخ هو ما رتب على حروف المعجم، أما المشيخة فترتب بأشكال أخرى في الأغلب الأعم.

(٣) قلنا سابقاً إن الإجازة كانت تحتوي معلومات عن المُجيز يكتبها هو، ومن ثم يستفيد مخرج المشيخة من هذه المعلومات عند تخريجه لها، فيكتبها على لسان صاحب المعجم أو المشيخة.

(٤) ولابد أنه فاته الكثير منها فهذا العدد قليل إذا قيس بما وصل إلينا من أسمائها، ولكن كثيراً منها كان مصيرها الضياع والتلف بسبب عدم عناية النساخ بنسخ أكثرها، وقد قال السخاوي في نهاية القرن التاسع: «ولست أستبعد زيادتهم على الألف»، الإعلان ص٦٠٥.

معاصرة في الحوادث[1] فإنه لم يجز لنفسه ذلك في التراجم عموماً إلا في الحالات التي تعذر عليه فيها الوقوف على مؤلفات عاصرت صاحب الترجمة، فمع أنه اختصر كتباً ضخمة في الرجال والتراجم استوعبت فترات زمنية طويلة مثل «تاريخ دمشق» لابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ الذي تناول فيه تراجم الدمشقيين ومن ورد إليها من أول الإسلام إلى أيامه، وكتاب «الضعفاء» لابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ الذي شمل الضعفاء من الرواة من أول ظهورهم إلى أيامه، فإنه لم يعتمد مثل هذه الكتب في الفترات التي لم يعاصرها مؤلفوها ولم ينقل منها إلا نصوصاً قليلة دفعته الضرورة إليها في الأغلب الأعم، في حين استوعب جل التراجم التي عاصروها، ونقل آراء المؤلفين في المترجمين جرحاً وتعديلاً. ونلاحظ هذا الأمر أكثر وضوحاً في كتب الحوليات التي تناولت الحوادث والتراجم وشملت تاريخ الإسلام كله حتى عصر مؤلفيها مثل كتاب «المنتظم» لابن الجوزي، و«مرآة الزمان» لسبطه، و«الكامل في التاريخ» لابن الأثير وغيرهم، فإننا لم نجد إلا نقلاً نادراً جداً عن التراجم المذكورة في هذه التواريخ مما لم يعاصرها مؤلفوها، فإذا ما دخل الكتاب عصر المؤلف وسار فيه قليلاً وجدنا الذهبي يعنى العناية البالغة في الأخذ عنه والانتقاء منه.

٢- الاهتمام بموارد الكتب التي ينقل منها:

إلا أن هذا الذي ذكرناه من عناية الذهبي في اعتماد المؤلفات المعاصرة لم يتوفر له دائماً، بسبب عدم انتشار التدوين في القرن الأول الهجري وضياع كثير من المؤلفات التاريخية التي كتبت في القرنين الثاني والثالث الهجريين فلم تصل إلى أهل القرن الثامن، وعدم قدرته في الحصول على بعض الكتب لسبب من الأسباب.

(١) لا يدخل ضمن هذا الكلام الفترة الأولى من التاريخ الإسلامي بسبب عدم انتشار التأليف من جهة، وضياع الكثير مما أُلِّفَ عند أول انتشاره من جهة أخرى. على أننا وجدنا الذهبي ينقل في بعض الأحيان بعض الحوادث القصيرة من الغرائب من كتاب «المنتظم» لابن الجوزي ابتداء من القرن الرابع الهجري ويضعها عادة في نهاية السنة وهي قليلة عموماً. ويصح هذا أيضاً في نقله بعض هذه الحوادث من ذيل المنتظم لابن البزوري ابتداء من سنة ٥٧٥هـ.

وقد تمكن الذهبي أن يعالج هذا الأمر في عنايته الدائمة بذكر موارد مصادره بحيث يصل بالخبر في معظم الأحيان إلى من عاصره فطول بذلك النطاق الزماني لنقله عن مصدر ما، ولذلك وجدنا الذهبي يعنى بنقل الإسناد الذي ذكره صاحب الكتاب الذي ينقل منه، ويبدو هذا الأمر على غاية من الوضوح في القسم الأول من تاريخه، فالبرغم من اعتماده أوثق المصادر ومنها مثلاً الكتب الستة، فإنه لم يكتف بالقول مثلاً «أورده البخاري» أو «أخرجه البخاري» بل كان يعنى بذكر سند البخاري. وقد طبق هذه الطريقة حتى في الكتب المتأخرة، فحينما نقل الذهبي تراجم عن الخطيب مما لم يعاصره الخطيب فإنه عني بذكر إسناد الخطيب إلى صاحب الخبر نحو قوله: «قال الخطيب: قال لنا التنوخي: أرانا ابن كيسان بخط أبيه..»[(١)]، و«قال الخطيب: سألت البرقاني عنه»[(٢)]، و«قال الخطيب: حدثنا أحمد بن عمر، حدثنا أبو بكر الوراق، قال: دققت على ابن صاعد بابه فقال»[(٣)] ونحو ذلك[(٤)].

ومن مثل قوله في ترجمة عبدالواحد بن علي بن برهان العكبري النحوي المتوفى سنة ٤٥٦هـ: «قال ياقوت الحموي في تاريخ الأدباء: نقلت من خط عبدالرحيم بن وهبان، قال نقلت من خط أبي بكر محمد بن منصور السمعاني، قال: سمعت المبارك بن عبدالجبار الصيرفي يقول: سمعت أبا القاسم بن برهان يقول: دخلت على الشريف المرتضى في مرضه...»[(٥)].

على أن ذلك تعذر عليه في بعض الموارد التي لم تُعْنَ بذكر الإسناد فلم يكن منه إلا إهمالها، أو الاعتماد عليها عند الحاجة القصوى مبينًا تبعة صحة الخبر على صاحبه الذي أورده.

---

(١) الورقة ١٠٦ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).

(٢) الورقة ١٢٣ من النسخة السابقة.

(٣) الورقة ١٤٤ من النسخة السابقة.

(٤) انظر أمثلة أخرى في الورقة ١٨٦، ١٩٨، ٢٥٠ من النسخة السابقة، والورقة ٢٠، ٦٦، ٦٩.. إلخ (أيا صوفيا ٣٠٠٩).

(٥) ١٠/ ٧٣ من طبعتنا.

٣-العناية بالألفاظ الدالة على المعاصرة:

ومن أجل أن يعطي الذهبي قوة للرواية ودلالة على أهميتها كان دائماً ينقل بعض العبارات الدالة على الصلة التي تربط المخبر بالمخبر عنه نحو نقله من مثل عبارة «كتبنا عنه»[١] ، و«سمعنا منه»[٢] ، و«قال لي»[٣] ، و«كان يكتب معنا»[٤] ، و«حضرت جنازته»[٥] ، ونحوها.

إن عناية الذهبي بالتخصص والمعاصرة في انتقاء الروايات التاريخية من الموارد قد أعطت أهمية عظمى لكتابه، إذ حفظ لنا عدداً كبيراً من النصوص الجيدة مما لم يصل إلينا اليوم، ودلل في الوقت نفسه على أن لديه منهجاً علمياً على درجة كبيرة من الرقي.

ب - تفضيل المورد الأقدم:

كان الذهبي يعنى عند عدم توفر الموارد المعاصرة بالاعتماد على المورد الأقرب إلى الخبر فيعتمده ويفضله على غيره، ولذلك نشأت عنده مفاهيم في تقويم الموارد قد تختلف عن المفاهيم المألوفة عندنا بسبب عنايته البالغة في هذه الناحية، ووقوفه على مؤلفات لم تصل إلينا. وقد أدى اعتماده على المورد الأقدم إلى ضرورة تغيير موارده كما هو الحال عند عنايته بالمعاصرة والمشاهدة. إلا أن عدم وقوفه على مصدر معاصر قد جعله في الوقت نفسه يُنَوِّعُ موارده ويحاول أن يورد أكبر عدد ممكن منها بغية التثبت من الخبر وضبطه.

---

(١) انظر مثلاً: الورقة ١٤٦، ١٤٨، ١٥٣، ١٦٣، ١٦٦، ١٦٨، ١٦٩، ١٧١ . . إلخ (أيا صوفيا ٣٠٠٩).

(٢) انظر مثلاً: الورقة ١٦٤، ١٧٠، ١٧٧ . . . إلخ (أيا صوفيا ٣٠٠٩).

(٣) انظر مثلاً: الورقة ١٥٤، ١٥٨، ١٦٣ . . . إلخ من النسخة السابقة.

(٤) انظر مثلاً: الورقة ١٤٣، ١٧٣ من النسخة السابقة.

(٥) انظر مثلاً: الورقة ١٣٣ من النسخة السابقة.

فحينما تناول السيرة النبوية[1] مثلاً لم يتابع مصدراً معيناً أو يقتصر عليه بالرغم من وجود الكثير من الكتب المؤلفة فيها وكان يمكنه الاعتماد على واحد أو اثنين منها، فرأيناه يعتمد أمهات الموارد الأصيلة التي تناولت هذا الموضوع فأخذ عن «مغازي» عروة بن الزبير المتوفى سنة ٩٤هـ، «وهو أول من صنف المغازي»[2] ، و«السيرة»[3] لمحمد بن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٣٤هـ، و«مغازي»[4] موسى بن عقبة المتوفى سنة ١٤١هـ. أما سيرة ابن إسحاق المتوفى سنة ١٥١هـ فإنه لم يقتصر الأخذ عنها من رواية واحدة بل اعتمد رواية زياد بن عبدالله البكائي العامري المتوفى سنة ١٨٣هـ[5] ، ورواية يونس بن بكير الشيباني المتوفى سنة ١٩٩هـ واستفاد من ملاحظات ابن هشام المتوفى سنة ٢١٨هـ حينما اختصر السيرة من رواية البكائي وعلق عليها[6] . وقارن الذهبي بين هذه الروايات جميعها، ثم استفاد من شرح السهيلي المتوفى سنة ٥٨١هـ وهو المعروف بـ«الروض الأنف» وكان الذهبي قد اختصره بكتاب سماه «بلبل الروض»[7] . كما أخذ أيضاً عن «مغازي» عبدالله بن وهب بن

---

(١) انظر عن كتب المغازي والسيرة، هوروفتس: المغازي الأولى ومؤلفوها (ترجمة الدكتور حسين نصار)، والدكتور الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب (بيروت ١٩٦٠)، والدكتور حسين نصار: نشأة التدوين التاريخي، والدكتور العمري: نظرة في مصادر ودراسة السيرة النبوية (مجلة كلية الدراسات الإسلامية ١٩٧٠) وغيرها.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤ص٣١(مطبوعة)، السخاوي: الإعلان، ص٥٢٧، وحاجي خليفة: كشف، ج٢عمود ١٧٤٧.

(٣) لم تصل إلينا.

(٤) وصلت إلينا قطعة منها وجدت في المكتبة البروسية وترجمها الأستاذ أدورد سخاو إلى الألمانية سنة ١٩٠٤م، وقد وصف الإمام مالك، وتابعه الذهبي، مغازي موسى بأنها أصح المغازي (الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣/ ٩٨٦، وابن حجر: تهذيب، ج ١٠ ص ٢٦١، والسخاوي: الإعلان، ص٥٢٥) وقد سمعها الذهبي بالمزة على شيخه أبي نصر الفارسي (تذكرة، ج ١ ص١٤٨) وذكر أنها في مجلد صغير (تاريخ الإسلام، ج ٦ ص ١٣٣) وقد سلخها الذهبي تقريباً.

(٥) لقد اعتبر الذهبي زياداً البكائي أتقن مَنْ روى السيرة عن ابن إسحاق، الورقة ٧٦(أيا صوفيا ٣٠٠٦).

(٦) وصل إلينا تهذيب ابن هشام وطبع غير مرة. وقد سمعها الذهبي على شيخه أبي المعالي محمد بن إسحاق الأبرقوهي في ستة أيام متتالية (تاريخ الإسلام، الورقة ١٣٥ أيا صوفيا ٣٠٠٧).

(٧) ينظر كتابنا: الذهبي ومنهجه ص ٢١٧.

مسلم المصري المتوفى سنة ١٩٧هـ وهو أحدالثقات[١] ، و«مغازي»[٢] الوليد ابن مسلم الأموي الدمشقي المتوفى سنة ١٩٥هـ، و«مغازي»[٣] محمد بن عمر الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧هـ، و«المغازي»[٤] لمحمد بن عائذ الدمشقي الكاتب المتوفى سنة ٢٣٣هـ وغيرهم.

ومع أن الذهبي قد نقل عن كثير من هذه الموارد بالواسطة، ومن طريق «دلائل النبوة» للبيهقي خاصة، لكنه كان مطلعًا عليها، يعود إليها كلما وجد حاجة لذلك كما تدل نصوصه وتعليقاته، فضلاً عن أنه كان يملك حق روايتها.

إن موقف الذهبي من تفضيل القديم هذا هو الذي دفعه فيما نعتقد إلى اعتماده محمد بن سعد المتوفى سنة ٢٣٠هـ[٥] بصورة قليلة جداً في القسم الخاص بالمغازي والسيرة مع تقدمه وكأنه اعتبره «مصدراً ثانوياً» وذلك بسبب كثرة اعتماده لكتب الواقدي فكأنه استغنى عنه، ويصح مثل هذا القول في اعتماده النادر على السير المتأخرة مثل تلك التي ألفها ابن فارس اللغوي المتوفى سنة ٣٩٥هـ[٦] وابن عبدالبر المتوفى سنة٤٦٣هـ، وشيخه الدمياطي المتوفى سنة٧٠٥هـ[٧] ونحوهم، مع أنه اطلع عليها ونقل عنها نصوصاً قليلة جداً.

إنَّ العنايةَ بالقديم وتفضيله هو الذي حدا بالذهبيِّ إلى عدم مسايرة أكثر المؤرخين في اعتماد الطبري في حوادث القرون الثلاثة الأولى كما فعل ابن الأثير وغيره، ولو نظرنا إلى موارده في تاريخ الحوادث بعد وفاة النبي ﷺ حتى

---

(١) تاريخ الإسلام، الورقة ٢٢٩-٢٣٠(أيا صوفيا ٣٠٠٦).

(٢) وذكر الذهبي أنه أخذ عن ابن وهب، فلعله أخذ قسماً من مغازيه عنه، انظر الورقة ٢٨٢-٢٨٤(أيا صوفيا ٣٠٠٦)، وراجع البخاري: تاريخ، ٨/ الترجمة ٢٥٣٨.

(٣) وصلت إلينا ونشرها جونز. وذكر الذهبي أنه قد «سارت الركبان بكتبه في المغازي والسير والفقه أيضاً» وأصح الروايات عنه رواية ابن سعد، تاريخ الإسلام، الورقة ٦٦-٦٨(أيا صوفيا ٣٠٠٧).

(٤) انظر مقدمة كتابه، ١/ ٦، والورقة ١١(أيا صوفيا ٣٠٠٥)، والظاهر أنه لم يأخذ عنه كثيراً بالرغم من ذكره في المقدمة بين موارده الرئيسة.

(٥) لم ينقل عنه في القسم الخاص بالمغازي غير ثلاثة نصوص، وأكثر من ذلك قليلاً في السيرة النبوية.

(٦) أخذها الذهبي قراءة على شيخه عمر بن عبدالمنعم ابن القواس.

(٧) قرأها الذهبي عليه، وانظر معجم شيوخه المطبوع ١/ ٤٢٤ - ٤٢٥.

منتصف القرن الثاني ـ مثلاً ـ لوجدناه يعتمد عدداً كبيراً من موارد التاريخ العام التي سبقت الطبري[١] مثل خليفة بن خياط «ت٢٤٠هـ»، وأبي حسان الزيادي «ت٢٤٣هـ»[٢] ، ويعقوب الفسوي «ت٢٧٧هـ»[٣] ، وابن أبي خيثمة «ت٢٧٩هـ»[٤] ، وغيرهم مما يطول ذكره. وتشير النصوص إلى أنه فضل تاريخ خليفة عليه في معظم الأحيان.

ج- التخصص التأليفي:

وعني الذهبي بالموارد التي تخصصت في نمط معين من التأليف سواء أكان ذلك في الحوادث أم في التراجم؛ فقد اعتمد في الفتوح مثلاً على الوليد ابن مسلم «ت١٩٥هـ»[٥] ، و«كتاب الفتوح» لسيف بن عمر «ت٢٠٠هـ»[٦] باعتبارهما متخصصين بالتأليف عن موضوع معين.

وتظهر عناية المؤلف في التخصص التأليفي أكثر وضوحاً في التراجم حيث تشير دراسة الموارد إلى أنه راعى في الأغلب الأعم الاعتماد على المؤلفات التي تخصصت بنمط معين من المترجمين إضافة إلى الموارد الأخرى. ولما كنا نعلم أن المؤلفين المسلمين قد أولوا هذه الناحية عنايتهم فلم يتركوا صنفاً من الناس عموماً إلا ووضعوا فيهم الكتب المترجمة لهم[٧] ، عرفنا سبب عناية الذهبي بهذا النمط من الموارد لاسيما إذا عرفنا أن مؤلفي هذه الكتب هم في

---

(١) هذه الموارد تشير إلى ما تناوله الذهبي في الحوادث فقط.
(٢) انظر العمري: موارد الخطيب، ص١٠٨ فما بعد.
(٣) ذكره الذهبي في مقدمة كتابه، وانظر مقدمة الدكتور أكرم العمري لكتابه «المعرفة والتاريخ».
(٤) انظر العمري: موارد الخطيب، ص١١٥.
(٥) تشير النقول إلى أنه ألف كتاباً في «الفتوح» لاسيما في أيام الأمويين انظر مثلاً: ٢/ ١٠٤٦، وانظر ترجمة الذهبي له في ٤/ ١٢٤٠ - ١٢٤٣.
(٦) انظر مقدمة تاريخ الإسلام ١/ ٧.
(٧) لقد أراد الذهبي أن يرتب تاريخه المحيط على نوعية المترجمين، وقد اتخذ السخاوي تنظيم الذهبي هذا وبحث عن المؤلفات التاريخية استناداً إلى تقسيم الذهبي (الإعلان، ص ٥١٨ فما بعد).

الأغلب من صنف المترجمين المعنيين بهم، فأصبحوا عندئذ أعرف بهم من غيرهم.

ومن أمثلة عنايته بالتخصص أنه نقل تراجم الشعراء عن المؤلفين الذين عنوا بهم مثل أبي عبيدة معمر بن المثنى «ت٢١٠هـ»[١] ، ومحمد بن سلام الجمحي «ت٢٣١هـ»[٢] ، وأبي الفرج الأصبهاني «ت٣٥٦هـ»[٣] ، والثعالبي «ت٤٣٠هـ»[٤] ، والباخرزي «ت٤٦٧هـ»[٥] ، والعماد الأصبهاني «ت٥٩٦هـ»[٦] ، وابن الشعار الموصلي «ت٦٥٤هـ»[٧] ، وابن بسام الشنتريني «ت٥٤٢هـ»[٨] ، إضافة إلى اعتماده المصادر الأدبية الأخرى التي تضمنت أخباراً عنهم مثل مؤلفات يونس بن حبيب النحوي «ت١٨٢هـ»، والأصمعي «ت٢١٦هـ»، والجاحظ «ت٢٥٥هـ»، والزبير بن بكار «ت٢٥٦هـ»، ونحوهم[٩] ، إضافة إلى موارده من كتب التراجم الأخرى. ويصح هذا الذي ذكرناه عن الشعراء مثلاً عن كل طائفة من التراجم التي أوردها في كتابه وكَتَبَ المؤلفون المسلمون كتباً خاصة بهم حتى وإنْ كان مختلفاً معهم في العقيدة أو المذهب؛ فنحن نعلم ـ مثلاً ـ أنه لا يرضى أخذَ الحديثِ عن الرافضة، ولكننا نجده - يعنى حينما يترجم للشيعة أو غلاتهم ـ بالأخذ في كتابه عن الموارد التي تخصصت في تراجمهم فنقل الكثير منها ـ مثلاً ـ عن الشيخ المفيد

(١) له كتاب «طبقات الشعراء» لم يصل إلينا، وهو أقدم مَنْ صنف في الشعراء مفرداً، وقد رجح الذهبي وفاته في هذه السنة (تاريخ الإسلام، الورقة ٧٢-٧٣ أيا صوفيا ٣٠٠٧)، انظر الورقة ٢٩٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٦).

(٢) نقل من كتابه «طبقات فحولة الشعراء» نشره الأستاذ محمود شاكر ٢/ ٧٣٥.

(٣) في كتابه «الأغاني» وهو مطبوع مشهور.

(٤) في كتابه «يتيمة الدهر» وهو مطبوع، وقد رجح الذهبي وفاته سنة ٤٣٠هـ على سنة ٤٢٩هـ (الورقة ٣٠٦-٣٠٧ أيا صوفيا ٣٠٠٩)، وانظر الورقة ١١٨، ١٨٧، ١٩٦، ٢١٩، ٢٦٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٨)، والورقة ٦٥ (أيا صوفيا ٣٠٠٩).

(٥) في كتابه «دمية القصر» وهو مطبوع، انظر الورقة ٤٦٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٩).

(٦) في كتابه «خريدة القصر وجريدة العصر» وقد طبعت معظم أقسامه.

(٧) في كتابه «عقود الجمان في شعراء هذا الزمان» وهو في عشر مجلدات وصلت إلينا منها ثمانية.

(٨) في كتابه «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» وهو مطبوع.

(٩) ينظر كتابنا: الذهبي ومنهجه ص ٤٢٠.

«ت٤١٣هـ»[١] ، والنجاشي «ت٤٥٠هـ»[٢] ، وابن أبي طي الغساني الحلبي «ت٦٣٠هـ »[٣] . وكان الذهبي قال في ترجمة ابن أبي طي الغساني المذكور: « . . . الغساني الحلبي الشيعي الرافضي مصنف تاريخ الشيعة وهو مسودة في عدة مجلدات نقلت منه كثيراً»[٤] .

ومن مظاهر ذلك أيضاً، عنايته البالغة بتتبع السير الخاصة التي ألفها المؤرخون عن إحدى الشخصيات، واعتمادها في كتابه، فنقل عن عشرات منها سواء أكانت سيراً لسياسيين، أم لأدباء، أم لمحدثين، أم لفقهاء، أم لزهاد، أم لمتصوفة[٥] .

على أن عناية الذهبي بالتخصص تتجلى في أحسن مظاهرها في العدد الضخم الذي وقف عليه من التواريخ المحلية، سواء أكانت هذه التواريخ مما عني بالحوادث الكائنة في ذلك البلد أم في ترجمة أهله والواردين عليه، فأخذ عن كل بلد من تواريخه الخاصة به. والحق أن الذهبي قَلَّما ترك تاريخاً محلياً معروفاً ولم يستفد منه. وقد تأسف في المقدمة بسبب عدم وجود تواريخ لبعض البلدان، وعدم استطاعته الحصول على بعض منها مما يدل على شدة كلفه وعنايته بها.

رابعاً: طرائق النقل:

١ - الإشارة إلى المصادر:

اختلف المؤرخون المسلمون في الإشارة إلى المصادر التي ينقلون معلوماتهم عنها أو عدم الإشارة إليها. ولم يكن عدم الإشارة عيباً كبيراً في المؤلفين آنذاك وقد جرّبنا وجود كثرة من كبار المؤرخين لم يذكروا القسم

(١) الورقة ٨٩، ١١١ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).
(٢) الورقة ١١١ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).
(٣) الورقة ٨٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٨)، والورقة ١٤١-١٤٢ (أيا صوفيا ٣٠٠٩)، والورقة ١٦، ٧٧ (أيا صوفيا ٣٠١١) وغيرها.
(٤) الورقة ١٠٣ (أيا صوفيا ٣٠١٢)، والورقة ١٤٧-١٥٠ (أيا صوفيا ٣٠١١).
(٥) ينظر كتابنا: الذهبي ومنهجه ص ٤٢١.

الأكبر من مصادرهم مثل ابن الجوزي في «المنتظم»، وابن الأثير في «الكامل»، وبدر الدين العيني في «عقد الجمان»، وغيرهم. كما جَرَّبنا عدم ذكر المصادر نهائياً عند طائفة من ثقات المؤرخين كالمنذري في كتابه «التكملة»[1]. وفي الوقت نفسه وجدنا طائفة أخرى عنيت بذكر مصادرها، ولكنها تفاوتت في ذلك أيضاً حيث كان قسم منهم يذكر موارده بصورة دقيقة، بينما كان القسم الآخر يذكر مورده تارة ويغفله تارة أخرى.

أما الذهبي فكان من الذين اعتنوا بذكر مواردهم سواء أكان ذلك في القسم الخاص بالحوادث أم في القسم الخاص بالتراجم.

ويبدو لنا أن عناية الذهبي بذكر مصادره قد جاءت نتيجة لطبيعة تربيته ونشأته العلمية وعنايته الفائقة بالحديث وعلومه وتعاطيه الرواية وشدة كَلَفه بها، وآية ذلك أن رواية الحديث بالأسانيد والتدقيق في رواته تُعَدُّ أرقى أنواع ذكر المصادر وأدقها، فكان من الطبيعي جداً أن يعنى الذهبي بذكر مصادره في تاريخه وبخاصة في القسم الخاص بالتراجم نظراً للصلة الوثيقة التي تربط الحديث بالتراجم التي لم تنشأ وتتطور إلا بسبب العناية بالحديث النبوي الشريف[2]. يضاف إلى ذلك الأهمية البالغة لضبط تراجم الرجال في تقويمه صحة المنقولات سواء أكان ذلك في الحديث أم في غيره، حيث كانت قيمة الروايات وصحتها تعتمد أولاً على قيمة ناقليها[3]. ولما كانت آراء العلماء ممن تؤخذ أقوالهم في الرجال تجريحاً وتعديلاً تحتل مكاناً بارزاً في محتويات

---

(١) راجع الفصل الذي كتبناه عن مصادر التكملة في كتابنا: المنذري وكتابه التكملة، ص٢٧٢ فما بعد.

(٢) راجع كتابنا: أثر الحديث في نشأة التاريخ عند المسلمين (بغداد ١٩٦٦)، وبحثنا: مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ، ص٢٧ فما بعد، والعمري: بحوث، ص٤٣ فما بعد، وروزنتال: مناهج العلماء المسلمين، ص١١٥.

(٣) قال الشافعي: «ولا يستدل على أكثر صدق الحديث وكذبه إلا بصدق المخبر وكذبه، إلا في الخاص القليل من الحديث، وذلك أن يستدل على الصدق والكذب فيه بأن يحدث المحدث ما لا يجوز أن يكون مثله، أو يخالفه ما هو أثبت وأكثر دلالات بالصدق منه» (الرسالة، ص٣٩٩) وعن هذا الموضوع انظر أيضاً: الرسالة، ص٢١٧، ٣٢٢، ٣٤١، ٥٤٤، والطبري: تاريخ، ج١ص٣-٤، وانظر:

J. Schacht Origins of Muhammadan Jurisprudence, P.36.

الترجمة، كان لابد من إيراد هذه الأقوال من مصادرها الأصلية، وعزوها إلى أصحابها بشكل دقيق.

ومع كل ذلك فإن الذهبي لم يتبع دائماً أسلوباً علمياً واضحاً في ذكر مصادره، قياساً بمناهج البحث العلمي في عصرنا، فهو في معظم الأحيان يذكر المؤلف ولا يذكر كتابه فيقتصر مثلاً على القول: «قال خليفة»، أو «قاله الإدريسي»، أو «ذكره المنذري» ونحو ذلك، مع أن كثيراً من المؤلفين الذين أخذ عنهم، قد ألفوا أكثر من كتاب. ثم نجده في كثير من الأحيان التي يذكر فيها اسم الكتاب لا يعنى بذكر عنوانه الذي وضعه له مؤلفه، ويكتفي بإطلاق لفظ «تاريخ» عليه، نحو قوله مثلاً: «قال ابن خلكان في تاريخه»[١] ، و«قال موفق الدين ابن أبي أصيبعة في تاريخه»[٢] ، و«ذكره أبو شامة في تاريخه»[٣] و«قال السلمي في تاريخه»[٤] وهلم جرًّا.

ولا شك أن ذكر اسم المؤلف وإغفال اسم كتابه يسبب الكثير من الإرباك للباحثين، ليس في الخلط بين كتاب وآخر من كتبه حسب، ولكن في معرفة الكتاب الواحد أيضاً. ولعل المثال الآتي يوضح هذه المسألة، فقد نقل الذهبي من كتاب «الوفيات» لأبي الفتح محمد بن أحمد بن أبي الفوارس البغدادي المتوفى سنة ٤١٢هـ[٥] ، ولكننا لم نعرف اسم كتابه لو لم يذكره في إحدى المرات مصادفة في وفيات سنة ٣٩٧هـ حينما ترجم لأبي الحسن علي بن عمر ابن أحمد ابن القصار البغدادي المالكي، ونقل ترجمته عن جملة من المؤرخين الذين ذكروا أن وفاته كانت سنة ٣٩٨هـ، فقال معلقاً: «قلت: الصحيح وفاته في هذه السنة في ثامن ذي القعدة ضبطها ابن أبي الفوارس في الوفيات له»[٦] .

---

(١) ويريد به «وفيات الأعيان».

(٢) انظر مثلاً: الورقة ٣٨(أيا صوفيا ٣٠١١) ويريد به «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» كما هو مشهور.

(٣) انظر مثلاً: الورقة ٤٢(أيا صوفيا ٣٠١١) وقد اعتبر الذهبي كتاب «الروضتين» والذيل عليه كتاباً واحداً.

(٤) انظر مثلاً: الورقة ٢٣٦(أيا صوفيا ٣٠٠٨) ويريد به «طبقات الصوفية».

(٥) انظر مثلاً: الورقة ٨٧، ٩٤، ٩٦، ١١٨، ١٢٦، ١٣٠، ١٣١، ١٣٧، ١٤٤، ١٤٧، ١٥١، ١٥٢، ١٦٢، ١٨٠، ١٨٣، ٢١٤، ٢٤٠(أيا صوفيا ٣٠٠٨).

(٦) الورقة ٢٤٠من النسخة السابقة.

ولم يكن بإمكان أحد أن يستنتج أن له كتاباً في «الوفيات» لو لم يذكره الذهبي تصريحاً، فالذهبي نفسه لم يذكره حينما ترجم له في تاريخ الإسلام[1] وتذكرة الحفاظ[2]، والمصادر الأخرى التي ترجمت له لم تذكر له من التآليف غير كتاب «الصحيح»[3] و«الأمالي»[4]. ولما بحث زميلنا الدكتور أكرم العمري في موارد الخطيب البغدادي، وجد أن الخطيب قد اقتبس منه (١٩٢) نصاً في كتابه «تاريخ مدينة السلام» منها (١٧٥) نصاً نقلها من كتابه مباشرة بلفظ «قرأت في أصل كتاب محمد بن أبي الفوارس بخط يده» و«قال». ولما لم يجد الدكتور العمري أحداً ذكر له كتاباً، فإنه استنتج أن تكون بعض هذه النصوص من «معجم شيوخه»، ثم قال: «ويتبين من بعضها أن معجم شيوخه كان مرتباً على سني الوفيات»[5] وهو استنتاج جيد في مثل هذه الصعوبات[6].

ومع ذلك فإنه من الواجب القول: إن الذهبي كان يكتب للخاصة من العلماء بهذا الفن، ولذا فهو يفترض المعرفة عندهم، وأن ما كان شائعاً في تلك الأعصر قد يكون مغموراً في وقتنا هذا. يضاف إلى ذلك أن طبيعة المادة المنقولة تؤدي في كثير من الأحيان إلى معرفة اسم الكتاب عند أهل المعرفة، فقد نقل الذهبي عن أبي سعد عبدالرحمن بن محمد الإدريسي الإستراباذي المتوفى سنة ٤٠٥هـ بلفظ «قال الإدريسي» ولم يعين كتابه في أغلب النصوص، ونحن نعلم أن الإدريسي ألف تاريخين؛ أحدهما: لسمرقند والآخر لإستراباذ، فيكون من السهولة عندئذ معرفة الكتاب الذي ينقل منه، فإذا كان المترجم إسترباذياً عرفنا أنه ينقل من «تاريخ إستراباذ»[7] وإذا كان سمرقندياً

---

(١) الورقة ١٢٢-١٢٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٩).
(٢) ج٣ص١٠٥٣-١٠٥٤.
(٣) الخطيب: تاريخ مدينة السلام ٣/ ٥٧٦.
(٤) المصدر السابق ٢/ ٢١٤، والكتاني: الرسالة، ص١٥٩، والعمري: موارد، ص ٤٢١.
(٥) العمري: موارد الخطيب، ص ٤٢٢.
(٦) إن هذا هو السبب الذي جعلنا لا نعرف هذا الكتاب حينما كتبنا عن «كتب الوفيات». مجلة الدراسات الإسلامية، العدد الثاني ١٩٦٨. كما لم يذكره الدكتور العمري في كتب الوفيات، ص ٤٠٣.
(٧) لم يصل إلينا هذا الكتاب، انظر من نقول الذهبي عنه الورقة ٧٧، ١٠١، ١٠٣، ١٦٥، ١٧٢ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).

عرفنا أنه ينقل من «تاريخ سمرقند»[١] . ومثل ذلك نقوله عن ابن نقطة المتوفى سنة ٦٢٩هـ فإذا كان النقل يتعلق برواية المترجم لأحد كتب السنن أو المسانيد عرفنا أنه ينقل من كتابه «التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد»[٢] ، وإذا كان في ضبط اسم أو نسبة أو اشتباه عرفنا أن ذلك من كتابه «إكمال الإكمال»[٣] الذي ذَيَّلَ به على ابن ماكولا ، وازداد يقيننا حينما قارنا النقول بكتابي ابن نقطة المذكورين.

٢- عدم الإشارة إلى مواضع النقول :

لم يكن الذهبي يشير إلى مواضع النقول من الموارد التي ينقل عنها، وهو أمر طبيعي في عصر لم تعرف الطباعة فيه، وقام العلم على المخطوطات التي لم تتوفر منها إلا نسخ قليلة، ولذلك فإن اتباع الأساليب الحديثة في الإشارة إلى المصادر يبدو أمراً مستحيلاً . على أن الفكر التأليفي الإسلامي استطاع أن يحل هذا الإشكال في عنايته بتنظيم الكتب فنظمها حسب السنين، والأنساب والحروف، والوفيات، والطبقات، ونحو ذلك، فكان من السهل على من يريد الوقوف على نص أن يرجع إلى ذلك الكتاب فيجده بسرعة إذا كان عارفاً بتنظيمه، ولذلك رأينا الذهبي يُعنى عند النقلِ عن مُتَرْجَم ما بذكرِ مكان الخبر إذا لم يكن في ترجمته من الكتاب الذي ينقل عنه نحو قوله ـ مثلاً ـ في ترجمة

---

(١) لم يصل إلينا. انظر الورقة ٩٤، ١٣٧، ١٤٠، ٢١٢، ٢١٦، ٢٢٥(أيا صوفيا ٣٠٠٨).

(٢) عندي منه نسخة مصورة عن النسخة الأزهرية رقم ١٣٧مصطلح الحديث، وطبع طبعة رديئة. وقد نقل الذهبي منه كثيراً ، انظر مثلاً الورقة ٣، ٣٥، ٣٧، ٤٤، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٥١، ٦٤، ٦٥، ٦٩، ٧٠، ٩٢، ١٠١، ١٠٦، ١١١، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٥٣، ١٥٥ . . إلخ (أيا صوفيا ٣٠١١).

(٣) في خزانة كتبي ثلاث نسخ مصورة منه عن دار الكتب المصرية رقم ١٠مصطلح الحديث، وعن الظاهرية رقم ٤٢٩حديث، والمتحفة البريطانية رقم ٤٥٨٦شرقي. ونشره نشرة علمية الدكتور عبدالقيوم عبدرب النبي، وطبعته جامعة أم القرى بمكة المكرمة في ستة مجلدات سنة ١٤٠٨ هـ فما بعد. انظر بعض النقول في الورقة ١٥٨(أيا صوفيا ٣٠٠٦)، والورقة ٥٩، ٧٨، ١٢٩، ١٥٤(أيا صوفيا ٣٠١١).

أبي بكر محمد بن علي الحداد البغدادي من وفيات سنة ٤٥٧هـ: «حكى عنه الخطيب في ترجمة دعلج»[1].

٣- بداية النقل وانتهاؤه:

كان الذهبي يشير إلى بداية نقله عن مؤلف ما باستعمال العبارات الدالة على ذلك نحو قوله: «قال»، و«ذكر»، وما إليهما في مقدمة النص المنقول. أما انتهاء النقل فيشير إليه بإيراد نص آخر واستعماله لفظاً يدل على بداية نقل جديد، أو باستعماله كلمة «قلتُ» عندما يريد أن يعبر عن رأيه في نص أو مسألة من المسائل مما يتعلق بالحادثة أو الترجمة أو النص المنقول أو ناقله، إضافة إلى استعماله العبارات الدالة على الانتهاء نحو قوله مثلاً: «انتهى قول ابن أبي أصيبعة»[2]، أو «آخر كلام عز الدين ابن الأثير»[3]، ونحو ذلك.

وقد لايذكر الذهبي بداية النقل ويرجىء ذلك إلى نهاية النص ويعبر عنه بما يدل عليه، نحو قوله: «قاله خليفة»[4]، أو «قاله الفلاس»[5]، أو «قال يحيى بن مندة ذلك»[6]، أو «ذكر هذا ابن الساعي»[7]، و «ذكر هذا كله المسبحي»[8]، و«نقلت هذا كله من خط السيف ابن المجد»[9]، أو «ورّخه»[10] فلان.

ومع هذا كله تبقى مسألة بداية النقل وانتهائه معقدة نسبياً تثير للباحث بعض الإرباك إذا لم يكن عارفاً بمنهج المؤلف الذي ينقل منه، فقد تبين لنا -

---

(١) ١٠/٩٣.
(٢) الورقة ٨٠(أيا صوفيا ٣٠١١).
(٣) الورقة ٢٤٤من النسخة نفسها.
(٤) ٢/ ٥٨٥.
(٥) الورقة ٤، ١٠، ٤٢، ٤٤، ٦٧، ٧٢، ٩٨، ١١٨، ١٤٨، ٢٣٢، ٢٣٧، ٣٧٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) وغيرها.
(٦) الورقة ٣٤٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٩).
(٧) الورقة ٢٣٥ (أيا صوفيا ٣٠١٢).
(٨) ٧/ ٨٢٧.
(٩) الورقة ٤٣(أيا صوفيا ٣٠١٢).
(١٠) انظر مثلاً: الورقة ٩٠، ٢٠٥، ٢٨٧، ٢٩٢(أيا صوفيا ٣٠٠٩).

مثلاً ـ أنَّ نقلَ الذهبيِّ لجزء يسير من الترجمة عن مؤلف ما في الظاهر قد يعني في معظم الأحيان نقله لجميعها عنه، لا سيما عند عدم ذكر مصدر آخر، ولنضرب لذلك مثلين توضيحيين: أولهما من تاريخ الخطيب، وثانيهما من التكملة للمنذري: قال الذهبي في وفيات سنة ٤١٣هـ: «محمد بن أحمد ابن يوسف، أبو بكر البغدادي الصياد. سمع أبا بكر الشافعي وابن خلاد النصيبي ومحمد بن أحمد بن مُحْرِم[١] وأحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي وأحمد بن جعفر بن حمدان السقطي البصري، قال الخطيب: كتبنا عنه وكان ثقة صدوقاً انتخب عليه ابن أبي الفوارس وتوفي في ربيع الأول، وكان مولده في سنة خمس وثلاثين وثلاث مئة»[٢] . فيخيل لأول وهلة أن الذهبيَّ لم ينقل عن الخطيب غير العبارة التي جاءت بعد التصريح بالنقل «قال الخطيب»، ولكن المقارنةَ تُبيِّنُ أنَّ الذهبيَّ أخذ الترجمة كلها عن الخطيب[٣] .

وقال في وفيات سنة ٦٣٣هـ: «عبدالمنعم بن صالح بن أحمد بن محمد، أبو محمد المصري المسكي النحوي المعروف بالإسكندراني لسكناه بها يُعَلِّمُ العربيةَ مدة. ولد في شعبان سنة سبع وأربعين وخمس مئة، وأخذ النحو عن العلامة أبي محمد عبدالله بن بري، وانقطع إليه مدة حتى أحكم الفن، وسمع من حماد الحراني. وروى شيئاً من شعره[٤] ، وكان مليح الخط. كتب عنه الزكي المنذري، وقال: توفي في الثالث والعشرين من ربيع الآخر»[٥] . وحينما نقارن هذه الترجمة بما جاء في «التكملة» للمنذري نجد الذهبي قد نقلها بمجموعها منه[٦] .

إن منهج النقل هذا يفسر لنا كثيراً من الغموض الذي صاحب العلماء المسلمين في مناهجهم التأليفية، فحتى عند النصِّ على النقل باستعمال الألفاظ الدالة عليه تبقى أجزاء أساسية من المادة التاريخية لا يُعرفُ لها أصلٌ في

---

(١) بضم الميم وسكون الحاء وكسر الراء المهملتين كما في المشتبه ص٥٧٩.
(٢) تاريخ الإسلام ٩/ ٢٢٦.
(٣) قارن الخطيب: تاريخ مدينة السلام ٢/ ٢٥٥.
(٤) الضمير هنا يعود إلى المترجم.
(٥) ١٤/ ١٠٩ - ١١٠.
(٦) التكملة ٣/ الترجمة ٢٦٤٦.

الظاهر، وذلك أكثر تعقيداً في التراجم، حيث نجد من الطبيعي أنْ يذكرَ الناقلُ اسمَ المترجم ونسبه وكنيته ولقبه قبل أن يُصَرِّحَ بالنقلِ عن الآخرين، ومن غير المعقول أن يبدأ بذكر اسم الشخص بلفظ نَقْلٍ نحو «قال» أو «ذكر» لما لذلك من ركَّةٍ تأليفية. ومع ذلك فإن ذكر أجزاء أخرى من الترجمة مثل الشيوخ وتاريخ الميلاد أو نحوهما من غير تصريح بالنقل لا يُفَسَّرُ إلا بافتراضِ الناقلِ معرفةً عند القارىء وفهماً لما قام به. أما القول بأن هذه الأقسام غير المصرح بها هي من معلومات المؤلف العامة الشائعة، أو أنها من إضافات المؤلفين أنفسهم[1] ، فهو أمر يحتاج إلى إعادة نظر بلا ريب. ومن هنا يدرك القارىء أهمية إحالاتنا في الحواشي على المصدر الرئيس الذي اقتبس منه المؤلف جل الترجمة وصعوبة هذا المنهج الذي اتبعناه ودقته.

٤- دلالات النقل عند عدم التصريح به:

أما في حالة عدم وجود الألفاظ الدالة على النقل فيخيل للمرء لأول وهلة أن الذهبي لا يذكر موارده. وقد تبين لنا بعد المقارنات الدقيقة الكثيرة أن الذهبي يستعمل ألفاظاً معينة في أثناء الترجمة لتدل على النقل من غير تصريح به تأتي في آخرها عادة. ومن هذه الألفاظ «روى عنه»[2] فلان، و«وثّقه»[3] فلان، و«كتب عنه»[4] فلان، و«حكى عنه»[5] فلان، و«وأجاز لفلان»[6] ،

---

(١) راجع رسالة الزميل الدكتور أكرم العمري: «موارد الخطيب» حيث عقد المبحث الثالث من الفصل الثالث «طبيعة المادة التي أضافها الخطيب ولم يسندها إلى شيوخه» ص ١٠٥ فما بعد.

(٢) انظر مثلاً: الورقة ٧، ٨، ٩، ٢٠، ٢٥، ٥٨، ٦٠، ٦٢، ٧٤، ٧٥، ٧٧، ٧٨، ١١٤، ١١٩، ١٢٢، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٥، ١٣٧ (أيا صوفيا ٣٠١١)، والورقة ١٢٠، ١٢٥، ١٦٧ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) وغيرها كثير.

(٣) مثلاً: ٧/ ٢٧ و٥٠ و٧٠... الخ.

(٤) انظر مثلاً: ٧/ ٥٣٦ و٥٥٠.

(٥) مثلاً: الورقة ١٣٣، ١٤٢(أيا صوفيا ٣٠٠٨).

(٦) انظر مثلاً: الورقة ١٣، ٢٠، ٣٠، ٣٤، ٤٣، ٤٦، ٤٧، ٧٢، ٨١...إلخ (أيا صوفيا ٣٠١١).

و«ضعفه»[١] ، ونحوها . ومما يؤكد ذلك أنَّ الذهبيَّ يستعمل في مواضع أخرى هذه الألفاظ ويلحق بها ألفاظ النقل الصريح، نحو قوله: «روى عنه أبو عبدالله الدبيثي وقال. . .»[٢] ، و«سمع منه الضياء المقدسي وقال. . .»[٣] ، و«وَثَّقَهُ الخطيب وقال»[٤] ، و«كتب عنه أبو سعيد بن يونس وورَّخَ موته فيها»[٥] ، ونحو ذلك.

ومن أجل توضيح ذلك نورد بعض الأمثلة: فقد نقل الذهبي من «تاريخ مدينة السلام» للخطيب كثيراً من التراجم باستعمال عبارة «وثقه الخطيب»، وهذه واحدة منها، قال في وفيات سنة ٣٢٣هـ: «محمد بن أحمد بن أسد، أبو بكر الحافظ ويعرف بابن البستنبان ويلقب كزاز. سمع الزبير بن بكار وعيسى بن أبي حرب وجماعة. وعنه الدارقطني والمعافى الجريري. وثقه الخطيب، وعاش اثنتين وثمانين سنة»[٦] .

ونقل الذهبي كثيراً عن «معجم أسامي مشايخ أبي علي الحسن بن أحمد ابن الحسن الحداد»[٧] المتوفى سنة ٥١٥هـ من غير إشارة له، بل اكتفى بالقول في نهاية التراجم: «روى عنه أبو علي الحداد»، أو «روى عنه الحداد» ونحوهما. وبعد مقارنة هذه التراجم بما وصل إلينا من هذا المعجم تبين أن الذهبي قد سلخ تراجمه[٨] .

---

(١) انظر مثلاً: الورقة ١٢٨، ١٣٢، ١٤١(أيا صوفيا ٣٠٠٨).

(٢) الورقة ١٥، ٤٣، ٧٦(أيا صوفيا ٣٠١١).

(٣) الورقة ٦٠ من النسخة السابقة.

(٤) الورقة ١٥، ١٦، ٢٠، ٤٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٩).

(٥) ٧/ ٣٠.

(٦) ٧/ ٤٨٠ وقارن الخطيب ٢/ ١٠٢. وينظر مزيد أمثلة في كتابنا: الذهبي ومنهجه ص ٤٣٣.

(٧) وهو برواية أبي الحسن مسعود بن أبي منصور بن محمد الخياط عنه. عندي منه نسخة بخطي نسَخْتُهَا في آخر صفر سنة ١٣٨٦هـ عن نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٦م مصطلح الحديث. وقد صَحَّحْتُها ورقمتُ تراجمها وعددها (٨١) ترجمة: فيها المحمدون، وسبع تراجم من الأحمدين.

(٨) قارن مثلاً:

اسم المترجم	تاريخ الوفاة	تاريخ الإسلام (أيا صوفيا ٣٠٠٩)	المعجم
محمد بن إبراهيم بن علي أبو ذر الصالحاني	٤٤٠	الورقة ٣٧٩	الترجمة رقم ٢٣
محمد بن علي بن محمد بن علي أبو بكر الحللي	٤٤٠	الورقة ٣٨٦	الترجمة رقم ٩

ومن ذلك أيضاً نقله عن المنذري باستعمال لفظ «كتب عنه»، قال في وفيات سنة ٦٣١هـ: «الخضر بن بدران بن بُغْرَى، الأديب أبو العباس التركي الشاعر. من أولاد الأمراء المصريين، وله شعر كثير. وكان شيخاً كبيراً عاش ثمانياً وثمانين سنة. كتب عنه الزكي المنذري وغيره، ومات في ربيع الأول»[١] . وكان المنذري قال في وفيات السنة المذكورة: «وفي شهر ربيع الأول أيضاً توفي الشيخ الأجل الأديب أبو العباس الخضر بن بدران بن بُغْرَى ابن حطان بن كمشتكين بن عبدالله التركي الشاعر بمصر. وكتبت عنه شيئاً من شعره، وله شعر كثير. وهو من أولاد الأمراء المصريين. وقال لي في سنة ثلاث وعشرين وست مئة: لي الآن ثمانون سنة»[٢] . وهكذا أعاد الذهبي ترتيب الترجمة استناداً إلى ما ورد في «التكملة» للمنذري.

على أني أود أن أشير هنا إلى أن مثل هذه النقول تكون عادة حينما يقتصر الذهبي على مؤلف واحد في النقل.

٥- الدقة في النقل:

لا نعني بدقة النقل هنا نقل النصوص الحرفي، بل نقل المعلومات بصورة صحيحة ودقيقة بحيث لاتجد اختلافاً في المادة التاريخية عند المقارنة. وقد استعمل الذهبي طريقة النقل الحرفي تارة وأغفلها تارة أخرى، لكنه على أيٍّ حال كان دقيقاً في نقله، متثبتاً منه، دَلَّتْ على ذلك المقارنات التي أجريناها بين كتابه وبين بعض ما وصل إلينا من كتب[٣] .

= محمد بن عبدالله بن فضلوية — ٤٤٢ الورقة ٤٠٢ الترجمة رقم ٢٨
محمد بن مهران الخويي — ٤٤٢ الورقة ٤٠٤ الترجمة رقم ٢٧
محمد بن الفضل بن محمد القاساني — ٤٤٥ الورقة ٤٢٨ الترجمة رقم ٥٧
محمد بن الحسين بن عبدالله البرجي — ٤٤٨ الورقة ٤٥٦ الترجمة رقم ٣٧

(١) الورقة ١٢٩(أيا صوفيا ٣٠١٢).

(٢) التكملة ٣/ الترجمة ٢٥٢٣.

(٣) ومن قبل هذا كنت اعتمدت «تاريخ الإسلام» للذهبي في تصحيح الكتب التي حققتها، منها كتاب «التكملة لوفيات النقلة» لزكي الدين المنذري، وكتاب «ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد» لابن الدبيثي، وكتاب «مشيخة النعال البغدادي» وغيرها، وثَبَّتُّ المقارنات في هوامش هذه الكتب ومنها تظهر دقة نقول الذهبي.

وغالباً ما كان الذهبي يعنى بنقل النصوص بألفاظها في الحالات التي تستحق ذلك وتتطلبه مثل أقوال العلماء في الجرح والتعديل، ونصوص الكتب والتوقيعات التي يوردها في كتابه، والمقطعات والقصائد الشعرية، والقطع الأدبية، ونصوص الحكايات والمناقشات بين العلماء، فضلاً عن الروايات المسندة إلى شيوخه، ونصوص الأحاديث النبوية الشريفة. فكان يؤكد ذلك بالألفاظ والعبارات الدالة عليها، نحو قوله: «قال سفيان، وشعبة واللفظ له»[١]، وقوله: «وقال الزهري، ورواه ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة، وقاله موسى بن عقبة وهذا لفظه»[٢]، وقوله: «وقال ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة، ورواه موسى بن عقبة ـ واللفظ له ـ قال»[٣]، «وقال الليث - واللفظ له - وابن المبارك عن يونس بن يزيد»[٤]، و«هذا لفظ حكاية محمد بن طرخان عن ولده عبدالولي»[٥]، ونحو ذلك من العبارات المحددة للنقل نصاً.

أما إذا انتقى من النص أو لَخَّصَهُ فإنه يشير إلى ذلك أيضاً، نحو قوله: «لخصت ترجمته من الإرشاد للخليلي»[٦]، و«اختصرت هذا من السياق لعبدالغافر»[٧]، و«له ترجمة في طبقات شيروية هذا منها»[٨]، وقال في ترجمة شهاب الدين الغوري: «استوفى ابن الأثير ترجمته وهذه نخبتها»[٩]. وإذا غَيَّرَ ألفاظَ خبرٍ نقله عن مؤلف آخر وكتبه بأسلوبه أو بمعناه نَبَّه إلى ذلك ودلل عليه، نحو قوله عند حديثه عن استيلاء التتار على الدولة الخوارزمية سنة ٦١٧هـ: «هذا معنى ما ذكره أبو سعد شهاب الدين النسوي»[١٠]. وإذا لم يكن يحفظ خبراً شفوياً بصورة جيدة أشار إلى ذلك ونبه عليه، نحو قوله:

---

(١) الورقة ٥٦ (أيا صوفيا ٣٠٠٥).
(٢) ١/٦٥٨.
(٣) ١/٢٨٠.
(٤) ١/١٧٩.
(٥) الورقة ٥٦ (أيا صوفيا ٣٠١١).
(٦) ٧/١١٠.
(٧) ١٠/٨٩.
(٨) ٧/٥٤٩.
(٩) الورقة ١٢(أيا صوفيا ٣٠١١).
(١٠) الورقة ٢٤٤(أيا صوفيا ٣٠١١).

«هذه حكاية حكاها لنا الشيخ أبو الحسين اليونيني ولا أحفظها جيداً»[١] ، وأمثلة ذلك كثيرة في الكتاب.

على أننا رأينا الذهبي في الأغلب الأعم يحرر الأخبار والتراجم على طريقته، وخاصة في التراجم، فقد عرفناه فناناً تراجمياً لا يتبع أسلوب أحد في عرض الترجمة الداخلي بل يَصُوغها بنفسه، فهو حتى عند نقله عن مؤلف واحد يُعيدُ تركيبَ الترجمة بشكل قد يختلف عن ترتيب الكتاب المنقول عنه[٢] ، وقد يضطر إلى تجميع عناصر الترجمة من عدة مؤلفين، فينقل كل قسم عن واحد أو أكثر[٣] . ولم يجد الذهبي ما يمنعه من نقل الأخبار وإعادة صياغتها ما زال ملزماً نفسه بالدقة والأمانة، لاسيما في نقل خبر من الأخبار العامة التي لا تؤثر في قيمتها الصياغةُ كتاريخ وفاةٍ أو ميلاد أو قيام بعمل ما، أو اختصار في أسماء الشيوخ، ونحو ذلك. وقد أيقنتُ أنَّ الذهبيَّ كان لابد أن يتصرف في مثل هذه النقول، وإلا صعب عليه عرض التراجم كما يريد، ولعل المثال الآتي يوضح ذلك: قال في ترجمة أبي جعفر المنصور: «قال شباب[٤] : أقام الحَجَّ للناس أبو جعفر سنة ست وثلاثين، وسنة أربعين، وسنة أربع وأربعين، وسنة اثنتين وخمسين، زاد الفسوي[٥] : إنه حج أيضاً سنة سبع وأربعين ومئة»[٦] .

ولننظر الآن إلى هذين المصدرين اللذين أخذ عنهما الذهبي وهما «تاريخ»[٧] خليفة بن خياط المعروف بشباب العصفري المتوفى سنة ٢٤٠هـ، و«المعرفة والتاريخ»[٨] لأبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي المتوفى سنة

---

(١) الورقة ١٨٠ (أيا صوفيا ٣٠١١).
(٢) انظر أعلاه بعض الأمثلة التي أتينا بها للمقارنة.
(٣) انظر أعلاه كلامنا على منهجه في الموارد.
(٤) هو خليفة بن خياط العصفري المعروف بشباب «ت٢٤٠هـ».
(٥) قوله «زاد الفسوي» فيه نظر، فإننا وجدنا خليفة يذكر إقامة المنصور للحج سنة ١٤٧هـ (تاريخ، ص ٤٢٤) فهناك ثلاثة احتمالات أولها: أن تكون النسخة التي نقل عنها الذهبي لم تحتوِ على هذا النص، وثانيها: أن تكون هذه العبارة قد أضيفت فيما بعد إلى النسخة التي طبع عليها الكتاب وهو مستبعد، وثالثها: أن يكون الذهبي ذهل عن رؤية هذا النص فتوهم بعدم ذكر خليفه له.
(٦) ١٠٨/٤.
(٧) حققه الدكتور أكرم العمري ونشره بمعونة المجمع العلمي العراقي (النجف ١٩٦٧).
(٨) حققه الدكتور العمري أيضاً ونشره ديوان الأوقاف العراقي بنفقاته (بغداد١٩٧٤-١٩٧٥).

٢٧٧هـ. فلا نجد عند خليفة نصاً كالذي ذكره الذهبي، بل نجد خليفة يذكر إقامة المنصور للحج في السنوات التي ذكرها الذهبي، فذكر السنة الأولى وهي سنة ١٣٦هـ في قائمة أمراء الموسم على عهد أبي العباس السفاح[١]، أما السنوات الثلاث الباقيات فقد ذكر إقامة المنصور للحج في حوادثهن كلاً على انفراد[٢]. كما ذكر الفسوي إقامة المنصور للحج في حوادث السنوات[٣]. وهكذا جمع الذهبي عدداً من النصوص، وأَلَّفَ منها نصاً واحداً.

٦- المقارنة بين الروايات وترجيح الصحيح منها:

قلنا سابقاً إن الذهبي اعتمد عدداً ضخماً من الموارد، فكان من نتيجة ذلك أن أصبحت لديه موارد تأتلف في معلوماتها وأخرى تختلف عنها. ومن هنا كان على الذهبي أن يجمع الروايات المؤتلفة ويفرزها عن الروايات المختلفة، فاتبع أسلوب جمع الروايات. ولعله تأثر في ذلك بطريقة المحدثين، وهو منهم، الذين اخترعوا الإسناد الجمعي للتخلص من تكرار الأسانيد[٤]، نحو قوله: «وقال الزهري وقتادة وموسى بن عقبة وابن إسحاق والواقدي وسعيد بن يحيى الأموي..»، وقوله: «قاله نافع وقتادة والزهري وابن إسحاق وغيرهم وعروة في مغازيه رواية أبي الأسود..»، وقوله: «وأما المنذري وابن خلكان وابن‌الساعي وأبو المظفر الجوزي وشيخنا ابن الظاهري فقالوا[٥]:» ومعظم الكتاب على هذا النحو، فهو منهج الذهبي لم يَحِدْ عنه وذلك يدل على قابلية عظيمة في استقصاء هذا العدد الكبير من المصادر وتجميعها وعرضها.

إن هذا الاختلاف الكبير بين الروايات دفعه إلى محاولة ترجيح ما يراه صحيحاً منها متبعاً أسساً معينة من أبرزها:

---

(١) تاريخ خليفة ٤١٤.

(٢) المصدر نفسه ٤١٨ و٤٢١ و٤٢٦.

(٣) المعرفة والتاريخ، م٢ص١١٦، ١٢٢، ١٢٨، ١٣١، ١٣٨.

(٤) وهو أن يجمع المحدث شيوخه الذين حدثوه عن شيخ معين بإسناد واحد ولحديث معين في مكان واحد فيذكر الشيوخ ثم يتبعهم بقوله: قالوا. ويعود استعمال الإسناد الجمعي إلى مطلع القرن الثاني الهجري كما هو معروف.

(٥) ينظر كتابنا: الذهبي ومنهجه ٤٣٧ - ٤٤٨.

أ- معرفة الراوي وخبرته:

لقد كان يرجح المصدر الذي هو أعرفُ بالخبرِ من غيره بسبب اتصاله بالحادثة أو معاصرته لها، نحو قوله: «ضَعَّفَهُ أبو زرعة وذكره ابن حبان في الثقات وأبو زرعة أعرف»[1] ، وقوله في مولد عروة بن الزبير: «ولد سنة تسع وعشرين. قاله مصعب، وقال خليفة: ولد سنة ثلاث وعشرين، ومصعب أخبرُ بنسبه، ويقويه قول هشام بن عروة عن أبيه، قال: أذكر أن أبي الزبيركان ينقزني.. ويقوي قول خليفة ما روى الزبير بن بكار عن محمد بن الضحاك الحزامي، قال: قال عروة: وقفتُ وأنا غلامٌ وقد حصروا عثمان. روى الفسوي في تاريخه عند ذكر عروة قال: حدثني.. عن عروة قال: كنت غلاماً لي ذؤابتان فقمت أركع بعد العصر فبصر بي عمر بن الخطاب ومعه الدرة ففررت منه... قلت: هذا حديث منكر مع نظافة رجاله. وقال هشام عن أبيه، قال: رُدِدْتُ أنا وأبو بكر بن عبدالرحمن يومَ الجمل واسْتُصْغِرَنا، قال يحيى بن معين: كان عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة. وقال هشام عن أبيه: ما ماتت عائشة حتى تركتها قبل ذلك بثلاث سنين. وقال مبارك بن فضالة عن هشام عن أبيه، قال: لقد رأيتني قبل موت عائشة بأربع حجج..»[2] .

ويتضح اهتمام الذهبي بالمشاهدة والمعاصرة في الخبر الذي نقله عن سبب وفاة محمد بن يعقوب بن يوسف أمير المؤمنين سنة ٦١٠هـ فقد نقل أولاً من تاريخ إبراهيم بن محمد الجزري «ت٧٣٩هـ» الذي ذكر أن حرسه قتلوه خطأً ثم قال بعد ذلك: «وأما عبدالواحد بن علي المراكشي «ت٦٤٧هـ» فإنه يقول في كتابه المعجب إن أبا عبدالله مرض بالسكتة في أول شعبان ومات في خامسه. وهذا هو الصحيح لأنه أدرك موته وكان شاهداً»[3] .

---

(١) الورقة ٦٣(أيا صوفيا ٣٠٠٦).

(٢) ٢/١١٣٩ - ١١٤٠.

(٣) الورقة ٨٤ (أيا صوفيا ٣٠١١).

ب- الوقوف على الوثائق والخطوط:

وكان يرجح رواية على أخرى بعد تقويتها بما يقفُ عليه من وثائق وخطوط تؤيد ترجيحه، نحو قوله في تحديد وفاة عز الدين ابن الأثير المؤرخ: «رأيتُ تصحيحه على طبقة تاريخها في نصف شعبان سنة ثلاثين»[١] . ولما اختلف المؤرخون الذين ترجموا لابن دحية الكلبي «ت٦٣٣هـ» مثل أبي عبدالله الأبار وابن الدبيثي والضياء المقدسي والتقي الإسعردي وابن نقطة وابن مَسدي وابن واصل الحموي في تقويمه وروايته لكتاب «الموطأ»، رجع الذهبي إلى طبقات السماع والإجازات وخطوط العلماء لتبيان صحة هذه الرواية وترجيحها[٢] .

ج-الاستفادة من الوقائع التاريخية الأخرى:

وقد يرجح رواية على أخرى لأن هناك من الوقائع التاريخية الثابتة عنده ما يؤيد هذا الترجيح. من ذلك مثلاً أن المؤرخين اختلفوا في تاريخ وفاة عبدالله ابن عمر بن الخطاب، فذكر الهيثم بن عدي وأبو نعيم وعلي ابن المديني وأبو بكر بن أبي شيبة وأبو مسهر أنه توفي سنة ٧٣هـ، وقال خليفة بن خياط وسعيد ابن عفير إنها كانت سنة ٧٤هـ. وقد رجح الذهبي التاريخ الأخير بالرغم من اتفاق جملة من المؤرخين الثقات في التاريخ الأول مستدلاً بصلاة ابن عمر نفسه على جنازة رافع ابن خديج الأنصاري الصحابي المشهور[٣] الذي توفي في أول سنة٧٤هـ[٤] . وقال في ترجمة حنش بن عبدالله الصنعاني: «غزا المغرب وسكن إفريقية ولهذا عامة أصحابه مصريون، وتوفي غازياً بإفريقية سنة مئة. وثقه العجلي، وأبو زرعة. وأما أبو سعيد بن يونس فقال: حنش الصنعاني كان مع عليّ بالكوفة وقدم مصر بعد قتل عليّ وغزا المغرب مع رويفع بن ثابت... وله عقب بمصر وهو أول من ولي عشور إفريقية وبها توفي سنة مئة. وكذا قال الواقدي في وفاة حنش الصنعاني. قلت: وهم ابن يونس

---

(١) الورقة ٩٦(أيا صوفيا ٣٠١٢).
(٢) الورقة ١٣٨-١٣٩من النسخة السابقة.
(٣) ٢/ ٨٥٢.
(٤) ٢/ ٨١٢.

وابن عساكر في أنه صاحب عليّ لأن صاحب عليٍّ اسمه كما ذكرنا[١] حنش ابن ربيعة أو ابن المعتمر وهو كنانيٌّ كوفيٌّ، وقد روى عنه جماعة من الكوفيين كالحكم بن عتيبة و . . . الذين لم يروا مصر ولا إفريقية فتبين أنهما رجلان. ولحنش صاحب علي ترجمةٌ في الكامل لابن عدي»[٢] .

د- مسايرة أكثر المؤرخين وعدم اعتداده بالشاذ:

إن الذهبي يعتمد جملة المؤرخين ويرجح رواياتهم على رواية مَنْ تَفَرَّدَ عنهم إذا لم يكن لديه أدلة أخرى تؤيد رواية هذا المتفرد نحو قوله في ترجمة حمد بن محمد الخطابي البستي المتوفى سنة ٣٨٦هـ: «وقد سماه أبو منصور الثعالبي في كتاب اليتيمة أبا سليمان أحمد بن محمد، والصواب حمد كما قاله الجَمُّ الغفير»[٣] ، وقوله في غزوة الحديبية: «خرج إليها رسول الله ﷺ في ذي القعدة سنة ست؛ قاله نافع وقتادة والزهري وابن إسحاق وغيرهم وعروة في مغازيه رواية أبي الأسود، وتَفَرَّدَ عليُّ بن مسهر عن هشام عن أبيه أن رسول الله خرج إلى الحديبية في رمضان»[٤] .

هـ- الترجيح بعد التعليل:

ويعلل الذهبي نصاً من النصوص المتعارضة مع ترجيحه ويفسره مستنداً إلى معلوماته العامة، حيث أفاد ـ مثلاً ـ من معلوماته عن بعض العادات العربية في احتساب التواريخ في تعليل أحد النصوص وتفسيره، فقد نقل عن ابن إسحاق والواقدي أن غزوة الخندق كانت في سنة خمس للهجرة[٥] ثم نقل بعد ذلك عن موسى بن عقبة وعروة بن الزبير أنها كانت في شوال من سنة أربع ورجح الذهبي سنة خمس، وقال: «وقول موسى وعروة إنها في سنة أربع وهم

(١) ٢/ ٩٣٠.
(٢) ٢/ ١٠٨٦ - ١٠٨٧.
(٣) الورقة ١٩٦(أيا صوفيا ٣٠٠٨).
(٤) ١/ ٢٤٢.
(٥) ١/ ١٨٥.

بَيِّنٌ، ويشبهه قول عبيدالله عن نافع عن ابن عمر: عَرَضَني رسولُ الله ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة فلم يجزني فلما كان يوم الخندق عرضت عليه وأنا ابن خمس عشرة فأجازني، فيحمل قوله على أنه كان قد شرع في أربع عشرة سنة وأنه يوم الخندق كان قد استكمل خمس عشرة سنة وزاد عليها فلم يَعُد تلك الزيادة، والعرب تفعل هذا في عددها وتواريخها وأعمارها كثيراً فتارة يعتدّون بالكسر ويعدونه سنة وتارة يسقطونه»[1] . ومن ذلك أيضاً قوله في نسب المؤرخ ابن الأثير: «كان يكتب بخطه: علي بن محمد بن عبدالكريم الجزري[2] ، وكذا ذكره الحافظ المنذري والقوصي في معجمه وابن الظاهري في تخريجه للصاحب مجد الدين العقيلي وأبو الفتح ابن الحاجب في معجمه وغيرهم، وهو على سبيل الاختصار، وله أشباه ونظائر، وإنما هو: علي بن محمد بن محمد، بلا ريب كما هو في تسمية أخويه وابن أخيه شرف الدين، وكذا ذكره القاضي ابن خلكان وأبو المظفر ابن الجوزي وابن الساعي وغيرهم، ويوضحه أن المنذري ذكر أخويه فقال: محمد بن محمد، مرتين»[3] .

٧- انتقاء النسخ الموثقة والمقابلة بين المخطوطات:

كان الذهبي يعنى بانتقاء أصحِّ نسخ الموارد التي يعتمدها وينقل منها، فكان يحاول دائماً أن يأخذ من المصدر المكتوب بخط مؤلفه، أو أن يكون توقيعه عليه للتدليل على صحة النسخة، أو يكون بخط عالم متقن ثقة. وكانت غايته من ذلك التأكد من صحة المادة التاريخية والإشارة إلى دقتها، وتطمين القارئ إلى أنه لم يقع أيُّ تصحيفٍ أو تحريف على النص المنقول عنه مما قد يحدث على أيدي النساخ، فكان لذلك دائم الإشارة إلى كاتب النسخة التي ينقل منها سواء أكان الكتاب من تأليفِ كاتبِهِ أم من تأليفِ غيره نحو قوله: «قرأت بخط الكندي في تذكرته»[4] ، و«نقلت هذا وما قبله من خط أمين الدين

---

(١) ١/١٩٦.

(٢) وجدت أنا ذلك في طبقة سماع بخطه بنسخة من كتاب «المؤتلف والمختلف» لعبدالغني بن سعيد المصري محفوظة في مكتبة كوبرلي بإستانبول رقم ١٥٧٨.

(٣) تاريخ الإسلام ١٣/٩٢٧ من طبعتنا هذه.

(٤) الورقة ١٥٠ (أيا صوفيا ٣٠١١).

محمد بن أحمد بن شهيد، قال: وجدت بخط عبدالغني بن سعيد الحافظ فذكر ذلك»[1] ، و«ووفاته بخط أبي حكيم أحمد بن إسماعيل بن فضلان العسكري اللغوي»[2] ، و«قرأت بخط الضياء»[3] ، و«قرأت بخط ابن نقطة»[4] ، و«قرأت بخط ابن مسدي»[5] ، و«وجدت بخط السيف ابن المجد»[6] ، و«قرأت بخط عمر ابن الحاجب»[7] ، و«قرأت وفاته بخط شيخنا ابن الظاهري»[8] ، و«شاهدت بخط والده»[9] ، ونحو قوله في ترجمة أبي حفص ابن طبرزد البغدادي المتوفى سنة ٦٠٧هـ: «ورأيت بخط ابن طبرزد كتاب طبقات الحنابلة لأبي الحسين ابن الفراء»[10]، وقوله في ترجمة أحمد بن محمد بن واجب القيسي الأندلسي المتوفى سنة ٦١٤هـ: «قرأت في فهرسته وخطه عليه»[11]، وغير هذا كثير في الكتاب.

وقد استفاد الذهبيُّ من الرجوع إلى المصادر المكتوبة بخطوط مؤلفيها في نقده لهم وتبيان أوهامهم، من ذلك مثلاً أنه لما ترجم لموسى بن يوسف بن مسدي الزاهد نقل عن مصدرين من تأليف حفيده الحافظ محمد بن يوسف المعروف بابن مسدي المتوفى سنة ٦٦٣هـ وهما كتاب «لباس الخرقة» وكتاب «معجم شيوخه». وقد ذكر ابن مسدي في كتاب «لباس الخرقة» أن جده توفي في شوال سنة ٦٠٢هـ، فقال الذهبي: «كذا قال ابن مسدي في كتاب لباس الخرقة، وأما في معجم شيوخه، فقال: مات في رمضان سنة أربع وست مئة،

---

(١) الورقة ٨١(أيا صوفيا ٣٠٠٨).
(٢) الورقة ١٦٤من النسخة السابقة.
(٣) الورقة ٢٠، ٦٥، ٧٢، ٨٨، ١٠٨، ١٣٩، ١٥٦، ١٨٥، ١٨٦(أيا صوفيا ٣٠١١)، والورقة ٢٨، ٣٨، ٤٠، ٤٦... إلخ (أيا صوفيا ٣٠١٢).
(٤) الورقة ٤٦، ٤٨ (أيا صوفيا ٣٠١١).
(٥) الورقة ٨٦، ١٣٩، ١٦٦من النسخة السابقة.
(٦) الورقة ١٣٩(أيا صوفيا ٣٠١٢).
(٧) الورقة ٦٩، ١٥٨(أيا صوفيا ٣٠١١)، والورقة ٨٦(أيا صوفيا ٣٠١٢).
(٨) الورقة ٨٩(أيا صوفيا ٣٠١١).
(٩) الورقة ٥١من النسخة السابقة.
(١٠) الورقة ٥٠من النسخة السابقة.
(١١) الورقة ١٢١من النسخة السابقة.

نقلتهما من خطه في أحدهما»[1] .

وقد اضطر الذهبي في بعض الأحيان عند عدم العثور على نسخة بخط المؤلف إلى مقابلة أكثر من نسخة في محاولة للوصول إلى نقلٍ صحيح، فقد راجع نسختين من كتاب أحمد بن أبي طاهر لمعرفة مساحة بغداد إحداهما برواية الصولي والأخرى برواية غيره[2] . ولما نقل الذهبي نسب آل بويه عن ابن خلكان في ترجمة معز الدولة، قال: «كذا ساق نسبه القاضي شمس الدين وعَدَّ ما بينه وبين بهرام ثلاثة عشر أباً، وقابلته على نسختين»[3] .

---

(١) الورقة ٢٧ من النسخة السابقة.

(٢) ٣/ ٧٩٣.

(٣) ٨/ ٩٢.

الفصل الخامس
النقد

تمهيد:

اختلفت مناهج المؤرخين المسلمين في الاهتمام بالنقد، فاعتنت به طائفة منهم وأهملته طائفة أخرى. ثم وجدنا بعد ذلك تفاوتاً بين المعنيين به فَأَكْثَرَ من الاهتمام به قسمٌ منهم مثل الخطيب البغدادي «ت٤٦٣هـ»، وابن الدبيثي «ت٦٣٧هـ»، وابن النجار «ت٦٤٣هـ»، بينما أولاه القسم الآخر عناية أقل، فلم يظهر في كتبهم بشكل واسع مثل المنذري «ت٦٥٦هـ» وتلميذه عز الدين الحسيني «ت٦٩٥هـ».

أما الذهبيُّ فقد كان من المعنيين بالنقد كل العناية بحيث أصبح يحتل مكاناً بارزاً في كتبه، وألف الكتب الخاصة به، ولذلك وجدناه عظيمَ الاهتمام به في كتابه «تاريخ الإسلام»، مارسه في كل أقسامه واعتبره جزءاً أساسياً من منهجه في الدراسة التاريخية.

انطلق الذهبي في هذه العناية وذاك الاهتمام من تكوينه الفكري المتصل بدراسة الحديث النبوي الشريف وروايته ودرايته الذي يؤكد ضرورة تبيين أحوال الرواة ودرجة الوثوق بهم بتمييز الصادقين منهم عن الكاذبين، فسحبه بعد ذلك على جميع كتابه سواء أكان ذلك في تراجم المحدثين أم في غيرهم وسواء أكانوا من المتقدمين أم من المتأخرين، كما طَبَّقَهُ في نقد الأخبار أيضاً.

أولاً: أنواع النقد وأساليبه:

لم يقتصر الذهبي على نوع واحد من أنواع النقد، ولم يُعْنَ بمجال واحد من مجالاته، فقد عني بنقد المترجمين وتبيان أحوالهم، وأصدر أحكاماً وتقويمات تاريخية، وعني بنقد الروايات التي وجد مجالاً للنقد فيها.

١ - نقد الرجال:

يقوم نقد الرجال عند الذهبي عادة على إصدار حكم في المترجم وتبيان حاله جرحاً أو تعديلاً، ويكون ذلك في الأغلب بإيراد آراء الثقات من المعاصرين فيه وانطباعاتهم الشخصية عنه، إذا كان المترجم من غير أهل عصره، ويكتفي بآرائهم أو يرد عليها أو يُرجِّحُ رأياً منها. أما الذين عاصرهم فيكون رأيه الشخصي هو الأساس في هذا النقد نظراً لاتصاله بهم ومعرفته بأحوالهم.

وعلى الرغم من أن الغاية الأساسية من نشوء هذا النقد هو تبيان أحوال رجال الحديث، إلا أنه عني بتطبيقه على كثيرٍ من المُترجَمين في كتابه. وقد اعترض بعضُ معاصري الذهبيِّ عليه في عنايته الكبيرة بالنقد باعتبار أن الدواعي التي دعت إلى قيام النقد عند المتقدمين هي الوصول إلى تصحيح الحديث النبوي، ولما كان الحديث قد استقرَّ في الكتب الرئيسة فما عادت هناك من حاجةٍ إليه، وأن فائدته قد انقطعت منذ مطلع القرن الرابع الهجري. وممن صرح بهذا أبو عمرو محمد بن عثمان الغرناطي المعروف بابن المرابط «ت٧٥٢هـ» الذي ادعى أن ذكر معايب الناس غيبة لا تجوز وإنْ كان المذكور من أهل الرواية[١]، قال ابن حجر: «ورأيت بخطه جزءاً حَطَّ فيه على الذهبي وترجمه ترجمة أفرط في ذَمِّه فيها وتَعقَّبها برهان الدين ابن جماعة على الهامش»[٢]. كما أخذ عليه بعضهم نقده لغير الرواة واعتبروا أن ذلك لا فائدة فيه[٣]. ودافع السخاوي عن الذهبي وغيره ممن عنوا بالنقد في غير الرواة بقوله: «بأن الملحوظ في تسويغ ذلك كونه نصيحة، ولا انحصار لها في الرواية، فقد ذكروا من الأماكن التي يجوز فيها ذكر المرء بما يكره، ولا يُعَدُّ ذلك غِيبةً، بل هو نصيحةٌ واجبة: أن تكون للمذكور ولاية لايقوم بها على وجهها... أو يكون مبتدعاً من المتصوفة وغيرهم، أو فاسقاً ويرى من يتردد إليه للعلم أو للإرشاد ويخاف عليه عود الضرر من قِبَلِهِ فيعلمه ببيان حاله...

---

(١) السخاوي: الإعلان، ص٤٦٠، ٤٧٠، ٤٧٤.

(٢) ابن حجر: الدرر، ج٤ص١٦٤.

(٣) السبكي: الطبقات، ج٢ص١٤.

أو غير ذلك من المحرمات فكل ذلك جائز أو واجب ذكره ليحذر ضرره. وبهذا ظهر أن الجرح لم ينقطع وأنه والحالة هذه من النصيحة الواجبة المثاب فاعلها»[١].

ويلاحظ أن العلماء المسلمين، ومنهم السخاوي، قد برروا استعمال النقد في غير مجال الرواة بالفائدة المتوخاة منه للنصيحة ودفع الضرر. ومثل هذا التبرير قد يكون صحيحاً في حالة نقد المعاصرين فهو تفسير ساذج، حيث أن الذهبي وغيره لم يقتصروا على نقد المعاصرين من غير الرواة، بل تناولوا نقد السابقين أيضاً فيسأل عندئذ عن الغاية من نقد السابقين؟ كما أنهم لم يستطيعوا أن يوضحوا بجلاء سبب استمرار نقد الذهبي وغيره من المتأخرين المتقدمين بعد انقطاع الفائدة من مثل هذا النقد.

من كل ذلك يتضح أن تعليل مثل تلك الأمور لا يكون بمثل هذه البساطة فهناك عوامل أكثر عمقاً دفعت الذهبي إلى مثل هذه العناية لعلنا نستطيع إبراز بعضها فيما يأتي:

أ- استمرار العناية بالرواية، فعلى الرغم من أن تمييز الحديث الصحيح عن غيره قد استقر بعد ظهور الكتب الستة وبعض المجاميع الحديثية الأخرى فإن المسلمين لم يتركوا الرواية بل ازدادوا عناية بها تقليداً للسابقين من جهة، وتديناً وحباً بالحديث وروايته من جهة أخرى. ومعنى ذلك استمرار الإسناد ومن ثم ضرورة استمرار النقد في كل عصر لتبيان أحوال الرواة[٢].

ب - لم يتقبل الذهبي آراء النقاد السابقين باعتبارها مسلمات لايمكن ردها أو الطعن فيها دائماً بالرغم من احترامه الشديد للثقات منهم ومدحه الكثير لهم. ويبدو أنه اعتبر باب الاجتهاد في النقد ما زال مفتوحاً، لذلك عني به كل هذه العناية، يدل على ذلك رَدُّه لآراءِ كثيرٍ من كبار النقاد وعدم قبولها مثل أحمد بن

---

(١) الإعلان، ص٤٦١-٤٦٢.

(٢) ركز الذهبي في كتابه «الميزان» على الرواة القدماء واعتبر مطلع القرن الرابع الهجري هو الحد الفاصل بين المتقدم والمتأخر، وذكر أنه لو فتح على نفسه تناول المتأخرين لما سَلِمَ معه إلا القليل إذ «الأكثر لا يدرون ما يروون، ولا يعرفون هذا الشأن، إنما سمعوا في الصغر، واحتيج إلى علو سندهم في الكبر فالعمدة على مَنْ قرأ لهم، وعلى من أثبت طباق السماع لهم». (ج١ص٤)، ولكنه تناولهم في تاريخ الإسلام.

صالح المصري «ت ٢٤٨هـ»[١] ، وأحمد بن عبدالله العجلي «ت٢٦١هـ»[٢] ، وابن عدي «ت٣٦٥هـ»[٣] ، وابن حبان البستي «ت ٣٥٤ هـ»[٤] ، ومحمد بن إسحاق بن مندة «ت٣٩٥هـ»[٥] والخطيب البغدادي «ت٤٦٣هـ»[٦] ، وابن عساكر «ت٥٧١هـ»[٧] ، وابن الصلاح «ت٦٤٣هـ»[٨] ، وغيرهم مما يطول ذكره، ولعل كتابه «الميزان» أحسن دلالة على ذلك.

ج - إن النقد أصبح جزءاً من مفهومه التاريخي، لذلك حاول تطبيقه في كل موضع من كتابه. وقد أخطأ كثير ممن فسر نقده لكبار العلماء من غير الرواة أو الملوك أو أرباب الولايات أو نحوهم بأنه من صنف «نقد الرجال» بل هو حكم تاريخي الغاية منه تقويم المترجم كما سيأتي.

ويراعي الذهبي في مثل هذا النوع من النقد أن يورد ما يبين حال المترجم مما يتصل بعقيدته كأن يكون شيعياً[٩] ،أو رافضياً[١٠]، أومعتزلياً[١١]، أو قدرياً[١٢]، ونحو ذلك، مما يتصل بأخلاقه[١٣]، أو مما يتصل بروايته كأن يكون قليل الفهم والضبط[١٤]، متساهلاً في الرواية[١٥]، متهاوناً فيها[١٦]،

---

(١) مثلاً: الورقة ٢٣٠(أيا صوفيا ٣٠٠٦).
(٢) مثلاً: الورقة ١١٩(أيا صوفيا ٣٠٠٧).
(٣) مثلاً: الورقة ١٤٠(أيا صوفيا ٣٠٠٧).
(٤) مثلاً: الورقة ٨٤(أيا صوفيا ٣٠٠٦).
(٥) مثلاً: الورقة ٢٣٤(أيا صوفيا ٣٠٠٨).
(٦) مثلاً: الورقة ١٩١من النسخة السابقة.
(٧) مثلاً: ٧/ ٣٣٩.
(٨) مثلاً: الورقة ٤٨٥(أيا صوفيا ٣٠٠٩).
(٩) انظر مثلاً: الورقة ١٧٦، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢٩، ٣٧٣، ٣٨٧(أيا صوفيا ٣٠٠٩).
(١٠) مثلاً: الورقة ٢٠٥، ٣٠٨، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٧٥، ٣٧٦من النسخة نفسها.
(١١) مثلاً: الورقة ٢٢٧، ٣٢٩، ٣٧٠، ٣٧٣، ٣٨٠، ٣٨٧، ٤٠٤، ٤٢٢، ٤٤٦، ٤٨٥من النسخة السابقة.
(١٢) مثلاً: الورقة ١١٣(أيا صوفيا ٣٠٠٧).
(١٣) مثلاً: الورقة ١٧٤، ١٧٥، ١٩٠، ١٩١(أيا صوفيا ٣٠٠٨).
(١٤) الورقة ٢٠٣من النسخة السابقة.
(١٥) الورقة ١٨٥(أيا صوفيا ٣٠٠٩).
(١٦) الورقة ١٧٣(أيا صوفيا ٣٠٠٨).

أومجازفاً[١] ، أو مُخَلِّطاً[٢] ، أو يُحَدِّثُ من غير أصل[٣] ، أو يقلب الأحاديث[٤] ، أو يقفز من سند إلى آخر[٥] ، أو يلحق اسمه في الطبقات، ونحو ذلك[٦] .

وتكون نتيجة التجريح أو التعديل إصدار أحكام بعبارات فنية لها دلالاتها الدقيقة جداً نحو «ثقة»، و«صدوق»، و«صويلح»، و«دجال»، و «كذاب»، وما إلى ذلك[٧] .

إن عناية الذهبي في البحث عن عقائد المترجمين واتجاهاتهم ومذاهبهم قدمت لنا مادة غنية في معرفة عقائدهم ومذاهبهم، ومدى انتشارها بين الناس في فترة ما أو في منطقة معينة.

٢- التقويم والأحكام:

لم يكن الذهبيُّ يقتصر على «نقد الرجال» وهو «النقد الحديثي» الذي يعنى بذكر حال الرجال صدقاً أو كذباً أو عقيدة أو نحوها، فإن هذا النوع من النقد لا يمكن تطبيقه على جميع فئات المترجمين في كتابه، وقد حوى خلفاء وملوكاً وأرباب ولاياتٍ، وشعراء وأدباء ونحوهم، ولذلك لم ينظر الذهبي إليهم بالمناظير التي نظرَ بها إلى الرواةِ وأشباههم في الأغلب الأعم، بل نظر إلى كل طائفة منهم بمنظار يختلف عن الآخر. وهذه مسألة قَلَّما انتبه إليها الباحثون فوقعوا بآفة التعميم وخرجوا بما ظنوا أنه حقيقة وهي أنَّ المؤرخين المسلمين المتأثرين بالحديث الشريف وعلومه نظروا إلى جميع الناس بمنظار واحد هو منظار الحديث والمحدثين.

---

(١) الورقة ٢٢٥من النسخة السابقة.
(٢) الورقة ٣٧٦(أيا صوفيا ٣٠٠٩).
(٣) الورقة ٨٦ من النسخة السابقة، والورقة ١٤٤(أيا صوفيا ٣٠٠٨).
(٤) الورقة ١٧٢(أيا صوفيا ٣٠٠٨).
(٥) الورقة ١٩١من النسخة السابقة.
(٦) الورقة ٣١٥، ٤١٢(أيا صوفيا ٣٠٠٩).
(٧) انظر عن هذه الألفاظ ودلالاتها كتابه: «ميزان الاعتدال، ج١ص٤»، وبحث الدكتور ناجي معروف: «أساليب الكتّاب العرب في البحث العلمي» المنشور في العدد الأول من مجلة «الكتّاب» (بغداد سنة ١٩٦٢).

نعم، نظر الذهبي إلى كثير من العلماء بمنظار المحدثين، ونظر إلى بعض من يختلفون معه في العقيدة بمنظار عقيدته وهلم جرًّا، ولكنه في الوقت نفسه استطاع أن ينظر إلى كل طائفة منهم بمنظار آخر كوّن في الأغلب صورة لجماع رأيه في ذلك الشخص.

إن تعدد المناظير هذا جعل آراء الذهبي في المترجَمين تبدو لأول وهلة متناقضةً كل التناقض، نحو قوله في ترجمة هشام بن محمد الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤هـ: «النسابة العلامة الأخباري الحافظ... لم يكن ثقة وفيه رفض»[١]، وقوله في ترجمة أحمد بن أبي دؤاد الإيادي المعتزلي الذي قاد أعنف حملة على زعماء أهل الحديث وغير القائلين بخلق القرآن: «وكان مُصَرِّحًا بمذهب الجهمية داعية إلى القول بخلق القرآن. وكان موصوفاً بالجود والسخاء وحسن الخلق وغزارة الأدب»[٢]. وقد صار عدم التعميم في الذم أو المدح أصلاً من أصوله النقدية، قال في رده على ابن الصلاح «ت٦٤٣هـ» الذي هاجم الماوردي «ت٤٥٠هـ» بسبب الاعتزال «فلا تحط يا أخي على العلماء مطلقاً ولا تبالغ في تقريظهم مطلقاً»[٣].

ثم إن اختلاف المناظير عند الذهبي جعله يراعي في كل طائفة صفات معينة بصرف النظر عن اتفاقه أو اختلافه معهم، فكان ينظر إلى الخلفاء والملوك مثلاً من زاوية الحزم، والدهاء، والقوة والضعف، والسياسة، والظلم والعدل، وحب العلم ونحوها، قال في ترجمة أبي جعفر المنصور: «وقد مر من أخباره في الحوادث ما يدل على أنه كان فحل بني العباس هيبةً وشجاعةً وحزماً ورأياً وجبروتاً، وكان جمّاعاً للمال تاركاً للهو واللعب كامل العقل جيد المشاركة في العلم والأدب، فقيه النفس، قتل خلقاً كثيراً حتى استقام ملكه. وكان في الجملة يرجع إلى عدل وديانة وله حظ من صلاة وتدين... خليقاً للإمارة»[٤]، وقال في ترجمة الخليفة المأمون: «كان من رجال بني العباس حزماً وعزماً وحلماً وعلماً ورأياً ودهاء وهيبة وشجاعة وسؤدداً وسماحة وله

---

(١) الورقة ٧٥-٧٦(أيا صوفيا ٣٠٠٦).
(٢) ٧٥٨/٥.
(٣) الورقة ٤٨٥ (أيا صوفيا ٣٠٠٩).
(٤) ١٠٦/٤.

محاسن»[١] ، وقال في ترجمة عضد الدولة البويهي: «وعمّر الطرق والقناطر والجسور. وكان متيقظاً شهماً. . كثير البحث عن المشكلات وافر العقل. كان من أفراد الملوك لولا ظلمه. وكان سفاكاً للدماء. . . وكان يحب العلم والعلماء. . . وأقام مكوساً ومظالم نسأل الله العافية»[٢] ، وقال في هشام بن الحكم الأموي الأندلسي: «وكان ضعيفاً أخرق محجوراً عليه»[٣] ، وقال في وصف جوهر الصقلي القائد الفاطمي: «وكان حسن السيرة في الرعية»[٤] ، وقال في ترجمة العزيز بالله نزار الفاطمي: «وكان كريماً شجاعاً حسن الصفح. . . حسن الخلق قريباً من الناس لا يؤثر سفك الدماء»[٥] .

أما العلماء فكان يراعي فيهم البراعة والمعرفة في فنهم، قال في ترجمة نصير الدين الطوسي «ت٦٧٢هـ»: «كان رأساً في علم الأوائل لا سيما معرفة الرياضي وصنعة الأرصاد فإنه فاق بذلك على الكبار. . . وكان سمحاً كريماً حليمًا حسن العشرة غزير الفضائل جليل القدر لكنه على مذهب الأوائل في كثير من الأصول، نسأل الله الهدى والسداد»[٦] .

وكان يراعي في الشعراء مثلاً الإبداع، فقد نقل في ترجمة الشاعر الماجن المتهتك ابن سكرة: «كان متسع الباع في أنواع الإبداع فائق الشعر لا سيما في المجون والسخف وكان يقال ببغداد: إن زماناً جاد بمثل ابن سكرة وابن الحجاج لسخي جداً. وقد شبها في وقتهما بجرير والفرزدق في وقتهما»[٧] .

وفي كثير من الأحيان يقوّم الذهبي المترجمين بعد دراسة كتبهم وتبيان قيمتها العلمية بين الكتب التي من بابتها. ومثل هذا النقد يدل بلا شك على سعة في العقلية وتفهم منه لمجالات النقد وطبيعته لا سيما بالنسبة لأولئك الذين لم يشتهروا بالرواية وعرفوا بتآليفهم في علم من العلوم أو فن من الفنون.

---

(١) الورقة ١٢١(أيا صوفيا ٣٠٠٧).
(٢) الورقة ١١٨-١١٩(أيا صوفيا ٣٠٠٨) = ٨/ ٣٧٧ - ٣٧٨ من طبعتنا.
(٣) الورقة ٢٦٣من النسخة السابقة.
(٤) الورقة ١٥٩من النسخة السابقة.
(٥) الورقة ١٨٦-١٨٧من النسخة نفسها.
(٦) الورقة ١٤(أيا صوفيا ٣٠١٤).
(٧) الورقة ١٨١(أيا صوفيا ٣٠٠٨).

٣- نقد الروايات:

رد الذهبيُّ كثيراً من الروايات التي نقلها عن المؤلفين السابقين بعد نقدها أو نقد مؤلفيها. ولم يكن مستعداً دائماً لتصديق كل ما يقال عن شخص ما أو حادثة معينة، ولذلك وجدناه قلما ترك مؤلفاً نقل عنه من غير أن يُخَطِّئَهُ في أكثر من رواية بصرف النظر عن مكانة ذلك المؤلف من العلم وجلالته فيه، فتحصَّلت في الكتاب ثروة نقدية على غاية من الضخامة، يلمسها كل مَنْ يطالع الكتاب أو يتفحصه. يضاف إلى ذلك أنه لم يقتصر على أسلوب واحد في النقد بل تَوَسَّلَ بكل ممكن مما يوصله إلى الحقيقة ومن ثم وجدنا تنوعاً في أساليبه النقدية في هذا المجال لعل من أبرزها:

أ- نقد السند:

ونجد ذلك واضحاً في كلامه على كثير من الأحاديث النبوية الشريفة وفي بعض الروايات الأولى. ويكون هذا النقد عادة بتضعيف السند بسبب الكلام في راوٍ واحد من رواته أو أكثر، أو تقويمه استناداً إلى مقاييس المحدثين فيحكم بعد ذلك على قوة الحديث وضعفه باستعمال العبارات الدالة عليه كأن يقول مثلاً «منقطع»، و«مرسل»، و«متفق عليه»، و«صحيح»، وغيرها من المصطلحات المعروفة عندهم. ولما كان الذهبي من كبار حفاظ الحديث وجهابذته لذلك ما وجدناه ترك حديثاً من غير تعليق عليه[1]. وقد طبق هذه الطريقة على بعض الأخبار بعد دراسة أسانيدها وهو نادر في كتابه[2] لعدم عنايته بالإسناد فيه أصلاً وتعويله على المؤلفات السابقة.

ومع ذلك فإنَّ الذهبيَّ لا يكتفي بنقد السند في معظم الأخبار التي يوردها ويضعفها استناداً إلى ضعفٍ في سندها، بل يحاول جاهداً إيراد ما يقوي هذا التضعيف من الأدلة التاريخية التي تتوفر له؛ ففي اتهام هشام بن عروة لابن إسحاق نقل الذهبي هذه الرواية عن العقيلي، قال: «قال العقيلي: حدثني

---

(١) الصفدي: الوافي، ج٢ص١٦٧.

(٢) انظر مثلاً: ٧/ ١٨٥ و٦٤٤ و٦٥٣.

الفضل بن جعفر، قال: حدثنا عبدالملك بن محمد، قال: حدثنا سليمان بن داود، قال: قال لي يحيى بن سعيد القطان: أشهد أن محمد بن إسحاق كذاب. قلتُ: وما يدريك؟ قال: قال لي وهيب، فقلت لوهيب: ما يدريك؟ قال: قال لي مالك، فقلت لمالك: وما يدريك؟، قال: قال لي هشام بن عروة، قلت له: وما يدريك؟ قال: حدث عن امرأتي وأدخلت عليَّ وهي بنت تسع سنين وما رآها رجل حتى لقيت الله» فقال الذهبي معلقاً: «قلت: هذه حكاية باطلة وسليمان الشاذكوني ليس بثقة، وما أدخلت فاطمة على هشام إلا وهي بنت نيف وعشرين سنة فإنها أكبر منه بنحو من تسع سنين، وقد سمعت من أسماء بنت الصديق، وهشام لم يسمع من أسماء مع أنها جدَّتهما. وأيضاً فلما سمع ابن إسحاق منها كانت قد عجزت وكبرت وهو غلام أو هو رجل من خلف الستر فإنكار هشام بارد»[1] .

ب- نقد المتن:

وهو الذي يقوم على نقد متن الرواية بكل ما يستطيع الناقد إيراده من الأدلة التي تثبت دعواه. وهذا النوع من النقد هو الذي عني به الذهبي في كتابه فردَّ مئات الروايات وأبطلها بنقده المتين، وهو ظاهرة جِدُّ واضحة فيه.

ومن أمثلة عنايته بنقد المتن مع توفر الإسناد القوي، تعليقه على خبر سفر النبي ﷺ مع عمه أبي طالب إلى الشام وقصة بحيرا الراهب، وملخص الحديث: أن الراهب تناقش مع أبي طالب والقرشيين في أمره حينما كانوا يتظللون بفيء شجرة، ثم أقبل النبي ﷺ وعليه غمامة تظله فلما جلس تحت الشجرة مال عليه فيء الشجرة، فلما رآه الراهب وعرف صفته ناشد أبا طالب أن يرد النبي ﷺ خوفاً عليه من الروم فرده أبو طالب، وبعث أبو بكر معه بلالاً الحبشي. فقال الذهبي: «تفرد به قراد، واسمه عبدالرحمن بن غزوان[2]

---

(١) ٤/١٩٦ - ١٩٧.

(٢) توفي سنة ٢٠٧هـ، انظر الذهبي: ميزان ج٢ص٥٨١-٥٨٢.

(وهو)[1] ثقة احتج به البخاري والنسائي، ورواه الناس عن قراد وحسنه الترمذي. وهو حديث منكر جداً؛ وأين كان أبو بكر؟ كان ابن عشر سنين فإنه أصغر من رسول الله ﷺ بسنتين ونصف. وأين كان بلال في هذا الوقت؟ فإن أبا بكر لم يشتره إلا بعد المبعث ولم يكن ولد بعد. وأيضاً: فإذا كان عليه غمامة تظله كيف يتصور أن يميل فيء الشجرة؟ لأن ظل الغمامة يعدم فيء الشجرة التي نزل تحتها. ولم نر النبي ﷺ ذَكَّر أبا طالب قط بقول الراهب، ولا تذاكرته قريش، ولا حكته أولئك ألاشياخ مع توفر هممهم ودواعيهم على حكاية مثل ذلك، فلو وقع لاشتهر بينهم أيما اشتهار، ولبقي عنده ﷺ حِسٌّ من النبوة ولما أنكر مجيءَ الوحي إليه أولاً بغارِ حراء، وأتى خديجة خائفاً على عقله، ولما ذهب إلى شواهق الجبال ليرمي نفسه ﷺ. وأيضاً: فلو أثر هذا الخوف في أبي طالب ورده كيف كانت تَطِيبُ نَفْسُه أن يمكنه من السفر إلى الشام تاجراً لخديجة؟ وفي الحديث ألفاظ منكرة تشبه ألفاظ الطرقية مع أن ابن عائذ قد روى معناه في مغازيه دون قوله: وبعث معه أبو بكر وبلالاً إلى آخره، فقال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: أخبرني أبو داود سليمان بن موسى، فذكره بمعناه»[2] .

ونرى من هذا النقد أن الذهبي قد حَلَّلَ الخبر تحليلاً علمياً من كافة جوانبه: في أحداثه، وألفاظه، ودلالاته، واستعمل عقله، والأدلة التاريخية ليثبت بطلانه، وهو يدل على مَلَكَةٍ عظيمة في النقد وتمكن فيه.

والحق أن الذهبي استعمل عقله في رَدِّ كثير من الروايات حتى وإن لم تتوفر لديه الادلة الكافية، لكن حِسَّهُ التاريخي جعله لا يقبلها وإنْ رواها أو نقلها الثقات، فقد نقل عن الخطيب نصاً عن عدد حمامات بغداد وأنها كانت ستين ألف حمام، فقال: «قلت: كذا نقل الخطيب في تاريخه وما أعتقد أنا هذا قط ولا عشر ذلك»[3] . ولم يقبل تصديق ضخامة أعداد الناس الذين كانوا يحضرون مجالس وعظ ابن الجوزي مع أن ابن الجوزي ذكرها بنفسه في

---

(١) إضافة مني للتوضيح.
(٢) ١/٥٠٣ - ٥٠٤.
(٣) ٣/٣٩٧.

المنتظم، كما هو مشهور وأيدها عبداللطيف البغدادي «ت٦٢٩هـ» وجماعة من المعاصرين كما نقل الذهبي في ترجمته[١].

ثانياً: التعصب والإنصاف في النقد:

كان من منهج الذهبي نقل آراء الموافقين والمخالفين في المترجم ليقدم صورة كاملة عنه، وهو طابع عام في كتابه تجده في كل ترجمة من تراجمه، بينما اقتصر آخرون على إيراد المدائح في كتبهم مثل السبكي «ت٧٧١هـ» وغيره. كما أن الذهبيَّ عني بترجمة عدد كبير من المعاصرين له ولا سيما في معجمه الكبير، ومعجمه المختص بالمحدثين، ولا ريب أنه نَقَدَ بعضهم فلم يعجبهم ذلك، وتأذى البعض منهم وغضب غضباً شديداً مثل شمس الدين محمد بن أحمد بن بصخان المقرئ المتوفى سنة ٧٤٣هـ الذي ترجم له الذهبي وأورد بعض ما فيه من القدح. فكتب ابن بصخان هذا بخط غليظ على الصفحة التي بخط الذهبي كلاماً أقذع فيه بحق الذهبي بحيث صار خط الذهبي لا يقرأ غالبه[٢].

وقد عرفنا من حياة الذهبي أنه رافق الحنابلة وتأثر بشيخه ابن تيمية لا سيما في العقائد[٣]، فكان شافعي الفروع حنبلي الأصول، ولذلك عني عند النقد بإيراد العقائد على طريقة أهل الحديث واعتبرها جزءاً منه كما بينا قبل قليل. ووجدنا في البيئة الدمشقية في الوقت نفسه مَنْ يتعصبُ للأشاعرةِ غاية التعصب.

وبسبب العقائد انْتُقِدَ الذهبيُّ من بعض معاصريه لاسيما تلميذه تاج الدين عبدالوهاب السبكي «٧٢٨-٧٧١هـ»[٤] في غير موضعٍ من كتابه «طبقات

---

(١) ينظر كتابنا: الذهبي ومنهجه ٤٥٧.

(٢) السخاوي: الإعلان، ص٤٧٠، وانظر الذهبي: معجم الشيوخ، م٢الورقة ٣٠-٣١.

(٣) انظر أعلاه الفصل الاول من الباب الأول.

(٤) اتصل السبكي بالذهبي سنة ٧٣٩هـ ولم يبلغ آنذاك اثني عشر عاماً، ولازمه فكان يذهب إليه في كل يوم مرتين، وقد ترجم له الذهبي في معجمه المختص (انظر مقدمة طبقات الشافعية).

الشافعية الكبرى»[1] وفي كتابه الآخر «معيد النعم»[2] ، فقال في ترجمته من الطبقات: «وكان شيخنا ـ والحق أحق ما قيل والصدق أولى ما آثره ذو السبيل ـ شديد الميل إلى آراء الحنابلة، كثير الإزراء بأهل السنة، الذين إذا حضروا كان أبو الحسن الأشعري فيهم مقدم القافلة، فلذلك لا ينصفهم في التراجم، ولا يَصِفُهم بخيرٍ إلا وقد رَغِمَ منه أنفُ الراغم. صنّف التاريخ الكبير، وما أحسنه لولا تعصب فيه، وأكمله لولا نقص فيه وأي نقص يعتريه»[3] ، وقال في ترجمة أحمد بن صالح المصري من الطبقات أيضاً: «وأما تاريخ شيخنا الذهبي غفر الله له، فإنه على حُسْنِه وجمعه مشحونٌ بالتعصب المفرط لا واخذه الله، فلقد أكثرَ الوقيعةَ في أهل الدين، أعني الفقراء الذين هم صفوة الخلق، واستطال بلسانه على كثير من أئمة الشافعيين والحنفيين، ومال فأفرط على الأشاعرة، ومدح فزاد في المُجَسِّمة، هذا وهو الحافظ المدره والإمام المبجل، فما ظنك بعوام المؤرخين»[4] . وذكر في موضع آخر أنه نقل من خط صلاح الدين خليل ابن كيلكدي العلائي «٦٩٤-٧٦١هـ»، وهو من تلاميذ الذهبي والمتصلين به[5] ، أنه قال ما نصه: «الشيخ الحافظ شمس الدين الذهبي لا أشك في دينه وورعه وتَحَرِّيه فيما يقوله الناس، ولكنه غلب عليه مذهب الإثبات، ومنافرة التأويل، والغفلة عن التنزيه حتى أثَّرَ ذلك في طبعه انحرافاً شديداً عن أهل التنزيه وميلاً قوياً إلى أهل الإثبات، فإذا ترجم واحداً منهم يطنب في وصفه بجميع ما قيل فيه من المحاسن، ويبالغ في وصفه، ويتغافل عن غلطاته ويتأول له ما أمكن، وإذا ذكر أحداً من الطرف الآخر كإمام الحرمين والغزالي ونحوهما لا يبالغ في وصفه، ويكثر من قول مَنْ طعن فيه، ويعيد ذلك ويبديه، ويعتقده ديناً، وهو لايشعر، ويعرض عن محاسنهم الطافحة فلا يستوعبها، وإذا ظفر لأحد منهم بغلطة ذكرها. وكذلك فعله في أهل عصرنا، إذا لم يقدر على أحد منهم بتصريح يقول في ترجمته: والله يصلحه، ونحو ذلك، وسببه المخالفة في

---

(١) انظر مثلاً: ج٢ص١٣فما بعد، ج٣ص٢٩٩، ٣٥٢-٣٥٣، ٣٥٦، ج٤ص٣٣، ١٣٣، ١٤٧، ج٩ص١٠٣-١٠٤وغيرها.
(٢) معيد النعم، ص٧٤، ٧٧.
(٣) ج ٩ ص ١٠٣ - ١٠٤.
(٤) ج ٢ ص ٢٢.
(٥) ابن حجر: الدرر، ج٢ص١٧٩-١٨٢.

العقائد»[1] ، ثم ذكر السبكي أن الحال أزيد مما وصف العلائي ثم قال: «والذي أدركنا عليه المشايخ النهي عن النظر في كلامه، وعدم اعتبار قوله. ولم يكن يستجري أن يظهر كتبه التاريخية إلا لمن يغلب على ظنه أنه لاينقل عنه ما يعاب عليه»[2] . وبالغ السبكي بعد ذلك فذكر أنَّ الذهبي متقصد في ذلك وأنه كان يغضب عند ترجمته لواحد من علماء الحنفية والمالكية والشافعية غضباً شديداً ثم يقرطم الكلام ويمزقه «ثم هو مع ذلك غير خبير بمدلولات الألفاظ كما ينبغي، فربما ذكر لفظة من الذم لو عقل معناها لما نطق بها»[3] .

وقد أثارت انتقادات السبكي هذه نقاشاً بين المؤرخين فرد عليه السخاوي «ت٩٠٢هـ» حيث اتهم السبكي بالتعصب الزائد للأشاعرة ونقل قول عز الدين الكناني «ت٨١٩هـ» في السبكي: «هو رجل قليل الأدب عديم الإنصاف، جاهل بأهل السُّنة ورتبهم»[4] . وقال يوسف بن عبدالهادي «ت٩٠٩هـ» في معجم الشافعية: «وكلامه هذا في حق الذهبي غير مقبول فإن الذهبي كان أجل من أن يقول ما لا حقيقة له.. والإنكار عليه أشد من الإنكار على الذهبي، لا سيما وهو شيخه وأستاذه فما كان ينبغي له أن يفرط من هذا الإفراط»[5] .

والحق أنَّ السبكيَّ أشعريٌّ جَلْدٌ متعصب غاية التعصب ولا أدل على ذلك من شتيمته المقذعة في حق الذهبي في ترجمة أبي الحسن الأشعري من الطبقات فقد سَفَّ بها إسفافاً كبيراً بسبب عدم قيام الذهبي بترجمته ترجمة طويلة في «تاريخ الإسلام» ولأنه اكتفى بإحالة القارئ إلى كتاب «تبيين كذب المفتري» لابن عساكر فاعتبر ذلك نقيصة كبيرة في حق الأشعري[6] . وقد قرأ السخاوي بخطه تجاه ترجمة سلامة الصياد المنبجي الزاهد ما نصه: «يا مسلم استحي من الله، كم تجازف، وكم تضع من أهل السُّنة الذين هم الأشعرية،

---

(١) الطبقات ج٢ص١٣ .
(٢) نفسه، ج٢ص١٣-١٤ .
(٣) نفسه، ج٢ص١٤ .
(٤) الإعلان، ص٤٦٩فما بعد.
(٥) معجم الشافعية، الورقة ٤٧-٤٨ (ظاهرية).
(٦) الذهبي: تاريخ الإسلام ٧/ ٤٩٤ - ٤٩٨ . وقد وصف الذهبي الأشعري بأحسن الأوصاف وذكر تصانيفه وقال: «من نظر في هذه الكتب عرف محله ومن أراد أن يتبحر في معرفة الأشعري فليطالع كتاب تبيين كذب المفتري..».

ومتى كانت الحنابلة، وهل ارتفع للحنابلة قط رأس»[١] .

ومع ذلك فإن هذه القضية جديرة بالدرس لأنها توضح أهمية كتاب الذهبي من جهة، ومنهجه ومدى عدالته في النقد والتحري من جهة أخرى.

ولقد أبانت دراستنا لتاريخ الإسلام أن الذهبي قد وُفِّقَ إلى أنْ يكون منصفاً إلى درجة غير قليلة في نقده لكثير من الناس وما رأينا عنده تفريقاً كبيراً بين علماء المذاهب الأربعة. وما كان يرضى الكلام بغير حق ولا حتى نقله في بعض الأحيان، قال في ترجمة الحسن بن زياد اللؤلؤي الفقيه الحنفي: «قد ساق في ترجمة هذا أبو بكر الخطيب أشياء لا ينبغي لي ذكرها»[٢] وقال في ترجمة ابن الحريري الدمشقي الحنفي «ت٧٢٨هـ»: «قاضي القضاة علاّمة المذهب ذو العلم والعمل»[٣]، وقوله في قاضي الحنفية شمس الدين الأذرعي «ت٦٧٣هـ»: «لم يخلف بعده مثله»[٤]، وترجم لأبي جعفر الطحاوي ترجمة رائقة ودلل على سعة معرفته وفضله وعلمه الجم[٥]. وهذا هو منهجه في معظم الحنفية لم نره تكلم في أحدهم بسبب المذهب، لا من الشافعية ولا المالكية، ولا الحنفية.

ولو قال السبكي إنه كان يتعصب على الأشاعرة حسب لوجدَ بعضَ الآذان الصاغية ولبحث له المؤيدون عن بضعة نصوص قد تؤيد رأيه، علماً أني بحثتُ في «تاريخ الإسلام» ولم أستطع أن أحصل على مثل يَصْلُح أن يسمى انتقاداً لأشعري. نعم قد نجد بعضَ تقصيرٍ في تراجم قسم من الأشاعرة. وفي هذا المجال صرت أشعر أن سبب قصر بعض تراجم الأشاعرة قد جاء من عدم قيام الذهبي بنقل آراء المخالفين بتوسع حباً منه للعافية كما في ترجمة أبي الحسن الأشعري الذي لم يأت الذهبي بكلمة نقد فيه مع أن الأشعري قضى القسم الأكبر من حياته معتزلياً، ونحن نعرف موقف الذهبي من المعتزلة. والواقع أن الذهبي ما بخس فضل هذا الرجل إلى درجة أنه اعتبره مُجَدِّداً في أصول

---

(١) طبقات، ج٣ص٣٥٢-٣٥٣.
(٢) الورقة ١٨(أيا صوفيا ٣٠٠٧).
(٣) معجم الشيوخ، م٢الورقة ٥١ .
(٤) الورقة ١٨(أيا صوفيا ٣٠١٤).
(٥) ٧/ ٤٣٩ - ٤٤٠ .

الدين على رأس المئة الرابعة[١] .

أما كلام الذهبي في الصوفية فصحيح ما قاله السبكي، ولكن في النادر منهم، وهذا رأي ارتآه الذهبي واعتقد فيه وآمن به؛ فقد ميّز بين طائفتين منهم:

أولاهما: كانت متمسكة بالدين القويم متبعة للسنة، احترمهم الذهبي الاحترام كله، بل لبس هو خرقة التصوف من الشيخ ضياء الدين عيسى بن يحيى الأنصاري السبتي عند رحلته إلى مصر[٢] وقال في ترجمة فرج الزنجاني المتوفى سنة ٤٥٨ من تاريخه: «وهو الذي لبسنا خرقة السهروردي من طريقه»[٣] . وكان يعتقد ببعض كرامات كبار الزهاد ويعنى بإيرادها في كتابه بل يكثر منها عادة[٤] ، ويورد بعض أقوالهم وحكاياتهم في الزهد والمحبة فيه[٥] .

أما الثانية: فقد اعتبرهم الذهبي مارقين عن الدين مشعوذين بهم مَسٌّ من الجنون، ومنهم الأحمدية[٦] أتباع الشيخ أحمد الرفاعي، والقلندرية[٧] وشيخها جمال الدين محمد الساوجي فقد ذكر تُرَّهَاتِهِ وانغشاشَ الناس به وبحاله الشيطاني[٨] ، ووصف بعض أحوالهم في ترجمة يوسف القميني «ت٦٥٧هـ» فقال: «وكان يأوي إلى قمين حمام نور الدين ولما توفي شَيَّعَهُ خَلْقٌ لا يحصون من العامة، وقد بصرنا الله تعالى وله الحمد وعرّفنا هذا النموذج. . . فقد عَمَّ البلاء في الخَلْقِ بهذا الضرب. . . ومن هذه الأحوال الشيطانية التي تضل العامة: أكل الحيات ودخول النار، والمشي في الهواء ممن يتعانى المعاصي ويخل بالواجبات. . . وقد يجيء الجاهل فيقول: اسكت لا تتكلم في أولياء الله، ولم يشعر أنه هو الذي تكلم في أولياء الله وأهانهم إذ

---

(١) تفسير للحديث الشريف: «يبعث الله من يجدد. . الحديث»، وقد فسر الذهبي «من» لصيغة الجمع. انظر السبكي: طبقات، ج٣ص٢٦.

(٢) الورقة ١٢٦ (أيا صوفيا ٣٠١٢).

(٣) تاريخ الإسلام ١٠/ ١٠٠ من طبعتنا.

(٤) انظر مثلاً: ٧/ ٣٩ - ٤٠ و٨٥.

(٥) مثلاً: ٧/ ٦٧ - ٦٨ و١٠٢ و٧٣٣ - ٧٣٤.

(٦) معجم الشيوخ، م١الورقة ٤٠.

(٧) القلندرية: المحلقون أي: الذين يحلقون رؤوسهم ولحاهم.

(٨) الورقة ١٠٤ (أيا صوفيا ٣٠١٢).

أدخل فيهم هؤلاء الأوباش المجانين أولياء الشياطين»[١] .

ولم يكن الذهبي متعصباً للحنابلة بالمعنى الذي صوّره السبكي فالرجل كان محدثاً يحب أهل الحديث ويحترمهم، إلا أن هذا لم يمنعه من تناول مساوئ بعضهم فقد نقل عن الإمام ابن خزيمة في ترجمة الطبري المؤرخ قوله: «ما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير، ولقد ظلمته الحنابلة»، ثم قال الذهبي معقباً وناقلا عن أبي محمد الفرغاني: «كان محمد بن جرير ممن لا تأخذه في الله لومة لائم مع عظيم ما يلحقه من الأذى والشناعات من جاهل وحاسد وملحد»[٢] . وقال في ترجمة عبدالساتر بن عبدالحميد تقي الدين الحنبلي المتوفى سنة ٦٧٩هـ: «ومهر في المذهب. . . وقَلَّ مَنْ سمع منه لأنه كان فيه زعارة، وكان فيه غلو في السُّنة، ومنابذة للمتكلمين ومبالغة في اتباع النصوص. . . وهو فكان حنبلياً خشناً متحرقاً على الأشعري. . . كثير الدعاوى قليل العلم»[٣] .

ومع ما كان للذهبيِّ من إعجاب بشيخه ابن تيمية فإنه أخذ عليه «تغليظه وفظاظته وفجاجة عبارته وتوبيخه الأليم المبكي المنكي المثير النفوس»[٤] ، كما أخذ عليه: «الكبر والعجب وفرط الغرام في رياسة المشيخة والإزراء بالكبار»[٥] وقد رأى في بعض فتاويه انفراداً عن الأمة، قال: «وقد انفرد بفتاوى نِيلَ من عِرْضِه لأجلها، وهي مغمورةٌ في بحرِ علمه ـ فالله تعالى يسامحه ويرضى عنه ـ فما رأيتُ مثله وكل أحد من الأمة فيؤخذ من قوله ويترك فكان ماذا؟»[٦] .

وقد بلغ حرص الذهبي في النقد وشدة تحريه أنه تكلم في ابنه أبي هريرة عبدالرحمن فقال: «إنه حفظ القرآن ثم تشاغل عنه حتى نسيه»[٧] .

ولست هنا في حال دفاع عن الرجل فكتابه خير مدافع عنه وهو الحكم في تقويمه، ولكنني أقول: إن تحقيق كثير من الإنصاف، وإن لم يكن كله، أمرٌ له قيمته العظمى في كل عصر.

---

(١) تاريخ الإسلام ١٤/ ٨٧٠ من طبعتنا.
(٢) نفسه ٧/ ١٦٢.
(٣) الورقة ٦٦(أيا صوفيا ٣٠١٤).
(٤) الورقة ٣٣٢من النسخة السابقة.
(٥) بيان زغل العلم، ص١٧-١٨.
(٦) تذكرة الحفاظ، ج٤ص١٤٩٧.
(٧) السخاوي: الإعلان، ص٤٨٨.

الباب الثالث

نسخ تاريخ الإسلام الخطية



مدخل: تدوين الكتاب

لا ندري الوقت الذي بدأ الذهبي فيه بتأليف كتابه، ولكننا نعلم أنه فرغ من إخراجه الأول في جُمادى الآخرة من سنة ٧١٤هـ كما جاء بخطه في آخر المجلدة الأخيرة منه[١]. ورجح الدكتور صلاح الدين المنجد أنه بدأ به إثر عودته من مصر سنة ٧٠٠هـ[٢]. وقد بينا عند كلامنا على سيرة الذهبي أن رحلته إلى مصر لم تكن في هذا التاريخ، إنما كانت في سنة ٦٩٥هـ ودللنا على ذلك بأدلة لا تقبل الشك[٣]. ومع ذلك فإننا نعتقد بأنه بدأ بكتابة المسودة الأولى قبل سنة ٧٠٤هـ وهي السنة التي اختصر فيها الذهبي تاريخ ابن الدبيثي[٤] حيث لم يذكره من بين ما اختصر من كتب رئيسة في مقدمته لتاريخ الإسلام. ولكن من المحتمل جدًا أن يكون قد جمع كثيرًا من مادة الكتاب قبل هذا التاريخ بكثير، إذ من غير المعقول أن يكون قد كتب مثل هذا التاريخ الواسع ذي الموارد المتعددة قبل جمع مادته بصورة دقيقة ومنظمة، واختصار عدد من المؤلفات الرئيسة التي كونت مادة كتابه مثل «تاريخ نيسابور» لأبي عبدالله الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥هـ، و«تاريخ مصر» لابن يونس المتوفى سنة ٣٤٧هـ، و«تاريخ مدينة السلام» للخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ، والذيل عليه لأبي سعد السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ، و«الأنساب» للسمعاني أيضًا، و«تاريخ دمشق» لأبي القاسم ابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ، و«وفيات الأعيان» لابن خَلِّكان المتوفى سنة ٦٨١هـ، وتاريخ أبي شامة المتوفى سنة ٦٦٥هـ، و«ذيل مرآة الزمان» لشيخه قطب الدين اليونيني المتوفى سنة ٧٢٦هـ.

وحينما انتهى الذهبي من تدوين تاريخه لأول مرة سنة ٧١٤هـ، صار الكتاب كما يبدو في تسعة عشر مجلدًا ضخمًا بخطه. ثم أضافَ إليه كثيرًا من

---

(١) الورقة ٣٤٥ (أيا صوفيا ٣٠١٤).

(٢) مقدمته لطبعته من سير أعلام النبلاء ج ١ ص٢٧.

(٣) انظر أدناه الفصل الأول من الباب الأول.

(٤) الذهبي: المختصر المحتاج إليه، الورقة ١٣٢ (نسخة دار الكتب المصرية وهي بخط الذهبي) وقد جاء في آخرها: «تم اختصاره للذهبي في أواخر سنة أربع وسبع مئة من نسخة الوقف بالناصرية».

تراجم المئة الثانية وبَيَّض هذا القسم ثانية سنة ٧٢٦هـ[١] فجاءت النسخة في واحد وعشرين مجلدًا، يدل على ذلك قوله في طرة المجلد الحادي والعشرين الذي بخطه: «المجلد الحادي والعشرون من كتاب تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام تأليف العبد الفقير إلى الله محمد بن أحمد بن عثمان ابن الذهبي. ثم إنني زدتُ جملةً كثيرةً في أرباب المئة الثانية فآل الحال إلى أنَّ هذا المجلد صار في العدد الحادي والعشرين»[٢]. ولعل هذا هو الذي يفسر لنا ذكر تلميذه ابن شاكر الكتبي «ت ٧٦٤هـ» أنَّ الذهبي ألف «تاريخ الإسلام» في تسعة عشر مجلدًا[٣].

ولكن إذا كان الذهبي قد انتهى من تدوين كتابه في تسعة عشر مجلدًا سنة ٧١٤هـ ثم زاد في تراجم المئة الثانية بعد ذلك فأصبح في واحد وعشرين مجلدًا سنة ٧٢٦هـ فكيف نفسر التناقض الحاصل بين تسلسل عناوين المجلدات الباقية بخطه وبين قوله في نهاية المجلد الحادي والعشرين أنه انتهى منه سنة ٧١٤هـ؟ وهل يعني هذا أنه أعادَ نسخ الكتاب وتنظيمه ثانية منذ سنة ٧٢٦هـ؟ فإذا كان ذلك كذلك فإن التناقض باق بسبب كتابته على طرة المجلد الأخير: إنه المجلد الحادي والعشرون، وأنه صار كذلك بعد الزيادة التي أضافها في أهل المئة الثانية وبَيَّضها سنة ٧٢٦هـ، وقوله في آخر المجلد الأخير نفسه: إنه انتهى منه سنة ٧١٤هـ!

وجوابنا عن ذلك أنَّ المؤلف، فيما نعتقد، لم يبيض سوى المئة الثانية أو قسمًا منها في الأقل، فكان أن زاد هذا القسم المُبيض زيادةً جعلت المؤلف يزيده مجلَّدين آخرين، ثم إنه أعاد كتابه عناوين المجلدات اعتبارًا من المجلد الثامن وحتى المجلد الحادي والعشرين بعد أن أعادَ تنظيمها وصَلَّح بعض ما أمكن تصليحه[٤]، وعليه فإن عناوين هذه المجلدات قد كتبت في حدود سنة

---

(١) وصل إلينا من هذا القسم المبيض تبييضًا ثانيًا بخط المؤلف قسم من وفيات الطبقة الثامنة عشرة في أثناء ترجمة الإمام مالك بن أنس، وجميع الطبقتين التاسعة عشرة والعشرين في حوادثهما ووفياتهما، وهو في (٣٠١) ورقة (أيا صوفيا ٣٠٠٦). وقد جاء في نهاية المجلد: «فرغتُ من تبييض الطبقة تبييضًا ثانيًا في سنة ٧٢٦»، وهذا هو قسم من المجلد السابع من نسخة المؤلف.

(٢) أيا صوفيا ٣٠١٤.

(٣) عيون التواريخ، الورقة ٨٦ (كيمبرج ٢٩٢٣).

(٤) مثل ما فعل في المجلد الثالث عشر حيث حاول تصليحه وجعله المجلد الخامس عشر. =

٧٢٦هـ. بينما بقيت المادة التي احتوتها هي تلك التي انتهى من كتابتها في سنة ٧١٤هـ. واعتقادنا هذا له من الأدلة التي تؤيده ما يجعلنا مطمئنين إليه، وها هي ذي:

١-إن القسم غير المُبَيَّض الذي وصل إلينا بخط الذهبي والذي يتكون من المجلدات: الثاني(١)، والثامن(٢)، والثاني عشر(٣)، والثالث عشر(٤)، والخامس عشر(٥)، والثامن عشر(٦)، والتاسع عشر(٧)، والعشرين(٨)، والحادي والعشرين(٩) مليئة بالزيادة التي كتبها الذهبي بخطه على حواشيها، وفي الطيارات الكثيرة التي وضعها بين الأوراق، بينما لا نجد في المجلد السابع(١٠)، وهو المبيض ثانية، إلا النزر اليسير من ذلك، بل يكاد أن يخلو منه.

٢- يظهر الاختلاف في الخط واضحًا بين النشرتين؛ فخط الذهبي في المجلد السابع أكثر إتقانًا ووضوحًا، وقد خط المؤلف بعض العناوين الداخلية بخط جميل(١١)، ومَيَّزَ التراجم الحافلة عن غيرها بأن خط اسم الشُّهرة بخط غليظ جميل في أعلى الترجمة وفي وسط الصفحة(١٢). بينما لا نجد أي أثر لذلك في المجلدات الأخرى.

٣- وصول بعض الطُّرر المُصَلَّحة إلينا، فمن ذلك طرة المجلد الخامس عشر الذي كان سابقًا المجلد الثالث عشر، وهو تصليح جد ظاهر. ومن ذلك

= ومثل ذلك أيضًا تصليحه طرة عنوان المجلد التاسع عشر وتحويلها إلى المجلد الحادي والعشرين.

(١) أيا صوفيا ٣٠٠٥.
(٢) أيا صوفيا ٣٠٠٧.
(٣) أيا صوفيا ٣٠٠٨.
(٤) أيا صوفيا ٣٠٠٩.
(٥) أيا صوفيا ٣٠١٠.
(٦) أيا صوفيا ٣٠١١.
(٧) أيا صوفيا ٣٠١٢.
(٨) أيا صوفيا ٣٠١٣.
(٩) أيا صوفيا ٣٠١٤.
(١٠) أيا صوفيا ٣٠٠٦.
(١١) انظر مثلا الورقة ١٧١، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٨١، ١٩٢... إلخ.
(١٢) انظر مثلا الورقة ١٩٧، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٢.. إلخ.

أيضًا طرة المجلد الحادي والعشرين الذي كان قبل التصليح المجلد التاسع عشر، وهو تصليح لا يعرفه ولا يلاحظه إلا من يطيل التمعن فيه، فقد حَوَّل الذهبي كلمة «التاسع» إلى «الحادي» بأن غير حرف (التاء) إلى (حاء) ثم وضع ركزةً للسين بحيث صارت دالاً ومَدَّ حرف العين وقَعَّره فصار (ياءً). وهذا هو الذي يفسر التصاق الياء بالدال التصاقًا بينًا، ووجود فتحة فوق الحاء مع عدم الحاجة إليها لأنها كانت في الأصل نقطتي التاء. أما كلمة «عشر» فقد أضاف إليها الياء والنون في آخرها فصارت «عشرين»، وهي تظهر واضحة وقد حُشِرَت بين «عشر» وحرف الجر «من». والطريف أن الفتحات التي وضعها الذهبي فوق كلمة «عشر» ظلت باقية بعد تحويل الكلمة إلى «عشرين»[1].

٤-ويتبين من دراسة السماعات التي كتبها صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي بخطه على صفحات العنوان، وعلى هوامش المجلدات في الداخل، تسلسل تواريخ هذه السماعات ابتداء من أوائل سنة ٧٣٥هـ حتى شهر شعبان منها، ووجود الوقفية على المدرسة المحمودية على معظم المجلدات التي وصلت إلينا وهذا يؤيد أن القسم المبيض سنة ٧٢٦هـ قد أصبح جزءًا من النسخة القديمة.

٥- لم يشر الذهبي في أيٍّ من تلك المجلدات إلى تبييض الكتاب ثانية، بله ما هو مذكور في آخر المجلد الحادي والعشرين من أنه فرغ منه سنة ٧١٤هـ وما جاء في آخر المجلد الخامس عشر بخط الذهبي: «آخر المجلد الثالث عشر والحمد لله»، مع أنه كتب في طرته أنه المجلد الخامس عشر.

إن هذا التناقض الظاهري جعل مفهرسي هذه النسخة في معهد إحياء المخطوطات العربية يظنون أنَّ الذهبي كتبها سنة ٧٢٦هـ وسنة ٧٢٧هـ من غير دليل لديهم غير إشارته الواردة في المجلد السابع[2].

وعلى الرغم من وصول نسخ عديدة من «تاريخ الإسلام»، إلا أنه لم تصل إلينا نسخة كاملة منه، لذلك اعتمدنا في تحقيقنا على المجلدات العشر التي وصلت إلينا بخطه، ثم جمعنا النسخ من خزائن الكتب بالخافقين لما لم يصل إلينا بخطه.

---

(١) انظر صورة طرة هذا المجلد.

(٢) راجع فهرس المخطوطات المصورة، ج٢ قسم١ ص٥٣.

الفصل الأول

نسخة المؤلف

ذكرنا فيما تقدم أنَّ المصنف كتبَ نسختَهُ من «تاريخ الإسلام» في واحدٍ وعشرين مجلدًا بعد إعادة تبييض بعض أقسامها. وقد وصل إلينا منها عَشْر مُجلدات محفوظة في خزانة كتب أيا صوفيا بالأرقام ٣٠٠٥ إلى ٣٠١٤، وفيما يأتي وصف مختصر لها:

١- مجلد أيا صوفيا رقم ٣٠٠٥ (من بداية الترجمة النبوية إلى سنة ٣٠هـ):

وهو المجلد الثاني من نسخة المؤلف التي بخطه، وقد جاء في طرة النسخة «المجلد الثاني[١] من تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام وأوله الترجمة النبوية جمع كاتبه محمد بن أحمد بن عثمان الفارقي ابن الذهبي». وعلى طرة النسخة أيضًا سماع لصلاح الدين الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ على المؤلف وقد كتب بخطه المتقن المليح «قرأت هذه المجلدة، وهي الجزء الثاني من تاريخ الإسلام على كاتبه ومؤلفه شيخنا الإمام الحافظ العلامة قدوة المؤرخين حجة المحدثين شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي- أدام الله الإمتاع بفوائده- في ثمانية عشر ميعادًا آخرها تاسع عشر ربيع الأول سنة ٧٣٥ وسمعها كاملة فتاي طيدمر بن عبدالله الرومي ومن أول الترجمة النبوية إلى آخر ترجمة عيينة بن حصن. وسمع بعض ذلك في مياعيد مفرقة جماعة ذكرتهم في البلاغات على الهامش وأجازنا رواية ذلك عنه أجمع. وكتب خليل بن أيبك بن عبدالله الشافعي الصفدي حامدًا ومصليًا»[٢].

وعلى الطرة أيضًا نص وقفية الكتاب على المدرسة المحمودية بالقاهرة

---

(١) كُتب فوق هذه الكلمة بخط يشبه خط الذهبي، وليس خطه، كلمة «الأول» وهو وهم من هذا الكاتب.

(٢) انظر بعض هذه البلاغات في الأوراق: ١٥، ٣٠، ٤٩، ٦٠، ٧٤، ٨٦، ٩٨، ١٣٠، ١٣٩... إلخ.

وهو: «الحمد لله حق حمده. وقف وحبس وسبل المقر الأشرف العالي الجمالي محمود أستدار العالية الملكي الظاهري- أعز الله تعالى أنصاره- جميع هذا المجلد وماقبله وما بعده من المجلدات من تاريخ الإسلام للذهبي بخطه، وعدة ذلك أحد وعشرون مجلدًا، وقفًا شرعيًا على طلبة العلم الشريف ينتفعون به على الوجه الشرعي. وجعل مقر ذلك بالخزانة السعيدة المرصدة لذلك بمدرسته التي أنشأها بخط الموازين بالقاهرة[1] المحروسة، وشرط الواقف المشار إليه أن لا يخرج ذلك ولا شيء منه من المدرسة المذكورة برهن ولا بغيره. وجعل النظر في ذلك لنفسه أيام حياته ثم من بعده لمن يؤول إليه النظر على المدرسة المذكورة على ما شرح في وقفها. وجعل لنفسه أن يزيد في شرط ذلك وينقص ما يراه دون غيره من النظار، جعل ذلك لنفسه في وقف المدرسة المذكورة، فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه، إن الله سميع عليم، بتاريخ الخامس والعشرين من شعبان المكرم سنة سبع وتسعين وسبع مئة». ثم شهادة اثنين بذلك.

وفي أعلى الطرة خطوط جماعة من العلماء ممن نسخوا تاريخ الإسلام عن هذه النسخة أو اختصروه أو طالعوه واستفادوا منه وهي:

«فرغه نسخًا وقراءة عبدالرحمن بن محمد ابن البعلي داعيًا لجامعه».

و«طالعه وانتقاه وما قبله إبراهيم بن يونس البعلبكي الشافعي».

و«أنهاه تعليقًا البدر البشتكي».

و«طالعه يوسف الكرماني».

و«فرغ تراجمه ترتيبًا محمد ابن السخاوي، ختم له بخير»[2].

يبدأ هذا المجلد، كما مر، بالترجمة النبوية التي تستغرق ١٧٠ ورقة منه وينتهي في أثناء سنة ٣٠ هـ ويقع في ٢٣١ ورقة، وآخر ما فيه ترجمة عيينة بن حصن.

---

(١) في صورة الوقفية الموجودة على المجلدات الأخرى يضيف عبارة «بالشارع الأعظم».

(٢) إن هذه الإشارة تؤيد قول السخاوي في الإعلان (٥٨٩) أنه رتب «تاريخ الإسلام» على حروف المعجم.

٢-مجلد مكتبة أيا صوفيا رقم ٣٠٠٦ (بعض وفيات ١٧١-١٨٠هـ وحوادث ووفيات ١٨١- ٢٠٠هـ):

هذا المجلد مخروم من أوله حيث يبدأ هذا القسم الذي وصل إلينا في أثناء ترجمة الإمام مالك بن أنس من تراجم الطبقة الثامنة عشرة (١٧١- ١٨٠هـ)[١] وتجيء بعدها ١١٥ ترجمة من تراجم الطبقة المذكورة[٢].

وقد عرفنا من إشارة لبدر الدين البشتكي في آخر ترجمة فضالة بن عبدالملك الشَّحام من الطبقة الثامنة عشرة[٣] انتهاء المجلد السادس من نسخة المؤلف[٤]، فتبين لنا أن الساقط من المجلد قد لا يزيد عن تسع أوراق[٥].

وتبدأ حوداث الطبقة التاسعة عشرة (١٨١- ١٩٠هـ) في الورقة ٣٢ وتنتهي عند الورقة ٤٣ حيث تبدأ تراجم أهل الطبقة مرتبة حسب حروف المعجم فتنتهي في الورقة ١٧٠. أما الطبقة العشرون (١٩١- ٢٠٠هـ) فتبدأ حوادثها في الورقة ١٧١ وتنتهي عند الورقة ١٩٢ حيث يبدأ المؤلف بذكر المترجمين من أهل الطبقة العشرين على حروف المعجم، وينتهي المجلد بآخر المترجمين فيه (الورقة ٣٠١).

وهذا المجلد فيما نرى هو قسم من المجلد السابع من نسخة المؤلف التي بخطه والتي أوقفت فيما بعد على المدرسة المحمودية بالقاهرة، وليس المجلد الثامن كما توهم الدكتور لطفي عبدالبديع صانع فهرس معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية[٦]، فقد وصل إلينا المجلد الثامن من النسخة المذكورة وهو يبدأ بالطبقة الحادية والعشرين[٧].

وهذا المجلد من القسم الذي أعاد الذهبي كتابته ثانية سنة ٧٢٦هـ بسبب

---

(١) استغرق القسم الباقي من ترجمة الإمام مالك ثمانية أوراق من النسخة.
(٢) الورقة ٨- ٣١.
(٣) ٤/ ٧٠٧، الترجمة ٢٣٣ من طبعتنا.
(٤) قال البشتكي: «آخر المجلد السادس بخط مؤلفه ومنه نقلت». وهذا عجيب من المصنف أن يُنهي مجلدًا في أثناء طبقة، ولكنه كرر ذلك حينما توقف في المجلد الخامس عشر في أثناء وفيات سنة ٥٤٦هـ!!
(٥) هي الصفحات ٧٠٧- ٧٢٢ من المجلد الرابع من طبعتنا.
(٦) انظر الفهرس المذكور، ج ٢ قسم ١ ص ٥٣.
(٧) انظر وصف المجلد الآتي.

الإضافات الكثيرة التي أضافها على تراجم القرن الثاني بعد تأليف الكتاب[١].

ونجد في نهاية حوادث الطبقتين التاسعة عشرة والعشرين بلاغًا لصلاح الدين الصفدي بقراءة حوادثهما على المؤلف[٢]، ثم خط البدر البشتكي في آخر المجلد الذي يشير فيه إلى انتساخه[٣].

٣- مجلد مكتبة أيا صوفيا رقم ٣٠٠٧ (حوادث ووفيات ٢٠١-٢٣٠هـ):

وهو المجلد الثامن من نسخة المؤلف التي بخطه، وقد جاء في صفحة العنوان بخط الذهبي: «المجلد الثامن من كتاب تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام تأليف كاتبه محمد بن أحمد بن عثمان ابن الذهبي، سامحه الله». وعلى هذه الصفحة أيضًا سماع الصفدي، وصورة وقفية الكتاب على المدرسة المحمودية وخطوط جماعة من الفضلاء. ويقع هذا المجلد في (٢٤٠) ورقة.

يبتدىء المجلد بحوادث الطبقة الحادية والعشرين[٤] (٢٠١- ٢١٠هـ)، فوفياتها مرتبة على حروف المعجم[٥]، ثم يتناول حوادث الطبقة الثانية والعشرين[٦] (٢١١- ٢٢٠هـ) ووفياتها المرتبة على حروف المعجم[٧]، ثم حوادث الطبقة التالية وهي الطبقة الثالثة والعشرون[٨] (٢٢١- ٢٣٠هـ)، وينتهي المجلد بآخر المترجمين من وفيات هذه الطبقة[٩].

---

(١) راجع أعلاه كلامنا على تدوين الكتاب، وانظر الورقة ٣٠١ من هذه النسخة وطرة المجلد الحادي والعشرين الذي في مكتبة أياصوفيا (٣٠١٤).

(٢) الورقة ٤٣، ١٩٢ ونص البلاغ «بلغت قراءة خليل بن أيبك على مؤلفه وكاتبه، فسح الله في مدته».

(٣) الورقة ٣٠١ ونصه «أنهاه تعليقًا البدر البشتكي».

(٤) الورقة ٣-٩.

(٥) الورقة ٩- ٨٥.

(٦) الورقة ٨٦- ٩٤.

(٧) الورقة ٩٤- ١٦٧.

(٨) الورقة ١٦٨- ١٧٦.

(٩) الورقة ١٧٦- ٢٤٠.

وهذا المجلد مليء باستدراكات الذهبي وتعليقاته المدونة في حواشي النسخة وفي الجزازات الكثيرة التي وضعها بين طيات أوراقه.

٤- مجلد مكتبة أيا صوفيا رقم ٣٠٠٨ (وفيات ٣٥١- ٤٠٠هـ).

هذا المجلد هو المجلد الثاني عشر من نسخة المؤلف كما جاء في طرته حيث كتب المصنف عنوانه كما يأتي: «المجلد الثاني عشر من كتاب تاريخ الإسلام، تأليف محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي».

وعلى هذا المجلد سماع صلاح الدين الصفدي، وفي الجهة اليمنى من طرة العنوان خط البدر البشتكي يشير فيه إلى انتساخه: «أنهاه تعليقًا البدر البشتكي». وعليه أيضًا وقفية النسخة على المدرسة المحمودية بالقاهرة، وخطوط جماعة من الفضلاء. يقع هذا المجلد في ٢٦٦ ورقة ويتناول تراجم الطبقات من السادسة والثلاثين إلى آخر الأربعين. والمجلد مليء باستدراكات المصنف وتعليقاته سواء أكان ذلك في حواشيه أم في الجزازات الكثيرة التي وضعها بين الأوراق وألصقها بها.

وكانت جامعة الدول العربية قد صورت هذا المجلد مع المجلدات الأخرى، لكن التصوير كان مهتزًا لا يقرأ بين سنتي ٣٥١- ٣٦٧هـ، لذلك اضطررت إلى شد الرحال من أجله إلى إستابنول في شتاء سنة ٢٠٠٢هـ وقابلت هذا القسم على النسخة الأصلية.

٥- مجلد أيا صوفيا رقم ٣٠٠٩ (وفيات ٤٠١- ٤٥٠هـ):

على هذا المجلد خط السخاوي وبعض الفضلاء وفي آخر النسخة خط البدر البشتكي بالانتهاء من انتساخه. كما نجد خط ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ في حاشية الورقة (٢٣١) عند ترجمة أبي العلاء المعري.

ويقع هذا المجلد في (٢٤٧) ورقة لكن نسختي المصورة منه تقع في ٤٩٤ لوحة ذات وجه واحد[1]. ويلاحظ كثرة استدراكات المؤلف وتعليقاته في حواشي النسخة وفي الجزازات الكثيرة التي وضعها بين طيات المجلد.

---

(١) أبقيت على هذا الترقيم لوجوده في أصل نسختي المصورة، والظاهر أن أحدهم قد رقم النسخة الأصلية.

ويتضمن هذا المجلد وفيات الطبقات من الحادية والأربعين إلى آخر الطبقة الخمسين (٤٠١- ٤٥٠هـ).

وقد جاء في الطرة التي وصلت إلينا لهذا المجلد بخط الذهبي: «المجلد الحادي عشر من كتاب تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام تأليف محمد ابن أحمد بن عثمان ابن الذهبي، عفا الله عنه». ويبدو لنا أنَّ هذا العنوان هو العنوان الذي كان يحمله هذا المجلد قبل أن يعيد الذهبي تنظيم كتابه ثانية بسبب الزيادات الكثيرة الحاصلة في تراجم أهل المئة الثانية[١]. فهذا هو المجلد الثالث عشر والذي وجدنا على طرته صورة وقفية الكتاب على المدرسة المحمودية وخط الصفدي بقراءة حوادثه على المؤلف، ثم إن السخاوي أشار إلى أن المجلد العاشر ينتهي بسنة ٣٠٠هـ[٢]، فكيف يصح بعد هذا أن يكون هذا المجلد هو المجلد الحادي عشر؟ ولكن أين ذهب العنوان الجديد الذي وضعه الذهبي لهذا المجلد بعد أن أصبح الثالث عشر؟ ثم أين هي صورة وقفية الكتاب على المدرسة المحمودية وخط الصلاح الصفدي بالقراءة على شيخه؟

فنقول: إننا نعتقد أصلاً أن هذا الذي وصل إلينا هو ليس جميع المجلد الثالث عشر بل القسم الخاص بالوفيات منه، أما الحوادث التي تضمنها هذا المجلد والتي استرجحنا أنها تناولت المدة نفسها فلم تصل إلينا. فلعل العنوان الجديد كان في صدر الحوادث، وهو الذي عليه خط الصفدي وصورة الوقفية كما هو في المجلد الخامس عشر الذي سيأتي وصفه، وكأن المجلد صار في قسمين: قسم خاص بالحوادث وقسم خاص بالوفيات. أما خط السخاوي على طرة المجلد فهو أمر طبيعي لأن السخاوي لم يهتم بالحوادث وكان اهتمامه ينصب على تجريد التراجم فقط. يضاف إلى ذلك أن المجلد الثالث عشر الذي وصل إلينا بخط البدر البشتكي في نسخة المتحف البريطاني رقم (٤٩ شرقيات) قد تضمن الحوادث المذكورة، كما سيأتي بيانه في الفصل الثاني من هذا الباب.

---

(١) انظر أعلاه كلامنا على تدوين الكتاب.

(٢) الإعلان، ص ٥٩٧، وانظر أدناه كلامنا على الخطة العامة للكتاب في الفصل الأول من الباب الثاني.

٦- مجلد مكتبة أيا صوفيا رقم ٣٠١٠ (حوادث ٥٠١- ٥٥٠هـ ووفيات ٥٠١ إلى أثناء ٥٤٦هـ):

ويقع هذا المجلد في (٣٢٣) ورقة، ويشمل حوادث السنوات (٥٠١- ٥٥٠[1] هـ) والوفيات من سنة ٥٠١هـ إلى أثناء سنة ٥٤٦هـ وآخر ما فيه ترجمة «علي بن مرشد بن علي بن مقلد الكناني الشيزري» من وفيات السنة المذكورة. وجاء في آخر النسخة بخط الذهبي: «آخر المجلد الثالث عشر والحمد لله يتلوه: علي بن هبة الله».

على أنه جاء في طرة المجلد بخط الذهبي وبخط جميل: «المجلد الخامس عشر من كتاب تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام تأليف كاتبه محمد بن أحمد بن عثمان ابن الذهبي، سامحه الله»، ثم نجد بعد ذلك خط الصفدي بقراءة حوادث السنين من هذه المجلدة على المؤلف، وصورة وقفية الكتاب على المدرسة المحمودية بالقاهرة، ثم خط السخاوي بالفراغ من ترتيب تراجمه، ثم نجد بعد ذلك في الورقة (٤٨) من النسخة عنوانًا آخر بخط الذهبي أيضًا كان مكتوبًا فيه أولاً: «المجلد الثالث عشر من تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام جمع كاتبه محمد بن أحمد بن عثمان ابن الذهبي الدمشقي» ثم صحح كلمة «الثالث» بقطة قلم دقيقة بحيث أصبحت «الخامس» وكتب فوقها بالقطة الدقيقة نفسها كلمة «حوداث» فأصبح العنوان «حوادث المجلد الخامس عشر. . . » ولم نجد على هذه الطرة خط الصفدي ولا صورة الوقفية غير إشارة بخط البدر البشتكي وهي: «أنهاه كتابة البدر البشتكي» ثم مرور أحدهم على النسخة.

وتفسير ذلك- فيما نرى- بسيط، فهذا هو عنوان المجلد قبل أن يعيد الذهبي تنظيم كتابه مرة ثانية، وقد اضطر بسبب هذا التنظيم أن يعيد كتابة بعض المجلدات. واسترجحنا أنَّه غَيَّرَ عناوين المجلدات الأخرى من غير تغيير أو إعادة كتابة لمحتويات هذه المجلدات بحيث بقيت إشارته في نهاية هذا المجلد أنه المجلد الثالث عشر[2].

---

(١) الورقة ٢- ٤٧.

(٢) انظر أعلاه كلامنا على تدوين الكتاب.

والظاهر أن بعض الطرر القديمة بقيت موجودة، وأن الذهبي حاول الاستفادة منها ليضعها كالعناوين الداخلية للحوادث أو الوفيات. فهذا بالتأكيد هو المجلد الخامس عشر من نسخة الذهبي التي بخطه، وقد وصل إلينا كاملاً.

٧- مجلد مكتبة أيا صوفيا رقم ٣٠١١ (حوادث ووفيات ٦٠١- ٦٢٠هـ):

وهو المجلد الثامن عشر من نسخة المؤلف التي بخطه والموقوفة على المدرسة المحمودية بالقاهرة، وعليه خط الصفدي بسماع الحوادث التي تضمنها هذا المجلد. ويقع في (٢٥١) ورقة. وجاء في طرة المجلد بخط الذهبي: «المجلد الثامن عشر من كتاب تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام تصنيف محمد بن أحمد بن عثمان ابن الذهبي- عفا الله تعالى عنه». ثم بخطه أيضًا إجازة لبعض الفضلاء برواية كتابه هذا ومن بينهم حفيده وسبطه. وفي أعلى الطرة من الجهة اليمنى خط السخاوي بالإفادة من هذا المجلد في كتابه «طبقات المالكية» ونصه: «طالعته على طبقاتي للمالكية، كتبه محمد ابن السخاوي- غفر الله له[1]». كما نجد في آخر الوفيات خط السخاوي بالانتهاء من ترتيب الكتاب وخط كل من: البدر البشتكي ويوسف بن يحيى بن محمد الكرماني بنسخه[2].

يبدأ المجلد بوفيات الطبقة الحادية والستين (٦٠١- ٦١٠هـ) مرتبة كالعادة على السنين[3]، وتنتهي الوفيات بآخر المتوفين من الطبقة الثانية والستين حيث قال: «وقد انقضى ما انتهى إليَّ علمه من وفيات هؤلاء الذين انتقلوا إلى الله في هذه العشرين سنة فلنشرع فيما وقع الاختيار عليه من حوادث هذه العشرين سنة- إن شاء الله- والحمد لله على كل حال»[4]، ثم ذكر

---

(١) قال السخاوي في «الإعلان» عند كلامه على الكتب المؤلفة في تراجم الفقهاء المالكية: «وعملت لهم كتابًا حافلاً في المسودة بعد أن رتبت كتاب ابن فرحون ترتيبا معتبرًا، وجردت من المدارك ما لم يذكره ابن فرحون كل واحد في مجلد» (ص ٥٦٣).

(٢) الورقة ٢١٧.

(٣) الورقة ٢- ٨٩.

(٤) الورقة ٢١٧.

الحوادث الواقعة في تلك السنوات، وبانتهائها ينتهي المجلد.

٨- مجلد مكتبة أيا صوفيا رقم ٣٠١٢ (وفيات ٦٢١- ٦٤٠هـ، وحوداث ٦٢١- ٦٥٠هـ):

وهو المجلد التاسع عشر من نسخته الموقوفة على المدرسة المحمودية بالقاهرة، وعليه خط الصفدي بسماع الحوادث، وخط السخاوي بالإفادة منه في كتابه عن تراجم المالكية والفراغ من تجريد تراجمه. ويقع في (٢٧٠) ورقة. وقد جاء في طرته بخط الذهبي: المجلد التاسع عشر من كتاب تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام تأليف محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز مولى بني تميم».

ابتدأ هذا المجلد بأول الطبقة الثالثة والستين (٦٢١- ٦٣٠هـ)، ثم انتهى منها[١]، وتناول وفيات الطبقة الرابعة والستين (٦٣١- ٦٤٠هـ)[٢]، ثم تناول الحوادث الواقعة في السنوات ٦٢١- ٦٥٠هـ متتالية[٣].

٩- مجلد مكتبة أيا صوفيا رقم ٣٠١٣ (وفيات ٦٤١- ٦٧٠هـ) وحوادث ٦٥١- ٦٧٠هـ):

وهو المجلد العشرون من نسخة المؤلف. وقد خط المؤلف عنوانه بخط جميل. ووجدنا على طرة هذا المجلد ما وجدناه على طرة المجلد السابق مثل خَطَّي الصفدي والسخاوي، وصورة وقفية النسخة على المدرسة المحمودية بالقاهرة.

يقع هذا المجلد في (٣٠٨) أوراق. وقد ابتدأه بوفيات سنة ٦٤١هـ من الطبقة الخامسة والستين واستمر إلى آخر وفيات سنة ٦٧٠هـ من الطبقة السابعة والستين، ثم تناول الحوادث الواقعة في السنوات ٦٥١- ٦٧٠هـ، وقد لاحظنا أنه ذكر حوادث السنوات ٦٤١- ٦٥٠هـ في المجلد السابق، وهي من حوادث هذا المجلد.

---

(١) الورقة ١٠٤.

(٢) الورقة ١٠٥- ٢٢٧.

(٣) الورقة ٢٢٧- ٢٧٠.

١٠- مجلد مكتبة أيا صوفيا رقم ٣٠١٤ (حوادث ووفيات ٦٧١-٧٠٠هـ):

وهو المجلد الحادي والعشرون والأخير من نسخة المؤلف الموقوفة على المدرسة المحمودية بالقاهرة. وكان هذا المجلد في الأصل المجلد التاسع عشر قبل أن يعيد الذهبي تنظيم كتابه[1]. وقد جاء في طرته «المجلد الحادي عشرين، من كتاب تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام تأليف العبد الفقير إلى الله محمد بن أحمد بن عثمان ابن الذهبي». وجاء أسفل ذلك بخطه: «ثم إنني زدت جملة كثيرة من أرباب المئة الثانية فآل الحال إلى أن هذا المجلد صار في العدد المجلدَ الحادي والعشرين». ثم نجد في أعلى الطرة من الجهة اليمنى خط السخاوي بالإفادة منه في كتابه عن المالكية. ونجد أيضًا خط الصفدي بسماع هذا المجلد وجميع ما سمعه من تاريخ الإسلام على مؤلفه، وقد جاء فيه: «قرأتُ حوادث السنين من هذا المجلد وهي أول سنة إحدى وسبعين وست مئة إلى آخر سنة سبع مئة على مؤلفه وكاتبه الشيخ الإمام الحافظ العلامة شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. وكذلك قرأتُ عليه من أول الترجمة النبوية إلى آخر أيام الحسن بن علي- رضي الله عنهما- ثم قرأتُ الحوادث من هذا التاريخ سنة فسنة[2] حتى أكملتُ الجميع، وسمع ذلك أجمع فتاي طيدمر بن عبدالله الرومي، وفاته من ذلك شيء يسير مذكور في بعض المجلدات من هذا التاريخ. وأجازنا الشيخ رواية هذا الكتاب ورواية ما يجوز له تسميعه في مدة آخرها خامس عشري شعبان سنة خمس وثلاثين وست مئة. وكتب خليل بن أيبك بن عبدالله الصفدي حامدًا ومصليًا». ثم وضع الذهبي خطه أسفل ذلك للإعلام بصحة ذلك. وجاء في آخر وفيات الطبقة السبعين: «وهذا آخر الطبقة السبعين وهنا نقف ونحمد الله عودًا على بدء ونسأله أن يصلي على محمد وآله ويسلم». ثم نجد في هذه الورقة خطوط جماعة من العلماء منها خط الصفدي بالإفادة من التراجم وهو: «فـــــــــــــــرغ منـــــــــــــــه

---

(١) انظر التفاصيل في كلامنا على تدوين الكتاب أعلاه.

(٢) وبذلك يشير الصفدي أيضًا إلى قراءته المغازي، وهي بين ١- ١١هـ (وانظر الوافي، ج٢ ص ١٦٣).

اختيارًا من أوله إلى آخره في مدة كان آخرها رابع عشري شهر المحرم سنة أربعين وسبع مئة خليل بن أيبك بن عبدالله الشافعي الصفدي حامدًا الله ومصليًا على نبيه محمد ومسلمًا، اللهم أحسن العاقبة». ومنها خط بدر الدين البشتكي بتعليق نسخة من الكتاب ونصه: «علق منه نسخة في إحدى وعشرين مجلدة الفقير إلى الله محمد بن إبراهيم البشتكي- لطف الله به». وتحت خط البشتكي خط السخاوي بالفراغ من ترتيبه. وفي أسفل الورقة خط يوسف بن يحيى الكرماني بمطالعة الكتاب سنة ٨٦٨هـ. وفي الجهة اليسرى خط العلامة المؤرخ عماد الدين ابن كثير الدمشقي ونصه: «أنهاه مطالعة من أوله إلى هذا المجلد وعلق منه داعيًا لمؤلفه شيخنا الإمام العلامة الحافظ مؤرخ الإسلام أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان ابن الذهبي أثابه الله وجزاه خيرًا. وكتب إسماعيل بن عمر بن كثير الشافعي، عفا الله الكريم عنه بمنه آمين».

ونص الذهبي في آخر هذا المجلد على انتهاء الكتاب وتاريخه، فقال: «هذا آخر ما قضى الله لي تأليفه من كتاب تاريخ الإسلام والحمد لله على الإتمام والصلاة على نبينا محمد وآله والسلام. فرغتُ منه في جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وسبع مئة. قاله محمد بن أحمد بن عثمان».

ويقع هذا المجلد في (٣٤٥) ورقة. وقد تناول فيه الحوداث والوفيات للفترة من سنة ٦٧١هـ إلى سنى ٧٠٠هـ وهي الطبقات من الثامنة والستين إلى السبعين وكان يذكر وفيات الطبقة حسب السنين ثم يذكر حوادثها بعد ذلك.

الفصل الثاني

وصف النسخ الأخرى

تبين لنا من وصف المجلدات العشرة التي وصلت إلينا بخط المؤلف أنه تحصل عندنا من هذه النسخة ما يأتي:

١- الترجمة النبوية وخلافة الصديق وإلى سنة (٣٠هـ).

٢- قسم من وفيات الطبقة الثامنة عشرة (١٧١- ١٨٠هـ) في أثناء ترجمة الإمام مالك ابن أنس.

٣- حوادث ووفيات (١٨١- ٢٣٠هـ).

٤- وفيات (٣٥١- ٤٥٠هـ).

٥- حوادث (٥٠١- ٥٥٠) ووفيات (٥٠١- ٥٤٦هـ).

٦- حوادث ووفيات (٦٠١- ٧٠٠هـ).

ولما كانت نسخة المؤلف هي المعتمدة في التحقيق ولا فائدة من النسخ الأخرى المنتسخة عنها في تحقيق النص، فقد أهملنا المجلدات الموافقة لها في هذه المدد، إلا في حالات نادرة حين أجحف التصوير ببعض الكلمات أو الجمل المدونة في حواشيها حيث استعنا بالنسخ الأخرى لمعاونتنا في القراءة.

من هنا سوف نقتصر في وصف النسخ الأخرى التي تسد الأحد عشر مجلدًا التي لم تصل إلينا بخط المصنف والمشتملة على غير المدد المذكورة آنفًا:

١- المجلد الأول من نسخة بخط بدر الدين البشتكي (١- ١١هـ)[1]:

---

(١) إن الرقم المذكور بين الحاصرتين يمثل السنوات التي استفدناها من أي مجلد في تحقيقنا للكتاب، فقد نستخدم المجلد كله حينما لا يتضمن إلا السنوات التي ليست في المجلدات من نسخة المؤلف التي وصلت إلينا كما في هذا المجلد، وقد نستخدم بعضه، وهو المذكور بين الحاصرتين حينما يتضمن المجلد زيادة عما أفدنا منه كما في المجلد الآتي وصفه بالرقم ٣ و٥ و٦ و١١ و٢١... إلخ. وهذه السنوات تتضمن الحوادث =

يُعد بدر الدين محمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي الأصل البشتكي الظاهري المتوفى سنة (٨٣٠هـ) أفضل من تصدَّى «لتاريخ الإسلام» بالنَّسْخ، إذ نسخ عن نسخة المؤلف التي بخطه نسختين كل واحدة منهما في واحد وعشرين مجلدًا ضخمًا، فكان يُتابع الذهبي في تقسيمه للمجلدات إلا في حالات قليلة.

وقد اعترف العلماء، ومنهم الحافظان ابن حجروالسخاوي، بصحة نقله وضبطه، قال السخاوي في وفيات سنة (٨٣٠هـ) من «وجيز الكلام»: «العلامة أحد أئمة الأدب ونادرة الوقت في سرعة الكتابة مع الصحة»[١].

وكانت إحدى هاتين النسختين محفوظة في المدرسة الباسطية بالخرنفش من القاهرة، كما هو ثابت في طرة نسخة فيض الله، وكما نص عليه السخاوي في «الإعلان»[٢]، ثم نُقل بعضها إلى دار الكتب المصرية حيث ما زالت هناك، كما توجد مجلدات منه في المتحف البريطاني بلندن، ودار الكتب الظاهرية بدمشق، ومكتبة كوتا بألمانيا. وصارت هذه النسخة أصلاً يُنتسخ منه، كما هو ظاهر في نص بعض نُسَّاخ مجلدات «تاريخ الإسلام» المحفوظة في المكتبة الأحمدية بحلب، وأوقاف بغداد، والمكتبة الوطنية في باريس، ومكتبة البودليان بأكسفورد، وغيرها.

والمجلد الأول الذي نصفه هو من نسخة أخرى، غير النسخة التي كانت محفوظة بالمدرسة الباسطية، وهو اليوم في مكتبة فيض الله بإستانبول رقم (١٤٨٠)، والظاهر أن الأتراك جلبوه إليها من القاهرة بعد استيلائهم عليه ونقل كثير من الأوقاف إلى خزائن الكتب في إستانبول.

ويتضمن هذا المجلد المغازي، أو تاريخ الرسول ﷺ في المدينة (١-١١هـ)، ويتكون من (١٧٨) ورقة، لكل ورقة وجهان، مسطرة الوجه (٢٣) سطرًا، في كل سطر قرابة (١٥) كلمة، نُسِخَ عن المجلد الأول من نسخة

= والوفيات إلى سنة ٣٠٠هـ. أما بعد ذلك فسوف نشير إليه وننص عليه.

(١) وجيز الكلام ٢/ الترجمة ١١٣٦ بتحقيقنا، وانظر إنباء الغمر لابن حجر ٨/ ١٣٢، وبدائع الزهور لابن إياس ٢/ ١١٣.

(٢) الإعلان بالتوبيخ ٥٩٨ بتحقيق روزنتال، وترجمه أستاذنا العلامة الدكتور صالح أحمد العلي.

المؤلف، قال البشتكي في آخره: «آخر المجلد الأول من كتاب تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام تأليف الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ابن الذهبي، ومن خطه نقلت. وأنهاه تعليقًا الفقير إلى عفو الله وغفرانه ولطفه محمد بن إبراهيم بن محمد البشتكي، لطف الله به بمنه وكرمه، والحمد لله أولاً وآخرًا، وباطنًا وظاهرًا، اللَّهُمَّ صَلِّ على سيدنا محمد وآله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، والطُفْ بمن كُتِبَ من أجله في نفسه وولده وأعنه وانفع به يارب العالمين، وحسبي الله ونعم الوكيل».

ويمتاز خط البشتكي بالدقة، وتظهر عليه آثار السرعة، وهو في غاية الجودة لمن يتعود قراءته، أما نقله فمتقن جدًّا إذ تُعد نسخته أفضل نسخة بعد نسخة المؤلف.

وقد كُتب عنوان المجلد في طرة الكتاب: «الجزء الأول من تاريخ الإسلام للذهبي»، ثم كتب أحدهم إلى جنبه: «بخط البدر البشتكي»، ثم كتب تحته أحد الجُهلاء: «تأليف العالم الكامل الحافظ شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد الحصري (كذا) المتوفى سنة ست وأربعين وسبع مئة (كذا) رحمه الله».

وكتب أحد الفُضَلاء الفُهَماء تعليقًا في أعلى الورقة الداخلية التي تسبق الورقة الأولى ما نصه: «هذا المجلد بخط البدر البشتكي، وفي المدرسة الباسطية نسخة أخرى مخرومة، فلما وجدتُ هذا المجلد في الشام ظننتُ أنه من نسخة الباسطية، فصحبتُهُ معي إلى القاهرة لأضعه في خزانة المدرسة المذكورة... والأجزاء التي فيها، فوجدتُ في تلك الأجزاء المجلد الأول (فتبين أن) هذا المجلد ليس من نسخة الباسطية بل من نسخة أخرى».

وقد رمزنا لهذه النسخة بالحرف «ف»، ولكن غالبًا ما نصرح باسم البشتكي فيما يتصل بجميع المجلدات التي وصلت إلينا بخطه نظرًا لأهمية نسخته ونفاستها.

٢-المجلد الأول من نسخة أخرى بخط البدر البشتكي (٢-١١هـ).

وهو المجلد الأول من نسخة البدر البشتكي التي كانت بالمدرسة الباسطية بالخرنفش من القاهرة، وهو اليوم في المكتبة الوطنية بتونس برقم

(١٤٢٣٩)، وهو مخروم الأول حيث يبدأ في أثناء الكلام على وقعة بدر، ويقع في (١٥١) ورقة ذات وجهين، ومسطرته مثل المجلد السابق. والظاهر أن هذا الخرم قديم حيث أشار إليه أحدهم في طرة المجلد الأول الموصوف أعلاه حينما قال: «وفي المدرسة الباسطية نسخة أخرى مخرومة».

وجاء في آخره: «آخر المجلد الأول من تاريخ الإسلام علقه من خط مؤلفه الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي الفقير إلى عفو الله تعالى محمد بن إبراهيم بن محمد البشتكي، غفر الله ذنوبه وستر عيوبه بمنه وكرمه».

وقد رمزنا له بالحرف «س».

٣- المجلد الأول من النسخة المحفوظة في مكتبة الأمير عبدالله ابن عبدالرحمن آل سعود الخاصة بالرياض (١- ١١هـ):

يتناول هذا المجلد المدة من (١- ١١هـ) مثل المجلدين السابقين، ولكنه يزيد على المجلدين السابقين بأنه تضمن قسمًا من الترجمة النبوية حتى نهاية خبر وفاة خديجة رضي الله عنها.

تقع هذه النسخة في (٢٠٠) ورقة، مسطرتها (٢٧) سطرًا، في كل سطر (١٥) كلمة تقريبًا، وقد انخرم قدر ورقة من أولها، وفيها بعض مقدمة الذهبي لكتابه، حيث يبدأ هذا المجلد في أثناء كلامه على المصادر التي أفاد منها في تأليف كتابه وهو قوله: «للإمام أحمد وتاريخ المفضل بن غسان الغلابي...». كما وقع فيها خرم عند الورقة (٢٧) من ترقيمي بسبب أن الناسخ وجد الأمر كذلك في الأصل الذي انتسخ منه، ويبدأ من أواخر الكلام على غزوة الخندق وينتهي في أثناء الكلام على غزة أحد، وهو يساوي ص ٩٢- ١١٤ من المجلد الأول من طبعتنا.

كتبت هذه النسخة سنة ١٢١٣هـ وجاء في آخرها: «نجز الجزء الأول من تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام من تأليف الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، والله المحمود على إتمامه وكماله، ويتلوه الجزء الثاني المبدوء بقصة الإسراء وذلك في صبح يوم الاثنين رابع عشر ربيع الأول عام ألف ومئتين وثلاثة عشر أحسن الله تعالى ختامه، والمرجو ممن اطلع على هفوة صغيرة أو كبيرة أن يصلحها، لأن الأصل الذي نقلته منه كثير

التحريف، والله أسأل أن يهدينا لإصابة الصواب وأن يوفقنا لصالح الأعمال بمنه وكرمه، آمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم».

وقد رمزنا له بالحرف «ع».

٤- مجلد مكتبة السلطان أحمد الثالث بإستانبول رقم ١/٢٩١٧ (١-١١هـ):

وهو المجلد الأول من نسخة تتكون من ثمانية عشر مجلدًا كانت في ملك محمد بن أحمد بن إينال العلائي الدوادار الحنفي من أهل القرن التاسع[1]، ويتكون من (٢٨٠) ورقة، مسطرتها (٢٥) سطرًا في كل سطر (١٠-١١) كلمة، وفيها جميع المغازي. وخط النسخة قليل الإعجام صعب القراءة على غير المختصين لكنه دقيق ومتقن.

وقد رمزنا له بالحرف «أ».

٥- المجلد المحفوظ في خزانة كتب كوبرلي بإستانبول رقم ١٠١٥ (١-١١هـ) و(٣١- ٤٠هـ):

يتكون هذا المجلد من (٣٠٧) أوراق، مسطرتها (٢٩) سطرًا وفيه بعض الخروم. تبدأ النسخة من أول الكتاب إلى آخر الطبقة الرابعة، وآخر ما فيه ترجمة أبي رافع القبطي مولى رسول الله ﷺ[2]، وتنتهي المغازي في ظهر الورقة (١١٩)، ووقع فيها بعض الخروم، ومنها خرم قدر ورقتين أعاد نسخه أحدهم فأكمل النسخة، وهي من منتسخات القرن التاسع الهجري كما يدل على ذلك الورق وبعض النصوص.

وهذه النسخة هي التي استفاد منها سبط ابن حجر المتوفى سنة ٨٩٩هـ في كتابه «رونق الألفاظ» وكتب بخطه على كراسة منها: «مررت على هذه الكراسة وأصلحتها وقابلتها على نسخة بخط البدر البشتكي فصحت». وفي آخر هذا المجلد خط ابن الملا بتلخيص «تاريخ الإسلام» من هذه النسخة ونصه: «مررت على هذا المجلد وانتخبته من أوله إلى آخره، وكان الفراغ من

---

(١) ينظر الضوء اللامع للسخاوي ٦/ ٢٩٥.

(٢) عند الصفحة ٣٨٠ من المجلد الثاني من طبعتنا.

انتخابه في سابع عشر المحرم سنة أربع وثمانين وتسع مئة؛ قال ذلك وكتبه أحمد ابن الملا محمد الشافعي عفا الله عنهما».

وفي آخرها أيضًا خط ابن العمادي ونصه: «الحمد لله، طالعت هذه النسخة الشريفة، وسرحت طرق الطرف في روضتها الوريفة واجتنيت ثمر فوائدها واجتليت غرر فرائدها في ربيع الأول سنة ١٠٣٣. كتبه الفقير عبدالرحمن العمادي الحنفي، عُفي عنه».

وقد رمزنا له بالحرف «ك».

٦- مجلد كيمبرج رقم ٢٩٢٦ (١-١١هـ):

يقع هذا المجلد في (٢٣٨) ورقة، مسطرتها (٢٩) سطرًا، وتنتهي المغازي فيه عند الورقة (١٣١) ثم يستمر إلى آخر الترجمة النبوية، وبذلك شمل المجلد الأول من نسخة المؤلف والقسم الأكبر من المجلد الثاني.

كتب هذا المجلد حسن بن علي بن محمد الزركشي وانتهى منه يوم الجمعة الثاني من شهر ربيع الأول سنة (٨٤٥هـ)، وقد وقع فيه بعض الخروم.

وقد رمزنا له بالحرف «ج».

ونظرًا لنفاسة نسخة البشتكي فقد كان المعوّل عليها في تحقيق القسم الخاص بالمغازي لا سيما وقد وقعت لنا منها نسختان وإن كانت الثانية فيها خرم.

٧- مجلد من نسخة البشتكي في دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٧٨٧٥ (٤١- ٧٠هـ):

تقدم وصف النسخة في كلامنا على المجلد الأول منه. وهو قطعة من المجلد الثالث من نسخة البدر البشتكي الذي يفترض أن يبدأ من الطبقة الرابعة. وتتضمن هذه القطعة الطبقات الخامسة والسادسة ومعظم السابعة (٤١- ٧٠هـ).

تقع هذه القطعة في (١١١) ورقة، جاء في أوله: «بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد وسلم. الطبقة الخامسة. ثم دخلت سنة إحدى وأربعين. ويسمى عام الجماعة...» وآخر ما

فيه آخر ترجمة معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي (الترجمة ١٠٧ من الطبقة المذكورة ٢/ ٧٢٣ من طبعتنا)، فيبقى الناقص من هذه الطبقة (٢٩) ترجمة (٢/ ٧٢٢- ٧٥٠).

وقد رمزنا له بالحرف «ظ».

٨- مجلد من نسخة البشتكي في دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٧٨٧٦ (٧١- ١٠٠هـ):

وهي قطعة من المجلد الرابع من نسخة البدر البشتكي الذي يبدأ بالطبقة الثامنة، وتشمل هذه القطعة أكثر الطبقة الثامنة ثم الطبقة التاسعة ونصف الطبقة العاشرة، وتقع في (١٠٣) أوراق.

ويلاحظ أن الورقة الأولى من هذه القطعة هي من بقية القطعة السابقة (ظاهرية ٧٨٧٥) حيث تتضمن ترجمة معقل بن يسار المزني، ومعن بن يزيد بن الأخنس، والمغيرة بن أبي شهاب المخزومي، والمنذر بن الجارود العبدي، والمنذر بن الزبير بن العوام، والنابغة الجعدي، ونجدة بن عامر الحروري، والقسم الأكبر من ترجمة النعمان بن بشير (٢/ ٧٢٣- ٧٢٨ من طبعتنا).

ثم يأتي بعد ذلك ما بقي من المجلد الرابع- من غير هذه الورقة- وأوله بقية ترجمة جابر بن عبدالله الأنصاري من الطبقة الثامنة (٢/ ٨٠٠ من طبعتنا)، فالناقص من الطبقة الحوادث وثلاث عشرة ترجمة (٢/ ٧٥٣- ٨٠٠ من طبعتنا). وتنتهي القطعة عند منتصف الطبقة العاشرة تقريبًا حيث إن آخر ما فيها ترجمة أبي محمد عبدالله بن ساعدة الهذلي المدني (رقم ١١٠، ٢/ ١١٢٣ من طبعتنا).

وقد رمزنا له بالحرف «ظ».

٩- مجلد أيا صوفيا رقم ٣٠١٦ (٤١-١٢٠هـ):

يقع هذا المجلد في (٢٤٦) ورقة، مسطرتها (٢٩) سطرًا، في كل سطر (١٤- ١٥) كلمة، كتب بخط نسخي مقروء، وكتبت أوائل الأسماء بالحمرة، وليس عليه تاريخ نسخ ولعله من منتسخات القرن التاسع الهجري.

يتضمن هذا المجلد حوادث ووفيات الطبقات من الخامسة إلى الثانية عشرة (٤١- ١٢٠هـ).

وقد رمزنا له بالحرف «ص».

١٠- مجلد خزانة كتب كوبرلي بإستانبول رقم ١٠١٦ (٥١-٨٠هـ):

يقع هذا المجلد في (٢١٧) ورقة، مسطرتها (٢٥) سطرًا، وخطها نسخي جيّد كتب سنة (٨١٤هـ)، وفيه من أول الطبقة السادسة إلى آخر الطبقة الثامنة، وهو ما يساوي في طبعتنا (ص ٤٥٧- ٩٠٢) من المجلد الثاني. كتب على طرته: «الجزء الرابع من تاريخ الإسلام تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ القدوة قدوة المحدثين حجّة المؤرخين شمس الدين أبي عبدالله محمد ابن أحمد بن عثمان الذهبي أمتع الله بفوائده وأسكنه الجنة» وعليه مجموعة تملكات. وقد أتلفت الأرضة أطرافه ولكنها لم تؤذ الكتابة، وآخر ما فيه ترجمة الأغر بن سُليك، آخر المترجمين في الطبقة الثامنة، وجاء في آخره: «تم الجزء المبارك بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل». ثم فيه: «وكان الفراغ في اليوم المبارك يوم الأحد سادس عشر شوال المبارك سنة أربع عشرة وثمان مئة من الهجرة النبوية أحسن الله عاقبتها في صحة وعافية. كتبه العبد الفقير إلى ربه عز وجل محمد بن محمد البغدادي الحنبلي العباسي غفر الله له ولصاحبه ولجميع المسلمين، آمين. يتلوه في الذي يليه الطبقة التاسعة: ثم دخلت سنة إحدى وثمانين».

وقد رمزنا له بالحرف «ك».

١١- المجلد المحفوظ في خزانة كتب كوبرلي بإستانبول رقم ١٠١٨ (٨١- ١١٠هـ):

يقع هذا المجلد في (٣٥٨) ورقة، مسطرتها (٢٥) سطرًا، وخطه في الغاية من الجمال والإتقان، وهو يتكون من قسمين يهمنا هنا القسم الأول منه حيث يبدأ من الطبقة التاسعة إلى أثناء الطبقة الحادية عشرة حيث ينتهي في الورقة (١٦٨) وآخر ترجمة فيه هي ترجمة عبدالرحمن بن جابر بن عبدالله الأنصاري (٣/ ٨٥ من طبعتنا). كتب في آخره: «تم الجزء ولله الحمد، يتلوه عبدالرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري المدني».

أما القسم الثاني فإنه يبدأ بوفيات سنة (٦٥٦هـ) وينتهي بآخر حوادث سنة (٦٧٠هـ)، وعندنا ما يقابله بخط المصنف.

وقد رمزنا له بالحرف «ك».

١٢- مجلد مكتبة السلطان أحمد الثالث رقم ٢٩١٧/ ٣ (٦١- ١٢٠هـ).

وهو المجلد الثالث من هذه النسخة، وقد وصفنا المجلد الأول منها. يقع هذا المجلد في (٢٨٢) ورقة، وفيه الطبقات من السابعة إلى الثانية عشرة.

وقد رمزنا له بالحرف «أ».

١٣- مجلد مكتبة السلطان أحمد الثالث رقم ٢٩١٧/ ٤ (١٢١- ١٥٠هـ):

وهو المجلد الرابع من هذه النسخة، ويقع في (٢٥١) ورقة ويشمل الطبقات من الثالثة عشرة إلى آخر الطبقة الخامسة عشرة، وصفته صفة المجلدات السابقة.

وقد رمزنا له بالحرف «أ».

١٤- المجلد السابع من نسخة دار الكتب المصرية ٤٢ تاريخ (١٢١- ١٥٠هـ):

وهو في (١٤٥) ورقة، مسطرتها ٢٩ سطرًا، كتب بخط النسخ، ولعله من منتسخات القرن التاسع، ويشمل الحوادث والوفيات للطبقات من الثالثة عشرة إلى الخامسة عشرة (١٢١- ١٥٠هـ)، وجاء في آخره: «آخر الطبقة الخامسة عشرة والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه وأزواجه وعترته أجمعين آمين».

وقد رمزنا له بالحرف «د».

١٥- مجلد مكتبة كوتا بألمانيا رقم ١٥٦٣ (١٤١- ١٥٠هـ):

هذا المجلد قطعة من مجلدات البدر البشتكي، ويتكون من (٤١) ورقة وفيه أغلب الطبقة الخامسة عشرة، حيث يبدأ من أثناء حوادث سنة (١٤٢هـ)، ويستمر إلى أواخر حوادث سنة (١٤٥). ثم ينقطع إلى أثناء ترجمة جبريل بن

أحمر العنبري (٣/ ٨٢٧ من طبعتنا) ويستمر إلى آخر الطبقة الخامسة عشرة، وتتداخل معه بعض أوراق الطبقة الرابعة عشرة.

وقد صوره لنا مشكورًا الدكتور الفاضل ميكلوش موراني، الأستاذ في جامعة بون بألمانيا.

وقد رمزنا له بالحرف «ت».

١٦- مجلد مكتبة السلطان أحمد الثالث رقم ٢٩١٧/ ٥ (١٥١- ١٨١هـ):

وهو المجلد الخامس من هذه النسخة، ويقع في (٣٠٧) أوراق، وصفته صفة المجلدات السابقة أيضًا، وفيه بقية الطبقة السادسة عشرة حيث يبدأ المجلد بترجمة زَرْبي بن عبدالله المؤذن من الطبقة المذكورة. وكان من المفروض أن يبدأ هذا المجلد من أول الطبقة السادسة عشرة فالظاهر أن هذا النقص كان في الأصل المنتسخ منه، وقد تعذّر علينا الحصول على نسخة بديلة له مما اضطرنا إلى اعتماد أحد المختصرات وإعادة بناء اثنتين وثلاثين ترجمة نعتقد أنها المتممة لهذا السقط كما بيناه مفصلاً في تعليق لنا في أول وفيات الطبقة السادسة عشرة (٤/ ١٩ من طبعتنا)، ويستمر المجلد فيتضمن إلى آخر الطبقة الثالثة والعشرين. ومعلوم أن الطبقات من التاسعة عشرة إلى آخر الثالثة والعشرين قد وصلت إلينا بخط المؤلف.

وقد رمزنا له بالحرف «أ».

١٧- الطبقة السابعة عشرة من نسخة دار الكتب المصرية ٤٢ تاريخ بخط البشتكي (١٦١- ١٧٠هـ):

وهو في (٨٧) ورقة، وهو قطعة من نسخة البدر البشتكي، ويشمل حوادث الطبقة السابعة عشرة ووفياتها، حيث تنتهي الحوادث عند الورقة التاسعة، وتبدأ التراجم بعنوان «رجال هذه الطبقة مرتبون على الحروف». وكتب في آخره: «تمت الطبقة ١٧ ولله الحمد».

وقد رمزنا لها بالحرف «د».

١٨- الطبقة الثامنة عشرة من نسخة دار الكتب المصرية ٤٢ تاريخ بخط البشتكي (١٧١- ١٨٠هـ):

وهو في (٦٤) ورقة، وهو قطعة من نسخة البدر البشتكي، ويشمل حوادث الطبقة الثامنة عشرة ووفياتها، حيث تنتهي الحوادث عند الورقة الرابعة، وتبدأ التراجم بعنوان «تراجم الطبقة على حروف المعجم»، وكتب في آخره: «آخر الطبقة ١٨ من تاريخ الإسلام وعلقته من خط مؤلفه ولله الحمد والمنة».

وعلى الرغم من أن هذه الطبقة تقع في مجلدين من نسخة المؤلف هما: المجلدان السادس والسابع، فإن البشتكي استمر في كتابة الطبقة إلى نهايتها، وكتب في نهاية ترجمة فرج بن فضالة التنوخي: «آخر المجلد السادس بخط مؤلفه ومنه نقلت» (الورقة ٤٣)، والمعروف عن البدر البشتكي في نسخته أن تكون مطابقة لنسخة المؤلف في تجزئتها، فلا أعلم لم شذ في هذا الموضع.

وقد رمزنا لها بالحرف «د».

١٩- المجلد التاسع من نسخة البدر البشتكي دار الكتب المصرية ٤٢ تاريخ (٢٣١- ٢٦٠هـ):

وهي المجلدات الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر من نسخة دار الكتب المصرية المذكورة، ويشمل الطبقات: الرابعة والعشرين والخامسة والعشرين والسادسة والعشرين، وجاء في آخره: «آخر المجلد التاسع من تجزئة المصنف التي بخط يده رحمه الله تعالى ومنه نقلت، يتلوه الطبقة السابعة والعشرون: سنة إحدى وستين ومئتين».

وقد رمزنا له بالحرف «د».

٢٠- مجلد مكتبة السلطان أحمد الثالث رقم ٧/٢٩١٧ (٢٣١- ٢٦٠هـ):

وهو المجلد السابع من نسخة المكتبة المذكورة، ويقع في (٢٩٥) ورقة من القطع الكبير. وعلى النسخة تملكات وقراءات منها ما هو مقيد في سنة (٨١٤هـ) فيكون تاريخ نسخها قبل هذا التاريخ، ولعله يعود إلى أواخر القرن

الثامن. ونجد على النسخة خط محمد بن عمار المالكي المتوفى سنة (٨٤٤هـ)[١] بانتخابه من الكتاب والإفادة منه، كما نجد عليها خط محمد بن أحمد بن إينال العلائي الدوادار الحنفي بتملك النسخة، وهو من المهتمين بالتاريخ[٢].

ويبدأ هذا المجلد من أول الكنى من وفيات الطبقة الثالثة والعشرين وهي ترجمة أبي أيوب الأشعري[٣]، ثم يتناول حوادث الطبقة الرابعة والعشرين[٤] (٢٣١- ٢٤٠هـ) ووفياتها[٥]، ويستمر فيشمل حوادث ووفيات الطبقتين الخامسة والعشرين[٦] (٢٤١- ٢٥٠هـ) والسادسة والعشرين[٧] (٢٥١- ٢٦٠هـ)، وهو المجلد التاسع من نسخة المؤلف[٨].

٢١- مجلد مكتبة السلطان أحمد الثالث رقم ٢٩١٧/ ٨ (٢٦١- ٣٠٠هـ).

وهو المجلد الثامن من نسخة المكتبة المذكورة ويقع في (٣١٦) ورقة، وجاء في أوله «الجزء الثامن من تاريخ الإسلام للذهبي، رحمه الله تعالى آمين» وقد ذهب اسم الناسخ من النسخة، وناسخه هو ناسخ المجلد السابق لتشابه

---

(١) كان من علماء العربية المشهورين في زمانه، وقد ولي التدريس بالمدرسة المسلمية بالقاهرة سنة ٨٠٣هـ (السخاوي: الضوء ٨/ ٢٣٢، السيوطي: بغية ١/ ٢٠٣، ابن العماد: شذرات ٧/ ٢٥٤).

(٢) هذب محمد بن أحمد العلائي كتاب «الضوء اللامع» للسخاوي، وسماه «تشنيف المسامع بتهذيب الضوء اللامع» اطلعت على قسم منه بخطه في الخزانة التيمورية الملحقة بدار الكتب المصرية (رقم ٦٢٤ تاريخ).

(٣) قارن الورقة ٢٣٨ من نسخة أيا صوفيا ٣٠٠٧.

(٤) سبق قلم الناسخ فكتب أنها الطبقة الثانية والعشرون (الورقة ٤).

(٥) الورقة ٨- ٩٢.

(٦) تبدأ الحوادث في أثناء الورقة ٩٢ وتنتهي في أثناء الورقة ٩٥ حيث تبدأ وفياتها وتستمر من هذه الورقة إلى قبيل نهاية الورقة ٢١٠.

(٧) تبدأ حوادث الطبقة عند نهاية الورقة ٢١٠ وتستمر إلى الورقة ٢١٦ حيث تبدأ فيها وفياتها وتنتهي بانتهاء المجلد في الورقة ٢٩٥.

(٨) جاء في آخر المجلد الرابع عشر من نسخة دار الكتب المصرية (٤٢ تاريخ) ما يشير إلى أن سنة ٢٦٠ هي آخر المجلد التاسع.

الخطين. ونجد في طرة هذا المجلد ما وجدناه في طرة المجلد السابع من قراءات وتملكات.

اشتمل هذا المجلد على حوادث ووفيات أربع طبقات هي: السابعة والعشرون[1] (٢٦١- ٢٧٠هـ)، والثامنة والعشرون[2] (٢٧١- ٢٨٠هـ)، والتاسعة والعشرون[3] (٢٨١- ٢٩٠هـ) والثلاثون[4] (٢٩١- ٣٠٠هـ).

وقد رمزنا له بالحرف «أ».

٢٢-مجلد دار الكتب المصرية رقم ١٤٥٢ تاريخ (٢٦١-٢٧٠هـ):

مجلد كتب بخط نسخي نفيس، لعله من منتسخات القرن العاشر الهجري، تضمن الطبقة السابعة والعشرين (٢٦١- ٢٧٠هـ) بحوادثها ووفياتها، ثم قطعة من النسخة نفسها تضمنت وفيات (٦٤٦- ٦٥٠هـ) ولم نعبأ بها لوجودها عندنا بخط المصنف.

تحتل الطبقة السابعة والعشرون الأوراق (١- ٦٩) حسب ترقيمي، ومسطرتها (٢٥) سطرًا.

وقد رمزنا له بالحرف «د».

٢٣- مجلد مكتبة الأوقاف العراقية ببغداد رقم ٥٨٨٢ (٢٦١- ٣٠٠هـ):

هذا المجلد من أوقاف المدرسة المرجانية ببغداد، ومن ثم انتقل إلى خزانة كتب الأوقاف، ويقع في (٣٢٤) ورقة، مسطرتها (١٧) سطرًا. كتبه عبدالمنعم بن أحمد بن حسن البغدادي القادري سنة (٧٤٣هـ) بخط نسخي نفيس، وفي حواشي المجلد إشارة إلى مقابلته بالأصل المنتسخ منه، ولعله منسوخ من خط المصنف. ويشمل هذا المجلد حوادث ووفيات الطبقات: السابعة والعشرين، والثامنة والعشرين، والتاسعة والعشرين، والثلاثين، وقد

---

(١) تشتمل الحوادث على الأوراق ٢- ٩، أما الوفيات فتشمل الأوراق ١٠- ٨٩.

(٢) استغرقت الحوادث قرابة أربع أوراق فقط ٨٩- ٩٣ بينما استغرقت الوفيات الأوراق ٩٣- ١٥٦.

(٣) تقع الحوادث في الأوراق ١٥٦- ١٦٦ والوفيات في الأوراق ١٦٦- ٢٤٥.

(٤) تبدأ الحوادث في أثناء الورقة ٢٤٥ وتستمر إلى أثناء الورقة ٢٥١ حيث تبدأ وفيات الطبقة، وتنتهي بانتهاء المجلد في الورقة ٣١٦.

وقع في أوله خرم شمل عنوان المجلد وحوادث الطبقة السابعة والعشرين والتراجم الأربع الأولى وبداية الترجمة الخامسة من وفيات الطبقة المذكورة، وهي ترجمة أبي الأزهر أحمد بن الأزهر بن منيع العبدي النيسابوري (٦/ ٢٥٨ من طبعتنا). وهو المجلد الثالث من نسخة لا نعلم عدد مجلداتها.

وكتب ناسخه في آخره: «تم المجلد الثالث من كتاب تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام تصنيف الشيخ الإمام العالم الفاضل الورع المقرىء المحدث الحافظ أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان التميمي الذهبي نفع الله به، على يد العبد المذنب الفقير عبدالمنعم بن أحمد بن حسن البغدادي القادري عفا الله عنه وغفر الله له ولمصنف هذا الكتاب ولوالديه ولمالكه ولوالديه ولمن ساعد في نسخه وللمسلمين أجمعين، وكان فراغه في ثامن شوال المبارك من سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة، والحمد لله حمدًا كثيرًا وصلواته على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا».

وقد رمزنا له بالحرف «ق».

٢٤- مجلد خزانة كتب كوبرلي بإستانبول رقم ١٠١٧ (٢٦١- ٢٨٠هـ):

يتكون هذا المجلد من (٢٧٤) صفحة، مسطرتها (٢٥) سطرًا، وهو المجلد الثالث عشر من نسخة لا علاقة لها بالنسخ السابقة الموجودة بالخزانة المذكورة.

تبدأ النسخة في أثناء حوادث سنة (٢٦٥) من حوادث الطبقة السابعة والعشرين (٢٦١- ٢٧٠هـ)، وأول ما فيها: «وهارون بن سليمان الأصبهاني. وفيها خرج أحمد بن طولون أمير مصر إلى الشام فحصر سيما الطويل بأنطاكية» (٦/ ٢٤٥ من طبعتنا)، فظهر أن الساقط منها صفحتان. ثم تبدأ وفيات الطبقة السابعة والعشرين في (ص ١٢)، وآخر ما في هذا المجلد أواخر تراجم الطبقة الثامنة والعشرين (٢٧١- ٢٨٠هـ) عند ترجمة محمد بن يوسف بن عيسى ابن الطباع (٦/ ٦٢٨ من طبعتنا)، فظهر أن المتبقي من وفيات الطبقة المذكورة شيء قليل (٦٢٨- ٦٤٦).

وجاء في آخر المجلد: «آخر المجلد الثالث عشر من تاريخ الإسلام،

ويتلوه في الذي يليه إن شاء الله تعالى محمد بن عصام أبو عمرو النيسابوري. عَلَّقه أقل عبيد الله تعالى أبو إسحاق أحمد بن أحمد بن علي بن أبي بكر بن أيوب بن عبدالرحيم بن محمد بن عبدالملك بن عيسى بن درباس بن فير بن جهم بن عبدوس الماراني الهذباني الكردي عفا الله عنه».

وهذا الناسخ توفي سنة (٨١٧هـ)، وهو مترجم في الضوء اللامع (١/ ٢١٦- ٢١٧)، فالظاهر أن النسخة قد كتبت في أول القرن التاسع.

وقد رمزنا له بالحرف «ك».

٢٥- مجلد مكتبة السلطان أحمد الثالث رقم ٢٩١٧/ ٩ (وفيات ٣٠١- ٣٥٠هـ):

وهو المجلد التاسع من نسخة أحمد الثالث المذكورة، ويقع في (٢٥٨) ورقة من القطع الكبير، إلا أن خطه يختلف عن خط المجلدات السابقة، فهو نسخ جميل واضح معجم في أغلب الأحيان. وقد جاء في أوله بخط الناسخ: «ذكر وفيات الأعلام على السنين من بعد الثلاث مئة إلى سنة خمسين وثلاث مئة». ثم كتب على طرته أسفل ذلك وبالخط الذي كتبت به جميع مجلدات نسخة أحمد الثالث رقم ٢٩١٧: «الجزء التاسع من تاريخ الإسلام للذهبي، رحمه الله آمين» والخطوط التي نجدها على طرة المجلدات السابقة نجدها على طرة هذا المجلد أيضًا.

تناول هذا المجلد وفيات الطبقات من الحادية والثلاثين إلى آخر الخامسة والثلاثين (٣٠١- ٣٥٠هـ) على السنين، ورتبت وفيات كل سنة على حروف المعجم[١]. ونطاق هذا المجلد هو نطاق المجلد الحادي عشر من نسخة المؤلف[٢].

٢٦- المجلد المحفوظ بالمكتبة الوطنية في باريس رقم ١٥٨١ (وفيات ٣٠١- ٣٥٠هـ):

يبدأ هذا المجلد بوفيات الطبقة الحادية والثلاثين، وينتهي في أثناء الطبقة السابعة والثلاثين.

---

(١) رتب الذهبي كتابه حسب السنين اعتبارًا من سنة ٣٠١هـ وإلى آخر الكتاب.

(٢) لأن المجلد العاشر ينتهي بآخر سنة ٣٠٠هـ ويبتدىء المجلد الثاني عشر بسنة ٣٥١هـ.

وقد رمزنا له بالحرف «ب».

٢٧- مجلد مكتبة لالالي بإستانبول رقم ٢٠٨٠ (٢٣١- ٣٥٠هـ):

يقع هذا المجلد في (٣٧٣) ورقة، مسطرتها (٣٥) سطرًا، في كل سطر قرابة العشرين كلمة، كتب بخط نسخي جيد، لكن وقع في النسخة خروم.

ويبدأ هذا المجلد من الطبقة التاسعة عشرة وينتهي بانتهاء الطبقة الخامسة والثلاثين، ولم استفد منه كثيرًا لتوفر نسخ أفضل منه.

وقد رمزنا له بالحرف «ي».

٢٨- مجلد خزانة كتب كوبرلي بإستانبول رقم ١٠١٩ (حوادث ٣٠١- ٣٥٠هـ ووفيات ٣٠١- ٣٢٠هـ):

وهو في (١٨٤) ورقة، مسطرتها (٢٥) سطرًا، كتب سنة (٨١٤هـ)، وفيه حوادث الطبقات من الحادية والثلاثين إلى الخامسة والثلاثين (٣٠١-٣٥٠هـ)، ووفيات الطبقتين الحادية والثلاثين والثانية والثلاثين (٣٠١- ٣٢٠هـ).

كتب في عنوانه: «الجزء الخامس عشر من تاريخ الإسلام للذهبي». وأوله: «بسم الله الرحمن الرحيم. القرن الرابع وماجرى فيه من الحوادث الكبار من كلام ابن الجوزي وغيره».

وجاء في آخره: «الحمد لله، آخر المجلد الخامس عشر من تاريخ الإسلام... وكان الفراغ من هذا المجلد يوم الأحد ثاني عشري شهر رمضان سنة أربع عشرة وثماني مئة، وذلك بأمر الأجل الأوحد عمدة الملوك والسلاطين عمر الحصكفي سلَّمه الله... على يد أبي إسحاق بن أحمد الموصلي حامدًا الله تعالى ومصليًا على سيدنا محمد، ويتلوه في الذي يليه إن شاء الله تعالى تراجم الطبقة الثالثة والثلاثين».

وقد رمزنا له بالحرف «ك».

٢٩-مجلد مكتبة كوتا بألمانيا رقم ١٥٦٤ (حوادث ٣٥١-٤٠٠هـ):

يتضمن هذا المجلد حوادث ووفيات الطبقات من السادسة والثلاثين إلى الأربعين، فيما عدا خرم صغير حيث يتوقف عند ترجمة علي ابن الحافظ أبي

سعيد عبدالرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي المصري من وفيات سنة (٤٩٩هـ) (٨/ ٨٠٤ من طبعتنا).

يقع المجلد في (١٩٦) ورقة، مسطرتها (٣١) سطرًا، كتب بخط دقيق، وهي نسخة متقنة.

ويلاحظ أن الناسخ قد ذكر حوادث كل طبقة في مقدمتها، وهي عين الطريقة التي اتبعناها في نشرتنا هذه، وهي الطريقة التي أرادها المصنف عندما أعاد تبييض المئة الثانية من كتابه، لذلك جاءت حوادث (٣٥١- ٣٦٠هـ) ما بين الورقة (١- ٧)، وحوادث (٣٦١- ٣٧٠هـ) في (٤٤- ٤٩)، وحوادث (٣٧١- ٣٨٠هـ) في (٨٤- ٨٦)، وحوادث (٣٨١- ٣٩٠) في (١٢٢- ١٢٦)، وحوادث (٣٩١- ٤٠٠) في (١٦٨- ١٧٢).

ولما كانت الوفيات قد وقعت لنا بخط المصنف فقد أفدنا من الحوادث حسب.

وهذا المجلد مما تفضل بتصويره لنا الدكتور ميكلوش موراني.

وقد رمزنا له بالحرف «ت».

٣٠- مجلد مكتبة السلطان أحمد الثالث رقم ٢٩١٧/ ١١(وفيات ٤٥١- ٤٧٧هـ):

وهو المجلد الموسوم بالحادي عشر من هذه النسخة، وعلى طرته خط محمد بن عمار المالكي ومحمد بن أحمد العلائي وغيرها، ويقع في (٣٠١) ورقة، وخطه صعب القراءة قليل الإعجام لكنه دقيق ومضبوط، وناسخه هو ناسخ المجلدين السابع والثامن وغيرهما من هذه النسخة.

وهذا المجلد متمم للمجلد العاشر من النسخة حيث يبدأ في أثناء حرف العين من وفيات سنة (٤١٥هـ) وينتهي في أثناء وفيات (٤٧٧هـ) وآخره ترجمة «علي بن أحمد بن عبدالعزيز الميورقي الأندلسي» من وفيات السنة المذكورة. وقد عولنا على هذا المجلد ابتداء من وفيات سنة (٤٥١هـ) التي تبدأ بالورقة (١٦١) وإلى نهايته.

وقد رمزنا له بالحرف «أ».

٣١- مجلد مكتبة السلطان أحمد الثالث رقم ٢٩١٧/ ١٢ (وفيات ٤٧٧- ٥٠٠هـ):

وهو المجلد الثاني عشر من هذه النسخة، وطرته والخطوط التي عليها وخطه كما في المجلد السابق، وعدد أوراقه (٢٨٦) ورقة.

ويبدأ هذا المجلد من حيث ينتهي المجلد السابق في أثناء وفيات سنة (٤٧٧هـ)، وأول ما فيه ترجمة «علي بن محمد الغزنوي». ويستمر فيتناول الوفيات إلى أثناء سنة (٥٢٤هـ) وآخر ما فيه ترجمة «محمد بن سعدون بن مرجى بن سعدون العبدي الميورقي نزيل بغداد» من وفيات السنة المذكورة.

وقد عولنا على هذا المجلد من أوله إلى آخر من توفي تقريبًا من الطبقة الخمسين في أثناء الورقة (١٥٥).

وقد رمزنا له بالحرف «أ».

٣٢- مجلد مكتبة لالالي بإستانبول رقم ٢٠٨١ (وفيات ٤٥١- ٥٠٠هـ):

يقع هذا المجلد في (٢٩٢) ورقة، مسطرتها (٣٥) سطرًا، في كل سطر قرابة العشرين كلمة، كتب بخط نسخي جيد، وهو مجلد من نسخة احتفظت المكتبة المذكورة بمجلد آخر منه تقدم وصفه.

استغرق هذا المجلد الطبقات من الحادية والأربعين إلى الطبقة الرابعة والخمسين (٤١٠- ٥٤٠هـ)، فأفدنا منه ما ليس بخط المصنف وهو (٤٥١- ٥٠٠هـ).

وقد رمزنا له بالحرف «ي».

٣٣- مجلد المتحف البريطاني رقم ٤٩ شرقيات (حوادث ٤٠١- ٤٥٠هـ):

وهو المجلد الثالث عشر من نسخة البدر البشتكي، ويقع في (٢٣٥) ورقة، ويشمل الحوادث والوفيات للطبقات من الحادية والأربعين إلى الخامسة والأربعين (٤٠١- ٤٥٠هـ). ولما كانت وفيات (٤٠١- ٤٥٠هـ) قد وقعت لنا

بخط المؤلف، فقد أفدنا من الحوادث حسب، وهي التي تنتهي عند الورقة (٣٠) من المجلد.

وقد رمزنا له بالحرف «ل».

٣٤- مجلد المتحف البريطاني رقم ٥٠ شرقيات (حوادث ٤٥١- ٥٠٠هـ ووفيات ٤٥١- ٤٩٠هـ):

وهو المجلد الرابع عشر من نسخة البدر البشتكي، ويقع في (٢٣٥) ورقة، تنتهي الحوادث فيه عند الورقة (٣٨)، وتبدأ وفيات الطبقة السادسة والأربعين عند الورقة (٣٩)، ووفيات الطبقة السابعة والأربعين عند الورقة (٧٨)، ووفيات الطبقة الثامنة والأربعين عند الورقة (١٢٩)، ووفيات الطبقة التاسعة والأربعين عند الورقة (١٧٥).

وقد رمزنا له بالحرف «ل».

٣٥- مجلد الخزانة العامة بالرباط رقم ٢٢٦ (وفيات ٤٩١- ٥٠٠هـ):

هو المجلد التاسع من نسخة لا نعرف عدد مجلداتها، ويقع هذا المجلد في (٥٠٤) صفحات، مسطرتها (٣٠) سطرًا، كتب بخط مشرقي عادي مقروء سنة (١٠٦١هـ)، وتضمن وفيات الطبقة الخمسين (٤٩١- ٥٠٠هـ)، وحوادث (٥٠١- ٥٥٠هـ)، ووفيات الطبقات من الحادية والخمسين إلى آخر الرابعة والخمسين (٥٠١- ٥٤٠هـ). وجاء في آخر الطبقة الخمسين: «آخر المجلد الرابع عشر من خط مصنفه» (الورقة ٨١)، ولعل هذه النسخة قد نسخت من نسخة البدر البشتكي.

وقد رمزنا له بالحرف «م».

٣٦- مجلد المكتبة الأحمدية بحلب رقم ١٢٢٠/ ١ (حوادث ٣٠١- ٥٠٠هـ):

يقع هذا المجلد في (٢٣٦) ورقة. كتب بخط جيد واضح لكنه غير دقيق، ولم نعرف ناسخه ولعله من منتسخات القرن التاسع الهجري. وقد جاء في طرته بخط أحدث: «حوادث تاريخ الذهبي»، وفي السطر الذي يليه: «وهو

حوادث المئة الرابعة والخامسة من سنة ٣٠١- ٥٠٠هـ». وعلى النسخة تمليك مؤرخ في سنة ١١١٢هـ. وقد شطب أحدهم على اسم مالكه، ثم نقل أحدهم ترجمة ناصر الدين عبدالله بن عمر البيضاوي، وفي أسفلها بعض الفوائد.

يبدأ المجلد بالبسملة، ثم حوادث سنة (٣٠١هـ) ويستمر حتى نهاية حوادث سنة (٣٥١هـ)[١]، ثم تبدأ حوادث سنة (٣٥١هـ) بورقة جديدة وبالبسملة والدعاء بالتيسير. وتستمر الحوادث مسلسلة إلى آخر حوادث سنة أربع مئة حيث تنتهي بورقة كتب فيها بضعة أسطر[٢]، ثم بدأ حوادث سنة (٤٠١ هـ) بورقة جديدة، ولعل هذا يدل على أنه نقل هذه الخمسين سنة من موضع واحد ولم يجمعها[٣]، ثم تستمر الحوادث إلى سنة (٤٥٠هـ) التي ينهيها المؤلف بعبارة «والله أعلم». ثم يبدأ سنة (٤٥١هـ) بقوله: «سنة إحدى وخمسين وأربع مئة على سبيل الاختصار[٤]» وتشير العبارة الأخيرة إلى بداية ذكر الحوادث في طبقة جديدة، أو مجلدة جديدة وهو ما نرجحه[٥]، وينتهي المجلد بآخر حوادث سنة (٥٠٠هـ).

وقد رمزنا له بالحرف «ح»، وقد نصرح باسم المكتبة.

٣٧- مجلد مكتبة السلطان أحمد الثالث رقم ٢٩١٧/ ١٣ (وفيات ٥٤٦- ٥٦٤هـ):

وهو المجلد الثالث عشر من نسخة أحمد الثالث المذكورة ويقع في (٢٩٤) ورقة، وطرته والخطوط التي عليها وخطه وناسخه هو نفسه الذي في المجلد الثاني عشر وغيره من المجلدات التي سبق التعريف بها، ومن ثم فهو استمرار له حيث يبدأ بأول ترجمة «محمد بن عبدالله بن تومرت» من وفيات سنة (٥٢٤هـ)[٦] التي هي جزء من وفيات الطبقة الثالثة

---

(١) الورقة ٧٤.

(٢) الورقة ١٢٢.

(٣) انظر أعلاه كلامنا على الخطة العامة للكتاب في الفصل الأول من الباب الثاني.

(٤) الورقة ١٧٠.

(٥) انظر أعلاه كلامنا على الخطة العامة للكتاب.

(٦) جاء في فهرس معهد إحياء المخطوطات أن هذا المجلد يبتدىء بسنة ٥١٤هـ، وهو وهم (ج٢ قسم ١ ص ٥٣).

والخمسين[1]، ويستمر بعد ذلك ليشمل وفيات الطبقات: الرابعة والخمسين[2]، والخامسة والخمسين[3]، والسادسة والخمسين[4]، وقسمًا من الطبقة السابعة والخمسين حيث ينتهي المجلد بانتهاء وفيات سنة (٥٦٤هـ).

ولما كان مجلد مكتبة أيا صوفيا رقم (٣٠١٠) الذي بخط المؤلف يقف في أثناء وفيات سنة (٥٤٦هـ) فقد عولنا على هذا المجلد من حيث انتهى مجلد أيا صوفيا المذكور وإلى نهايته.

وقد رمزنا له بالحرف «أ».

٣٨- مجلد مكتبة السلطان أحمد الثالث رقم ٢٩١٧/ ١٤(وفيات ٥٦٥- ٦٠٠هـ):

وهو المجلد الرابع عشر من هذه النسخة، ويقع في (٢٨٢) ورقة وأوصافه هي أوصاف المجلد السابق ويبتدىء من حيث ينتهي ذلك المجلد ويتضمن وفيات السنوات (٥٦٥- ٦٠٠هـ)[5]. وقد رمزنا له بالحرف «أ».

٣٩- مجلد مكتبة السلطان أحمد الثالث رقم ٢٩١٧/ ١٥ (حوداث ٣٥١- ٤٢٤هـ و٤٥٠- ٥٠٠هـ و٥٥١- ٦٠٠هـ):

وهو المجلد الخامس عشر من النسخة المذكورة ويقع في (٣٥٠) ورقة من القطع الكبير. أما خطه فمختلف والظاهر أن ناسخه أكثر من واحد.

تضمن هذا المجلد الحوادث التي ذكرها الذهبي في «تاريخ الإسلام» اعتبارًا من سنة (٣٥١هـ) وحتى سنة (٦٧٠هـ) إلا أن هناك خرمًا في المجلد يشتمل على حوادث السنوات (٤٢٥- ٤٥٠هـ) والظاهر أن الناسخ جمع هذه الحوادث من مجلدات متعددة من «تاريخ الإسلام» إلا أنه حافظ على بدايات الحوادث في كل مجلد بحيث أعاننا على تفهم تنظيم المؤلف للحوادث

(١) تنتهي هذه الطبقة في الورقة ٥٠.
(٢) الورقة ٥٠- ١٣٥.
(٣) الورقة ١٣٥- ٢١٧.
(٤) الورقة ٢١٨- ٢٧٣.
(٥) تنتهي الطبقة السابعة والخمسون في الورقة ٣٩ حيث تبدأ الطبقة الثامنة والخمسون التي تنتهي بالورقة ٩٠ وفيها أيضًا تبدأ وفيات الطبقة التاسعة والخمسين وتنهي في أثناء الورقة ١٧٢. أما الطبقة الستون فتشمل الأوراق ١٧٢- ٢٨٢.

والوفيات في نسخته التي بخطه والتي لم تصل إلينا كاملة.

وقد رمزنا له بالحرف «أ».

٤٠-مجلد المتحف البريطاني رقم ٥١ شرقيات (٥٦١-٥٨٠هـ):

وهو المجلد السادس عشر من نسخة البشتكي، وصفته صفة المجلدات الأخرى. يقع المجلد في (١٢١) ورقة، وتنتهي الطبقة السابعة والخمسين عند الورقة (٦١)، وجاء في آخره: «انتهى المجلد السادس عشر من تاريخ الإسلام، ونقلته من خط مؤلفه الحافظ العلامة شمس الدين الذهبي، والحمد لله وحده، يتلوه إن شاء الله تعالى الطبقة ٥٩».

وآخر ما في المجلد ترجمة القاسم بن محمد بن صالح أبي محمد الأنصاري من المتوفين على التقريب، وقد طلب المؤلف تحويله إلى موضعه من وفيات سنة (٥٨٠هـ) فقال: «نسيته وقت ترتيب الأسماء».

وقد رمزنا له بالحرف «ل».

٤١- مجلد في مكتبة البودليان بأكسفورد رقم ٦٤٩ (وفيات ٥٤٦- ٥٨٠هـ):

يشتمل هذا المجلد على الوفيات من سنة (٥٣١هـ) إلى سنة (٥٨٠هـ). ولما كانت وفيات (٥٣١- ٥٤٦هـ) قد وصلت إلينا بخط المؤلف، فقد أفدنا منه في المدة التي تليها.

وقد رمزنا له بالحرف «و».

٤٢-مجلد المتحف البريطاني رقم ٥٢ شرقيات (٥٨١-٦٠٠هـ):

وهو المجلد السابع عشر من نسخة البدر البشتكي، وكتب البدر البشتكي في آخر الطبقة الستين وعند الورقة ١٦٧: «آخر المجلد السابع عشر من تاريخ الإسلام، وعلقه من خط مؤلفه الحافظ شمس الدين الذهبي رحمه الله الفقير إلى الله تعالى محمد بن إبراهيم بن محمد البشتكي».

وقد احتوى هذا المجلد أيضًا على حوادث (٦٠١- ٦٢٠هـ) ووفيات الطبقة الحادية والستين، فصارت النسخة في (٢٧١) ورقة. ولا علاقة لنا بهذا لوقوعه لنا بخط المؤلف.

وقد رمزنا له بالحرف «ل».

٤٣- مجلد المكتبة الأزهرية بالقاهرة رقم ٧١٢ تاريخ (وفيات ٥٤٦- ٥٦١هـ):

يقع هذا المجلد في (٢٦٩) ورقة، مسطرتها (٢٣) سطرًا، كتب بخط النسخ الواضح، ولعله من منتسخات القرن الثامن الهجري، وهو مخروم الأول والآخر حيث يبدأ في أثنا ترجمة أبي القاسم خلف بن يوسف بن فرتون ابن الأبرش الأندلسي من وفيات سنة ٥٣٢هـ (= ١١/ ٥٧٠ من طبعتنا)، وينتهي في أثناء ترجمة أبي محمد عبدالله بن محمد بن عبدالله الأشيري المغربي من وفيات سنة ٥٦١هـ (= ١٢/ ٢٥١ من طبعتنا).

وقد رمزنا له بالحرف «ز».

٤٤-مجلد المكتبة الوطنية بباريس رقم ١٥٨٢ عربيات (٥٨١- ٦٠٠هـ):

يتكون هذا المجلد من (٢٦٧) ورقة، مسطرتها (٢٩) سطرًا. وهو مجلد من النسخة المحفوظ مجلدها الأول في خزانة كتب كوبرلي بإستانبول برقم (١٠١٥) والتي تقدم وصفها في الرقم (٥) أعلاه. ونجد خط الحافظ سبط ابن حجر المتوفى سنة (٨٩٩هـ) بقراءة المجلد والإفادة منه في كتابه «رونق الألفاظ». كما ثبت ابن الملا خطَّه في طرة المجلد بالإفادة منه في تلخيصه «لتاريخ الإسلام».

ويتضمن هذا المجلد وفيات الطبقات من التاسعة والخمسين إلى آخر الثانية والستين (٥٨١- ٦٢٠هـ).

وقد رمزنا له بالحرف «ب».

إن المجلدات المذكورة في هذا الفصل قد وفرت لنا نسخًا متعددة لأي حقبة من الحقب التي لم نقف فيها على نسخة المؤلف التي بخطه بحيث لم نعد بحاجة إلى نسخ أخرى.

ولا بد أن أشير هنا إلى أهمية المجلدات التي وصلت إلينا بخط بدر الدين البشتكي، وهي كثيرة بحمد الله؛ وبذلك حصلنا على نص متقن نقله عالم

جليل متقن من نسخة المؤلف التي بخطه.

ومع كل ذلك فقد استعنا بكثير من مختصرات «تاريخ الإسلام» ولا بد لي من الإشارة هنا إلى أن الذين اختصروا «تاريخ الإسلام» للذهبي كانوا على نوعين؛ الأول: كان يسوق الحوادث كاملة بنصها ثم ينتقي بعض تراجم «الأعلام» ويسقط معظم تراجم «المشهورين» وهي تراجم قصيرة في الأغلب الأعم. والثاني: كان يبقي على الحوادث والتراجم ولكنه يختصر مادتها من غير أن يسقط منها شيئًا.

وقد تحصلت عندي من النوع الأول نسخة كاملة في ست مجلدات منها خمس مجلدات محفوظة في مكتبة السلطان أحمد الثالث (٢٩١٧/ ب ١-٥)، ووقفت على المجلد الأخير منها في خزانة كتب أيا صوفيا برقم ٣٠١٥. اختصرت وكتبت في حياة المؤلف سنة (٧٣٧هـ) بدمشق، وناسخها رجل اسمه محمد بن هبة الله بن عبدالرحمن بن محمد بن هبة الله البكري ثم المغربي، لم أقف له على ترجمة. وهي بمجملها نسخة متقنة، وأهم ما فيها الحوادث من السنة الأولى للهجرة النبوية إلى آخر الكتاب. وأخطأ الدكتور لطفي عبدالبديع حينما ظن أنها أجزاء من «تاريخ الإسلام»[1]، وهي من أقدم المختصرات التي وصلت إلينا، وفيما يأتي وصف لها:

المجلد الأول:

يقع هذا المجلد في (٢٩٧) ورقة، مسطرتها (٢٥) سطرًا، أوله: «قال الشيخ... شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: الحمد لله الباقي بعد فناء خلقه، الكافي من توكل عليه...» وينتهي بنهاية الترجمة النبوية.

المجلد الثاني:

من خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى سنة (١١٠هـ) مع المحافظة على ترتيب المؤلف. وقد جاء في طرة هذا المجلد: «الثاني من المنتقى في التاريخ تأليف الشيخ الإمام العالم الفاضل شمس الدين الذهبي» وجاء في

(١) فهرس المخطوطات المصورة، ج٢ قسم ١ص ٥٣.

آخره: «كان الفراغ من المجلدة الثانية بالعشر الأوسط[1] من ربيع الآخر من سنة سبع وثلاثين وسبع مئة بالصالحية من ظاهر دمشق المحروسة، والحمد لله رب العالمين، وذلك على يد الفقير إلى الله في كل زمان وحال... محمد بن هبة الله بن عبدالرحمن بن محمد بن هبة الله البكري ثم المغربي». ويقع هذا المجلد في (٣١٢) ورقة. وقد ظن صانع فهرس المخطوطات التاريخية في معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية غلطًا أنه كتب في أوائل القرن التاسع الهجري[2].

المجلد الثالث:

ويقع في (٣٠٢) ورقة، ويتضمن السنوات (١١١- ٢٠٠هـ).

المجلد الرابع:

ويقع في (٣٢٧) ورقة، ويتضمن السنوات (٢٠١- ٣٨٠هـ).

المجلد الخامس:

ويقع في (٢٩٧) ورقة، وهو تكملة للمجلد الرابع حيث يبدأ بسنة (٣٨١هـ) وينتهي في أثناء سنة (٥٦٩هـ)، وقد جاء في أوله: «الجزء الخامس من تاريخ الإسلام»، وجاء في آخره: «تم المجلد الخامس من المنتقى من تاريخ الإسلام للذهبي بحمد الله وحسن توفيقه، يتلوه إن شاء الله: ترجمة محمود بن أبي سعيد زنكي بن آقسنقر التركي الملك العادل نور الدين».

المجلد السادس:

يبدأ هذا المجلد من حيث انتهى المجلد الخامس، وآخره نهاية الكتاب، وهو محفوظ في خزانة كتب أيا صوفيا برقم ٣٠١٥، وهو في (٢٨٨)ورقة.

كما تحصل عندي من النوع الأول أيضًا المجلد المحفوظ في مكتبة رضا

---

(١) هكذا في الأصل، وهو وهم، وكان عليه أن يقول «الوسط» جمع الوسطى، قال الفيومي في المصباح المنير: «واليوم الأوسط والليلة الوسطى، ويجمع الأوسط على الأواسط مثل الأفضل والأفاضل، وتجمع الوسطى مثل الفضلى والفضل، وإذا أريد الليالي قيل: العشر الوسط. وإن أريد الأيام قيل: العشرة الأواسط. وقولهم: العشرة الأوسط عامي، ولا عبرة بما يفشو على ألسنة العوام مخالفًا لما نقله أئمة اللغة».

(٢) لطفي عبدالبديع: فهرس المخطوطات، ج٢ قسم ١ ص ٥٣.

رامبور في الهند رقم (٣٥٣٣)، وعندي نسخة مصورة منه منذ أوائل ستينيات المئة الماضية، وهو في (٦٥٥) صفحة، ويشتمل على حوادث السنين (٥٨١-٧٠٠هـ) مع انتقاء بعض التراجم المهمة. وقد توهم صديقنا الأستاذ فؤاد سيد يرحمه الله حينما ظنه المجلد الأخير من «تاريخ الإسلام[1]» معتمدًا في ذلك على طرته حيث جاء فيها: «تاريخ الإسلام للإمام الحافظ عمدة المؤرخين أبي عبدالله شمس الدين الذهبي رحمه الله تعالى المتوفى سنة سبع مئة وست (كذا) وأربعين» ولا شك أن الذي كتب هذه الطرة قليل العلم لغلطه في اسم الكتاب وتاريخ وفاة المؤلف.

أما أشهر الذين اختصروا «تاريخ الإسلام» من النوع الثاني فهو أحمد بن محمد بن علي الحصكفي الحلبي المعروف بابن الملاّ المتوفى سنة (١٠٠٣هـ). وقد انتهى من تلخيص المجلد الأول منه في مطلع سنة (٩٨٤هـ)، وقال في نهاية المجلد الأول: «ومن وقف على الأصل علم أن المتروك منه بالنسبة إلى المذكور أقل قليل». وتوجد من هذه النسخة سبع مجلدات في المكتبة الأحمدية بحلب تحمل الرقم (١٢١٩)، وقد نقلت اليوم إلى مكتبة الأسد بدمشق.

وفي خزانة كتب الأوقاف ببغداد نسخة منتسخة عنها كانت في المدرسة المرجانية ببغداد، تحمل الأرقام (٥٨٨٥) و(٥٨٨٦) و(٥٨٨٧) و(٥٨٨٨) و(٥٨٨٩) و(٥٨٩٠) و(٥٨٩١) و(٥٨٩٢).

ولا بد لي من التنبيه على أننا حين قيامنا بالمقابلة بين النسخ لم نعن بإيراد الاختلافات اليسيرة أو الإملائية ونحوها كما يفعل جمهرة المستشرقين ومن يحذو حذوهم من المحققين العرب لعدم جدوى ذلك، إنما كان هدفنا الوصول إلى النص الصحيح الذي نعتقد أن المؤلف كتبه في نسخته، موظفين خبرتنا العميقة في هذا الكتاب ومعرفتنا بمادته وأصوله، فأينما وجدنا النص مستقيمًا سرنا معه من غير إثقال للهوامش بتلك الاختلافات إلا في المهم. كما لم نثبت جملة من التحريفات والتصحيفات الواقعة في العديد من هذه المجلدات الموصوفة لعدم أهمية ذلك، لظهور الأمر عندنا ووضوحه. أما في

(١) فهرس المخطوطات المصورة، ج٢ قسم ٢ ص ٦١.

الحقب التي استغرقتها المجلدات العشر التي وقفنا عليها بخط المؤلف فإننا لم نشر إلى أي من النسخ الأخرى لعدم وجود جدوى من ذلك وإن كنا رجعنا إليها في التأكد من قراءةٍ عسرت علينا.

ونرى من المفيد أن نقدم بعض نماذج النسخ الخطية التي قام عليها تحقيق هذا الكتاب العظيم، ولم يكن بالإمكان تقديم صور لجميع المجلدات المستخدمة في التحقيق؛ لأن ذلك يستغرق عشرات الصفحات التي نحن بحاجة إليها في أمور أكثر أهمية. على أننا عُنينا بذكر نماذج لجميع المجلدات العشر التي وصلت إلينا بخط المؤلف، واكتفينا بتقديم نماذج مختارة من المخطوطات الأخرى، ومع ذلك استغرقت هذه النماذج (٩٤) صفحة، والله الموفق للصواب إليه المرجع والمآب.

مصوّرات من المخطوطات

المجلد الثاني من تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام

جمع كاتبه محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

راموز طرة المجلد الثاني من (تاريخ الإسلام) المحفوظ بخزانة كتب أيا صوفيا برقم (٣٠٠٥) بخط الذهبي

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر نسب سيد البشر

محمد رسول الله

صلى الله عليه وسلم أبو القاسم سيد المرسلين وخاتم النبيين هو
محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسم عبد المطلب شيبة بن هاشم
واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصي واسمه زيد بن
كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن
كنانة بن خزيمة بن مدركة واسمه عامر بن الياس بن مضر بن نزار بن
معد بن عدنان وعدنان من ولد إسمعيل بن إبرهيم صلى الله عليهما
وعلى نبينا وسلم بإجماع الناس لكن اختلفوا فيما بين عدنان وبين
إسمعيل من الآبا فقيل بينهما تسعة آبا وقيل سبعة وقيل مثل ذلك
عن جماعة لكن اختلفوا في أسماء بعضهم وقيل بينهما خمسة عشر أبا وقيل
بينهما أربعون أبا وهو بعيد وقد ورد عن طائفة من العرب ذلك
وأما عروة بن الزبير فقال ما وجدنا من يعرف ما وراء عدنان ولا قحطان
إلا تخرصا وعن ابن عباس قال بين معد بن عدنان وبين إسمعيل ثلاثون أبا
قاله هشام بن الكلبي النسابة عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس ولكن
هشام وأبوه متروكان وجا بهذا الإسناد أن النبي صلى الله عليه وسلم

الورقة الأولى من المجلد الثاني من نسخة أيا صوفيا (٣٠٠٥) بخط الذهبي،
وهي أول الترجمة النبوية

راموز الورقة (٩٨) من المجلد الثاني من نسخة المؤلف التي بخطه، ويظهر في حاشيتها تحديده لنطاق (السيرة النبوية)، ثم بلاغ بسماع الصفدي على المؤلف

وقال أبو بردة دخلت على عائشة فأخرجت إلينا إزارا غليظا
مما يصنع باليمن وكساء من هذه التي تدعونها الملبدة فأقسمت بالله
لقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين الثوبين متفق عليه
وقال الزهري عن علي بن الحسين أنهم حين قدموا المدينة مقتل
الحسين لقيه المسور بن مخرمة فقال له هل لك إلي من حاجة تأمرني بها فقلت
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني أخاف أن يغلبك
القوم عليه وايم الله لئن أعطيتنيه لا يخلص إليه أحد حتى تبلغ نفسي اتفقا عليه
وقال عيسى بن طهمان أخرج إلينا أنس نعلين جرداوين لهما
قبالان فحدثني ثابت بعد عن أنس أنهما نعلا النبي صلى الله عليه وسلم رواه البخاري
وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
تزوج خمس عشرة امرأة ودخل منهن بثلاث عشرة وجمع بين إحدى عشرة منهن
وقبض عن تسع فأما اللتان لم يدخل بهما فأسماء
[illegible] فطلقها وذلك أن إحداهما إذا دنا منها تمنعت
فطلقها وأما الأخرى فلما مات ابنه إبراهيم قالت لو كان نبيا ما مات
ابنه فطلقها وخمس منهن من قريش عائشة وحفصة وأم حبيبة وأم سلمة
وسودة بنت زمعة وميمونة بنت الحارث الهلالية وجويرية بنت الحارث
الخزاعية وزينب بنت جحش الأسدية وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية
قبض صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء رضي الله عنهن

آخر الترجمة النبوية

راموز الورقة (١٧٠) من المجلد الثاني من نسخة المؤلف، وهي آخر الترجمة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

رضي الله عنه وارضاه

قال هشام عن عروة عن ابيه عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم توفي
وابو بكر بالسنح فقال عمر والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال عمر والله ما كان يقع في نفسي الا ذاك وليبعثنه الله فليقطعن ايدي
رجال وارجلهم فجاء ابو بكر الصديق فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله
وقال بابي انت وامي طبت حيا وميتا والذي نفسي بيده لا يذيقك الله
الموتتين ابدا ثم خرج فقال ايها الحالف على رسلك فلما تكلم ابو بكر جلس
عمر فقال بعد ان حمد الله واثنى عليه من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن
كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وقال انك ميت وانهم ميتون وقال وما
محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم
على اعقابكم الاية فنشج الناس يبكون واجتمعت الانصار الى سعد
بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا منا امير ومنكم امير
فذهب اليهم ابو بكر وعمر وابو عبيدة فذهب عمر يتكلم فاسكته ابو بكر
وكان عمر يقول والله ما اردت بذلك الا اني قد هيأت كلاما قد
اعجبني خشيت ان لا يبلغه ابو بكر ثم تكلم فابلغ فقال في كلامه نحن
الامراء وانتم الوزراء فقال الحباب بن المنذر لا والله لا نفعل ابدا منا
امير ومنكم امير فقال ابو بكر لا ولكنا الامراء وانتم الوزراء قريش اوسط

راموز الورقة (١٧١) من المجلد الثاني من نسخة المؤلف التي تبدأ بخلافة الصديق رضي الله عنه

طبقة السماع في آخر المجلد الثاني من تاريخ الإسلام (أيا صوفيا ٣٠٠٥)

الزنجي

مسلم بن خالد المكي الفقيه ابو خالد الزنجي مولى بني
مخزوم روى عن الزهري وابن ابي مليكة وعمرو بن دينار وابي طوالة
وعتبة بن مسلم وزيد بن اسلم وهشام بن عروة وابن جريج وابن
خثيم وعبد الله بن كثير وعنه تلميذه [illegible] منه [illegible]
واحمد بن يونس اليربوعي وتفقه به الشافعي وهو الذي اذن له
في الفتيا وروى عنه هو ومروان بن محمد والحميدي ومسدد
والهيثم بن موسى الغزال والحكم بن موسى وهشام بن عمار وعدة
قال ابن معين ليس به باس وقال البخاري منكر الحديث وقال
ابو حاتم لا يحتج به وقال ابن عدي حسن الحديث ارجو انه لا باس
به قال سويد سمي الزنجي لسواده خالفه سعد وعن
[illegible] كان اشقر ولقب بالزنجي بالضد قال الحربي
[illegible] كان فقيها عابدا يصوم الدهر وقال ابو داود
ضعيف قلت مولده سنة مائة ومات سنة ثمانين ومائة
قال ابراهيم الحربي [illegible] مسلم الزنجي فقيه مكة وانما سمي
الزنجي لانه كان اشقر مثل البصلة وقال [illegible]
هو امام في العلم والفقه [illegible] وانما لقب
بالزنجي لمحبته التمر قالت جاريته ما انت الا زنجي لاكل التمر

ترجمة مسلم بن خالد الزنجي من الطبقة الثامنة عشرة (أيا صوفيا ٣٠٠٦)

آخر الطبقة الثامنة عشرة بخط المؤلف (أيا صوفيا٣٠٠٦)

آخر المجلد السابع من نسخة المؤلف، وهي آخر الطبقة العشرين

(أيا صوفيا ٣٠٠٦)


المجلد الثامن من كتاب

طرة المجلد الثامن من نسخة المؤلف (أيا صوفيا ٣٠٠٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

الورقة الأولى من المجلد الثامن من نسخة المؤلف بخطه (أيا صوفيا ٣٠٠٧)



آخر الطبقة الثالثة والعشرين بخط المؤلف، وهو آخر المجلد الثامن (أيا صوفيا ٣٠٠٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبقة الثامنة والثلثون

سنة احدى وسبعين وثلثمائة

احمد بن ابراهيم بن اسمعيل بن العباس الامام ابو بكر
الاسماعيلي الجرجاني الفقيه الشافعي ولد سنة سبع وسبعين
ومائتين وسمع من ابي احمد عمران المقابري الجرجاني سنة تسع
وثمانين ومائتين وسمع قبل ذلك قال حمزة السهمي سمعته يقول لما
ورد نعي يحيى ابن ايوب الرازي دخلت الدار وبكيت وصرخت ومزقت على
نفسي القميص ووضعت التراب على راسي فاجتمع علي اهلي ومن في منزلي
فقالوا ما اصابك قلت نعي الي يحيى بن ايوب الرازي منعتموني الارتحال
اليه فسلوا قلبي واذنوا لي الخروج عند ذلك واصحبوني خالي الى نسا
الى الحسن بن سفيان واشار الاسماعيلي الى وجهه وقال لم يكن ها هنا
طاقة فقدمت عليه وسالته ان اقرا عليه المسند وغيره فكان ذلك
اول رحلتي في الحديث ورجعت [illegible] في سنة اربع وتسعين فان
فيها توفي يحيى بن ايوب قال ثم خرجت الى العراق سنة ست وتسعين
وصحبني بعض اقرباي قلت سمع [illegible] اكثروا في هذه النوبة
وحمزة [illegible] عيسى [illegible] واحمد [illegible] سليمان المروزي

أول الطبقة الثامنة والثلاثين بخط المصنف (أيا صوفيا ٣٠٠٨)

آخر المجلد الثاني عشر بخط المصنف (أيا صوفيا ٣٠٠٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبقة الحادية والأربعون

ذكر سنة احدى وأربعمائة

احمد بن عبد الملك بن هاشم ابو عمر بن المكوي

أول وفيات الطبقة الحادية والأربعين بخط المؤلف (أيا صوفيا ٣٠٠٩)

آخر الطبقة الخمسين بخط المؤلف (أيا صوفيا ٣٠٠٩)



المجلد الخامس عشر من كتاب

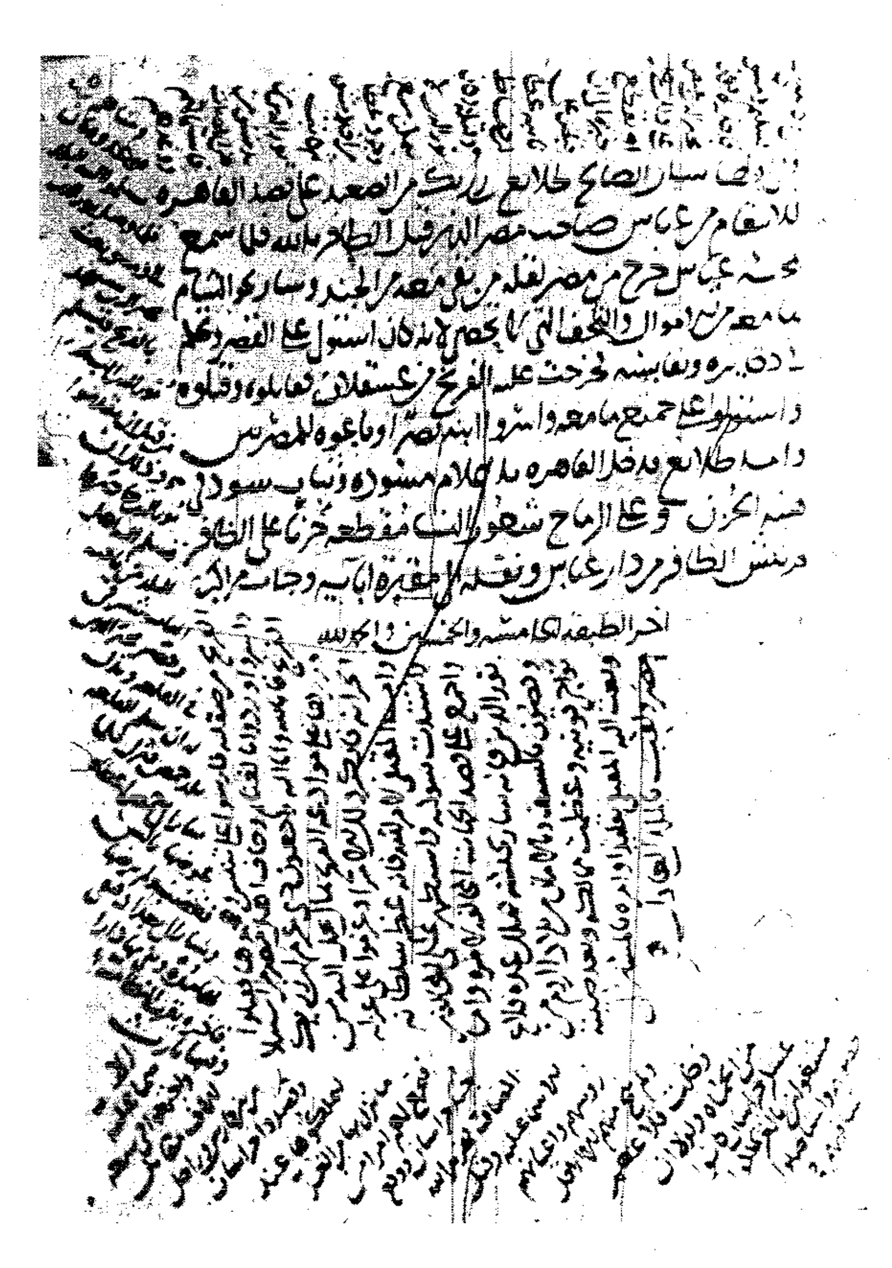
تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام

طرة المجلد الخامس عشر من نسخة المؤلف وعليه خط الصفدي والوقفية على المدرسة المحمودية (أيا صوفيا ٣٠١٠)

٤٨

حوادث المجلد الثالث عشر من تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام جمع محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي

طرة حوادث المجلد الخامس عشر بعد التصليح (أيا صوفيا ٣٠١٠)



آخر حوادث سنة (٥٥٠) بخط المؤلف وهي الورقة (٤٦) من مجلد أيا صوفيا ٣٠١٠

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

الطبقة الرابعة والخمسون

سنة احدى وثلاثين

وخمس مائة وتسعة من توفي فيها

أول وفيات الطبقة الرابعة والخمسين (أيا صوفيا ٣٠١٠)

علي بن عبد العزيز بن حنبلا ابو الحسن الحربي اخبرنا

علي بن عبد العزيز بن عبد الله السماك سمع ابا نصر
الزينبي ورزق الله التميمي وجماعة قال ابن السمعاني كتبت عنه وكان شيخا حنبليا
جلدا متحركا صالحا لا بأس به حريصا على السماع وكان يحضر معنا
مجالس الحديث وسمع على ابن البسري ولد في سنة اربع وستين واربعمائة
وقال ابن الجوزي كان من اهل السنة [illegible] ابا الفضل [illegible]
[illegible] وجماعة وتوفي في شوال

علي بن محمد بن الحسن بن الفراء ابو الفرج [illegible] من
القضاة [illegible] الحنبلي سمع ابا عبد الله النعالي [illegible] في [illegible] عشر رمضان
وصلى عليه ولده القاضي ابو القاسم عبيد الله [illegible] الحارثي

علي بن نصر بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ [illegible] ابو الحسن
الكناني الشيزري والد [illegible] وكان [illegible] سنة سبع [illegible] واربعمائة
وكان ذكيا شاعرا [illegible] دخل بغداد [illegible] بستان [illegible]
والد الامير اسامة

لقد حمل [illegible] الى [illegible] المسك [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

نسخته [illegible] هذا العام
آخر المجلد الثالث عشر والحمد لله
وصلواته على [illegible]

الورقة الأخيرة من المجلد الخامس عشر والذي كان المجلد الثالث عشر
المجلد الثالث عشر قبل تبييض المئة الثانية (أيا صوفيا ٣٠١٠)



طرة المجلد الثامن عشر (أيا صوفيا ٣٠١١)



آخر وفيات سنة ٦٠٨ من المجلد الثامن عشر (أيا صوفيا ٣٠١١ ورقة ٦٦)

المجلد التاسع عشر

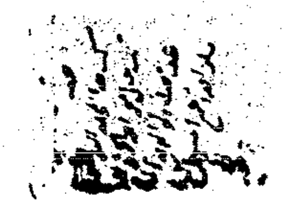
من تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير

والأعلام

طرة المجلد التاسع عشر (أيا صوفيا ٣٠١٢).



طرة المجلد العشرين (آيا صوفيا ٣٠١٣).



الورقة ٣٠٨ من المجلد العشرين وفيها النص على انتهاء المجلد (أيا صوفيا ٣٠١٣).


المجلد الحادي عشر من كتاب
تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام
تأليف العبد الفقير إلى الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

طرة المجلد الحادي والعشرين (أيا صوفيا ٣٠١٤).

الورقة ٣١٩ من المجلد الحادي والعشرين، وهي آخر الطبقة السبعين، وآخر الوفيات في الكتاب.

الورقة الأخيرة من المجلد الحادي والعشرين وفيها النص على انتهاء الكتاب.

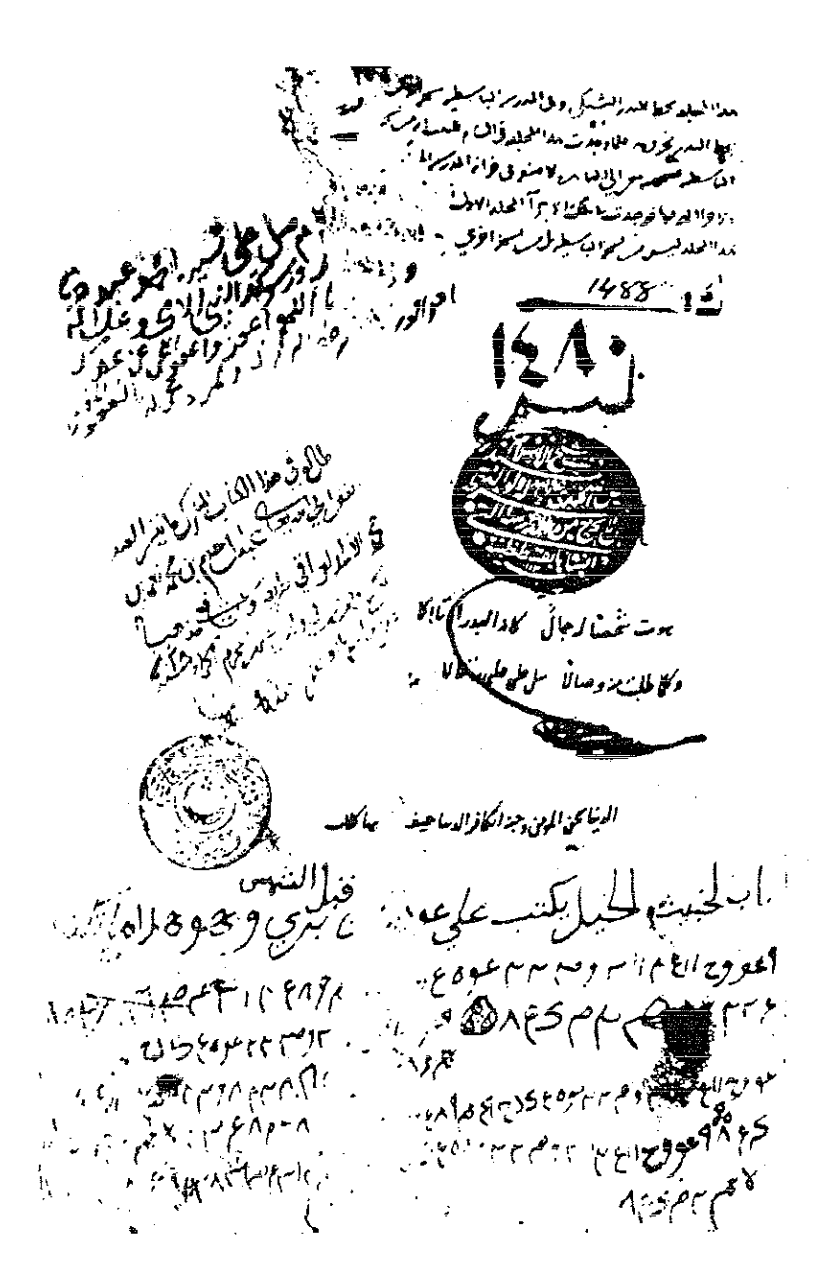
البشتكي

الجزء الأول من تاريخ الإسلام للذهبي بخط البدر

تأليف الإمام العالم الكامل الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي
المتوفى سنة ست وأربعين وسبعمائة رحمه الله

طرة المجلد الأول من النسخة التي كتبها العلامة بدر الدين البشتكي

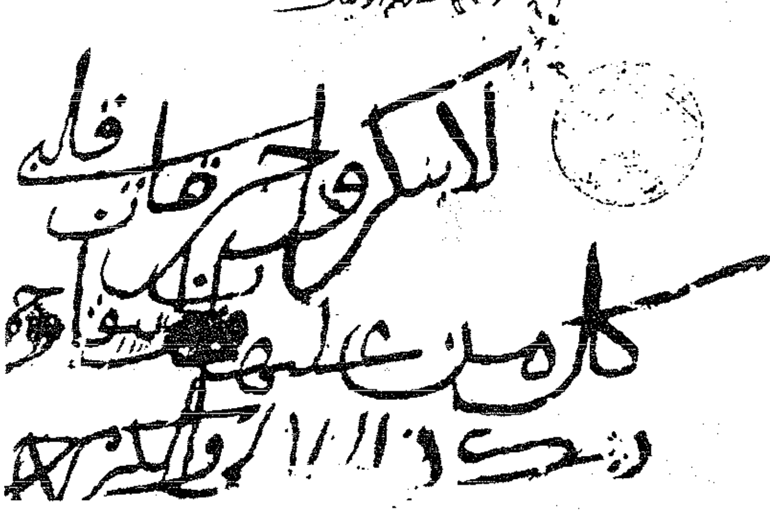
(فيض الله ١٤٨٠)



راموز الورقة التي تلي طرة المجلد الأول من النسخة التي كتبها العلامة بدر الدين البشتكي، ويظهر في أعلاها النص على جلب هذا المجلد من الشام إلى مصر

راموز الورقة الأولى من المجلد الأول الذي كتبه العلامة بدر الدين البشتكي

نقلا من خط المؤلف الذهبي



راموز الورقة الأخيرة من المجلد الأول الذي كتبه العلامة بدر الدين البشتكي، وهو آخر المغازي، وفيه نصه على نقله من خط المؤلف الذهبي

الورقة الأولى من المجلد الأول من نسخة البدر البشتكي (تونس ١٤٢٣٩)

آخر المجلد الأول من نسخة البدر البشتكي المحفوظة بتونس ١٤٢٣٩





وقفية المجلد الأول من نسخة البدر البشتكي على الجامع الأعظم بتونس وهو الآن في المكتبة الوطنية

الطبقة الخامسة

ثم دخلت سنة احدى واربعين

أول الطبقة الخامسة بخط البدر البشتكي (دار الكتب الظاهرية بدمشق ٧٨٧٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبقة السادسة

سنة احدى وخمسين

فيها زيد بن ثابت في قول وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وجرير بن عبد الله البجلي
بخلف وعثمان بن ابي العاص الثقفي وابو ايوب الانصاري وكعب بن عجرة في قول وميمونة
ام المؤمنين وعمرو بن الحمق في قول وقتل حجر بن عدي واصحابه كما في ترجمته ورافع
ابن عمرو الغفاري ويقال سنة ثلث وله خمس وسبعون سنة وفيها حج بالناس معوية
واخذ لهم بيعة يزيد . قال ابن ابي خيثمة ثنا موسى بن اسمعيل ثنا القسم بن الفضل
عن محمد بن زياد قال قدم زياد المدينة فخطبهم فقال يا معشر اهل المدينة ان امير المؤمنين
قد نظر لكم وانه جعل لكم مفزعا تفزعون اليه يزيد ابنه فقام عبد الرحمن بن ابي بكر
فقال يا معشر بني امية اختاروا منها بين ثلثة بين سنة رسول الله او سنة ابي بكر او سنة عمر
ان هذا الامر قد كان في اهل بيت رسول الله صلى الله عليه من لو ولاه ذاك لكان لذلك اهلا
ثم كان ابو بكر فكان في اهل بيته من لو ولاه لكان لذلك اهلا فولاها عمر فكان بعده وقد كان
في اهل بيت عمر من لو ولاه ذلك لكان له اهلا فجعلها في نفر من المسلمين الا وانما اردتم ان
تجعلوها قيصرية كلما مات قيصر كان قيصر فغضب مروان بن الحكم وقال لعبد الرحمن
هذا الذي انزل الله فيه والذي قال لوالديه اف لكما فقالت عائشة كذبت انما انزل
ذلك في فلان واشهد ان الله لعن اباك على لسان نبيه صلى الله عليه وانت في صلبه
وقال [illegible] لما ارادوا ان يبايعوا ليزيد قام مروان فقال سنة ابي بكر الراشدة
المهدية فقام عبد الرحمن بن ابي بكر فقال ليس بسنة ابي بكر قد ترك ابو بكر الاهل
والعشيرة وعدل الى رجل من بني عدي ان رأى انه لذلك اهلا ولكنها هرقلية
وقال [illegible] بن راشد عن الزهري عن ذكوان مولى عائشة قال لما اجمع معوية على
ان يبايع لابنه حج فقدم مكة في نحو من الف رجل فلما دنا من المدينة خرج ابن عمر وابن الزبير
وعبد الرحمن بن ابي بكر [illegible]

أول الطبقة السادسة بخط البدر البشتكي (ظاهرية ٧٨٧٥)

٥٦

بـ[illegible] أربعة عشر ألف درهم وأحسن جوارهم فإنه كان ممن نصر عثمان وكان معه في الدار
وقيل كان الذين تولوا حمله سودانيا ولما مات أبو اليسر [كعب] السلمي من أعيان الأنصار
[illegible] كعب بن عمرو شهد العقبة وله عشرون سنة وهو الذي أسر العباس يوم بدر
روى عنه صيفي مولى أبي أيوب الأنصاري وعبادة بن الوليد الصامتي وموسى بن طلحة ابن عبيد الله
وحنظلة بن قيس الزرقي وغيرهم وكان رجلا قصيرا ذا بطن وهو الذي انتزع راية
المشركين يوم بدر وقد شهد صفين مع علي وتوفي بالمدينة سنة خمس وخمسين فقال بعضهم
هو آخر من مات من البدريين فالله أعلم

آخر هذه الطبقة والحمد لله وحده
[illegible] المؤلف نفعنا بها في صفر
سنة اثنتي عشرة وثمانمائة

صح بلغ

آخر الطبقة السادسة بخط البدر البشتكي (ظاهرية ٧٨٧٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبقة السابعة

سنة احدى وستين

توفي فيها جرهد الاسلمي ، والحسين بن علي رضي الله عنهما ، وصخر بن عمرو الاسلمي ، وام سلمة
ام المومنين ، وجابر بن عتيك بن قيس الانصاري ، وخالد بن عرفطة ، وعثمان بن زياد
ابن ابيه اخو عبيد الله توفي شابا وله ثلاث وثلثون سنة ، وحمزة بن الحرث وهو مختصر
واستشهد مع الحسين ستة عشر رجلا من اهل بيته . وكان من قصته انه وجه
من مكة طالبا الكوفة ليلي الخلافة فروى ابن سعد الكاتب من وجوه متعددة ثم قال وغير
ان [illegible] اسانيد وغيرهم قد حدثني في هذا الحديث بطائفة فكتبت جوامع
حديثهم في مقتل الحسين رضي الله عنه قالوا لما اخذ البيعة معوية لابنه يزيد كان
الحسين ممن لم يبايع وكان اهل الكوفة يكتبون الى الحسين يدعونه الى الخروج اليهم
زمن معوية وهو يابى فقدم منهم قوم الى محمد بن الحنفية وطلبوا اليه ان يخرج معهم
فابى وجا الى الحسين فاخبره بما عرضوا عليه وقال ان القوم انما يريدون ان
ياكلوا بنا ويشيطوا دمانا فاقام الحسين على ما هو عليه مهموما يجمع الاقامة مرة
ويريد ان يسير اليهم مرة فجاه ابو سعيد الخدري فقال يا ابا عبد الله اني لك ناصح ومشفق
وقد بلغني ان قوما من شيعتكم كاتبوك فلا تخرج فاني سمعت اباك بالكوفة يقول
والله اني لقد مللتهم وابغضتهم وملوني وابغضوني وما بلوت منهم وفا ومن فاز بهم فاز
بالسهم الاخيب والله ما لهم نيات ولا عزم ولا صبر على السيف قال وقدم المسيب
ابن نجبة الفزاري وعدة معه الى الحسين بعد وفاة الحسن فدعوه الى خلع معوية وقالوا
قد علمنا رايك وراي اخيك فقال اني لارجو ان يعطي الله اخي على نيته وان يعطيني
على نيتي في حبي جهاد الظالمين وكتب مروان الى معوية اني لست امن ان يكون حسين
مرصدا للفتنة واظن يومكم من حسين [illegible] فكتب معوية الى الحسين ان من اعطى الله
صفقة يمينه وعهده لجدير بالوفا وقد انبيت ان قوما من اهل الكوفة قد دعوك
الى

بداية الطبقة السابعة بخط البدر البشتكي (ظاهرية ٧٨٧٥)

اني وجدت في التوراة ان هذه الامة [illegible]
وصنف يحاسبون حسابا يسيرا [illegible]
من الاولين فان لم اكن منهم كنت ممن يحاسب حسابا يسيرا [illegible] كنت من [illegible]
صالح المري عن ابي عبد الله الشامي عن مكحول عن ابي مسلم الخولاني [illegible]
الخولاني وكان بمرو راهبا نزل عن صومعته ايام عمر واسلم فقال تركت [illegible]
عهد رسول الله صلى الله عليه وعهد ابي بكر وذكر الحديث . الجريري عن عقبة [illegible]
كان لابي مسلم الخولاني جار يهودي يكنى ابا مسلم كان يمر به فيقول يا ابا مسلم اسلم [illegible]
تسم به حقا وهو يصلي وذكر شبه حديث ابي قلابة قال ابن معين ابو مسلم الجليلي
ويقال الجلولي شامي الاغشو بن سليك ويقال ابن حنظلة الكوفي عن علي
وعنه سماك بن حرب وعلي بن الاقمر وابو اسحق السبيعي روى له النسائي

اخر الطبقة الثامنة من تاريخ الاسلام
وطبقات المشاهير والاعلام
تاليف الحافظ شمس الدين
الذهبي بخطه
بلغت

والحمد لله اولا واخرا وباطنا وظاهرا اللهم اعني على اتمامه بمنك وجودك امين

آخر الطبقة الثامنة بخط البشتكي (ظاهرية ٧٨٧٦)

الطبقة
العاشرة
من تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام
تأليف الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي
رحمه الله تعالى وشكر سعيه

طرة الطبقة العاشرة بخط البشتكي (ظاهرية ٧٨٧٦)

مرزوق فقال لأصحابه اضربوني واحلقوا رأسي ولحيتي ففعلوا ذلك به فلحق بالاصبهبذ
فتنبع لهم فدخل اليه فقال إنما فعلوا بي ما ترى تهمة منهم لي بأن هواي معك وأخبره
بأنه معه وأنه يدله على عورة العسكر فوثق به وقرّبه وكان باب مدينته حجرًا فلم يزل
يظهر له النصيحة والاصبهبذ يفتقر إلى أن يتبع أحد من يتولى الباب فرأى منه ما يجب
ثم بعث مرزوق إلى العسكر بانتشابه ووعدهم ليلة معينة في فتح باب الحصن ثم فعل
ذلك ودخلوا فقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية فمصّ الاصبهبذ سمًّا في خاتمه فهلك فكان
من جملة السبي شكله والدة ابرهيم بن المهدي من بنات الامرا ووالدة منصور بن المهدي
المعروفة بالبحرية من بنات الملوك وفيها عُزل عن امرة مصر نوفل بن الفرات
بمحمد بن الأشعث ثم عزل بهم واعيد نوفل ثم عزل ثانيا فوليها حميد بن قحطبة وفيها
حج بالناس اسمعيل بن علي وفيها استعمل المنصور أخاه العباس بن علي [?] بلاد
الجزيرة والثغر وفيها كان توثب العبيد بالبصرة فانتدب لهم صاحب الشرطة
فقتلهم وفيها ولي محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة البحر فغزا مدينة قيس وهي
جزيرة في البحر فيها نه مراكب الهند فلم يخرج اليهم فخرج ابنه فقتل وقتل معه كاتبه
ثم هرب بهم منها قد ظهر العدو [illegible]
إلى البصرة [illegible]

سنة ثلاث وأربعين ومائة

فيها توفي حجاج بن أبي عثمان الصواف	وحميد الطويل على الصحيح
وحيي بن عبد الله المعافري	وخطاب بن صالح المدني
وعبد الرحمن بن الحارث المخزومي المدني	وعبد الرحمن بن عطاء المدني
وعبد الرحمن بن ميمون المدني بمصر	وعلي بن أبي طلحة مولى بني هاشم
وليث بن أبي سليم في قول	ومطرف بن طريف في قول

ويحيى بن سعيد الأنصاري. وفيها سار أبو الأحوص العبدي في ستة الاف فارس من
مصر إلى افريقية فنزل برقة ثم التقى هو وأبو الخطاب الإباضي فانهزم أبو الأحوص

أول الموجود من الطبقة الخامسة عشرة بخط البشتكي (كوتا ١٥٦٣)

زاذان وعنه ابونعيم وجبرة اسمه سعيد بن كثير ابو العنبس عن القاسم بن محمد
وعن مولى لام سلمه وعنه مسعر وشعبه وحبيبا قديم الموت وانما اقرنه لرفيقيه
ابو العنبس عن ابي وائل وعنه حفص بن غياث ووكيع اسمه عمرو مر
ابو مالك الاشجعي سعد قد ذكر ابو مسكين الاودي الكوفي اسمه الحر فيما قيل
روى عن ابراهيم النخعي وهزيل بن شرحبيل وعنه الثوري وابو عوانه وهشيم بن
حميد ومجاهد ابو مصلح الخراساني صاحب الضحاك اسمه نصر بن مشارس
حدث عنه بشار بن قيراط ووكيع والنضر بن شميل ومحمد بن عبيد البلخي قال
ابو حاتم شيخ ابو الورقا عابد ابو يعفور الكوفي عبد الرحمن بن عبيد بن نسطاس
الثعلبي العامري عن السائب بن يزيد وابراهيم النخعي وابي الضحى مسلم وعنه السفيانان
وابن المبارك وابن فضيل ومروان بن معاويه واخرون وهو ثقه قليل الحديث
ابو اليقظان عثمان بن عمير مر ابو يونس القوي هو الحسن بن يزيد مر
ابن ميادة من فحول الشعرا الذي ادركوا الدولتين الاموية والهاشمية واسمه
رماح بن ابرد ابو شراحيل ويقال ابو شرحبيل المري وامه بربريه اسمها
ميادة ومن قوله السائر

وإني لما استودعت يا ام مالك … على قدم من عهدنا لكتوم
أأخبر بسري بعد ما استكتم الذي … أخبره اني اذا للئيم

آخر الطبقة الخامسة عشر
والحمد لله وصلى علقتها من خط مؤلفها
الحافظ شمس الدين محمد بن احمد الذهبي

آخر الطبقة الخامسة عشرة بخط البشتكي (كوتا ١٥٦٣)

أول الطبقة السابعة عشرة بخط البشتكي (دار الكتب المصرية ٤٢ تاريخ)

منه المهدي إلى العراق وأمر له بألف دينار وقال تكون بحضرتنا فتفقه من حولنا
قال الخطيب كان من أعلم الناس بالمغازي أصله يماني سبي في وقعة يزيد بن المهلب
باليمامة والبحرين قال ابنه محمد كان أبي أبيض وأما أبو سعيد العسال
فقال كان أسود وذكر ابنه محمد أن أباه كان لعبد الرحمن بن الوليد بن هلال
فكوتب فسعى بالمدينة فاشتراه قوم من بني أسد فسعى بحياتها فاشترته أم موسى
الهادي فأعتقته فصار ولاؤه لبني هاشم قال وكان ينتسب إلى
قال أبو نعيم كان أبو معشر لبيبا حافظا وقال الفلاس كان
عبد الرحمن يحدث عنه قال أحمد بن أبي خيثمة سمعت يحيى بن معين يقول
ضعيف أبو معشر قبل أن يموت كان يخرج منه الريح ولا يشعر مات في رمضان
سنة سبعين وقال أبو أحمد الطوسي ثنا أبو نعيم أن أبا معشر كان
... عن محمد بن كعب ... من مناكيره روايته عن
سعيد المقبري عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ...
بعد الثلاث ... قال أبو ... كان ... دوس ...
... قال أبو زرعة أبو معشر صدوق ليس
بالقوي أبو هلال هو محمد بن سليم الراسبي البصري نزل في بني راسب
فنسب إليهم وولاؤه لسامة بن لؤي روى عن الحسن وابن سيرين وابن أبي مليكة
وحميد بن هلال ومطر الوراق وعنه أسد بن موسى وعبد الرحمن بن مهدي والكوفي
وشيبان بن فروخ وخلائق ووثقه أبو داود وقال ابن معين لم يكن له كتاب
... ضعيف الحديث وقال أبو حاتم محله الصدق وقال النسائي ليس بالقوي
علق له البخاري وتوفي سنة سبع وستين ومائة أبو يحيى صاحب السقط
... اسمه رجاء بن صبيح روى عن ... بن شيبة والحسن ...
وعنه يزيد بن زريع ومسلم وموسى بن إسماعيل ... بن خالد قال أبو حاتم
ليس بالقوي وضعفه ابن معين. تمت الطبقة ولله الحمد.

آخر الطبقة السابعة عشرة بخط البشتكي (دار الكتب المصرية ٤٢ تاريخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبقة الثامنة عشر

سنة احدى وسبعين ومايه

سنة اثنين وسبعين ومايه

الورقة الأولى من الطبقة الثامنة عشرة بخط البشتكي (دار الكتب المصرية ٤٢ تاريخ)

آخر الطبقة الثامنة عشرة بخط البشتكي (دار الكتب المصرية ٤٢ تاريخ)

الإمام أحمد وتاريخ المفضل بن غسان الغلابي والجرح والتعديل عن يحيى [illegible]
والجرح والتعديل لعبد الرحمن بن أبي حاتم ومن علم [illegible] فهو في الكتب [illegible]
أو بعضها لأني طالعت مسودة تهذيب الكمال لشيخنا الحافظ أبي الحجاج يوسف المزي
ثم طالعت المبيضة كلها فمن علّم على اسمه [illegible] فحديثه في الكتب الستة ومن عليه [illegible]
فهو في السنن الأربعة ومن عليه خ فهو في البخاري ومن عليه م فغي مسلم
ومن عليه د ففي سنن أبي داود ومن عليه ت ففي جامع الترمذي ومن عليه
س ففي سنن النسائي ومن عليه ق ففي سنن ابن ماجه وإن كان الرجل
في الكتب الأفرد كتاب فعليه سوى [illegible] مثلا أو سوى [illegible] وقد طالعت عليه أيضا
من التواريخ التي اختصرتها تاريخ أبي عبد الله الحاكم وتاريخ أبي سعيد بن يونس
وتاريخ أبي بكر الخطيب وتاريخ دمشق لأبي القاسم الحافظ وتاريخ أبي سعد السمعاني
والأنساب له وتاريخ القاضي شمس الدين بن خلكان وتاريخ العلامة شهاب الدين
أبي شامة وتاريخ الشيخ قطب الدين بن اليونيني وتاريخه ذيل على تاريخ مرآة
الزمان لواعظ شمس الدين يوسف بن الجوزي وهما على الحوادث والسنين وطالعت
أيضا الكثير من تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير وتاريخ ابن الفرضي وصلته لابن
بشكوال وتكملتها للأبار والكامل لابن عدي وكتبا كثيرة وأجزاء عديدة وكثيرا
من مرآة الزمان ولم يعتن القدماء بضبط الوفيات كما ينبغي بل اتكلوا على حفظهم
فذهبت وفيات خلق من الأعيان من الصحابة ومن تبعهم إلى قديم زمان أبي
عبد الله الشافعي رحمه الله فكتبنا أسماءهم على الطبقات تقريبا ثم اعتنى المتأخرون
بضبط وفيات العلماء وغيرهم حتى ضبطوا جماعة فيهم جهالة بالنسبة إلى معرفتنا
لهم [illegible] حفظت وفيات خلق من المجهولين وجهلت وفيات أئمة من المعروفين
وأيضا [illegible] لم يقع إلينا تواريخها إما لكونها لم يؤرخ علماءها أحد من
الحفاظ أو جمع لها تاريخ ولم يقع إلينا وأنا أرغب إلى الله تعالى وأبتهل إليه أن ينفع
بهذا الكتاب وأن يغفر لجامعه وسامعه ومطالعه وللمسلمين آمين
[illegible] في صحيحه من حديث الزهري عن عروة
عن عائشة رضي الله عنها أن المسلمين بالمدينة سمعوا بخروج رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكانوا يغدون إلى الحرة ينتظرونه حتى يردهم حر الشمس فانقلبوا
يوما فأوفى يهودي على أطم فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه

راموز الورقة الأولى من المجلد الأول من نسخة الأمير عبدالله بن عبدالرحمن آل سعود

قلت والله لقد آمنت بي إذ كذبني الناس وآوتني إذ رفضني الناس وصدقتني إذ
كذبني الناس ورزقت منها الولد وحرمتموه مني قالت فغدا وراح علي بها شهرا
[illegible] هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت ما غرت على امرأة ما غرت
على خديجة مما كنت أسمع من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لها وما تزوجني
إلا بعد موتها بثلاث سنين ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب
لا صخب فيه ولا نصب متفق عليه [illegible] الزهري توفيت خديجة قبل أن تفرض
الصلاة [illegible] ابن فضيل عن عمارة عن أبي زرعة سمع أبا هريرة يقول أتى جبريل
النبي صلى الله عليه وسلم فقال هذه خديجة أتتك معها إناء فيه إدام وطعام
أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في
الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب متفق عليه [illegible]
سمعت عليا رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
خير نسائها خديجة بنت خويلد وخير نسائها مريم بنت عمران أخرجه مسلم [illegible]

تم الجزء الأول من تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام [illegible]
الحافظ شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي والله المحمود على [illegible]
ويتلوه الجزء الثاني المبدوء بقصة الإسراء وذلك في صبح
يوم الاثنين رابع عشر شهر ربيع الأول عام
ألف ومائتين وثلاثة عشر [illegible]
والمرجو من اطلع على هفوة صغيرة أو كبيرة
أن يصلحها لأن الأصل الذي نقلته منه
كثير التحريف والله أسأل أن
يهدينا الإصابة الصواب
وأن يوفقنا الصالح الأعمال
[illegible]
[illegible]
[illegible]

راموز الورقة الأخيرة من المجلد الأول من نسخة الأمير عبدالله بن عبدالرحمن آل سعود

بداية المجلد الأول من تاريخ الإسلام (نسخة كيمبرج ٢٩٢٦)

بسم الله الرحمن الرحيم يا لطيف وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الطبقة الخامسة ثم دخلت سنة احدى واربعين

وسمي عام الجماعة لاجتماع الامة فيه على خليفة واحد وهو معاوية قال خليفة اجتمع الحسن
بن علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان بمسكن وهي من ارض السواد من ناحية الانبار
فاصطلحا وسلم الحسن الامر الى معاوية وذلك في ربيع الاخر او جمادى الاولى واجتمع الناس على
معاوية فدخل الكوفة وقال عبد الله بن شوذب سار الحسن في اهل العراق يطلب الشام
واقبل معاوية في اهل الشام فالتقوا فكره الحسن القتال وبايع معاوية على ان جعل العهد من بعده
للحسن فكان اصحاب الحسن يقولون له يا عار المؤمنين فيقول العار خير من النار وقال جرير بن
حازم بايع اهل الكوفة الحسن بعد ابيه واحبوه اكثر من ابيه وعن عوانة بن الحكم قال سار
الحسن حتى نزل المدائن وبعث قيس بن سعد بن عبادة على المقدمة في اثني عشر الفا فبينا
الحسن بالمدائن اذ نادى مناد الا ان قيسا قد قتل فاختبط الناس وانتهب الغوغاء سرادق
الحسن حتى نازعوه بساطا تحته وطعنه رجل من الخوارج من بني اسد بخنجر فوثب الناس على الرجل
فقتلوه لا رحمه الله ونزل الحسن القصر الابيض بالمدائن وكاتب معاوية في الصلح وقال
نحو هذا ابو اسحق والشعبي وروي انه انما خلع نفسه لهذا وهو انه قام فيهم فقال ما ثنانا عن
اهل الشام شك ولا زيغ لكن كنتم في منتدبكم الى صفين ودينكم امام دنياكم فاصبحتم اليوم
ودنياكم امام دينكم وروي ان الخنجر الذي جرح به في اليته كان مسموما فتوجع منه شهرا
ثم عوفي ولله الحمد وقال ابو روق الهمداني ثنا ابو الغريف قال لما رد الحسن الى الكوفة
وبايع معاوية قال له رجل منا يقال له ابو عامر السلام عليك يا مذل المؤمنين فقال لست بمذل
المؤمنين ولكني كرهت ان اقتلكم على الملك وروي انه قال في شرطه لمعاوية ان علي عدات
وديونا فاطلق له من بيت المال ... اكثر وكان الحسن رضي الله عنه سيدا
ابى القتال وقد قال جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابني هذا سيد وسيصلح الله
به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وقال سليمان بن عبد العزيز بصري ثقة ثنا هلال بن خباب
قال قال الحسن بن علي يا اهل الكوفة لو لم تذهل نفسي عنكم الا لثلاث لذهلت لقتلكم
ابي وطعنكم في فخذي وانتهابكم ثقلي ۞ ولما دخل معاوية الكوفة خرج عليه عبد الله بن
ابي الحوساء بالنخيلة في جمع فبعث لحربه خالد بن عرفطة فقتل ابن ابي الحوساء ۞ وفي جمادى الاخرة
خرج بناحية البصرة سهم بن غالب الهجيمي والخطيم الباهلي فقتلا عبادة بن قرط الليثي
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بناحية الاهواز فانتدب لحربهما عبد الله بن عامر
بن كريز ... واستأمنا فامنهما وقتل طائفة من اصحابهما ۞ وفيها ولي عبد الله بن عامر البصرة

أول الطبقة الخامسة من مجلد أيا صوفيا ٣٠١٦

وجماعة ووثقه أبو حاتم وغيره. أبو لبابة الشمري الوراق واسمه مروان عن عائشة
وأنس وعنه هشام بن حسان وحماد بن زيد ووثقه ابن معين يقال أنه مولى لعائشة
رضي الله عنها. أبو مريم الأنصاري ويقال الحضرمي الشامي صاحب القناديل وقيم
مسجد حمص وقيل إنه قرمة خالد بن الوليد لذلك روى عن أبي هريرة وجابر وعنه يحيى
بن أبي عمرو الشيباني ومعاوية بن صالح وجرير بن عثمان وصفوان بن عمرو و[illegible] فرج
بن فضالة الحمصي قال أحمد بن حنبل رأيتهم بحمص يثنون عليه وقال العجلي أبو مريم مولى أبي هريرة
تابعي ثقة وفرق البخاري بين هذا وبين خادم مسجد حمص وجمعهما أبو حاتم. أبو المليح بن أسامة
الهذلي اسمه عامر وقيل زيد بصري فقيه روى عن أبيه وعائشة وبريدة بن الحصيب وعوف
بن مالك وابن عباس وعبد الله بن عمرو وجماعة وعنه أيوب السختياني وأبو بشر وخالد الحذاء
وحجاج بن أرطاة وقتادة وأبو بكر الهذلي وكان عاملا على الأبلة قال ابن سعد وابن أبي عاصم
توفي سنة اثنتي عشرة ومائة. أبو المهزم التميمي بصري اسمه يزيد بن سفيان وقيل عبد الرحمن
بن سفيان عن أبي هريرة وعنه حسين المعلم وحبيب المعلم وشعبة ثم تركه وحماد بن سلمة وعبد
الوارث بن سعيد وهو أقدم شيخ لعبد الوارث وأحسبه عاش بعد العشرين ومائة
ضعفه ابن معين وقال النسائي متروك. أبو نوفل بن أبي عقرب روى عن أبيه وعائشة
وأسماء وعبد الله بن عمرو روى عنه ابن جريج والأسود بن شيبان وشعبة ووثقه ابن معين.
أبو وهب الجيشاني المصري عن الضحاك بن فيروز الديلمي وعبد الله بن عمرو بن العاص
وعنه عمرو بن الحارث والليث بن لهيعة اسمه على الأصح عبيد بن شرحبيل وقال البخاري
ديلم بن هوشع والله أعلم

آخر الطبقة الثانية
عشر من تاريخ الإسلام
وطبقات المشاهير
والأعلام للذهبي
رحمه الله تعالى

الورقة الأخيرة من مجلد أيا صوفيا ٣٠١٦ وفيها آخر الطبقة الثانية عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الإعانة والتوفيق

الطبقة الثالثة عشرة ذكر سنة إحدى وعشرين ومائة

الورقة الأولى من الطبقة الثالثة عشرة من نسخة دار الكتب المصرية ٤٢ تاريخ

وهو الذي زعم أن عائشة كانت سوداء فكذب بمثل هذا أبو شعيب المجنون الصلت
أبو شهاب الحناط الأصغر هو موسى بن نافع كوفي ثقة نبيل روى عن سعيد بن جبير
ومجاهد وعطاء وعنه الثوري ويحيى القطان وأبو أسامة وأبو نعيم وأبو داود
الطيالسي وثقه ابن معين وهو أكبر شيخ لأبي داود أبو الفالح النخعي سليمان بن يسير
أبو عاتكة عن أنس وعنه الحسن بن عطية وسلام بن سليمان وغسان بن عبيد قال البخاري
منكر الحديث أبو عبد الرحيم هو خالد بن أبي يزيد قد ذكر أبو عمرو الخزاز النضر قد ذكر
أبو العميس هو أخو المسعودي وهو عتبة بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود الهذلي
الكوفي روى عن الشعبي وابن أبي مليكة وقيس بن مسلم وعون بن أبي جحيفة وعنه وكيع
وأبو أسامة وجعفر بن عون وأبو نعيم وآخرون وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم قال
حيان ثنا الثوري ثنا جعفر بن عون ثنا أبو العميس عن القاسم قال من قرأ القرآن [illegible]
مثل السجود فهو ثلث الناس فهذا من الجنة أبو العنبس عن أبي عمر زاذان وعنه أبو نعيم
ووكيع اسمه سعيد بن كثير أبو العنبس عن القاسم بن محمد وعن مولى لأم سلمة وعنه مسعر
وشعبة وغيرهما قدم الموت وإنما أخرته لترتيبه أبو العنبس عن أبي وائل وعنه
حفص بن غياث ووكيع اسمه حجر ومر أبو عاتكة [illegible] قد ذكر أبو مسكين
الأودي الكوفي اسمه الحر فيما قيل روى عن إبراهيم النخعي وهزيل بن شرحبيل وعنه
الثوري وأبو عوانة وعبيدة بن حميد وغيرهم أبو مصلح الخراساني صاحب الضحاك اسمه نصر
بن مشارس حدث عنه بشار بن قيراط ووكيع والنضر بن شميل وعمر بن هارون البلخي قال
أبو حاتم شيخ أبو الوصافا قد يقال أبو يعفور الكوفي عبد الرحمن بن عبيد بن نسطاس الثعلبي
العامري عن السائب بن يزيد وإبراهيم النخعي وأبي الضحى مسلم وعنه السفيانان وابن
المبارك وابن فضيل ومروان بن معاوية وآخرون وهو ثقة قليل الحديث ن
أبو اليقظان هو عثمان بن عمير مر أبو يوسف اللؤلؤي هو الحسن بن زياد مر ابن ميادة
من فحول الشعراء الذين أدركوا الدولتين الأموية والعباسية واسمه رماح بن أبرد أبو
شراحيل ويقال أبو شرحبيل المري وأمه بربرية اسمها ميادة ومن قوله السائر

وإني لمأسور بعد بأم مالك ... على عهد من عهدنا المكتوم
[illegible] ... [illegible] للبشر

تم الطبقة الخامسة عشرة والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحابته وأزواجه وعترته الطيبين
آمين

آخر الطبقة الخامسة عشرة من نسخة دار الكتب المصرية ٤٢ تاريخ

أول الطبقة السابعة والعشرين (مجلد دار الكتب المصرية ١٤٥٢ تاريخ)

آخر الطبقة السابعة والعشرين (مجلد دار الكتب المصرية ١٤٥٢ تاريخ)

أبو عبد الله التيمي الكوفي البزاز حدث عن إبراهيم بن عبد الله القصار وإبراهيم بن أبي العنبس وكان أحد الشهود [illegible] أبو [illegible] وأبو الحسن بن [illegible]
قال الخطيب مستقيم الحديث. أحمد بن علي بن عمر بن حبيش أبو سعيد الرازي [illegible] الأشعري [illegible] حدث عن محمد بن أيوب بن الضريس
وغيره روى عنه الدارقطني وأبو الحسن بن رزقويه ذكره الخطيب. أحمد بن علي بن عبد الجبار أبو [illegible] العداد [illegible] حدث عن يحيى بن
جعفر بن الزبرقان والكديمي روى عنه أبو القاسم بن الثلاج وعلي بن أحمد الرزاز وأبو الحسن بن رزقويه وأبو الحسن الحمامي توفي سنة سبع
وأربعين وثلاثمائة. بكر بن أحمد أبو عمرو النخاس عن إسحاق الدبري روى عنه أبو الحسن الحمامي وحده. أحمد بن محمد الواشقي الهروي أبو يعلى [illegible]
[illegible] الكلام إنه روى عن عثمان بن سعيد الدارمي [illegible] محمد بن أحمد الجارودي [illegible] يحيى بن عمار ومحمد بن جبريل ومحمد بن عبد الرحمن الدباس
شيوخ شيخ الإسلام. الحسن بن علي بن إسحاق بن شيرزاد أبو علي البغدادي القرزادي عن عباس الدوري والحسن بن مكرم وعلي بن
داود القنطري وطائفة قال الخطيب كان ثقة ثنا عنه ابن رزقويه. علي بن عبد الله البغدادي العطار صاحب الحكم سمع علي بن حرب
الموصلي [illegible]

هذا آخر الطبقة ولله الحمد بمنه وكرمه على يد أفقر عباده محمد بن
[illegible] بن أبي بكر عفا الله له ولوالديه [illegible]
[illegible] وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين
والحمد لله رب العالمين

الطبقة السادسة والثلاثون
[illegible] وثلاثمائة



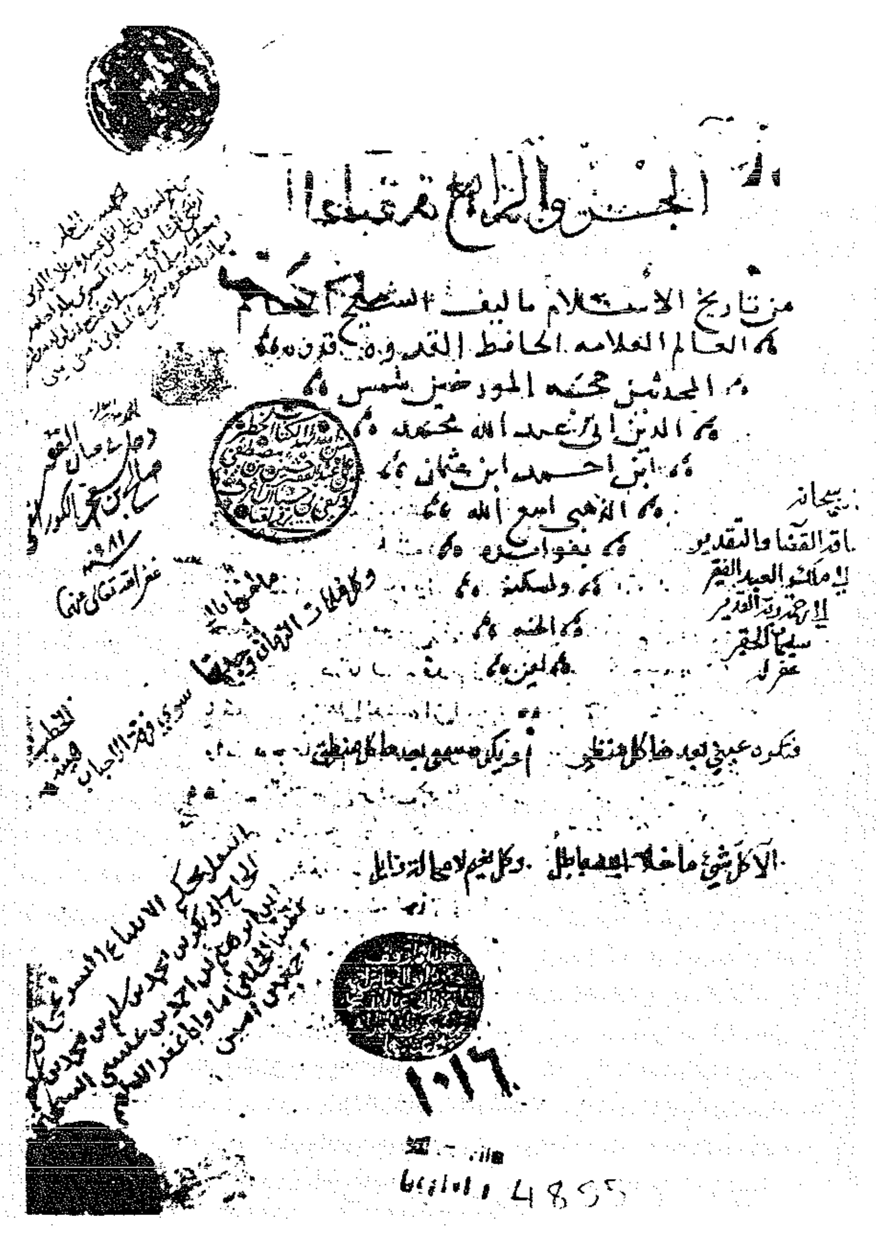
آخر المجلد المحفوظ بمكتبة لالالي بإستانبول رقم ٢٠٨١

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر ولا تعسر رب يسر يا كريم

الطبقة الحادية والأربعون ذكر سنة إحدى وأربعمائة ومن توفي فيها

أحمد بن عبد الملك بن هاشم أبو عمر بن المكوي الإشبيلي المالكي كبير المفتين بقرطبة الذي انتهت رياسة العلم بالأندلس
في عصره تفقه على إسحاق بن إبراهيم الفقيه وكان حافظا للمذهب متقدما فيه بصيرا بأقوال أصحاب مالك من أهل المتانة في دينه
والصلابة في رأيه والبعد عن هوى نفسه [illegible] دعي إلى قضاء قرطبة مرتين فأبى وصنف كتاب الاستيعاب
في رأي مالك للحاكم أمير المؤمنين [illegible] مع أبي بكر محمد بن عبد الله القرشي المعيطي ورفع إلى الحاكم فسر بذلك ووصلهما
وتقدم [illegible] الشورى ولد أبو عمر في سنة [illegible] تفقه به وعليه تفقه أبو عمر ابن عبد البر وأخذ عنه [illegible] توفي فجاءة في جمادى
الأولى وكانت جنازته عظيمة. أحمد بن عبدوس بن أحمد الجرجاني يروي عن أبي العباس الأصم وغيره توفي في ربيع الأول. أحمد
ابن علي بن أحمد بن محمد أبو العباس [illegible] المقرئ الفقيه المالكي قدم الأندلس سنة ست وسبعين [illegible] المنصور محمد بن أبي
[illegible]

الورقة الأولى من مجلد لالالي رقم ٢٠٨٢



من تاريخ الإسلام تأليف الشيخ الإمام

العالم العلامة الحافظ القدوة

المحدثين ... المؤرخين شمس

الدين أبي عبد الله محمد

ابن أحمد بن عثمان

الذهبي

١٠١٦

طرة المجلد الرابع المحفوظ في خزانة كتب كوبرلي برقم ١٠١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبقة السادسة

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين

توفي فيها زيد بن ثابت في قول، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل
وجرير بن عبد الله البجلي بخلف، وعثمان بن أبي العاص
الثقفي وأبو أيوب الأنصاري وكعب بن عجرة في قول
وميمونة أم المؤمنين وعمرو بن الحمق في قول، وقتل حجر
بن عدي وأصحابه كما في ترجمته، ورافع بن عمرو الغفاري
ويقال سنة ثلث وله خمس وسبعون سنة، وفيها
حج بالناس معاوية وأخذ معه يزيد. قال أحمد بن يحيى
حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا القاسم بن الفضل
عن محمد بن زياد قال: قدم زياد المدينة فخطبهم وقال
يا معشر أهل المدينة إن أمير المؤمنين حسن نظره لكم
وإنه جعل لكم مفزعا تفزعون إليه يريد ابنه، فقام
عبد الرحمن بن أبي بكر فقال: يا معشر بني أمية اختاروا
منا بين ثلاث بين سنة رسول الله أو سنة أبي بكر أو سنة
عمر، إن هذا الأمر قد كان وفي أهل بيت رسول
الله من لو ولاه ذلك لكان لذلك أهلا، ثم كان أبو بكر
فكان من أهل بيته من لو ولاه لكان لذلك أهلا فولاه عمر
فكان بعده، وقد كان في أهل بيت عمر من لو ولاه ذلك لكان
له أهلا فجعلها في نفر من المسلمين، ألا وإنما أردتم أن تجعلوها
قيصرية كلما مات قيصر كان قيصر، فغضب مروان بن الحكم
وقال لعبد الرحمن: هذا الذي أنزل الله فيه "والذي قال

بداية المجلد الرابع المحفوظ في خزانة كتب كوبرلي برقم ١٠١٦

أن أبا مسلم الجليلي أسلم على عهد معاوية فأتاه أبو مسلم
الخولاني فقال ما منعك أن تسلم على عهد أبي بكر وعمر قال
إني وجدت في التوراة أن هذه الآية ثلاثة أصناف صنف
يدخل الجنة بغير حساب وصنف يحاسبون حسابا
يسيرا وصنف يصيبهم شيء ثم يدخلون الجنة فأردت
أن أكون من الأولين فإن لم أكن منهم كنت ممن يحاسب حسابا
يسيرا فإن لم أكن منهم كنت من الآخرين ن صالح المري
عن أبي عبد الله الشامي عن مكحول عن أبي مسلم الخولاني
أنه لقي أبا مسلم الجليلي وكان مترهبا نزل من صومعته
الام عمرو أسلم فقال له تركت الإسلام على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعهد أبي بكر وذكر الحديث ن الجوهري عن
عقبة ابن وساج كان لأبي مسلم الخولاني جار يهودي
يكنى أبا مسلم كان يمر به ويقول يا أبا مسلم أسلم تسلم
فمر به يوما وهو يصلي وذكر شبه حديث أبي قلابة قال
ابن يمن أبو مسلم الجليلي وقال الجليلي شامي ن
الأعمش عن ابن سليك وقال ابن حنظلة
الكوفي عن علي وابن هريرة وعنه سماك ابن حرب وعلي ابن الأقمر
وأبو إسحاق السبيعي روى له النسائي ق والله أعلم
تم الجزء المبارك بحمد الله وعونه وحسن توفيقه
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
ورضي الله عن أصحاب رسول الله
أجمعين وحسبنا الله
ونعم الوكيل

وكان الفراغ في [illegible] شوال [illegible]
[illegible]
[illegible] الطبقة التاسعة [illegible]

آخر المجلد الرابع المحفوظ في خزانة كتب كوبرلي بإستانبول برقم ١٠١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبقة التاسعة

سنة إحدى وثمانين

توفي فيها أبو القاسم محمد بن علي بن الحنفية وسويد بن غفلة وعبد الله بن شداد
ابن الهاد وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود وفيها خلع عبد الرحمن بن
محمد بن الأشعث الطاعة وبايعه الناس وسار يقصد الحجاج وقد ذكرنا في
السنة الماضية سبب خروجه قال المدائني لما أجمع ابن الأشعث المسير
من سجستان وقصد العراق [illegible] أن يخص
الناس فإن نفس كل امرء بما [illegible] الحجاج [illegible] الجيش قد خلعوا
الحجاج [illegible] عبد الملك بن مروان وقال عبيده فاستصرخ
الحجاج عبد الملك [illegible] وقدم الحجاج طليعته فالتقى ابن الأشعث
وهم عند دجيل [illegible] فانكشف عسكر الحجاج وانهزم إلى البصرة
فتبعه ابن الأشعث [illegible] ابن الأشعث خلق من [illegible] البصرة
فدخلوها فخرج الحجاج [illegible] البصرة [illegible] ابن [illegible]
ابن الأشعث [illegible] المنبر [illegible] عنه [illegible] شديدا
[illegible] على حرب الحجاج وعلى خلع عبد الملك جميع أهل
البصرة من القراء وأهل [illegible] ابن الأشعث في البصرة [illegible]
وفيها غزا موسى بن نصير [illegible] فقتل [illegible]
في أهل طبنة وفيها أصابت الصاعقة صخرة بيت المقدس وفيها
قتل بحير بن ورقاء الصريمي وكان من كبار القواد بخراسان قاتل ابن
خازم وظفر به فقتله ثم قتل بكير بن وشاح [illegible] عليه [illegible] بكير فقتلوه
بعد ذلك وفيها حج بالناس سليمان بن عبد الملك بن مروان
وحجت معه أم الدرداء

الورقة الأولى من مجلد خزانة كتب كوبرلي رقم ١٠١٨

الثقفي قال ابو عبيد وغيره مات سنة ثمانين
وقال المدائني في امرة [illegible] واما ابن سعد فقال
فقال سنة ست وعشرين ومائة

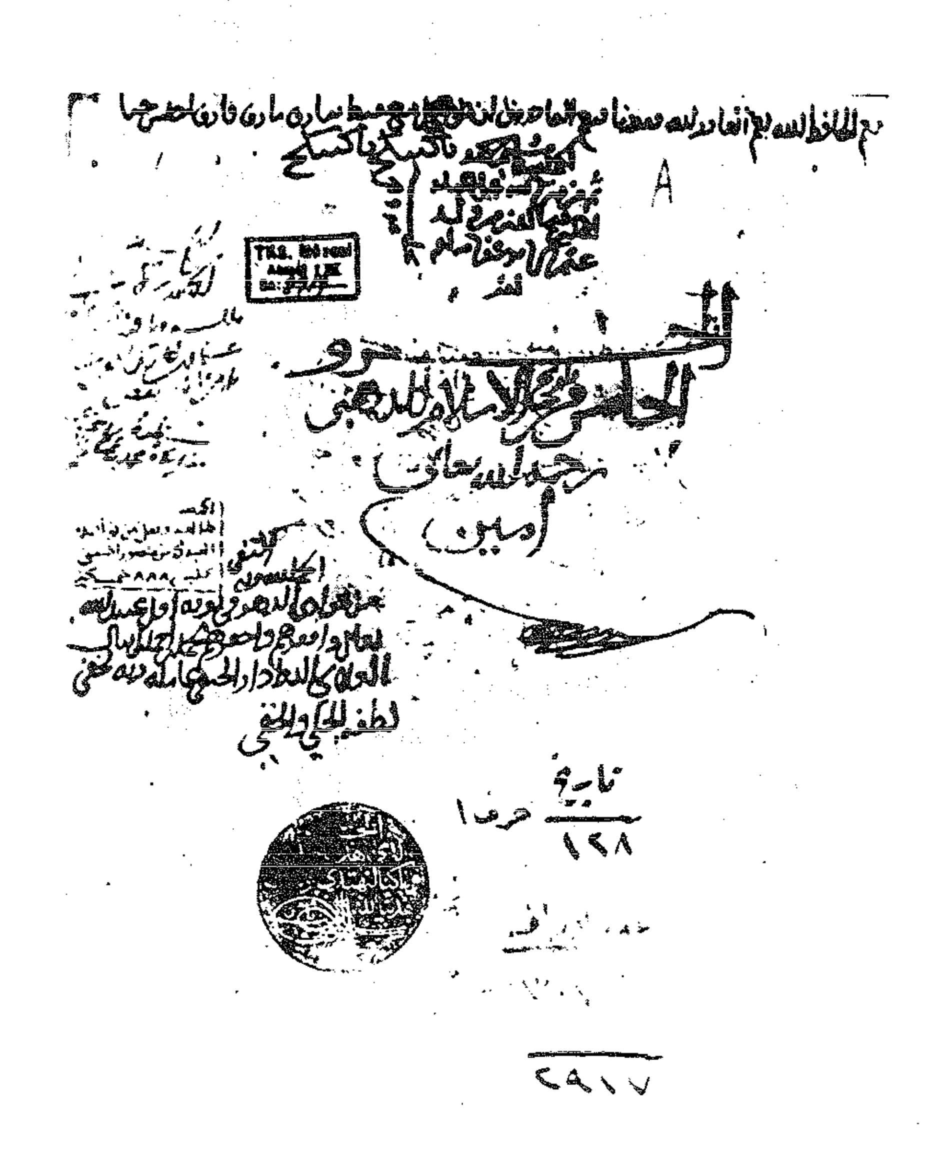
ابو زرعة

ابن عمرو بن جرير بن عبد الله
البجلي الكوفي اسمه فيما قيل هرم وقيل اسمه باسم ابيه وان ابا زرعة
كنيته [illegible] وقيل [illegible] روى
عن جده وابي هريرة وعبد الله بن عمرو وخرشة بن الحر
وجماعة وروى عنه ابراهيم [illegible] وحفيده جرير ويحيى ابو
حيان [illegible] بن ابي زرعة البجلي والحارث العكلي وعبد الله بن
شبرمة وعمارة بن القعقاع وموسى الجهني ويحيى بن [illegible]
ويحيى بن سعيد التيمي واخرون وكان [illegible]
[illegible] على [illegible]

ابو ساسان

اسمه حضين بن المنذر
الرقاشي البصري ويكنى ايضا ابا محمد روى عن عثمان وعلي
وابي موسى الاشعري والمهاجر بن قنفذ روى عنه الحسن
[illegible] وابنه [illegible] وعبد الله الداناج وابنه يحيى بن
حضين [illegible] وكان [illegible] صفين مع علي [illegible]
[illegible] وكان قتيبة بن مسلم يستشيره في اموره
وقيل انه كان [illegible] يوم [illegible] روى عنه ابو
اسحق السبيعي [illegible] كان صاحب شرطة علي [illegible]
[illegible] قال [illegible] قيل لحضين بن المنذر بم سدت
قومك قال بالحسب لا مطعن فيه والرأي لا يستغنى عنه ومن تمام
السؤدد ان يكون الرجل ثقيل السمع عظيم الرأس وقال
ابو احمد العسكري كان من سادات ربيعة وكان [illegible] وفيه
يقول علي رضي الله عنه

ورقة فيها أواخر الطبقة العاشرة من مجلد خزانة كتب كوبرلي رقم ١٠١٨



طرة المجلد الخامس من نسخة أحمد الثالث رقم ٢٩١٧.

اللهم صل على محمد وآله

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible] الطبقة ربعي بن عبد الله بن الجارود [illegible]

بصري صدوق عن انس وعنه مسلم بن ابراهيم وموسى

التبوذكي وبشر بن الوضاح وعيسى بن [illegible] وجماعة قال

البخاري [illegible] وقال الترمذي له مناكير عن انس زفر

بن عاصم ابو عبد الله الهلالي الدمشقي عن عمر بن عبد العزيز

وعروة بن رويم وعنه مالك ويحيى بن حمزة [illegible] الحجاز

[illegible] الصابع [illegible] زفر

ابن الهذيل العنبري الفقيه صاحب ابي حنيفة مولده سنة عشر

ومائة [illegible] واسماعيل بن ابي خالد ويونس بن ابي اسحق

ومحمد [illegible] ابن ارطاة وابي حنيفة وجماعة [illegible]

روى عنه حسان بن ابراهيم الكرماني والحسن بن زياد وابو

نعيم وعبد الواحد بن زياد وجماعة قال ابو نعيم الملائي

[illegible] ثقة مأمونا وقع الى البصرة في ميراث [illegible] فتشبث به اهل

البصرة فلم يتركوه يخرج من عندهم وقال يحيى بن معين ثقة

مأمون وقال ابو نعيم الاصبهاني كان [illegible] الهذيل من

[illegible] باصبهان [illegible] يزيد بن الوليد وقال [illegible]

[illegible] زفر ابو الهذيل [illegible]

عن الراي [illegible] وقال ابو نعيم [illegible] الكنية [illegible] خمسة

احاديث ومن الرواة عنه [illegible] الحكم بن ايوب [illegible]

ابن [illegible] عن الحسن بن زياد قال كان زفر وداود

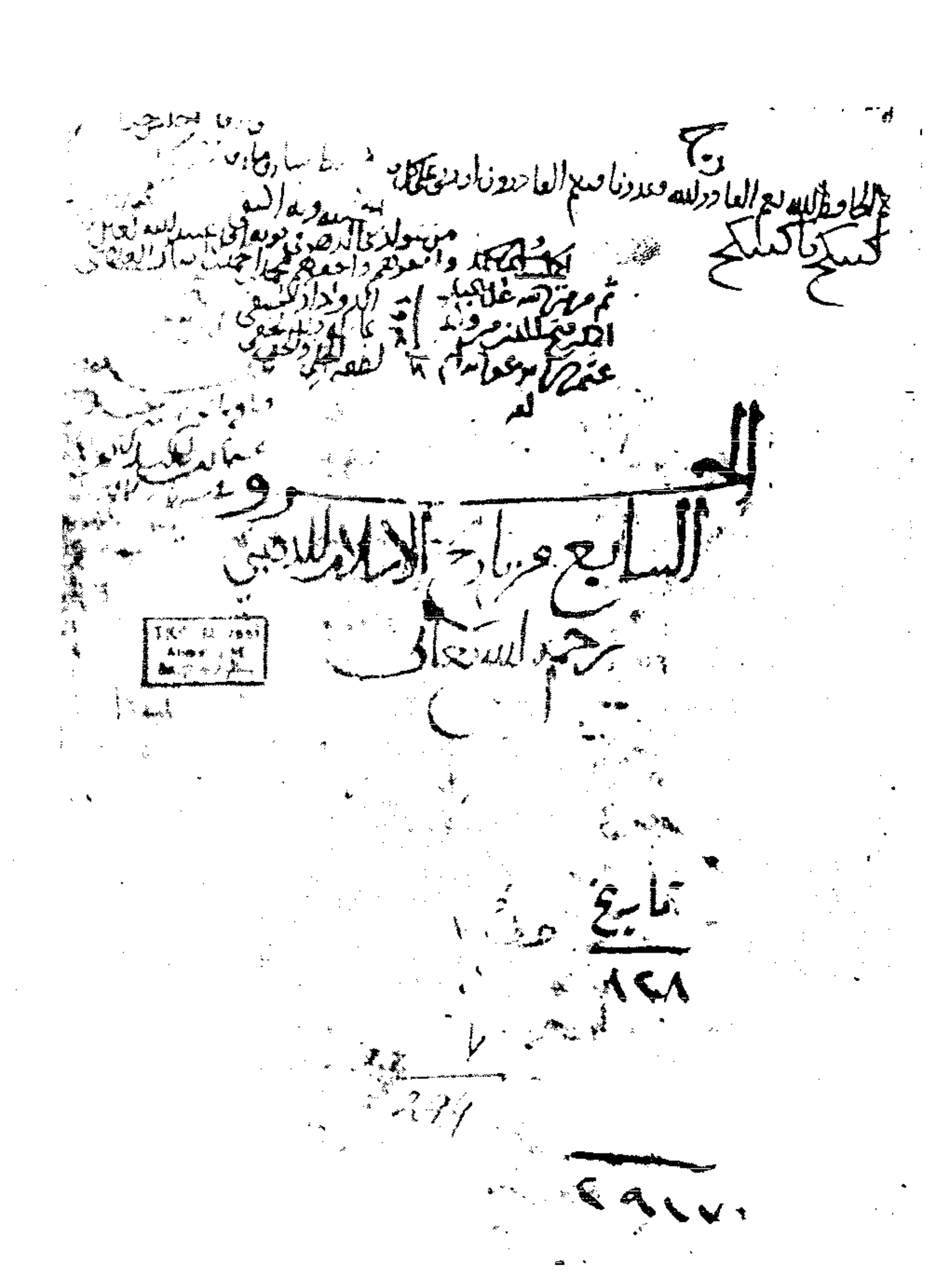
[illegible] متواخيين [illegible] داود وترك الفقه واقبل [illegible]

[illegible] زفر [illegible] قال عبد الرحمن بن مهدي ما عبد الواحد

[illegible] زفر [illegible] حدثنا [illegible] الناس [illegible]

١٦

أول المنتقى من الطبقة السادسة عشرة من المجلد الخامس من نسخة أحمد الثالث رقم ٢٩١٧

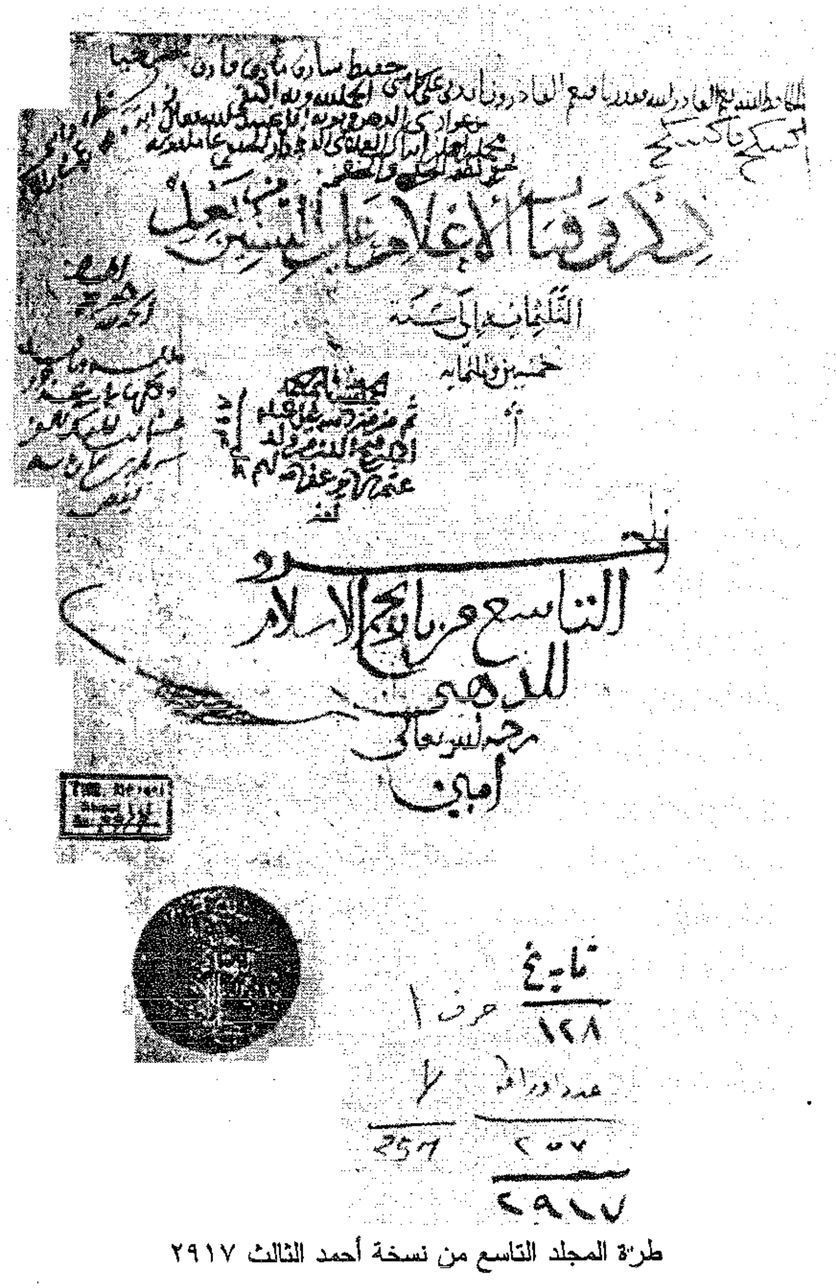


طرة المجلد السابع من نسخة أحمد الثالث ٢٩١٧

قال فلما كان يوم العيد رفست الناس ودخلت فوجدت
رغيفا موضوعا في الزاوية لا اكل ولا شرب وكان هذا
للصلاة نعي على ظهر وانه الى الشهر هذه حالته بعيد
الصحيح وفيها مخالفة السنة بالوصال وفيها ترك الجمع
والجماعة وغير ذلك ذكرتها للفرجة لا للحجة وهذه
الحكاية امثل منها قال ابو بكر محمد بن داود الدقي
سمعت ابا بكر بن معمر سمعت ابا احسان قال ابا ابو عبيد كان
هو وولده فاذا مواها شهر رمضان يصلي له اولاده
كل يوم افطار ثم يوجهون به مع غلام اسود فاذا
اتى به اليه قال له الشيخ اجلس فكله ولا يعلمهم شيئا
ويفطر هو على مرة واحدة قال الدقي وثنا ابو بكر بن
معمر سمعت ابن ابي عبيد البسري يحدث عن ابيه انه غزا
سنة من السنين فخرج في السرية فمات المهر الذي كان تحته
وهو في السرية قال ابي فقلت يا رب اعرنا حتى يرجع الى البسر
فاذا المهر قائم فلما غزا ورجع قال يا بني حط السرج عن المهر
فقلت انه عرق قال يا بني انه عارية فلما حط السرج وقع
المهر ميتا رواها ابن باكويه عن عبد الواحد بن بكر
الورثاني عن الدقي وسمع رواها من جهل حاله وذكر
له بن جهضم حكايات من هذا النمط ويقال انه مات سنة
سبعين ومائتين رحمه الله تعالى المهر بمعنى صاحب
العربة هو عبد الملك

تلوه الطبقة [illegible] والعشرين

آخر الطبقة السادسة والعشرين من المجلد السابع من نسخة أحمد الثالث ٢٩١٧



طرة المجلد التاسع من نسخة أحمد الثالث ٢٩١٧

وزبر وزياد بن ايوب ويعقوب الدورقي وجماعة وعنه ابو القاسم بن النخاس
وابو عمر بن حيوية وعمر بن شاهين وثقه ابن النخاس

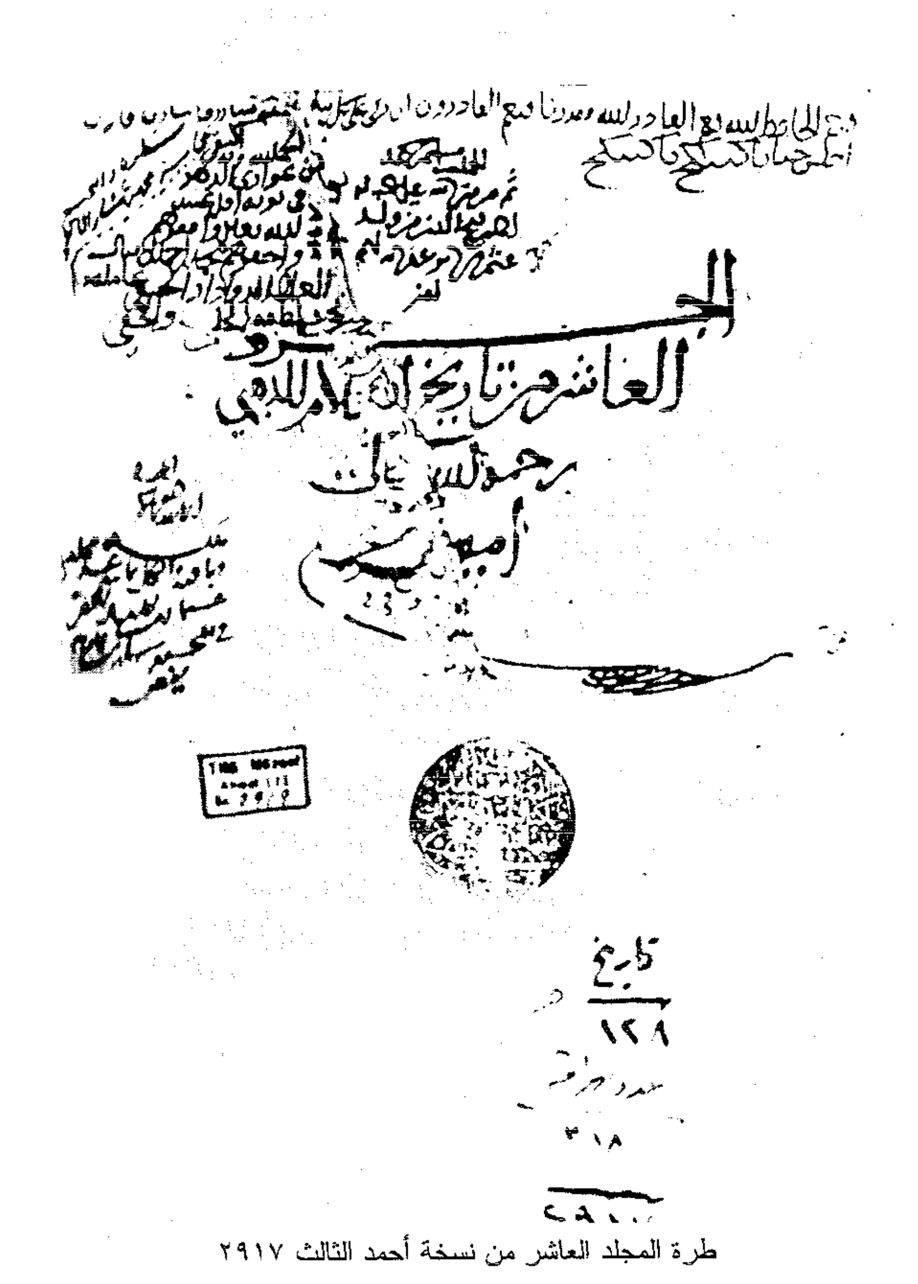
بسم الله الرحمن الرحيم

الطبقة الثالثة والثلثون

سنة احدى وعشرين ومن توفي فيها

احمد بن اسمعيل بن عامر ابو بكر السمرقندي رئيس كبير حدث
بجامع ابي عيسى الترمذي عن مصنفه وتوفي ببخارا قاله جعفر المستغفري
احمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله بن بكر ابو حامد الدقاق ويعرف بابن
احمد بن حمدون بن احمد بن رستم ابو حامد النيسابوري ولقبه ابو تراب
الاعمشي الحافظ كان قد جمع حديث الاعمش كله وحفظه سمع محمد بن رافع واسحق
الكوسج وعلي بن خشرم وعمار بن رجا الجرجاني وابا زرعة والحسن بن محمد الزعفراني
وابا سعيد الاشج ويحيى بن حكيم المقوم وطبقتهم روى عنه ابو الوليد الفقيه
وابو علي الحافظ وابو اسحق المزكي وابو سهل الصعلوكي وابو احمد الحاكم
قال ابو عبد الله الحاكم سمعت ابا علي يقول لي احمد بن حمدون ان
طلبت الرواية عنه فقلت هذا الذي تذكره في ابي تراب من جمع الطرق والصحف
الذي كان اولى انكرته منه في الحديث قال بل من جهة الحديث
قلت فما انكرت عليه قال احاديث عبيد الله بن عمر عن عبد الله بن الفضل قلت
فحدث به غيره فاخذ يذكر احاديث حدثنيها غيره فقلنا ابو تراب
مظلوم في كل ما ذكرته ثم حدثت ابا الحسين الحجاجي بهذا القول فرضي كلامي
فيه وقال القول ما قلته ثم قال احفظ اكثره بخطه فما اجد فيها حديثا يكون
الحمل فيه عليه واحاديثه كلها مستقيمة وسمعت ابا احمد الحافظ يقول احضر

أول وفيات الطبقة الثالثة والثلاثين من المجلد التاسع من نسخة أحمد الثالث ٢٩١٧

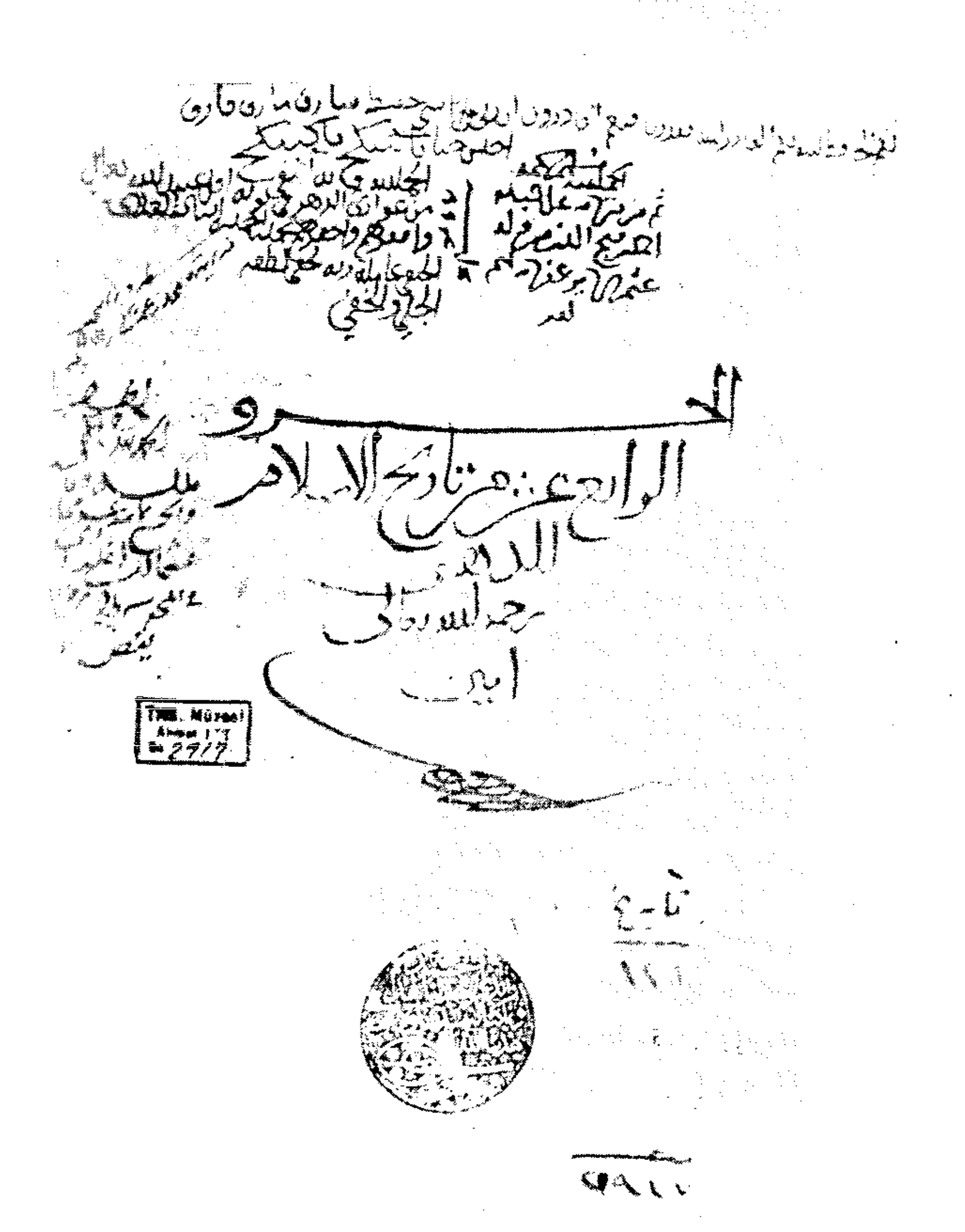


طرة المجلد العاشر من نسخة أحمد الثالث ٢٩١٧

أول الطبقة السادسة والأربعين من المجلد الحادي عشر من نسخة

أحمد الثالث ٢٩١٧

أول المجلد الثاني عشر من نسخة أحمد الثالث ٢٩١٧



طرة المجلد الرابع عشر من نسخة أحمد الثالث ٢٩١٧

الجزء الخامس عشر من تاريخ الإسلام
للذهبي
رحمه الله تعالى
آمين

تاريخ
١٢٨

عدد أوراق
٢٥٠

٢٩١٧

طرة المجلد الخامس عشر من نسخة أحمد الثالث ٢٩١٧

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بكرمك

القرن الرابع

وما جرى فيه من الحوادث الكبار من كلام الجوزي وغيره

الطبقة ٣١

سنة احدى وثلثمائة

فيها اولها قبض المقتدر على وزيره ابي علي الخاقاني وعلى ابنه وابن الهيثم ثوابه وكان قد مضى مؤنس المؤنسي في ثلاثمائة راكب الى مكة لاحضار علي بن عيسى للوزارة فقدم في عاشر المحرم فقلد وسلم اليه الخاقاني ومن معه فصادرهم مصادرة قريبة ودفق بهم وعدل في الرعية وعف عن المال واحسن السياسة واتقى الله وابطل الخمور قال ثابت بن سنان قال فحدثني بعض عزله من الوزارة قال قال لي ابن الفرات بعد صرفه وتولية ابطلت الرسوم وهدمت الارتفاع فقلت له اي رسم ابطلت قال المكس بمكة قلت هذا وحده ابطلت قد ابطلت ما ارتفاعه في العام خمسمائة الف دينار وما استكثر هذا القدر في ذنب ما حططته عن امير المؤمنين من الاوزار ولكن انظر مع ما حططته الى ارتفاعي وارتفاعك بفوق الجادم بيننا قبل ان يجيب وفي صفر سأل علي بن عيسى امير المؤمنين ان يقلد القضاء ابا عمر محمد بن يوسف وعرفه فضله ومحله فقلده قضاء الجانبين وفي على قضاء مدينة المنصور ابو جعفر احمد بن اسحق بن البهلول وفيها تصحب المقتدر من داره الى الشماسية وهي اول ركبة ظهر فيها للعامة وفيها ادخل حسين بن منصور الحلاج مشهورا على جمل الى بغداد وكان قد قبض عليه بالسوس وحمل الى علي بن احمد الراسبي فانفذه الى الحضرة فصلب حيا ونودي عليه هذا احد دعاة القرامطة فاعرفوه ثم حبس في دار السلطان

اول

الورقة الأولى من المجلد الخامس عشر من نسخة أحمد الثالث ٢٩١٧

من سنه اسرى وسعمر ولولا عنايه الحربداريه ومحبته
له لكان شيا اخر واما السلطان فسار الى الشام
وشن الغارات على بلاد عكا فراسلوه وطلبوا الصلح
فصالحهم عشر سنين ثم دخل دمشق وفي
بعض ذلك جات رسل طايفه من التتار فاخربوا
سروج وحران ونقضوا اسوارها وسلبوا كثيرا
من اخشابها واساقوا معهم اهلها واخليت ودثرت
بالكليه وفيها وصلت رسل صمغرا والبرواناه
فقالوا للسلطان ان صمغرا يقول لك سيدنا وكل
في البلاد لم يصله من جهتك رسول وقد راى من
المصلحه ان يبعث الى ابغا رسولا يطلب حتى يساعدك
ويتوسط فاكرم السلطان الرسل ثم بعث في ارسليه
الامير فخر الدين اياز المقرى والامير مبارز الدين الطوري
الى ابغا وبعث له جوشنا وبعث لصمغرا قوسا
فوصلا وسلما فسار بهما البرواناه الى ابغا فقال
ما شانكما فقالا ان سلطاننا ارسلنا نقول لك ان اردت
ان اكون مطاوعا لك فرد ما في يدك من بلاد المسلمين ثم
فغضب واغلظ وقال ما يرضى راسا براس ثم انفصلا
من عند ابغا وعندما وقع ذلك نظر فكر لعله
سأله رد ما بيده من العراق والجزيره والا جميع ما
بيده من بلاد المسلمين وفيها وصلت رسل بركه
من عند منكوتمر ابن طغان يطلبون من السلطان
الاعانه على اسطنبول شافر ابغا [illegible]
سار السلطان الى حصن الاكراد وحصن عكار
فاشرف عليهما ورجع الى دمشق [illegible]

آخر المجلد الخامس عشر من نسخة أحمد الثالث ٢٩١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبقة الثامنة والعشرون سنة إحدى وسبعين ومائتين

فيها توفي عباس الدوري وعبد الرحمن بن محمد بن منصور الحارثي
ومحمد بن حماد الطهراني ومحمد بن سنان القزاز ويوسف بن سعيد
ابن مسلم وفيها دخل محمد وعلي ابنا الحسين بن جعفر بن موسى بن جعفر
الصادق بن محمد المدينة فقتلا بها وجبيا الأموال وعطلت الجمعة
والجماعة من مسجد النبي صلى الله عليه وسلم شهرا وفيها عزل المعتمد عمرو بن الليث وأمر
بلعنه على المنابر وولى خراسان محمد بن طاهر وكان محمد ببغداد فاستناب
عنه على نيسابور رافع بن هرثمة وأقر على بخارا وسمرقند نصر بن أحمد بن
أسد ثم جاءت كتب الموفق إلى رافع بقصد جرجان وآمل وكان بها الحسن
ابن زيد فسار إليه رافع سنة أربع وسبعين وفيها كانت وقعة عظيمة
بين أبي العباس بن الموفق وبين خمارويه بن أحمد بن طولون بأرض فلسطين كان
الموفق قد جهز ولده في جنود العراق وأعطاه الأموال وولاه أعمال
مصر والشام فسار إلى الشام ونزل بفلسطين وجاء خمارويه وكان قد قام
في ولايات أبيه بعده فالتقيا بحيث جرت على الأرض الدماء ثم انهزم خمارويه

أول الطبقة الثامنة والعشرين، وهي الورقة (٨٢)

من مجلد الأوقاف العراقية ٥٨٨٢

طوى العصران ما نشراه مني فأخلق جدتي نشر وطي

توفي يوسف القاضي في رمضان سنة سبع وتسعين

ابو الحسين النوري من كبار مشايخ الطريق واسمه

احمد بن محمد تقدم في اول هذه الطبقة

ابو عثمان الحيري سعيد بن اسماعيل شيخ نيسابور

تم المجلد [illegible] من كتاب تاريخ الاسلام

وطبقات المشاهير والاعلام تصنيف الشيخ الامام العالم العامل

الفاضل الورع المتقي المحدث الحافظ ابي عبد الله محمد بن احمد بن

عثمان التميمي الذهبي نفع الله به على يد العبد المذنب الفقير

عبد المؤمن بن احمد بن حسن البغدادي القادري عفا الله عنه وغفر الله له

ولمصنف هذا الكتاب ولوالديه ولمالكه ولوالديه ولمن ساعد في نسخه

وللمسلمين اجمعين وكان فراغه في تاسع شوال المبارك من شهور [illegible]

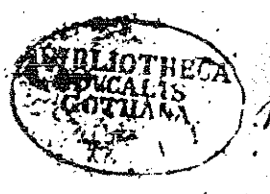
والحمد لله حمدا كثيرا وصلواته على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم

تسليما [illegible]

بلغ مقابلة [illegible]

الورقة الأخيرة من مجلد الأوقاف العراقية ٥٨٨٢

السابع من تاريخ الإسلام
للحافظ الذهبي



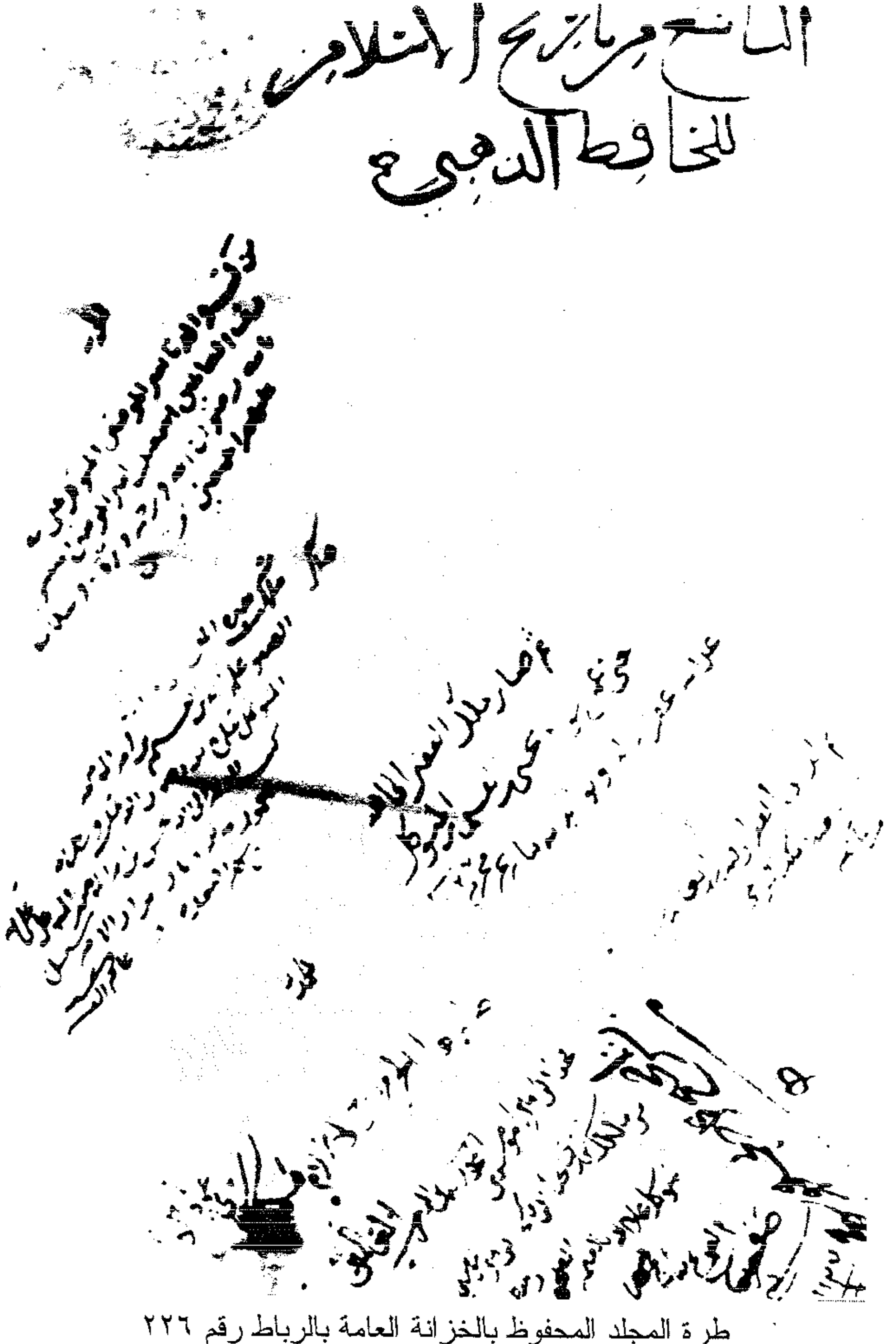
Kahira 1808. No. 1178.
U. J. Seetzen

طرة المجلد السابع المحفوظ في مكتبة كوتا بالمانيا رقم ١٥٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الطبقة السادسة والثلاثون حوادث سنة إحدى وخمسين

فيها نقلت سنة خمسين وثلثمائة من حيث الغلات إلى سنة احدى وخمسين الخراجية وكتب الصابي
كتابا عن المطيع في المعنى فيه ان السنة الشمسية ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم
بالتقريب وان الهلالية ثلثمائة واربعة وخمسون يوما وكسر وما زالت الأمم السالفة
تكبس زيادات السنين على اختلاف مذاهبها وفي كتاب الله شهادة بذلك قال الله
تعالى ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا فكانت هذه الزيادة بازاء ذلك واما
الفرس فانهم اجروا معاملاتهم على السنة المعتدلة التي شهورها اثنا عشر شهرا اياما
ثلثمائة وستون يوما ولقبوا الشهور اثني عشر لقبا وسموا الايام باسامي وافردوا
الايام الخمسة الزائدة وسموها المسترقة وكبسوا الربع في كل مائة وعشرين سنة شهرا
فلما انقرض ملكهم بطل ذلك وذكر كلاما طويلا حاصله تعجيل الخراج وحساب ايام الناس
قال ثابت بن سنان وملك الروم عين زربة مع الدمستق في مائة وستين الف فارس
في سفح جبل مطل عليها فصعد بعض جيشه الجبل ونزل هو على بابها واخذوا في نقب
السور فطلبوا الامان فامنهم وفتحوا له فدخلها وندم حيث امنهم ونادى بان يخرج كل
من في البلد الى الجامع فلما اصبح بث رجالته وكانوا ستين الفا فكل من وجدوه في منزله
قتلوه فقتلوا عالما لا يحصى واخذوا جميع ما كان فيها وكان من جملة ما اخذوا اربعون
الف رمح وقطع لعنه الله من حوالي البلد اربعين الف نخلة وهدم البيوت واحرقها
ونادى من كان في الجامع فليذهب حيث شاء ومن امسى فيه قتل فازدحم الناس في
ابوابه ومات جماعة ومروا على وجوههم حفاة عراة لا يدرون اين يذهبون فماتوا
في الطرقات جوعا وعطشا واخرب السور والجامع وهدم حولها اربعة وخمسين
حصنا اخذ منها بالامان جملة ومنها بالسيف انتهى قول ثابت ولما عاد الى بلاده
اعاد سيف الدولة عين زربة الى بعض ما كانت وظن ان الدمستق لا يعود الى البلاد
في العام فلم يستعد استعدادا هو غافل واذا بالدمستق قد دهمه ونازل حلب ومعه
ابن اخت الملك فخرج اليه وحاربه والدمستق في مائتي الف بالرجالة واهل الحصار
فلم يقف سيف الدولة وانهزم في نفر يسير وكانت داره بظاهر حلب فنزلها الدمستق
واخذ فيها ثلثمائة وتسعين بدرة دراهم والفا واربع مائة بغل ومن السلاح
ما لا يحصى فنهبها ثم احرقها وملك ربض حلب وقاتله اهل حلب من ورا السور فقتل
جماعة من الروم فسقطت ثلمة من السور على جماعة من اهل حلب فقتلتهم فاكب
الروم على تلك الثلمة فدافع المسلمون عنها فلما كان الليل بنوها ولما اصبحوا صعدوا
عليها وكبروا فبعد الروم عنها الى جبل جوشن فنزلوا به ومضى رجالة الشرط
لحفظ البيوت من الناس فنهبوها فقيل لمن على السور الحقوا منازلكم فنزلوا وخلا


التاسع من تاريخ الإسلام
للحافظ الذهبي

طرة المجلد المحفوظ بالخزانة العامة بالرباط رقم ٢٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ

في اولها قبض

المقتدر على وزيره ابي علي الخاقاني وعلى ابنه راي
الهيثم بن ثوابه وكان قد مضى يلتقي المونسي في بلقايه
والسبب فيه الاحضار على بن عيسى للوزاره فقدم في عاشر
المحرم فقلد وسلم اليه الخاقاني ومن معه فصادرهم مصادره
قريبه ورفق بهم وعدل في الرعيه وعف عن المال واحسن
السياسه وانفذه وابطل الجور قال ثابت بن سنان فقال
وحدثني بعد عزله من الوزاره قال قال لي ابن الفرات بعد
صرفي وتوليته ابطلت الرسوم وهدمت الارتفاع فقلت اي
رسم ابطلت قال المكس بمكه فقلت هذا وحده ابطلت بل
ابطلت ما ارتفاعه الف الف وخمسمايه الف دينار واستقل
هذا القدر في جنب ما حططته عن امير المومنين من الاوزار
ولكن انظر مع ما حططت الى ارتفاعي وارتفاعك فتعرف
الخادم منا قال فعجب ● وفي صفر سال علي بن عيسى
ان يقلد القضا ابا عمر محمد بن يوسف وعرفه فضله فقلده
فقلده قضا الجانبين وبقي على قضا مدينه المنصور ابو جعفر
احمد بن اسحاق بن البهلول وفيها ركب المقتدر من داره الى
الشماسيه وهي اول ركبه ظهر فيها للعامه ● وفيها ادخل
حسين بن منصور الحلاج مشهورا على جمل الى بغداد وكان

الورقة الاولى من مجلد المكتبة الأحمدية بحلب رقم ١٢٢٠/١

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الطبقة الخمسون

سنة احدى [illegible]

[illegible] حماه

احمد بن عبد الرحيم بن احمد ابو العباس بن الحطاب الرازي ثم المصري الفقيه الشافعي سمع ابا الحسن بن السمسار بدمشق وسعيد بن البزال و [illegible] عمر وابن داود وعلي بن بشرى الخلال المصري وجماعة كثيرة روى عنه ابنه ابو عبد الله الرازي صاحب المشيخة والسداسيات وعبد الله بن علي وكتب عنه من الكبار القدماء ابو زكريا عبد الرحيم البخاري ومكي الرميلي قال ابنه كان ابي في سكرة الموت يقول ما لي ولهذا [illegible] [illegible] [illegible] وكانت اليه بالمين والشمال [illegible] [illegible] الموت ولم يوحد مني ما سمعته على الوجه الذي اردته قال [illegible] سنة اربع وسبع واربعمائة وتوفيت بمكة [illegible] على ابي عبد الله الكازروني [illegible]

احمد بن الحسين بن احمد بن جعفر ابو نصر [illegible] الفقيه الهمداني روى عن ابيه [illegible] بن عمر [illegible] احمد الحسين الكاتب ومحمد بن محمد [illegible] قال [illegible] وكان [illegible] [illegible] في صفر [illegible] سادس وعشرين وكان من حمله [illegible]

احمد بن سهل ابو بكر النيسابوري السراج روى عن محمد بن موسى الصيرفي وابي بكر الحيري وعلي بن محمد الطرازي وكان فقيها ورعا عابدا صالحا ولد سنة ثمانين وثلاثمائة وكان يتكلم على الحديث [illegible] حدث عنه ابو سعد محمد بن احمد الخليلي [illegible] حافظ وعمر بن احمد الصفار وعبد الله بن [illegible] الغزاوي وعبد الله بن زاهر وابو [illegible] وجماعة توفي في ليلة [illegible] والعشرين من رمضان

احمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن التيمي [illegible] المعروف بابن [illegible] روى عن ابي نعيم وغيره روى عنه السلفي و[illegible]

احمد بن محمد بن عبد العزيز [illegible] ابو سعيد [illegible] [illegible] الفقيه كان عليه مدار الفتوى [illegible] وكان يعقد مجالس الوعظ من غير تكلف على طريقة اهل الورع و[illegible] وكان يميل الى الاعتزال [illegible] مجالس [illegible] وسلك طريقة اهل السنة و[illegible] لما كان عليه ومال الى التصوف و[illegible] [illegible] وما اظنه حدث بشيء

احمد بن عبد الله [illegible] ابو الحسن بن محمد الخلال البغدادي وابو بكر ابن العجمي سمع من ابيه [illegible] وابي جعفر بن المسلمة وجماعة روى عنه ولده ابو عبد الله [illegible] [illegible] الخطيب [illegible] سنة اربع وثلاثين واربعمائة ومات في ذي الحجة

أول المجلد المحفوظ بالخزانة العامة بالرباط رقم ٢٢٦

اول سنة احدى وخمسمايه لابي المعالي هبة الله بن
المطلب ٥ وفيها غرق فخر الملك ابن سليمان
بن قتلمش صاحب قونية سنة في الخابور فغرق ووجد
بعد ايام منتفخا والحمد لله على الطافه ٥ وفيها بعث
ابن ابا المحاسن وفخر الملك ابن عمار ملوك الشام
الى السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه يعظمون ملك
بالشام واهله من الفرنج ويستصرخون به ويستنجدون
به ليردهم فندب جيشا عليهم جاولي سقاوه وكانت
صدقه ابن مزيد وصاحب الموصل عزموا لينهضوا الى
حرب التتار فتثقل ذلك على الكاتبين ونكلوا عن الجهاد
وافلوا على حطة الانفس فلا قوة الا بالله وكان
ابن قتلمش نفذ بعض جيشه لانجاد صاحب القسطنطينية
على بيمند وافرنج الشام فلما التقى الجمعان استظهر الروم
وكسروا الفرنج شر كسرة انتصر الروم بالقتل والاسر
وفصل الامر للجند ابن قتلمش بعدا نخلع عليهم طالعه
الروم والومهر ان انفصت الوقايع ولله الحمد والمنة
فتلوها طبقات الموفق في هذه السنة ان شا الله
تعالى وبه استعين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على
محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

آخر مجلد المكتبة الأحمدية بحلب رقم ١٢٢٠/١

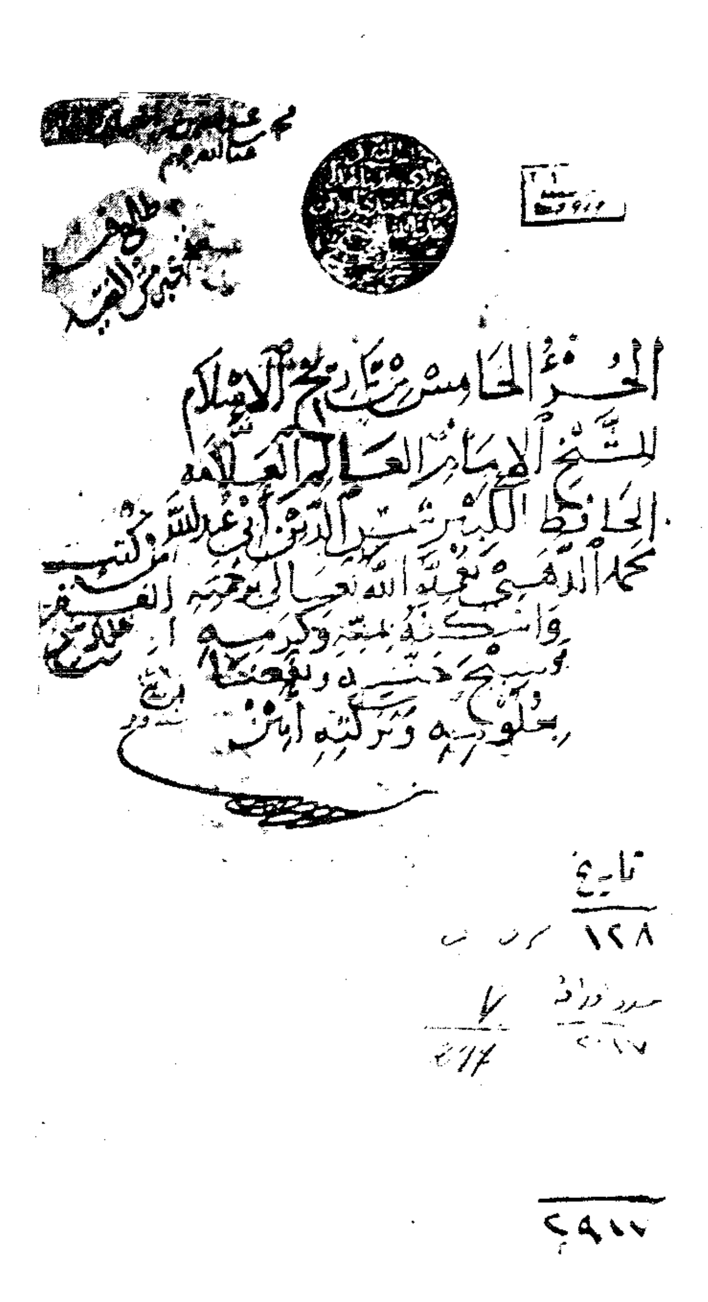
أول مجلد المكتبة الوطنية بباريس رقم ١٥٨٢ عربيات

آخر مجلد باريس ١٥٨٢ عربيات ويظهر على الجهة اليسرى

خط الحافظ سبط ابن حجر

الورقة الأولى من مجلد الأزهر بالقاهرة رقم ٧١٢

آخر مجلد الأزهر رقم ٧٠٢



طرة المجلد الخامس من المنتقى من تاريخ الإسلام (أحمد الثالث ٢٩١٧/ب)

عطار همذاني ولد شيخنا ابو العلا في ذي الحجة سنة ثمان وثمانين واربعمائة

قال وتوفي في تاسع عشر جمادى الاولى وذكره ابن النجار

فقال امام في علوم القراات والحديث والادب والزهد

والتمسك بالسنن تم المجلد من المنتقى من تاريخ الاسلام

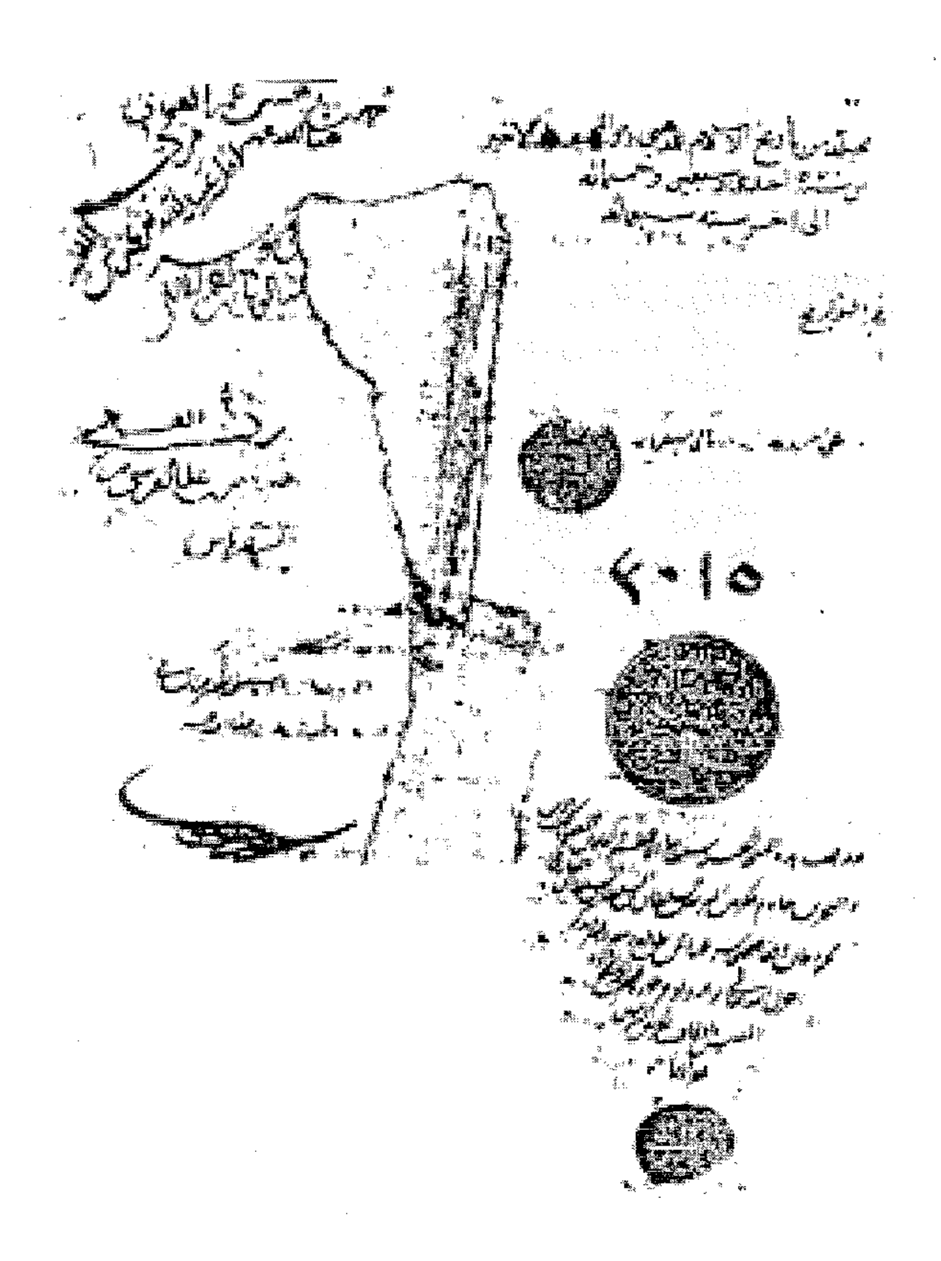
للذهبي بحمد الله وحسن توفيقه وصلواته لراجي الله رحمته محمود

ابن ابي سعيد زنكي بن اقسنقر التركي للملك العادل نور الدين

رحمه الله وغفر له ولسائر المسلمين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على

سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين ه

آخر المجلد الخامس من المنتقى من تاريخ الإسلام (أحمد الثالث ٢٩١٧/ب)



طرة المجلد السادس من المنتقى من تاريخ الإسلام (أيا صوفيا ٣٠١٦)

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن

محمود بن أبي سعيد زنكي بن آقسنقر التركي الملك العادل نور الدين ناصر
أمير المؤمنين أبو القاسم قال ابن عساكر كان آقسنقر هو وبلغنا بحلب للسلطان
ملكشاه بن ألب أرسلان وولي غيرها من بلاد الشام ونشأ قسيم الدولة زنكي
بالعراق وندبه السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان برأي الخليفة المسترشد
بالله لولاية الموصل وديار بكر والبلاد الشامية بعد قتل آقسنقر البرسقي وموت
ابنه مسعود فظهرت كفاية زنكي وعرفت شهامته ونيابته عن ظهور ملك الروم بريد
على شيزر حتى رجع لبلاده [illegible] وقد حاصر قسيم الدولة زنكي دمشق مرتين
فلم يفتحها وافتتح الرها والمعرة وكفرطاب وغيرها من أيدي الكفار وتوفي وقام
مقامه في ولاية الشام ابنه الملك نور الدين ولد في شوال سنة إحدى عشرة وخمسمائة
ودخل قلعة حلب بعد قتل والده على جعبر في ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين
فطلع على الأمر قلت تملك حلب بلا توقف ثم وكان أعدل ملوك زمانه وأجلهم
وأكثرهم جهادا وأحرصهم على الخير وأدينهم وأتقاهم لله قال ابن عساكر طهر منه بذل
الاجتهاد في قيام الجهاد وفتح من بلاد الروم ثم أعمال تل باشر فتح حصونا كثيرة
قلعة أفامية وحصن البارة وقلعة الراوندان وقلعة تل خالد وحصن كفرلاثا
وحصن كفرسوت [illegible] وقلعة عزاز وتل باشر ودلوك ومرعش وقلعة عين تاب
وبهنسا والمروج وغير ذلك من الحصون [illegible] برنس صاحب أنطاكية وأوقعه فكسر
نور الدين وقتله وقتل معه ثلاثة آلاف إفرنجي وبقي له ولد صغير مع أمه بأنطاكية فتزوجت
بأبرنس آخر فخرج نور الدين في بعض غزواته فأسر الأبرنس الآخر وتملك أنطاكية باسمه
وأعظم نور الدين [illegible] مال عظيم قال وأظهر السنة بحلب وغير البدعة التي كانت
لهم في الأذان وقمع [illegible] الرافضة وبنى المدارس وأقام العدل وحاصر دمشق مرتين ثم
قصدها الثالثة [illegible] وكان صاحبها معين الدين أنر نائب صاحبها وضاعوا واجتمعت كلمتهم على
العدو وسلموا [illegible] إليه البلد لغلاء الأسعار والخوف من العدو فتملكها وسكنها
وحصن سورها [illegible] وبنى بها المدارس والمساجد ووسع أسواقها ورفع عن الناس
الأثقال [illegible] كان يؤخذ منهم من المغارم بدار بطيخ وسوق الغنم وضمان

الفهرس

أول المجلد السادس من المنتقى من تاريخ الإسلام (أيا صوفيا ٣٠١٦)



طرة مجلد رضا رامبور بالهند رقم ٣٥٣٣، وهو مختصر لتاريخ الإسلام

الله على السلطان ما اشتمل عليه حصنه من ذخايره التى
اقتناها كابر عن كابر وورثها كافر عن كافر وامر السلطان باقامة
شعار الاسلام فيما افتتحه من تلك القلاع فاصبحت بالدين
المنابر واشترك فى عز دعوته البادى والحاضر ولعظم ما ورد
على ابن سورى مرض فصد فتم مسموم فاتلف نفسه وخسر
الدنيا والاخرة واما الاندلس فتم فيها فتن هايلة وانقضت
ايام الامويين وتفرقت الكلمه وفى ربيع الاول سنة
اربعماية دخل البربر والنصارى قرطبه فقتلوا من اهلها
ان يحصن ثلاثين الفا وملكها سليمن الاموى
المستعين واستقر بها سبعة اشهر ثم بلغه ان
المهدى الاموى وهو ابن عمه قد استنجد بالنصارى
لاخذ الثار منه فتاهب ثم وقع بينهم مصاف
فانهزم البربر والمستعين وذلك فى رابع شوال
ودخل المهدى قرطبه بدولته الثانيه فصادرهم وفعل
الافاعيل وخرج يتتبع البربر فكروا عليه فهزموه
واستبيح عسكره وقتل نحو العشرين الفا من
اهل قرطبه فانا لله وانا اليه راجعون
سنة احدى واربعماية
فيها ورد الخبر ان ابا المنيع قرواش بن مقلد جمع اهل
الموصل واظهر عندهم طاعة الحاكم وعرفهم بما عزم عليه
من اقامة الدعوة له ودعاهم الى ذلك فاجابوه فى الظاهر
وذلك فى المحرم فاعطى الخطيب نسخة ما خطب به
فكانت الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله وله الحمد
الذى

صورة لخط النسخة المحفوظة بالمكتبة المرجانية ببغداد،

وهي اليوم في مكتبة الأوقاف، وهي مختصرة